

المجلد الثاني

١٣١٥

وفي خبرنا كتابا وما يذكره الا اؤوه الا ابار
وفي الحكمة من يشاء ومن يؤت حكمة فله

فخير عادي الذين يستمرون القول فينبون احسن
ولئك الذين هدام الله اولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومثارا » كنار الطريق

مصر. سلخ ربيع الاول ١٣٣٩ - ١٨ القوس (خ ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ١٠ اديس بر ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والمشررين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدتك، وجل
ثناؤك، ولا إله غيرك، لا نحمي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك،
فحمدك بما حمدت به نفسك في كتابك موصلي ونسلم على أنبيائك
ورسلك : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) ، ونحياته
المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رسله محمد المصطفى ، وآله المطهرين
وأصحابه الحنفا ، وعلى من اتبع هديهم واقتفى ، (وهو الله لا إله إلا هو
له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدَّرتَ فهديت ،
وانتقميت فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا تقنوط
من رحمتك ولا يأس ، فاسألك من رحمتك العامة للعالمين ، ومن رحمتك
الخاصة للمسلمين ، ووفقني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ،
النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمرائها ،
وقادتها وزعماءها ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور والفائض
من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شعاعه على الخلق بسننك في سير
البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الخلو في الدين ، مضیعة للدنيا والدين ،
وأن الغرور بالدنيا مهلكة للمغرورين ، وأن سنة الله تعالى في رد الفعل الى
سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفريط والإفراط ، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَبِّحُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق
ما يقين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا
لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وإيمان ، كما وقعت
لذلك آباءنا الأولين ، وسلفنا الصالحين ، لنكون كما كانوا من الأئمة
الوارثين ، الجاهمين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين
نوفل برفق فلا نفلو غلو المغرورين ، واذا حكمنا بين الناس بحكم العدل فلا
نملو هلو الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحلت لنا من الزينة والطيبات من
الرزق تصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أثرة المسرفين ،
الذين يفسدون في الارض ولا يصالحون ، (يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا آياتك فان جمعها اقوام فقد
عرفناها وما نحن لها بجاهدين ، وعرفتنا نعمتك فان يكذبها الا كثرون
فما نحن بها بكافرين ، وقد أنزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ،
وبالمترفين المسرفين ، وبمن ذل لكبرياهم ودان لطغيانهم من الجاهلين
المفرتين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة ووعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل
السفهاء منا ، وارفع اللهم مقنتك وغضبك عنا ، فقد آن أن يستدير الزمان ،
ويجحد عجاز القرآن ، فيتوب الفاستون ، ويوقن المرتابون ، ويؤمن
الجاحدون (الم) ، غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم
بيخلبون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعند الله لا يخلف الله وعده ولينك أكثر الناس لا يعلمون .
يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

سبحانك اللهم وبحمدك . أريتنا من جهل أعلم الناس بشؤون
خلقك ، ما أتت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد
غلبت الروم الذين كانوا يمدون الخطر الأكبر على الاسلام ، كما غلبت
الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب
الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية ، ثم
ظهر جهل أعلم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ،
وظهر جهل أعلم الامم بشؤون الادارة والاستعمار فكانوا من الخائبين (ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا يستهزئون)
سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار ، مكن والنهار على الليل

وسكور الليل على النهار ، الكبرياء رداؤك ، والمظنة إزارك ، من
 نازحك فيهما قصمته ، وقد صرفت عن آياتك الذين يتكبرون في الأرض
 بغير الحق ، مقترين بما استدرجتهم به من شدة القوة وسمة الرزق ، فلم
 يشعروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتمظوا بما أنزلت
 من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ،
 واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ،
 وقهرك ليام سلا ما ورحمة لجميع العالمين ، يملو بها الحق على الباطل ، ويقضي
 بها العدل على الظلم ، وغلب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف
 والاثرة والاستكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين ،
 وطمع رؤساء الجبارين ، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها
 الفساد ، واستكبروا على العباد فاستعبدوا الجماعات والشموب للافراد ،
 (أَفَا مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أُنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۚ أَوْ أَمِنْ أَهْلِ
 الْقُرَىٰ أُنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا نَضْحَىٰ وَهُمْ يَنفَعُونَ ۚ أَفَا مَنُوا بِكُرْهِ اللَّهِ ۚ فَلَا
 يَأْمَنُ بِكُرْهِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۚ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ
 مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ) ؟

لقد انذرنا أكار السياسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين ، أن ترك تنفيذ
 قواعد العدل العام وحرية الام لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا: إن
 لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، واثقاب باسفي شره مستطير ،
 أو تعود الحرب جذعة ، بهذه السياسة الخدعة ، الخبائة الظلمة (والذين
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْثَرُ ، فلا

تَفَرُّنَكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرُتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقد صدقت الآيات
ولم تكن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الأرض
تضطرم بنيران الفتن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد،
وإنما هو شر على، فهو ممي المال، ومستعبد للاقوام ومذلي الأقبال، وقد يشقى
ناس فيسعد بشقاؤهم آخرون، وتتل عروش قري عاتية فيرثها قوم آخرون،
(أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَا يَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
يَظْهَرُونَ)

ان الناس لن يكونوا
أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويأبى المثلون المترفون،
و«الرأسماليون» الطامعون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في الدمار،
وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من
الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل،
ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف
اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط الملاحق، وكان تنفيذه على
المائدين، بمثل القسوة التي كانوا يسومونها الضعفاء والمساكين، وان
تبتهم قبل أن يحاط بهم، فهو خير لكم، (لا تظالمون ولا تُظالمون) وقد
أهلككم ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون)
وانت يا أيها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

لنا الى م هذا التفرق والافتتار ، بعد تلك السعادة بالوحدة والافتتار ،
 وحتى م تلذذين من الجهر الواحد مرارا عديدة وقد حذرت من المرتين ،
 وسمعت النذر بالاذنين ورأيت المبر بالعينين واست المواقب باليدين ؟
 والى متى تقترين بالمظاهر والالذباب ، وتدعين الفرص تمر بك من السحاب ؟
 تداقت عليك الامم كما أخبرك النذير ،
 اذ كان لهم منك شيء ولي وظهير ، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
 اليهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، وابتغوا عندكم العزة والثروة
 فكانت اكرههم الخاسرة ، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة ، وذلك
 هو الخسران المبين ، وان كانوا غنه من الفافلين (فتعلموا امرهم يدينهم ربهم)
 كل حزب بما لديهم فرحون . فذرهم في غمرتهم حتى حين .
 ان يحسبون ان ما نعدهم به من مال وبنين . — يسارع لهم في
 الخيرات بل لا يشعرون)

فيالقوم اني اكم ناصح أمين ، على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ،
 واحوال الزمان ، ان لا تعبدوا الا الله ، ولا تياسوا من روح الله ، (وان
 استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى)
 ويؤتي كل ذي فضل فضله ، وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم
 اكبير) اخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاولى ، قبل عذاب يوم القيامة
 الاخرى ، يوم الخزي والنكال ، بفقدية الاستقلال ، فقابلوا اولياء الشيطان ،
 بما امركم به الرحمن ، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن ، ولا كفرانكم ايمان
 الله ليس لهم ايمان ، ولا يصدقونكم من آيات الله سبب ولا نسب ، ولا
 رغب ولا رهب ، ولا ورق ولا ذهب ، فقد برح الخفاء وانكشفت الظلمة ،

فلا يكن أمركم عليكم شقة ، (قل يا قوم انعموا على مكانتكم اني مایل
فستوف تعلمون -- من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)

والا أنخص بالذكر قومي وعشيرتي ، بعد التذكير العام لجميع
شعوب أمتي ، بما يشد أسر الجماعة ويضع عنها إصرها ، ويحكم أواصر
الجماعة ويرفع لها ذكرها ، وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب نخاذا وتواكلا ،
وأضعفهم تعاوناً وتكافلاً ، وأكثرهم تباعياً وتفاضلاً ، وتماحكاً وتماحلاً ، وأقلهم
تحالفاً وتناصرًا ، وتضافراً ونظاهراً ، إتحد مسلمو مصر مع القبط فيما بينهم في
الدنيا ولا يضر بالدين ، وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر
مسلمو الترك مع الروس أعدائهم الأولين ، ولكن تعذر الاتفاق
في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما
تعذر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ،
ولولا أن هذه اذمة مرحومة لأبليت بذوبها ، وهلكت بتفريطها
في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحاً في وجهها ،
وإن مسالك النجاة ما فتئت مرجوة لها ، فما عليها إلا أن تأتي البيوت
من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما أوقعها في سابق غرورها ،
والتواكل في أمورها ، والاتكال على أيمان مبرها . (ذلك بأن الله لم يك
مُغيراً لنعمة أنعمها على قوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميعٌ عليم .
كذاب آل فرعون والذين آمن من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين . إن شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم اتفقتون
عندهم في كل مرة وهم لا يتقون) فتدبروا سائر الآيات - (وأنتم

لا تظلمون. هَذَا ابْصَارُ النَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

استدار الزمان، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان،
وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد، وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر
الاستعباد، بفضل التضافر والتظاهر والاتحاد
وإنما الذل
والمهوان، والخزي والخذلان، والبغي والمدوان، على أهل النفاق والدهان،
والمترفين في المذاهب والأديان، والمتعادين في الزعامات والبلدان :
والمفرورين بالمهود والأيان. والقوانين وحقوق الإنسان، والمخدوعين بكلم
العدل والمدنية، والمساواة والحرية. والرحمة الإنسانية. وإنما المعاهدات، حجج
الاقوياء على الضعفاء، ولا وجود للعدل والمساواة، إلا حيث العجز عن الظلم
والهابة، ولا حق في الحرية، ولا في الرحمة إلا لذوي الأيد والجريمة،
والمافل لا يظلم فكيف إذا كان أمة " على أن قاموس السياسة تكثر فيه أسماء
الاضداد، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد، ولا تضاد بين الحماية
والاستقلال. ولا تناقض بين الاسائة والاحسان، ولا تعارض بين الكفر
والإيمان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون •
كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وأولئك هم الممتدون)
بما للمنافقين المتعدين . وسحقاً لليائسين المستسلمين. وبمدا للفاسقين
الظالمين . وطوبى للراجين الماملين . فرب خوف أعقب الرجاء. ورب عداة
انتهى بولاء (وعسى أن تكرر هُؤا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئاً وهو شر لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ^{• نشأ المنار ومحرره}
محمد رشيد رضا

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فصحا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسمع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمر إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وأنا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

مأتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه

(من - ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

إلى حضرة جناب الافخم العلامة الامتاذ السيد محمد رشيد رضا المهترم . دام اقباله بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الأحرف ورقة قطناها من الجريدة الرسمية بزنجبار أحيينا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا عشرية يوقدون في ليلة الماشر من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارا قوية ويمرون فوقها ولا تحرقهم . وكنا قبل نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا هذا العمل بطرقنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم . وقد كثر من اخواننا الشيعة بطرقنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدنا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله روحه لكان أكثر الناس تشيخوا . وقد هرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على صفحات المنار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الأجر ، ومن خلقه الشكر ، والسلام

من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل اليها الوصف الآتي للاعياد المحلية لماشر المحرم ولعله يلد القراء : من المعلم الذي لا شك فيه ان تذكرا استشهاد الحسين هو من أهم الاعياد الاسلامية لان أول صدع عظيم حدث في الاسلام كان بناء على هذا الحادث ، أعني مسألة الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشمور انفعالي عظيم فهي تأثير شديد . ففي ليلة العاشر من المحرم يخرب المخلصون صدورهم وروءهم ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنقمة . مؤثرة تبكي الناظرين ، بل تهزن صدر النيين ، وغيرهم من المتفرجين ، ولا يصاب أحد من المخلصين بضرر . ثم في كرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ج) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكرى استشهاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المتدين الميطرية الرفاعية وغيرها من طارق المتصوفة . ومنهم من يحمي حديدة في النار حتى تحمر ثم ياحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها . وكثير من الناس المتدين الى اديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال قرية في نظرها غير الناس وهذه الاعمال القرية التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة الشموعة التي يحذقها بالتلم والتمرن وخفة الحركة ألامس تثيرون فيأتون من الاعمال ما يمجز عنه غيرهم وقد نخبل الى الناظر الشيء على غير صورته أو حقيقة كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويبقى امامه عليها . وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تكفي للموق النار بالمفتحم ، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها رقلا تعلق بثوب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بخواص الاشياء . قسم الكيمياء والكهرباء وغيرها . وانما تكون غرائب عند الجاهل باسبابها وكذلك النوع الاول انما

يراه غريبا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتغويل .
(النوع الثالث) فرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وقهرها
من الخواص الروحانية كاستعدادها لعلم بهض الامور الواقعة أو المستقبلة من غير
طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتاً عظيماً بالاستعداد
الفطري وبالرياضة الروحية

والتكلمون يطلقون على كل ما جاء على خلاف المعروف الممهور مما لا يعرف له
سبب كلمة (خوارق العادات) ويمدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسوله
عليهم السلام ويسمون بها المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيراً لان ما يتكرر
هو هادي لانه يمود كما بدأ ، وكل ما كان عن علم أو صناعة أو قوة نفسية تستخدمها
الارادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر ، لان صاحبه يفعله بارادته واختياره ،
وأنحصاره في أفراد وفئات من الناموس هو كانهضار سائر الصناعات والمعلوم في مقامها
ومزاويلها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها لدلالة على صدقهم في دعوى
الرسالة فهذه فليست مما يتعلق به قدرتهم وأرادتهم بحيث يأتونها متى شاؤوا كسائر أفعالهم
الاختيارية ولا مما يتناقض بالتعليم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسله الذي أكل
دينه به ان يجيب من اقترحوا عليه الآيات بقوله (قل إنما آيات همد الله)
بقوله (سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) ولكنها من شئونه تعالى يجر بها
هل أيديهم متى شاء اما بغير كذب منهم البتة كانهضار القرآن وعصا موسى واما
مقارنة لكسب مآ منهم يأتونه باذنه ليس له من التأثير في خرق العادة الا الصورة
كرمي نبينا (ص) المشركين بقبضة من الرمل هل البعد منهم أصابت أعينهم هل
كثرتهم وجمعهم همد واختلاف أوضاعهم وحالاتهم همد الرمي ، وذلك قوله تعالى
له (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هذا القبيل ابراء الالكه والابرص
واحياء الموتى لميسى (ع م) وان جاز أن تكون قوة وروحانيته الوهبية هي المؤثرة
بإذن الله تعالى فيه ، وكرامات الاولياء أكثر ما تكون من النوع الثالث للفرائب .
وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء وإنما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والتمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الفرائب المضادة التي يقصد بها الكيد والمكر واللداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)
وقل في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وذكر ان هاروت وماروت كانا يملكان الناس السحر بيا بل ، وخوارق العادات لا تكون بالعلم كما تقدم وفقاً لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

اذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة النار هو مما ذكرنا من العادات المكررة ، والشجرة التي زعموا انها تقطر دماً في شهر المحرم لا وجود لها . فأننا لم نسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها بعض أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وإيران والمراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في إيران ولا في المراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي موطن الشيعة الامامية وأوى الملايين منهم وفيها معاهدم الدينية الكبرى فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا دخل فيه لصنعة ولا خفة وانه كرامة لاهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأني دخل في ذلك لمذهب الامامية ومقتضى ترك غيره اليه ؟ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين الماروفة في اكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لها في مسائل قليلة كما يخالف بعضها بعضاً .
وجميع اصحاب المذاهب الاسلامية يجلون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ويحبونهم ويواليونهم ويرون انهم اهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبرعون من أمبر المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين ، وأمس الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في العذر الاول وكل ما وقع فيه اختلاف بين أئمة العلم والفتنة فهو من المسائل غير القنانية في الدين التي يخالف فيها الاجتهاد ، ولا ينحصر العيوب فيها بفرد من الافراد ، وفي كل من المنتمين الى المذاهب المنتشرة سالكون وما لحون وإررار وفجار ، فان أدنى أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجليلها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها ، ولو كان حجة لاستغنى به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراد في تفرق المسلمين والعبرة بما تم عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل ، وראياً ، وأنه ليمررتنا اننا لانزل في أشد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التباير والتناظر في المذاهب الذي أضف الله بينه ، وفرق كلمة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح معلم ، وأحكم مؤدب ، وقد تواتر عليهم نذرها ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه السنين ، (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) بل قد رأى الاكثرون ما لم يكونوا يرون وانكسهم لا يزالون يجهلون ، وقد أضاعوا أعظم الفرص ، ولا يزال لهم مجال للعمل ، فان أضاعوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكرى قتل الحسين واقامة المآتم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية واتبائهم زيادة التفريق بين المسلمين وتآريث الضعفاء والاحتقاد بينهم استرسالاً مع تلك الدسائس المجرسية التي دست في الصدر الاول الكيد للمسلمين الذين أزالوا ملك المجوس وساطنتهم الديني وملكتهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شيعة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المتعصبين يقصد بمثله في بعض الاوقات تقوية المصيبة والتذكير بأخذ الثار من المعتدين الظالمين ، ولكن من هم اليوم ؟ واعادة الحق الى الائمة الوارثين ، وأين هم اليوم ؟ قبل المباسيون ببني أمية فقتلهم ، وفعل البيديون بالمباسيين فقتلهم ، وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها النظر منذ قرنين أو أكثر ، فأني استمداد انخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بما صح من ان مات وليس في عنته بيعة لامام مات ميتة جاهلية ؟ لقد مزقوا نسج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ، ولقد صار هذا المآثم كسائر ما أحدث المسلمون المحنة والمذاهب من الاختلافات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاحى التي تخرج الناس لسماع القصص النار بجنة

والخيالية ، بل هي أقل فائدة وأكبر ضررا من تمثيل القصص المذكورة في الامم الحية لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجدد لجمعوا الاجتماع في عاشوراء لذكري مولد الامام الحسين (عليه رضوان الله وصلاحه) وسيلة سياسية لاجلاء المقصد العظيم الذي بذل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله لاحداثا دينيا يزيد تفريق الكلمة ولا لعبا بالسلاح والثر ونديا بالخطاب والاشعار لا يبعث على اقامة حق ولا تجديد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترتق أمة من الامم الراقبة في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهله يصح ان يسموا حسينين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل ذلك سلطان الظلمة المستبدين بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها . ذلك هو الامام الاعظم لمن تسميهم الامم المزيزة اليوم بالفدائيين المنقذين لها ، فهل يوجد أحد من زعماء مآثم عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها ؟

(شاهد تاريخي في مآثم عاشوراء)

كان الباطنية من ذنادقة الجحوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيمة آل البيت ذريعة الى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفا وصبق لنا بيانه من قبل . وكان جل كيدهم موجهها الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليتمكنوا من قتله بسيفه ، وقد نجحوا بتأسيس الدولة المبيدية الفاطمية بمصر ، ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا من ازالة الاسلام بها ، وهذه الدولة هي التي أحدثت مآثم عاشوراء في مصر المقصد الذي قامت به ، واننا نورد من تاريخ المقرئ الشيرازي مآثم عاشوراء عندهم وهو :

(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب صيرة المعز لدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنيابة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الربيع وثار عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأهلق الدرب ومنع

الفريقين ورجع الجميع فحين موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد اقلقوا الدكاكين وأبواب الدور وهطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كاثرم وقبر نقيبته وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل : من خالك ؟ فان قل معاوية أكرموه وان سككت لقي المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم بمحتمين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز ابن الزمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقل لهم لا تازموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فليله بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع مجيهمهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من نسب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عي السباط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السباط المختص بعاشوراء وهو يعي في قبر المكان الجاري به المادة في الاعباد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسباط يملوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادي أحيان وسلائط ومخللات وجميع الحيز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من قبر مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السباط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السباط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السباط ثم رفع وقدمت صحنون جميعها على نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخمسمائة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذميج في من القصر بمد
قل الافضل وعود الاسطة الى القصر على كرسي جريد بهير مخدة متناها ووجع
حاشيته فسلم عليه الوزير المؤمن وجميع الامراء الكبار والسفراء باقراء بن وأذن للقاضي
والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم في مناديل مشون حفاة وعبي
السياط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشير والحواضر على ما كان في الأيام
الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة أن لا يمكن أحدا من جمع ولا قراءة
مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء
وغيرهم على ما جرت به عادتهم. قل وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة
اعتمد الاجل الوزير المؤمن على السنة الافضلية من المغي فيها الى التربة الجيوشية
وحضور جميع المتصدرين والوعاظ. وقرأ القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره
واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متناها يرى
به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السياط بما جرت به العادة
قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس
فاذا دنا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم
ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا
فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا
والقاضي والداعي من جانبه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير
شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير والقاضي
تفادوا وان كان منيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون
الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي
القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهان قد فرشت بها
بالحصر بدل البساط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكاك تلحن بالمصاطب
لنفرش ويجدون صاحب الباب نجاسا هناك فيجاس القاضي والداعي الى جانبه والناس
على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها السياط ثم
مقدار الف زبدية من العدم والمراوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة
(المنار : ج ١) (٦) (المجلد الثاني والمشرور)

والاعمال النجلى والفطير والحبز المذبر لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى اماكنهم ركبانا بذلك الزى الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأفاق البياعون حوانيتهم الى جواز المعمر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اهـ ما جاء في تاريخ المقرري عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان أعياد القاطنين ومواسمهم ما نصه :

﴿ يوم عاشوراء ﴾ كانوا يتخذونه يوم حزن تتمطل فيه الاسواق ويعمل فيه السباط العظيم المسمى سباط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آتاف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب به اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد الملي الصمد ان لم يبادر لنجاز مواعيدي
لاحضرت للنساء في غد مكحل العينين مخضوب اليد

يرض الشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء به هيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فله دره

باب المراسلة والمناظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيها اتفافية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الأسبوع توالى الأعياد الثلاثة العيد المصري
(عيد النبروز) والعيد المصري والعيد الهجري وتوالي هذه الأعياد يبشرنا بأن الخير
سينتوي على مصر وأبنائها

الحوادث مرجع التاريخ

جرت عادة الأمم على أن تؤرخ بالحوادث فإذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها
مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الإسلام كانوا يرجعون إلى الحوادث في التاريخ فيقولون
عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين
اضطهدهم الرومان وأبوا إلا أن يموتوا ضحية دينهم ومبادئهم
فوائد الاحتفال بالأعياد

وفي الاحتفال بالأعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها إحياء ذكرى العامين
وتخليد آثارهم لئلا ينسى بهم في خلقهم وعملهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطاً يحدد
للأمة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشموخ والمواطف على الاتحاد والتعاون
فيشعر كل فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع
معروف تأثيرها في النفوس والأعمال

ثم من الفوائد كذلك أن نحاسب الأمة نفسها على ما عملته في الماضي وما تنهه
للمستقبل فتتأمل كما ينظر التاجر في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فإن كان
هناك ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى فلتتها لتتوب
إلى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحترس من أن تقع في مثلها في المستقبل
وإن رأت أنها لم تقصر وإنها قوية متقدمة فلتها تشكر الله الذي وفقها ثم تستزيد من
الأعمال الراجعة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وإن هجرة النبي حادثة عظيمة إذ كانت سببا في أحداث إصلاح عظيم
وفتحا لباب استقلال جديد وقبل أن أبين هجرته أذكر حكمة إرساله وإرسال من
سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة إرسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فاقضت حكمته وهو وليهم واليه يرجع أمرهم
أن يرهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطرهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار
منهم رسلا مرين لا تذلل نفوسهم الشهوة أو هوى ولا تضعف إرادتهم أمام ساطة
أو استبداد وأرسلهم بالتماليم الهادية إلى سعادة الدنيا والآخرة

ولو رجعنا إلى ما كان يدعو إليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكانهم
يدعوا إلى التوحيد (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وفي هذا منتهى العزة للنفوس
إذ إنما لا تستعبد إلا لربها الذي يربها على نعمه ويواليها بفضله واحسانه، والله سبحانه
لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عبادته إلا بقوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله
عليم خبير) فالأكرم عند الله من يتخلى بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا ينقض
من حرمتهم والله تعالى قد أرسل الرسل تأييدا لهذا المبدأ مبدءا للهدى بالناس إلى
الحرية وإخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تعلمون حادثة موسى لما أرسله الله لانتقاذ بني إسرائيل من استعباد فرعون قل
الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور)
وما كانت الظلمات إلا السطوات الاستبدادية التي أعانت إرادة القوم وقضت
على حريتهم وإيمانهم وما النور إلا الاستقلال الذي فيه يحيا الشعوب وينمو الإيمان
تقوى الإرادة

كذلك قال الله لرسوله محمد (كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات
إلى النور)

إيذاء المشركين إياه

إذا علمنا أن الله بث الرسل لهدم قراءد الاستبداد والظلم، ونشر مبادئ المساواة والعدل، فإننا نعلم السبب في الإيذاء الذي كان يفعل بهم، والعقبات التي كانت توضع في طريقهم، وذلك أن المستبدّين بالشعب المتحكّمين في رقبته يخشون من كل مبدأ من أنزل استبدادهم، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المفلّحين لهم، المقهورين بسلطانهم، فإذا تراءى لهم عذراء يشعرون بمصلح يأخذون في محاربه ويستمون في صده عن سبيله بكل ما يستطيعون

الحيلولة بينه وبين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ نجدهم يحرصون على أن يحولوا بين هذا المصلح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد مهما جبن ومهما ضعفت ارادته فإنه باسمائه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تبيث فيه روح العمل لها فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصلح منه، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلاً بالشعب يتلو آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون)

صبر النبي وقوة ارادته

وأخيراً تضايقوا منه ^(١) فرجعوا إلى عمه أبي طالب — وكانت صلته به تحميه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك برجع عما هو فيه والا نكون في حل مما نوقفه به. فلما عرض عليه عمه ذلك نحمس وقال: والله يا عم لو وضوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما رجعت من دعوة ربي حتى أبانها أو أموت دونها

فتمت هذه الروح العالية وبشت هذه المبادئ، الغالبة

سبب هجرته

لما مات عمه تأمر الحصرم على قتله فأوحى الله إليه بأن يهاجر إلى يثرب حيث يجد الانصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه فأجر طرعا ربه

(١) تسمى عامة بلادنا تضايق من ولم يرد في معاجم اللغة التي نأخذ منها

في الله والاطمان نهي مواجر لله لم يجبن ولم يتألم
 لم يرض يترك بعد مكة موطنها إلا خضوعاً للمليك الأعظم
 ما زال فيها غادياً أو روانها ابداً يحن إلى الحطيم وزمزم
 هلم النبرة والمفاخر كلها وخلاصة الشرف الذي لم يثل
 هلمنا حب البلاد عقيدة لا يعلم الايمان مالم تعلم
 ولقد هديت من الضلالة أمة لولاك لم تنهض ولم تقدم
 وأنت جانبها وصعب شكيمها بروائح الآيات لا بالخضم
 وأخذت من ميسورها ما يتقى بقلبه فيظن القبر المدم
 وهنت في غنى القوى ضمانة تقني الضعيف عن الظبي والاهم
 كانت هجرته سبياً في أنه قابل ناساً تمكن من نشر دعوته فيهم وتقوى بنهرتهم
 وكان على الدوام يحن إلى دياره التي احتلها الخصرم وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من
 الهجرة كي يزورها ويعتبر فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه إليها . ولما قرب
 منها أرسل العيون والجواسيس استطلع له حال المحصور وتباينه ما هم فيه من الاستعداد
 ولما شاور الرسول أصحابه قالوا ما جئنا مقاتلين فإن منونا قاتلناهم وبابهم هلى ألا يفر منهم
 أحد فذهبهم المحصور وحاصروهم ، وبعد مناورات وصراعات وقعت بينهم رأى الرسول
 أن جيشه لا يقوى على الجيش الذي أمامهم ^(١) وأن الصلح خير لهم فدارت المفاوضات
 بين الطرفين على إبطال الحرب عشر سنين ، ويباح للرسول أن يأتي مكة في كل عام آمناً حراً

الخصم على الشروط ويضع القيود

وقد وضع الخصم شروطاً وقيوداً وأملاها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فانا لانعرف الرحمن من هو واكتب

١ المنار : الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجبن لذلك الصلح من ضعف بل
 الاشارة الى انه لم يرض يترك مكة موطنها

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا نكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول فان لا تقر بانك ربه
الله ولو اقررنا لما منعناك فان كتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من ياتي منا مسلما
ترده الينا واما من ياتي منكم الينا فلا نرده فرضي وكتب ، قالوا لا ندخل مكة
العام ولا بد أن ترجع الى عام آخر اثلا يتحدث العرب بان قد ضبط علينا فكتب ،
اذا دخلت بعد هذا العام فتدخل بسلاح الراكب وتكون السيوف في القرب . ف
الرسول كل هذه الشروط بعد تحققة من تثبيت الحصوم وطمسهم بها ، وكان الصمد
يتقدرونها ويترضون على كل شرط منها فيقنعهم الرسول بالقبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا الى أن من جاء اليهم مسلما يردونه ومن ذهب
منهم لا يرد اليهم فقالوا كيف نرد من ياتي مسلما ونحن ندعو الى الاسلام وكيف
لا يرد الينا من يذهب منا ؟ حتى المساواة في ذلك لا نحصل عليها ؟ فقال الرسول
من ذهب منا فقد أبعد الله ومن جاءنا ورددناه فالله يحمل له فرجا ومخرجا (يعني
هذا تحكم القوي في الضعيف وللضرورة أحكام)

هكذا أبلى المشركون شروط الاتفاقية حسب ارادتهم وقبلها الرسول كما
على ما فيها من الاجحاف ليكون حرا في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط
بالشعب ويثبت فيه ما يشاء من المبادئ والتعاليم ويتمكن من اعداد القوة التي
يحفظ بها الحق وكان قبل هذا لا يمكن أحدا من المسلمين أن يجرى بمقيدته خوفا من
المشركين وفتنتهم وعذابهم وشدةهم (١)

حكم القرآن في الاتفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المينة انها فتح وضر ومغانم قل
تمالي (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم
نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) وقال (لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة أخذونها وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله

(١) يعني انه لم يمس لاحد من المسلمين قبل صلح الحديبية ان يظهر اسلامه انه مسلم
المدينة وما يشبهها وناسيك باضطهاد المسلمين في مكة وما يشبهها

مفانم كثيرة تأخذونها فاجعل لكم هذه) فتأمل قوله فاجعل لكم هذه يعني سيكون لهم مفانم كثيرة من وراء هذه المفانم التي كتبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب تلك المفانم الكثيرة ووسيلة للوصول اليها . وقد كان ما وعد الله تعالى وتحقق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ نعم لهم فتح مكة والاسيلاء على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين محققين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فلم ما لم تعلموا فاجعل من دون ذلك فتحا قريبا) وقد أفوض بعد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما ترون في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالاجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جدرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي وانها الحادثة اهتز العالم لها وتبع عنها الانقلاب الكبير في عالم المدنية وسنة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا نحمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتفينا أثره في الهجرة التي هاجرنا وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونال من أجلها كراما وأجرا ، قاله تعالى يوفقه الاصلاح فلما يتفق عليه لتقدم المصريين ونحرير مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا رهن لديك فلا تخافي واسلمي

وما استطال عليك جد عائر فله جارك من عثاره ولم

فتني بأن الله بالغ أمره والله خير حافظا من مكرم

انتهت الخطبة

[المنار] ان هذه الخطبة قد روحت فيها المناسبة بين معنى العام الهجري وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثر الخطبة حقائق وأقلاما معاني خطابية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقتضيه الوقت كائنا ما كان من أهل المال المختلفة وبعضه ذكر من فوائد الانتقال بالاعباد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لا يتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وأما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الأمم التي بحث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم انت الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يعني الانفس ويرفعها حتى لا تذلل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وحفل عما قررناه في الدرس وفي المنار ولا سيما مقالات ذكرى المولد النبوي من انصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحرية الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة . وجهلة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمتنقى الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالتقارنة المقصودة بها غير نامة . وبما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرته . والموضوع جله ديني . وهذا من تأثير السياسة والاحوال الاجتماعية في الدين

مشيخة الجامع الأزهر

محاربة البدع

أرسل اليانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه سئل عما يسميه بعض أهل الطرق اسم الصدر فاجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها اليانا لأجل نشرها «تعميماً للفائدة وارشاداً للامة» وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابناء هذا المصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه ، أه) يمتقدونه اسما من اسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر والجواب : أن هذا اللفظ المسئول عنه «أه» بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وان كان بالمد فهو إنما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من اسماء الذوات فضلاً عن أن يكون اسماً من اسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعو بها كما قال تعالى (والله الا اسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا

يملون) وقوله : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية (١) ولا يجوز لنا إطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع ، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التصبد بشيء لم يرد الشرع بجواز التصبد به ،

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله لنا على يديه الدين ، وأتم لنا النعمة ، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته « ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » (٢) ومن تأمل قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون) وتقدم هذا الوعيد الشديد أقصر جبهه أن يذكر الله أو أن يدعو به بعد ذلك بغير أسمائه التي سمي بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم . والالحاد في الأسماء هنا على ثلاثة معان — الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي ؛ تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً ، ادخال ما ليس منها فيها كوضوع السؤال وكما نقل المفسرون هنا من علماء اللغة أن الملحد المادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه

فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء المواقم الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويمقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم (١) المار : إطلاق الحكم بالاجماع هنا هو جمهور الاشارة قالوا بالتوقيف وجمهور المذلة بعدهم والله اعلم قال صاحب الجوهرة

واختير ان اسماء توقيفية كذا الصفات فالحفظ السمية
٢٤٠ لفظ مسلم أوله « أما بعد فان أحسن الحديث » الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في اللفاظ وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود موقوتاً بلفظ « ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها » وان ما يوصون لآت وما أنهم به جهلين وذكر الحافظ في شرحه له من الفتح ان أصحاب السنة أخرجه هذه مرة واحدة وان مسلماً أخرجه من حديث جابر مرة واحدة وليس شيء من ذلك على شرط البخاري

بتقريبون بذلك الى الله، وفي ذلك اضلال للمامة ونشر لسنة سيئة فيهم. لانه تب
بما لم يتعبدنا الله به. وتسمية لله بغير اسمائه. تعود بنته من ذم من أوالا لمانه علي
أو السكوت عنه

ومها قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا مشايخهم كذلك فليد
في ذلك برهان لهم في الدنيا ولا يخلص لهم عند الله يوم القيامة من عذابه. كيف
وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل
وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لا
الولي غير معصوم. وورد مثل هذا القول أيضاً عن أبي الحسن الشاذلي رضي
الله عنه، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمناجاة إلا بعد
عرضه على الكتاب والسنة. وما يقولونه أيضاً من الاستدلال على بدعتهم هذا
بقوله تعالى «ان ابراهيم لاواه حليم» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقول
الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (أه) كما يفعلون به
معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقاً رحيماً. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

شيخ الجامع الأزهر
محمد أبو الفضل

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩

وقد نشرت هذه الفتوى في الجرائد اليومية فرد عليها بعض المنتسبين
الطريقة الشاذلية برسالة نشرت في جريدة الأهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أما بعد فأسأ
تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلام وار
يعم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين
قال الله تعالى « والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذرُوا الذين يلحدون في اسماء
سيجرون ما كانوا يعملون »

قال المفسرون . اسماء الله تعالى كلها حسنى لانها تدل على ما في الكمال الاله
سواء وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والمحيط وحريج والاح
فأحكم الحاكمين وخير المسلمين وذو العرش وذو الطول وغير ذلك مما ورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تسماً وتسمين أسماء من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم — الحديث ، أو وردت به السنة وإن لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للدردير فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تفردت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة . فليس المراد بالأسماء الحسنى خصوص التسع والتسمين والالزم عليه ممارسة الأحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل .

إذا علمت ذلك علمت أنتم أمورون أن ندعو الله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد ثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذته السادة الشاذلية من ضمن أذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضاً كان يثن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الإثني وأصره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه يثن فإنه يذكر اسماً من أسماء الله تعالى» ونقل العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطي عند الكلام على الاسم الأعظم قال إن اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى . وقال الامام الفخر الرازي في تفسيره في شرح البهجة : اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجع عندي أن (أه) هو اسم الله الأعظم لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة الميزي في شرحه على الجامع الصغير أيضاً أن اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى لا مبدع عند تجليات الجلال . وقال الشيخ الأمير في حاشيته على متن (غرامي صحيح) أن (أه) من أسماء الله تعالى وصحيح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لأنه سر من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجوري في حاشيته على جوهر التوحيد عند قول الناظم «حتى الإثني في المرض كما نقل» ينبغي للمريض أن يقول (أه) فإنه اسم من أسمائه تعالى ولا يقول أخ فإنه من أسماء

الشیطان - فقد ثبت بالدلیل النقلی ان (أه) اسم عظیم من أسماء الله الحسنی . امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فیه تذلل الحاد ولا تحریف لعودته من ذل . وإذا لیس اسم (أه) مهملًا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه منزلة عن الأهل جلیل عند أهل الأنصاف ولو تقبضنا الآثار والأخبار الواردة في الاستدلال صحة هذا الاسم لما وسعنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية ، لمن سطت على أنوار الهداية ، ونسأل الله تعالى المنایة وحسن الختام ، بحمد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

الفقیر أحمد وافي - الشاذلي الأزهری
نشر هذا الرد في عدد الأهرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة الأزهر رد عليه ، ولكن كتب الى الأهرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي صدر في ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الأزهر الأعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤيدها الأحاديث الصحيحة المتن القوية الحجة المتعارضة مع روح الدين الناصع المنتشرة في بلادهم كعبة العلم وحجة المارفين في اللغة والعين . نرى أحدهم وسطر في صحيفتكم الفراء كلمة لا يرى مندوحة من الرد عليها احتفاقاً للحق الذي لا ينكره إلا المكابرون ، وأنا لا نلبي الشرح في هذا الباب وأما ورود الوجوه الآتية كي لا نضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من الأمة فيدخلون في الدين ما هو براء منه

أولاً - ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه قال الرسول الكريم لمبارضي الريفز على أنينه (دعوه يشن) هذا المزو الى صحيح مسلم كذب محض . والا فليأتنا حضرة بال نص العريخ في صحيح مسلم وهو كثير متداول بين الأيدي كمر طبعه ، راراً وتهددت طبعاته وكما اخلو من هذا الحديث فليفضل حضرة بذكر الصخيفة التي تتضمن هذا الحديث .

ثانياً - ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع الى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم يصححه أحد من المحدثين

ثالثاً - لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فلا يدل على بدعتكم هذه فان

الرسول إنما أشفق على المريض وتركه يشن فان مسح أن لفظة (أه) اسم من أسماء الله تعالى فسمي الله الحسنى مروفة ولا حاجة الى عددها في هذا المقام. وحسبنا أن يكون ما أوردتموه اشفاقاً على المرضى . فلا يجب أن يكون سارياً على الأصحاء واقناع المذبح منهم بأن لفظ (أه) اسم من أسماء الله . والله يرى ههنا تنسبونه اليه جلت أسماؤه
محمد فهمي بالاسكندرية

تطبيق المنار على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الإصلاح

لن نقري الاستاذ الا كبر شيخ الجامع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الإصلاح الاعظم فيه وان كانت في بيان بطلان بدعة خاصة قد ابتلي أهل الطرق بكثير من مثلها وما هو أهدى عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنار ، وهذه الاصول تقضي على جميع البدع فقيمة الفتوى أكبر وأعظم من اثباتها لتكون ما يبهونه اسم المصدر والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء .
فذلك الاساس الرابع والاصل الثابت الذي هو جدير بتدبير المسلمين هو قول الشيخ ان العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بمجواز التعبد به . فهذا الأصل ثان الأصل الاول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهو انه لا يعبد الا الله وحده . وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الأصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبد الله تعالى الا بما شرعه . ولا نزاع في ذلك وإنما نبيده ونكره لزيادة الايضاح والتقرير . وقد بين الشيخ أدام الله النعم به دليل هذا الاجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله تعالى لنا على يديه الدين وأتم لنا النعمة ، وذكر نهر آية المائدة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم هرة من حجة الوداع . وأما قول « على يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين قيل عن الله تعالى باللسان فينبغي أنه (ص) بين ما نزل الله عليه بالفعل والحكم والتنفيذ كما بلغه بالقول . وعبارته تدل على حصر هذا الكلام به (ص) دون غيره من الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله ديناً ولا حجة في الدين هذا أهل السنة

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفعالهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس بدع المتصوفة الاغترار بما كان عليه بعض شيوخهم من المرقان والصلاح وما ينقل عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف - كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الاساس الأعظم للدين ، وهو قولهم : كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة من كشف وغیره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم انه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وإنما نقل هذا القول عن علماء الصوفية لأن غير العلماء لا يمتد بقولهم ولا تقايم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من المتكلمين والفقهاء ، فالدين قد أكمله الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد اجماع صحيح ولا قياس صحيح الا وهو مستند اليهما ، وإنما كلام العلماء الذي يمتد به هو بيان الاصلين وما استنبط منهما واستند اليهما من قياس واجماع على ما في القياس والاجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدل الشيخ أيد الله حجة على ما ذكر من اساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدل بالكتاب العزيز واكتفى بأشهر الاحاديث وأصرحها في الموضوع - حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله » الخ وهو متفق عليه أيضاً وإن لم يخرج البخاري الا موقوفاً على عبد الله بن مسعود . ورواها غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الاصول الاساسية في الدين أشار الشيخ في صياق بيان بدعة ما يسمونه اسم المصدر الى قسمي البدعة الذين أصوب الامام الشاطبي في الكلام عليهما بكتابه الاختصاص وهما البدعة الحقيقية كذكر المصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجوداً في صدر الاسلام بل هو احداث وابتداع محض ، والبدعة الاضافية وهي ما كان له أصل ولكن الابتداع فيه بالموارضي والصفات

كالعدد والتوقيت والاجتماع والصفة كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيها الامام النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان ، ومن هذا القبيل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به :

« ثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين اقتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويعقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين انهم يتقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يعمدنا الله به وتسمية لله بخبر اسمائه ، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اهـ

وقد عبرنا عن البدعة بالسنة السيئة باعتبار انها تقيم وتجعل كالشروع ويقتدي بعض النامن فيها ببعض ، وللإشارة الى حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم مرفوعاً « من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١) وأخرجه الترمذي عنه بلفظ « من سن سنة خيرة . . . ومن سن سنة شر . . » فالمراد بالسنة هنا معناها اللغوي وهو الطريقة المسلوكة . اذ كان سبب الحديث ان قوماً من مضر جاؤا النبي (ص) حفاة عراة قتمر وجوه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصل بالناس ثم خطب فحث على التصديق من النقد والثياب والطعام ، فلبث الناس حتى كان رجل من الانصار بدأ بأن جاء بصرة كادت كفه تمجز عنها لكبرها بل هجرت ، ثم تابعه الناس فكان ما جاءوا به كومين من طعام وثياب ، حتى نهال وجه النبي (ص) وقال « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعاً كعمل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداء وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الحياة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

اختراع دنيوي ينفذ الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه وبلازمه . وقد تضمن كلام الشيخ انكار جميع البدع وبيان حظرها وحظر الاهانة عليهما والسكوت عنها . كل ذلك محرم شرعا ، والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزائم الدين بل هما سياجه وحفاظه . ونحمد الله انا قد جرينا على هذه الأصول والقواعد في النار وما زال كثير من المميين الجاهلين أو الحامدين ينكر علينا بناء الإصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وانكار البدع كلها حقيقة كانت أو اضافية

ونرجو من الشيخ وهو رئيس للمعهد الدينية في هذا القطر كله ان يجعل العمل بهذا الفتوى مبدأ إصلاح جديد في الأزهر وسائر المعاهد الدينية قبل غيرها ، فان البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عماد الدين - الصلاة - فقد صليت الجمعة من عهد قريش في الجامع الأزهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الخضر وقشر البيض منشورة في مواضع من المسجد ، ووجدت الجوارين وغيرهم متحلقين في صحنه يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويبعد بعضها عن بعض بمدا واسما ، وغير ذلك من المنكرات ، كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالف قانون المعاهد الحرمان من دروس العلم ، فانه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسائرها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المترض على الفتوى

انبرى أحد مشايخ الطريقة الشاذلية لرد على الفتوى واثبات ما يسمونه اسم الصدر وكون التعبد به مشروعاً فاستدل على الاسم بحديث عزاء الى صحيح مسلم وحديث عزاء الى الحاكم وبكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فهو عبارة فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يشن في حفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الان ين فقال رسول الله (من) دعوه يشن فانه يذكر اسماء من أمانته تعالى ، وقد كذبه من رد عليه من الاسكندرية بهذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانه منه وذكر ان السيوطي عزاه في الجامع الصغير الى الرافعي وانه

لم يصححه أحد من المحدثين وأنه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه . وهو مصيب في هذه الأقوال كلها ولكن غير كافية في الرد عليه فنزيد عليه ما يأتي من الدلائل والفوائد (١) ان المترضض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وإيس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عزاه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الاكمال من كنز العمال وهو ان عائشة ^{عليها} دخل علينا رسول الله (ص) وعندنا هبل بن قنطلة له اسكت فقل « دعوه » بن فان الانين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المبلل ، والمترضض ذكر الحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقل له عن بعض كتب الطريقة وإيس هو المخترع له . ومن المعروف عند العلماء ان الحديث كغيره من المعلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يمتد الا بما روه ولا يحتاج بشيء مما روه الا اذا صححوا منده أو حسنوه . وان كتب المتصوفة وكتب التار يخ والادب يكثر فيها الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز العمل بها لافي فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد أمثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والكلام (المقائد وفلسفتها) لان أكثر مصنفها من غير المحدثين . وهذا كتاب احياء المعلوم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المتكلمين والمفتها والصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز أحد من الأئمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في ثبات أسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادة لا دليل لها سواها (٢) قال الشيخ محمد الحوت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث «دعوه » بن : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن واماموه تعالى توقيفية أم

(٣) ما يدل على أن هذا الحديث موهوع ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدثين ولا فقهاء الحديث في الكتب التي لا يهتمون فيها مثله ككتب لغة الحديث وشروحه وفقه الحديث فهذا الحافظ ابن الاثير لا يذكر كلمة لاين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مفردات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكملة على غنائه باستقصاء ما تركه صاحب النهاية.

ولم يذكره حفظ الحديث والفقهاء في بحث حكم الانین شرعا هل هو مکروه أم لا وقد اعتمد أعلم الفقهاء بالاحاديث کراهته ونظر بعضهم فيها ولو ثبت هذا الحديث هدم لقولوا انه مستحب أو مستنون

(٤) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث تفجيم عائشة من وجع رأسها وقول النبي (ص) لها «ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعوك» - وهو في كتاب المرضی من صحيح البخاري - مانعه :

قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب (المار: يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يقدح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقيق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والتفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطيع تعبيرها عما جات عليه وانما كان البعد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل الى تركه كالمبالغة في التأوه والجنح الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . ولما مجرد الدشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى البعد ربه وشكواه انما هو ذكره للناس على سبيل التضرع والله أعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاوس انه قال : أنین المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن انین المريض وتأوهه مکروه . وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه شيء . مقصود وهذا الميثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قل فامامهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولما هم أخذوه بالمعنى من كون كثر الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشمير بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا له . اررده الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانین لذكره النووي أو الحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لا أعرفه - فليس بحديث . لجودة حفظه الكتب السنة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحفاظ والفقهاء في الجامع الازهر تلقى بحث واستدلال وكذلك فقهاء الحنابلة جزوا بكراهة الانین في المرض في كتبهم . قال الفقيه ابن مفلح

في كتابه الفروع: (فصل) يكره الانين في المرض الخ ثم قال في فصل بعده: وكانوا يكرهون أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى. ثم ذكر عن عبد الله بن الامام أحمد انه نقل في أنين المريض: أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكا الى الله. اه وذكر ذلك السفاريني في اواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

قلت - أنين المريض تارة يكون عن تبرم وتضجر فيكره وتارة يكون عن تسخط بالقدر فيحرم فيما يظهر، وتارة يكون لاجل ما يجد ويجد به نوع استعراضة بقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار، وخضوع وفقار، ومسكنة واحتقار، مع حسم مادة المون الا من بابه، والشقاء الا من عنده، والمأفة الا من كرمه، فهذا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه. واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت حديث المريض أنه تسبيح وصياحه تكبير، ونفسه صدقة، ونومه عبادة، ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله قال الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم اه

فانت ترى ان حديث عائشة الذي هزاه السيوطي الى الرافعي أمثل ما يستدل به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلو كان له أصل لذكره ولو مع التصريح بعدم ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آنفا

(هـ) وأما الحديث الثاني فقد أورده المنرى بقوله: وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) من أسماء تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه ممن الاسرار التي لا يطلع عليها الا المقربون من المؤمنين

وتقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله: الظاهر أنه نقله عن بعض كتب أهل الطريق الذين لا يمتد بنقلهم، وهو لم يذكر لنقله ولا اسم الراوي له من الصحابة. ونحن لم نر كلمة «أه» في النهاية ولا مجمع البحار ولا تكملة ولا في غيرها من معاجم اللغة المامة الشامة في الكتاب والسنة والغيره من كلام العرب. وزيد على ذلك ان هذه العبارة من الكلام المأروف عند الصوفية وابست من أساليب كلام الرسول (ص) ولا كلام العرب في عصره، وكيف يصح أن يكون معرا يعرف بالالهام ويختص المقربين مع النصير بحبه، على انه لم غير معروف الا عند فوغاء المنسبين

إلى الطريق فلم يرد عن أحد من أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الأئمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء أو المتكلمين ، وأئمة الصوفية المارفين .

الاقوال في اسم الله الأعظم

(٦) ولما كانت الأقوال التي عزاها إلى العلماء في إثبات اسم الصدر واردة في بيان كونه هو اسم الله الأعظم ننقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الأقوال في الاسم الأعظم عن يقول به فإن بعض العلماء أنكره كما قال الحافظ وهذا نص ما قاله في فتح الباري بعد أن أطال الكلام في أسماء الله الحسنى :

(تكميل) وإذا قد جرى ذكر الاسم الأعظم في هذه المباحث فليقم اللام بشيء من الكلام عليه ، وقد أنكره قوم كابني جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كابني حاتم ابن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لما لك لكرهيته أن تمام سورة أو تردد دون غيرها من السور لثلاثين أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضل عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم المقام وإن أسماء الله كلها عظيمة . وهبارة أبي جعفر الطبري : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر من أنه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه ، فكانه يقول كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الدعاء بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب الدعاء وقيل المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به ربه مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حائل غير الله تعالى ، فإن من أن له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما . وقال آخرون استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يعلم عليه أحدا من خلقه . وأثبت آخرون معينا واضطربوا في ذلك وجهلة ما وقفت عليه من ذلك أربع عشرة قولاً

الأول — الاسم الأعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يهبر عن كلام معظم بحضرة لم يقل له : أنت قلت كذا

وانما يقول : هو يقول . ناديا معه .

الثاني - « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء الحسنى ومن ثم اضيفت اليه

الثالث - « الله الرحمن الرحيم » وامل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن هاتبة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمها الاسم الاعظم فلم يفعل فصارت تهت : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم . الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) ومنده ضيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع - « الرحمن الرحيم المحي القيوم » لما أخرج الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد ان النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقائمة سورة آل عمران (الله لا اله الا هو المحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي رحمه الترمذي وفي نسخة صححه وفيه نظر لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس - (المحي القيوم) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة « الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم الراوي عن أبي أمامة ، التمس منها فمرفت انه « المحي القيوم » وقواء الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية مالا يدل على ذلك غيرهما كدلالتها

السادس - « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام المحي القيوم » ورد ذلك مجزءا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع - « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى عن طريق السري بن يحيى عن رجل من طي وأثنى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يرزني الاسم الاعظم فأرسله مكتوبا في الكواكب في السماء

الثامن - « ذو الجلال والاكرام » أخرجه الترمذي من حديث ماذ بن جبل قال سمع النبي (ص) يقول : يا ذا الجلال والاكرام - فقال « قد استشهد

« فدل » واحتج له بالفخر بأنه يشمل جميع الصفات المتصورة في الالهية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع — (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر — (رب رب) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال الصمد يارب يارب قال الله ليك عبي سل تعط . رواه مرفوها وموقوفا

الحادي عشر — دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن هيد رفته « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر — نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يطلع الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الذي لا اله الا هو رب المرش العظيم »

الثالث عشر — هو مخفي في الاسماء الحسنی ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت بعض الاسماء وبالاسماء الحسنی فقال لها (ص) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر — كلمة التوحيد نقله عياض كما تقدم قبل هذا . اه ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عدة أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (اه) المدهى ومنقول ما قاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ

ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكر عنه في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الاسماء الحسنی ان منها (اه) وباضا انها كلمة سر بانية

وسنشر في الجزء التالي بقية الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر مبدوا بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فتون الحديث^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من السنة تبياناً للكتاب . ونورا يهتدي به أولوالالباب ،
وبعث اليها من الحفاظ المتقنين ، والرواة الصادقين ، والنقذة البصيرين ، من
قام بصادق خدمتها ، وحفظ عليها جلال حرمتها ، ونفى عنها تحريف الغالين ،
وانتهال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، (١) وصانها من أفك المفتريين ، وهزل
الدجالين ، لحفظت على مر العصور ، من يد الثور ، وصينت — بمنية الله — من
أرباب القصور . فله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده ،
وعلى صفيه وخليفه محمد بن عبد الله صلواته وسلامه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
باحسان الى يوم الدين

« وبعد » فان من لا علم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الحنيفية ،
والشرعة المحمدية ، وليس له من نور الهداية ، وصباح النبوة ما يهتدي به في دياجير
الضباب ، وفلمات الترهات ، وان صدره لفقل من برد اليقين ، وعقله بعزل من
اصابة الحق المبين ، وقلبه خلوص واعظ الايمان ، وخشية الديان . فالحير كل الخير
في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما ، والاغتراف من بحرهما الواسع بوجودهما
الصائب ، ولا شيء أهدي للنفس وأجلب لسعادتها ، وارجى لطهارتها ، من تقم
هذين الصنوين والمكوف على درسيهما ، وتدبر معانيهما ، والنفوذ الى مغزاهما . فهناك
طهارة القلب ، وصفاء العقل ، وكمل النفس

فكان خليقاً بالعلماء ورواد الدين أن يجملوا مقصدهم الاسمي وفائتهم القصوي
معرفة هذين الاصلين ، والاستغلال بظل هاتين الدوحتين ، والاحتماء بمحهما وابتغاء
الهداية من سيدهما . ولكن — والأسف — صرفوا عنهما العناية وولوا وجوههم
نحو القروع وما اليها ، وتحكموا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا القروع

(١) رسالة منها الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة النهائية بـ مدرسة القضاء الشرعي
(٢) روى البيهقي في المدخل من حديث ابراهيم بن عبد الرحمن العنزي مرسل قال قال رسول
الله « من يعمل هذا العلم من كل خلف عدوه له يفتنون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتأويل الجاهلين »

على الأصول، وقدّموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول. وما ذك إلا اعراض
لمقام الكتاب والسنة؛ وتغال في وضع الآراء مواضع النصوص؛ وأنه خطأ - لو
يملكون - عظيم تنكروا أصولهم، وتأباه عليهم - لو أنصفوا - عفوهم
ومن عجيب أمرهم أن يمدوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير
الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به
سرفصاحته وكمال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم. وأعجب من
ذلك أن يمدوا بخاري زمانه ومسلم أوانه من صر على صحيح البخاري من السحاب
دون أن يطلق لنفسه العنان في تفهم الأحاديث واستنباط الأحكام ومقارنة ذلك
بأفهام المتقدمين وما استنبطوه منها. وابن صحيح البخاري من كتب الصحاح
والتسايد والجزاء التي يكاد يخطئها العد ولا يضبطها الحساب؛ وإن من المضحكات
المبكيات أن تسأل كثيراً من العلماء عن أسماء الكتب الستة فلا يجبر جواباً كأن
ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير، فلا حول ولا
قوة إلى بالله

تنكرت معالم الدين، وطبق الجهل على المنتسبين إليه، وسادت القروع وعبدت
لها الأصول. وأنكر على المؤثر لها، المقتضي هديرها؛ فزال جلال الدين من النفوس
وكاد يرحل من دور القضاء، ويهاجر من أرض المعاملات
فكل ذلك دعائي لأن أجمل رسالي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة
الختامية، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف
وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تتمثل لك - أيها القارئ الكريم -
صورة واضحة ترى فيها كتب السنة ماثلة، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة
التي أداها للسنة سلفنا الصالح، وتبصر في أساريها رفيع مقام السنة وناصع
بياضها وجليل أمرها. وأناي وإن لم أسبق إلى هذا النوع من الكتابة - حسب
ما أعلم - ولم يمد أحد قبلي صحابه فإن أُملي في الله عظيم ورجائي في واسع
فضله كبير أن يسدد لي خطاي، ويوفقني لمسامي، ويمدني بروح من عنده
يهديني بها قصد السبيل، أنه نعم المولى ونعم النصير

معنى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المساركة من سنت الشيء بالسن إذا أمرته عليه

حتى يؤثر فيه سنا أي طريقاً . وهي اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحمودة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لأمروا به أو بلفظه ممن يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الادوار التي تقلبت فيها من لدن صدورها عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الى أن وصلت اليها من حفظ في المدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع منشورها وتهذيب لكتبتها وتقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لغامضها ونقد لرواياتها — الى غير ذلك مما يعرفه القاعون على علمتها والماملون ، على نصر رايها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في المدور . تدوينها مختلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين
تحرير الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث
المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه . :
وسنمق ذلك بنجاعة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نشرع في موضوعنا تقدم لك بين يديه فصلانين في مكان السنة من الكتاب ومازلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان السنة محلين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بمجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المصنوع بفصل مجملها ويوضح مشكاتها ويبين محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك مصلي اذا وقعت الى ما نطق به الكتاب فحسب ولم تخرج على السنة فتعرف أوقاتها وعدد ركعاتها ومسجداتها وما يقيمها أو يبطلها من سائر أحكامها وكثيراً ما نراها

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة ؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قوله وحاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع . فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذ يقول : الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان الجمل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) : وقوله جل شأنه : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية . وكيف تنكر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معديكرب قال قال رسول الله (ص) « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث غني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومنه معه » وقد حرمت السنة نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وحرمت الجمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وأوجب رجيم الحصن — الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الاوطار للشوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورفائق وعقائد وان كانت لا تمدو شرح الكتاب وجهلة القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين ، ومعتصم المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مذكورة في بطون الكتب وانما كانت مخطورة على صفحات القلوب فكانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبع الحكم والاخلاق ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها : روي مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله (ص)

« لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه » وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال كثير من العلماء نهامهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. وهذا لا ينافي جواز كتابته إذا أمن اللبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه « ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده » وقوله عام الفتح « اكتبوا لابي شاه » واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم. ولما توفي النبي (ص) بادوا الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسموا ذلك « المصحف » واقتصروا على تجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكره رفقوا بهم الى نشره بطريق الرواية اما بنفس الالفاظ التي سمعوها منه « ص » ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤدي معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبني بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه بآخر ولو كان مرادف له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أن يقيد بالكتابة. وأما السنة فتقييدها مباح ما أمن الاختلاط

فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد المعاد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي: وفي القصة ان رجلاً من الصحابة يقال له أبوشاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي (ص) « اكتبوا لابي شاه » يريد خطبته. فقيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من « كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحّه » وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه. وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يحملها في درجة أبيوب عن نافع عن ابن عمر والأئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

والى القول بالنسخ أميل. ذلك ان القرآن وان كان بدعاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز. لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بنزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جد التوطن. ولا تمكنت فيها فضل التمكن. فكان من الممكن أن يشبهه على من دون غير سائر النسخ المتلو بغير المتلو فوجه التمييز بالكتابة. فلما مرورا

على أسلوبه وطال مهدهم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا إذا سمعوا الآية تلى أو
السورة تقرأ أدركوا لأول كلمة تقرأ أسماعهم أن ذلك وحي الله المتبار ولم يحجب
الاشتباه حول تفوسهم — لما مرنا على ذلك اذن لهم بكتابة الحديث لا من اليمين
ولعل من دواعي النهي عن كتابة الحديث أولاً ثم الاذن بكتابتهم كتاباً
أن المارفين بالكتابة كانوا في غربة الاسلام قليلين فانست الحكمة عندهم في
كتابة القرآن فلما توافر عددهم اذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث
ولا يقص في نفسك عما سلفت انه لم يدون شيء من الآثار التي في الاول والثاني
كان هذا هو الشأن الغالب — فقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب يروي ما سمعه من
رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم
وفضله » عن مطرف بن مطريف قال سمعت النعمان بن مقرئ يقول لي أبو جعفر عليه السلام
قلت لملي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شيء سوى القرآن قلنا
لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعلي الله سبحانه فيها في كتبنا ورواها في
الصحيفة ؟ قلت وما في الصحيفة . قال ائمن وفكوك لاسم والاية في سورة البقرة
وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لمرو بن حزم
وغیره . وعن أبي جعفر محمد بن علي قال روي في قائم سيف رسول الله (ص) « من
صحيفة مكتوب فيها « ملمون من أضل انهمى عن سبيل ، ملمون من سرق تخوم
الارض ، ملمون من تولى غير مواليه ، أو قال ملمون من جهل نعمة من أنعم عليه »
وعن ممن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه
خط أبيه بيده . وعن سعيد بن جبیر أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه
الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فاذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد
عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما
احتجج اليه عمت انه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت
كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كشي باهلي ومالي

تثبت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول اذا كانت الصدور وعاء السنة في القرن الاول فكيف يؤمن عليها
النسيان وأن يندس بين المسلمين من يقول على الرسول ؟ فتقول اجابة عن ذلك
اني الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس الى الاتقان

بأمره والالتفاء بنبيه وقد علموا ما أوعد الله به كاتم العلم من لمن وطرد وإبعاد عن
 رحمة الرب فكانوا إذا علموا شيئاً من سنن الرسول يادروا إلى تعليمه وإبلاغه خروجا
 من التهمة وإبتغاء لارحمة فسرعان ما ينتشر بين الجماهير فلئن نسي بعض منهم
 قرب مبلغ أوعى من سامع فمن البعد بمكان أن يضع شيء من السنة أو يخفي على
 جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أن
 من الحديث محرماً ومحللاً ومختلاً ومصوباً وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن إلا أخذ
 بأهداه لذلك تثبتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة
 كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأبى إلا شاهداً مضداً أو يميناً حاسمة
 تحيط لثام الشك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في
 رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر لتبين
 أن تورث فقال ما أجداك في كتاب الله شيئاً . ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال كان
 كان رسول الله « من » يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة
 بذلك فأقره لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب حين التثبت
 في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب . روى الجريزي عن أبي
 نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مررات فلم
 يردن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله « من »
 يقول إذا سلم أخوكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع « قال لتأتيني على ذلك بيينة أو
 لا فعلن بك يا أبا موسى منتقماً لونه ونحن جلوس فقلنا ما شأنك فأخبرنا
 وقال فهل سمع أحد منكم فقلنا نعم قلنا سمعنا فإرسلوا معه رجلاً منهم حتى
 أتى عمر فأخبره وقال على رضي الله عنه كانت إذا سمعت عن رسول الله « من »
 تجدني نفسي في الله بما ضاه منه وإذا حدثتني عنه وجدتني معه فأن حافضاً لم يصدقوه
 وإن أبا بكر جده في أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله
 « من » يقولون من الرواية عن رسول الله « من » خشية أن يدخلوا في الحديث ما ليس
 عنه سمعوا أو حفظوا فربما لهم من وسوسة الكذب على رسول الله « من » ومن أولئك
 الرواة وأبو عبيدة بن الجراح من عرّف الخلفاء وكانوا يكرهون من يكثر من
 الرواية إلا كثيراً وطاعة الخلفاء والخطباء في الدين سليم الخلفاء فذكر وأعلى أبي هريرة
 قيمة حديثه حتى اضطر لغيره لئلا يفسده أن يبين السيرة التي عمله على الأكتاف فقال
 أن الناس يقولون أكثر أبي هريرة ولا آتوا في كتاب الله ما يجدونه حديثاً

ثم يتلو: (ان الدين يكتسب ما أنزلنا من البيانات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلتمسهم الله ويلتمسهم اللاعنون • الا الذين تابوا وأسلعوا وينبوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) : ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنف في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) يشبع بطنه ويحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقل التنبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولمعري انها الاصل فان الخاطر يفضل والقلم يحفظ فلما أن أفقت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : انظر ما كان من حديث رسول الله «ص» فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند غيره بنت عبد الرحمن الانصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث ومن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني ائمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (٥) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أو مالك «٦» والريعي بن صبيح «٧» أو سعيد بن أبي عروبة «٨» أو حماد بن سلمة «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهشيم «١٢» وميمر «١٣» وجابر بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلفا بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

- ١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «٥» الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠
- (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٧٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٢ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٦ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ باليمن «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للإمام مالك ابن أنس المدني
إمام دار الهجرة (١) ومسنند الإمام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (٥) والجامع
للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعائي (٣) ومصنف شعبة بن الحجاج (٤) ومصنف
سفيان بن عيينة (٥) ومصنف الليث بن سعد «٦» وبحجرات من عاصره من حفاظ
الحديث وعقال أو أبده كالأوزاعي والحميدي (٧)

ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعد ما صيغ وأجلها قبولاً
رأيت أن أفرد له فصلاً يجلي شأنه ويوضح مآلقاته من عناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الإمام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من
يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع «١» وغيرهما قال المحدث
الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا
منقطع الا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا
الوجه . وقد سنن في زمان مالك موطآت كثيرة في تخريج أحاديثه ووصل
منقطعة مثل كتاب ابن أبي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكاً
في الشيوخ . قال السيوطي في تقريبه نقلاً عن ابن حزم : أحسيت ما في موطأ
مالك وما في حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند «٢»
خمسمائة وثلاثة وسبعون حديثاً وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك
نفسه الصل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء

عناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل

١. توفي سنة ١٧٩ هـ . توفي سنة ٢٠٤ هـ «٥» يطلق مختلف الحديث على
الأحاديث المعارضة بمثلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تصف . ٣. توفي سنة
٢١١ هـ . توفي سنة ١٦٠ هـ . ٥. توفي سنة ١٩٨ هـ . ٦. توفي سنة ١٧٥ هـ . ٧. «توفي ٢١٩

١٠٠ هـ الرسل من الحديث ما قطع من سنن الصحابي بأمر يروى الناس عن الرسول «من مائة»
والقطع ما قطع من إسناده راوا رأياً كثر مع عدم التوال «٢٥» المسند مرموع صحابي بسند
ظاهرة الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكلب الابل الى مالک من أقاصي البلاد، صدقا لقول النبي
 «ص» - «يوشك ان يضرب الناس أكلب الابل في طلب العلم فما يجدون بأعلم
 من عالم المدينة» قال عبد الرزاق هو مالک ابن أنس، رواه الترمذي - فثم
 المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم
 شيوخ المحدثين كيعقوب بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد
 الرزاق بن همام «٤» ومنهم الملوك والامراء كالرشيد (٥) وابنيه الامين (٦)
 والأمين «٧». وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الاسلام ثم لم يأت
 زمان الا وهوا أكثر به شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الامصار مذاهبهم
 حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون
 متابعاته وشواهد «٨» ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبعثون عن فقهه
 ويفتشون عن رجاله الى غاية ليس بعدها غاية. روى ابن سعد في الطبقات عن
 مالک بن أنس قال لما حج المنصور قال لي: قد عزمت على أن أمر بكتبتك هذه التي
 وضعتها فتتسخ ثم أبعت الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن
 يملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره: ففعلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس
 قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوأحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق
 اليهم ودانوا به فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لا تقسمهم. وروى أبو نعيم
 في الحلية عن مالک بن أنس قال شاورني هرون الرشيد في أن يعلق الموطن في
 الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا
 في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله

روايات الموطن قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطآت المعروفة

عن مالک أحد عشر منها متقارب والمستعمل منها أربعة موطأ يحيى بن يحيى
 وموطأ ابن بكير وموطأ أبي مصعب وموطأ ابن وهب ثم ضاع الاستعمل في

١. توفي الأول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩. ٢. سنة ١٩٨. ٣. سنة ١٩٨. ٤. سنة

٢١١. ٥. سنة ١٩٣. ٦. سنة ١٩٨. ٧. سنة ٢١٨

٨. الحديث الذي يفرده بروايته واحد يسمى غريبا قال أحمد بن حنبل في موضع واحد من الاسناد قيل
 لأحمد بن حنبل انه فرد ليس أيضا وان كان في كل موضع منه - فهو فردا حقيقيا مادام وان كان في ذلك الموضع
 غيره له رواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عنه قيل انه وجد في الأول متابع وان وجدته
 يشبهه منه وهو مروي عن صحابي آخر قيل لثاني شاهد

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة ونقص ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب فند قال ابن حزم إنها زائدة على سائر الموطآت نحو مائة حديث

شرح الموطأ ومختصراته

من شرح الموطأ أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي (١) و... فالحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد البر (٢) كتاب سماه (التقديس للحديث الموطأ) وله كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره . وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبد الله بن محمد النحوي البغدادي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المغربي « ٤ » وسماه (القبر) ومما جاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب الف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناء مالك رحمه الله على تهذيب الأصول للفروع وتبعه فيه على معظم أصول الفقه التي رجع إليه في مسائله وفروعه . ومن شرحه جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٥) وسماه شرحه « كشف المخطأ . في شرح الموطأ » وبجانب ابن عبد الباقي الرزقاني المصري المالكي (٦) شرحه شرحاً بسيطاً في ثلاثة مجلدات ونموطاً مختصرات كثيرة فمنها مختصر الإمام الخطابي أحمد بن محمد البستي (٧) ومختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشيقي القيرواني (٩) (له بقية)

(الدعوة إلى انتقاد المنار)

أنا بدعويهم من يطعن على المنار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكشروا لنا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما ينافي مصلحتها أو ما ينافي التي نميش فيها . ونأمل المتقدين بنشر كل ما يرسل إلينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي يتناه في خانة المجادل ٢١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراء المنار أن يطالبوا كل من يسمون منه انتقاداً في المنار بكتابة انتقاده وإرساله إل صاحبنا بنشره فيه فيطعن قرائه عليه وعلى ما يقرن به من قبول أو رد وبأخذنا بما يرونه حق . ونسألهم أن يذكروا لنا أي كتاب انتقاده ويرسله إلنا فهو فاسق مختاب أو جاسد كذاب

١. توفي سنة ٢٣٩ هـ . ٢. سنة ٤٦٣ هـ . ٣. سنة ٥٢١ هـ . ٤. سنة ٥٤٦ هـ . سنة ٩١١ هـ .

٥. سنة ١١٢٤ هـ . ٦. سنة ٢٨٨ هـ . ٧. سنة ٤٧٤ هـ . ٨. سنة ٤٥٦ هـ .

الاتحاد والاقتصاد

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما ، وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما بقية الدهاء حقيقة منهاها ، بل لما يحطأ أكثر العلماء والزعماء منا خبراً بهما ، لان قلة الحقائق واحاطة الخبر لا يحصلان الا بطول التجارب في الحوادث ، والاصطلاح بغيران الكوارث ، بعد تلقي الحكمة بالتعليم ، والتربية على ملوك الصراط المستقيم .

كنا منذ انشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم مآخذنا إلى القراء في مصر وسائر البلاد ان يجعلوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة فنية تتصرف ببروتها في القيام بمصالحها كما نشاء . بثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بها في (الجريدة) في أول العهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يا مصر أحوج) نشرناها أيضاً في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المنار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من قنا مجه قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المفقود ، وقد ذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل الاستقلال الذي يرجى به . ويتوقع ، فان الاتحاد اذا لم وانقصمت عروته قبل بدو صلاح ثمرة نفقت الشجرة أو خرجت الثمرة شبيها لاغناء فيها ، واذا اتكث فتل بهمه ، زال أثره بزواله ، فاذا لا استقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولما كان لكل كثر منظمة جهة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد ننذرت اليه البلاد وممثله وجب على الشعب المصري المتحد أن يظل مستمسكاً بحبله مضطماً بعروته ولا سيما بعد الذي ظهر من كراهة أمانيه ، والا

كان كائني نقضت فزلها من بعد قوة انكنا ، وذهبت به جهلا وأفنا وخسرانا
ثم ليعلم علم تدبر أنه لا قوام لاستقلال الأمم وحريتها الا بالثروة ، ولا ثروة الا
بالاقتصاد ، وان الاستقلال السياسي ، متوقف على الاستقلال الاقتصادي ، ونحن
متصرفون في بديل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كنا من الهالكين
ان لكسب والاتفاق علوما وفنونا اتسم نطاقها في هذا العصر اتساعا عظيما لانها
قطب الرحى لمدينة الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسعادتها وقد برزت بها الامم
الشمالية الغربية ، فاستعمرت واستعبدت به الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير
من القاصرين ان الشعوب والاجناس او الاقاليم الغربية ، أعظم استعدادا بطبيعتها
المرق وخاصة الجنس من الشعوب الشرقية ، وبطل هذا القول ما هو معلوم من
ان اليهود أرقى أهل الأرض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها ، أبنا
وجدوا وحيداً حلوا من أقطار الأرض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه ، وكذلك
الشعب الياباني في الشرق الأقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون
متصرفين في هذا المقام ، وهذا التقصير أضاع أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها
بين براثن الخطر ، ويضم أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يزاحمون فيها غيرهم ، فان
كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا بزل يدهم فما ذك من كسبهم بعلومهم
وفنونهم واتما ذلك إرث رقة الأرض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،
فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها
نقطة عليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس لجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية
والايموثانيين والسوريين يفرقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي
ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ ثروة من التبذير والضياع ، بل
القبيل من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا وورثهم النسبية تفوق ثروة
المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم ويسري لاوربيين والسوريين ، بل أكثر
المسلمين يعتمدون على كتبهم في دارة ثروتهم على ان المسلمين عند مراقب في الاتفاق
وتبذير الاموال منهم ومن سائر الشعوب التي نعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلمه بادي الرأي بأن الدين الاسلامي هو
السبب في الامرين . وهذا التعليل يضا في البطالان تعليل من عساه يقول ان
الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدّة صلاتهم وجبروتهم .
والحق أن كلام من النصاري والمسلمين مخالف لهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين ،
فلا يجيل بهدي الى المبالغة في الزهد والقناعة والتواضع والتخضوع لكل سلطان ، وينص
على أن الغني لا يدخل ملكوت السموات ، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين
مطالب الروح والجسد كما ينادي ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدد قوله
تمالي في أوائل سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
جعل عليهما مدار قيام مصالحكم ومراقبتكم وحقها وثباتها ، وقوله في صفات المؤمنين من
أواخر سورة الفرقان (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)
ونهي في وصايا رزة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبسطها في الاتفاق وعن التبذير
وسمى المبذر بن اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أمهات أصول الدين وفضائله
وأدابه ، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ما عدا بطلة يوم السبت وتزيد عليها .
وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون يخافون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا
كانت فيما أبيح لهم من الزينة واللباس ، فكيف اذا كانت في المحرمات . ولا سيما
الفواحش الثلاث المفسدات للنفوس الخربات للديار السكر والزنا والقتال . وهم
على هدمهم بذلك لدينهم ، يمدون كل ما ينفق من مخرج استقلالهم ، وانني لم أروا
أصم من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة
في الاجتماع البشري كالشعب المصري ، فالمصري أمرع الناس بذلا لما يصل الى يده
من النقد فلهتمون بالزينة واللذات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض بالربا أرضا أو عقارا ولا يبالي أكثر الفقراء أن يشتري الشيء بأضعف ثمنه وأن
استدان لئن بالربا الفاحش لأن النقد احقر الاشياء في نظره والله لا يرى أكثر
المصريين على سعة ثروتهم الزراعية موهقين بالدين . فيجب على لزعماء والخطباء

وكتاب المصنف أن يتعاونوا على درء هذا الخطر بوسيلتي العلم والعمل ، والا ظلال المتبحرون منهم كالاجراء الاجانب لان جل ما يتبحرون ينسرب الى صناديق المصارف المالية وينثر الرايين وجيوب اصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار ونجار هروض الزينة والترف ، وبغارة أخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجبية ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارمال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوروبا لاجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم يظهرون معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها ، والاستقلال المنتظر يزول ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا . وانني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوردية — دمع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد — وجميع حال هذه المعامل من الوطنيين الا أنني رأيت في منزل كبير في بمباي رجلين من الانكليز وظيفة هما اختيار نقوش النسيج : ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات لمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحريتها في التصرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا الفلاء الشديد الذي تشط من حمله جميع الأمم — الذي كانت الحرب سببا طبيعيا^(١) له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا بصناعية وحيلة كثيرة — قد بلغ مداه الفاية في حده ولم يعد للممران قبل باحتماله ، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقله الايدي العاملة لاشتغال ألوف الألوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المستهلكين للقوات والمصنوعات قد قل عددهم اذ أهلكت الحرب خمسة وثلاثين مليوناً من البشر منها

(١) القاعدة في النسبة الى فميلة فملي وصرحوا باستثناء السليفة فقالوا ضل في استعمال وجرى علماء المقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها بمعنى السليفة

٢٢ مليوناً في ميادين القتال على أوساط تقديره ، والباقي فيما تولاه عنها من الادواء
والامراض والمجاعات كما قيل ، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر
في الشرق لا يرثي يتفرجوا على البضائع الأوروبية اليهم ، فلا بد اذا أن يهبط آثان
البضائع والاقوات عموماً هابطاً ربحاً كان فرق تقدير المقدرين

فلما جاب على كل عاقل حريص على ماله أن يتبع القاعدة المقرولة التي جربنا
نحن عليها وكنا نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئاً ما قيل عودة الاسواق
الى الاسعار المعتدلة إلا اذا كان لا يقى له عتة وبعد البحث عن أسعاده في هذه مواضع
ولا يقرن أحد بعد اليوم بحمل التجار بادعاء تنزيل الآثان مؤقتاً ودعوتهم الى ما
يسونه الفرصة المظلمة أو « الإكزيون » وأن هذه الفرص ليست بموقرة وإنما هم
مضطرون الى الحيلولة بها الى ما دونها فهم يقتسمون فرصة حاجة الناس الى الشيء
والتيهم الغلاء قبل الحيلولة الشديداً بالعام المتظر فالتم لهم والفرم على من يصدقهم
بدأ احتق التجار ببعض أسعار البضائع بالتدريج ولا سيما المنسوجة وفلما أغيا
الطامعين مصرين على تهب الناس تلك الاسعار الفاحشة بل طمنا علم اليقين أن بعض الذين
أعلنوا للناس وجوب اقتناء الفرصة بالنقص الوقت من سير البضائع قد زادوا في صمها
بما كتبوا على بطاعتها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمهنية ولكن قل من يتخذه
بعد اليوم هؤلاء القساة للبحثين للافلاس والقر

الجود والاحسان

والجارية فيما بين نساء الانكليز اليوم ونساء الصحابة (رض)

نشرت جريدة التعليم منذ بضعة أشهر ما يأتي

قابل أحد اغنياء لندن بمحافظها من ايام وابنته انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين
الف جنيه لانشاء حديقة في لندن تدعى حديقة النهر . وقد وعد هذا المحسن
أن يتبرع بكل ثروته وقدر بأكثر من مليون للاعمال الخيرية قبل وفاته
واجتمع المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستفتاء الاكف لمساعدة
هريالات الدينية الخارجية وخطب الخطباء . قالت الدبلي مايل فاختت النساء
ينزمن حيناً ويقتنن في اللب والبراطيط الى ادبرت على المجتمعين وتبرع كثيرون

بحرالات كتبوها باقلام استعارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف
جنيه وبعضها بنائبي مئة والبعض بخمسة مئة. وقدر ما اجتمع من الساعات ذات
السوار والحلي الاخرى بمئات الجنيهات . وزعت احدى الحاضرات الحلية التي هلى
حذائها وتبرعت اخرى بازرار الثؤلوة التي على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين
صغيرين من الذهب والاماس نزهتهم ما من اذنيها وكان المجموع الاول ١٧١٥ جنيهه
الاعتبار بهذا الخبر

ذكرنا تبرع نساء الانكليز بمحليين لمساعدة نشر دينهم ماورد في الصحيحين
من مثل ذلك هن نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم
هند البخاري عن ابن عباس (رض) قال شهد على النبي (ص) انه خرج ومعه
بلال فظن انه لم يسمع النساء فوهظن وامرهن بالصدقة فجاءت المرأة تلقي القرط
والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوهظ للنساء كان في يوم عيد الفطر . نخص النبي فيه النساء بالموعظة
بعد الخطبة العامة لظنه انه لم يسمعهن لانهم كن يصلين ويجلسن وراء الرجال وأخرج
البخاري الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب العيدين)
عن جابر رضي تفسير سورة المتحنفة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات
ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المباشرة
ثم قال لمن هل أنتن هل ذلك ؟ فاجبتنه واحدة هنن نعم . ولما أمرهن (ص)
بالصدقة قال لمن بلال : هل لكن فدا أبي وأمي . فجملن بلبقن الفتح والخواتيم في
ثوب بلال ، وزاد في رواية لمسلم الخلاخيل . فأما الاقراط فهي حلي الاذن واما
الفتح وهي جهم فمعة لخلق تلبس في اصابع اليدين والرجلين .

والعبرة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرنج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا
وصيرة . اننا الصالح في أمور كثيرة وأهمها حبة الدين والعبادة تلبه والبذل في سبيله
ومشاهدة النساء في رجال في مشور العباداة في . مع الرجال ومجامع المواقظ والتعاون
على المساعدة الملية العامة . ولا يبعد أن يعود نساؤنا الى شيء هداية دينهم اقتداء
بالحسنات من نساء الافرنج كما يقلد الكثيرات منهن المسيحيات الآن في الامور المنةقة .
ومما دلت الحماة في الامة لها افندا كما

تقدر عبادي الذين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الحج
١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
تقدر عبادي الذين يستمعون القول فينبون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوي D ومنازرا K كمنار الطريق

مصر. ملخ ربيع الآخر ١٣٣٩ - ١٩ الجدي (ش ١) سنة ١٢٩٩ هـ ٩ يناير ١٩٢١

تاريخ فتون الحديث

٢

افراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمعه بطريقة غير التي
ان كانوا يجمعونه مزوجاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين أخذوا يوردونها بالجمع
والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص)
من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص
طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسخين لتلك الطريقة
المثلي شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المشهور ما تبين له
صحته ، وكانت الكتب قبله مزوجاً فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين الناظر
فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال رواة والوقوف على
سلامته من التلويح فان لم يكن من أهل البحث ولم يظهر بمن يتعرف منه درجته
بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الإمام
مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خطهما كثيرون
وان ذلك القرن الثالث لأجل عصور الحديث وأسمدها بخدمة السنة
ففيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحقاق الناقدين وفيه أشرفت
شموس الكتب الستة التي كادت لا تغلق من صحيح الحديث الا التوريسير
والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يقتضد المناظرون وعن محياها تنجاب الشبه
وبضوءها يهتدي الضال ويرد يقينها تلويح الصدور
وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه ، ويبتدئ عصر ترتيبه
وتهذيبه ، وتسهيله على رواة وتقريبه

وقبل أن تأتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن نريد فسلاً
نكشف فيه عن طرق التصنيف في الحديث حتى نكون على يقين تأليفه .

طرق التصنيف في الحديث

للعلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (أحدهما) التصنيف على الأبواب وهو تنويعه على أحكام الفقه وغيره وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلاً عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما أصبح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كإبي داود والترمذي والنسائي (ثانيهما) التصنيف على المسانيد وهو أنه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويجمعه على حدة وإن اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والفضلاء المقدسي في المختارة التي لم تكن وهذا أسهل تناولاً ، ومنهم من رتبها على القبائل فقدم بني هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقدم المشرك ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصغر الصحابة منا وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الأواصر والنواهي والأخبار والاباحات وأفعال النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة إلى أنواع ، والكشف في كتابه عشر جداً ، وقد رتب به بعض المتأخرين على الأبواب وعمل له الحافظ أبو الفضل المراقي أطرافاً (٢) وجرى الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولهم في جمع الحديث طرق أخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجمل مثلاً حديث «إنما الأعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الأطراف وذلك بأن يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيدَهُ أما مع عدم التقيد يكتب مخصوصة أو مع التقيد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت المراقي في أطراف الكتب الخمسة

١ - الصحابي من لقبه النبي (ص) مؤناً به ومات على ذلك «٢٦» بيان معنى الأطراف

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه مطلاً بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة المثل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عده متصلاً أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الأمور المهمة . والذين صنفوا في المثل منهم من رتب كتابه على الأبواب كابن أبي حاتم وهو أحسن سهولة تقاولة، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فإنه ألف مسنداً مطلاً غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار، ويقال إن مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال أنه كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ إنه لم يتم مسند مطال قط

هذا وقد جرت عادة أهل الحديث أن يوردوا بالجمع والتأليف بعض الأبواب والشيوخ والتراجم والطرق
أما الأبواب فقد أفرد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرده البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرده الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على اتزاده فجمع الاسماعيلي حديث الاعمش وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعوها ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكسبريل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعوها بعض طرق الأحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب على متعمداً » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

النسائي «١» والمسند الكبير لأحمد بن بن سفيان «٢» والمسند الممل لابي بكر البزار «٣» ومسند ابن منجر «٤» والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة «٥» ولم يوافق أحسن منه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المديني «٦» ومسند ابن أبي عزرة أحمد بن حازم «٧» ومسند عثمان بن أبي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية وإن أردت زيادة فانظر كشف الغانون تجد فيه بعض الحاجة

«تنبيه» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة إذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحاً كان أو سقيماً ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقاً واستثنى بعض المحدثين منها مسند الإمام أحمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس سنة ثمانمائة وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتمحيصها ونقد رواياتها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الأقبلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في نقده على ما نقدوا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الأكثر بأولية الجمع فيها دون الأخذ عن غيرها وهذا مادعاني إلى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن أدمجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والوسط للإمام سليمان ابن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ورتب في الأوسط والأصغر شيوخه على الحروف أيضاً ولقد رتب الكبير الإمام علاء الدين علي بن بلسان الفارسي (١٠) ترتيباً حسناً وسنن الدارقطني (١١) وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان

(١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) سنة ٢٣٤

(٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٧٢١ «١١» سنة ٣٨٦

(المجلد الحادي والمثرون)

(١٣)

(المنازل : ج ٢)

الباقية (١) وصحيح أبي عوانة يمتدح بن اسحاق (٢) وصحيح ابن خزيمة محمد
ابن اسحاق (٣) وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤)
والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) ومصنف الطحاوي (٦) ومسنده
ابن جميع محمد بن أحمد (٧) ومسنده محمد بن اسحاق (٨) ومسنده الخوارزمي «٩»
ومسنده أبي اسحق ابراهيم بن نصر الرازي «١٠»
ومسنده لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع
فصلاً يعرف به ويبين درجة أحاديثه ومآلقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسنده
الامام أحمد رضي الله عنه

مسنده الامام أحمد بن حنبل

مسنده الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين
الف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ما ينوف عن ثمانية حديث
ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى أبو موسى المديني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث
فقال انظروا فان كان في المسند والا فليس بحجة. كأن الامام يرى صحة كل
ماساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل ما فيه حجة انما هي
صريحة في أن ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين
ولست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن
الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثاً من المسند لاحت له فيها سمة الوضع
وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر
في كتابه (القول المسدد في الذب عن المسند) وقال في كتابه تمجيد المنفعة برجال
الاربعة ليس في المسند حديث لا أصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث
عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويمتدح عنه لانه بما أصرب بالضرب
عليه فترك مهراً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويمجيني ما قاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة

٣٤٠ «٦» سنة ٣٢١ «٧» سنة ٤٠٢ «٨» سنة ٣١٣ «٩» سنة ٤٢٥

«١٠» سنة ٣٨٥

ابن نيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط أحمد في المسند أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم زاد ابن أحمد زيادات على المسند ضمت إليه وكذلك زاد أبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعة فمن من لا علم عنده أن ذلك من رواية أحمد في مسنده شرحه واختصاره - شرح المسند أبو الحسن بن عبد الهادي السندي (١) نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن أحمد الشافعي الحلبي وسمي مختصره در المنتقد من مسند الإمام أحمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي (٢)

الجامع الصحيح المسند للإمام البخاري

وصف اجمالي له - هو أول كتاب ألف في الصحيح المجرد وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقته فأقلية إلى الصحابي المشهور مع كونه الإسناد إليه متصلاً غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين) ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ويستغفر الله في وضعه . وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الأحاديث بالمكرر ٧٣٩٢ سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات (*) وبغير المكرر من المتن الموصولة ٢٦٠٢ ومن المتن المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخر منه ١٥٩ حديثاً فجمع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من المعلقات ١٣٤١ حديثاً وفيه من المتابعات والتأنيبه على اختلاف الروايات ٢٤٤ حديثاً ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم فجملة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثاً . وإنما جمع في صحيحه الأحاديث المعلقة والموقوفة والمقطوعة وليست

١٥ - نور - سنة ١١٢٩ ٢٥ - نور - سنة ٨٠٥

(*) سبق من الحديث ما كان في مسنده فقط من أوله كأن يقول البخاري عن ابن عمر (رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم) كذا والموقوف ما انتهى مسنده إلى الصحابي فلم يذكر فيه أولاً انتهى ولا فعلاً ولا وصفاً ولا تقريراً - والمقطوع ما انتهى مسنده إلى من دون الصحابي كأن يقول روى فلان عن فلان أي الذي انتهى إليه السند

من موضوع كتابه لانه قد سبها الاستثناس والاستشهاد بحسب. ولذلك نأير في سياقها للممتاز

وقد اتقد عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تخريججه وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتخريججه وهو ٧٨ حديثاً قال الحفاظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري. على صحيح البخاري): وليست عليها كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مدفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تصف، وقد أوضح ذلك الحفاظ مفصلاً في المقدمة. وقد ضمف الحفاظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو ٣٣٠ أعرف ولهم أخير. وقد روى عن البخاري في جامع الصحيح نحو من مائة الف منهم كثير من أئمة الحديث كسهم وأبي زرعة والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب المزين عنايتهم بالجامع الصحيح للامام البخاري فإكثر شارحيه والكتابين في رجاله والمؤلفين في أغراضه والمختصرين لكتابه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف الظنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحاً للبخاري في مجهر ايراع الجهابذة من السلف والاذكياء من الخلف ما بين كامل وناقص، بيد أن منهم من مال الى الاجمال كالام الخطابي (١) فانه عمل شرحاً سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من آ التلويح فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسنده أو متنه الا كتب عليه كالامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي (٢) فانه شرحه شرح وافياً سماه «مع الباري بالسبل النسيج البخاري» كل ربع المبادات منه في عشر مجلدات أتى فيه بما لم يسبق اليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصر على ما لا منه في فهم الاحاديث مع تفصيل أو ابداه وتذليل شوارده

وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا عدد الكثرة أن المحسنين من الشراح احساناً أربعة نفر

الامام بدر الدين محمد بن سيار (الركشي ٣٠٣ في شرحه النسيج) والملا محمد بن أحمد بن أحمد (الحميري ٤٠٤ في شرحه حجة القاري)

«١» توفي سنة ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» سنة ٨٥٥

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوشيح)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر المصنف «٢» في شرحه (فتح الباري) ولم يري أنه لا مير أولئك المحسنين فإن شرحه لا يدانيه شرح ولا يحيط بمجماله وصف، ولو لم يكن له إلا مقدمته لسكانت كافية في الإشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد أن أكمل مقدمته في سنة ٨١٣ وانتهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه ولحمة عظيمة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا اليسير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحظوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الأطراف بالاستكتاب واشترى بنحو ثلثمائة دينار «مائة وخمسين جنيها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخم «وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين»

مختصرات الجامع — له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الامام جمال الدين أحمد بن عمر الانصاري القرطبي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي (٥) جرد فيه حديثه من أسانيد وسماه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحا وافيا حسن مديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرقاوي

كتب رجاله — منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الامام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابن توليد سليمان بن خلف الباجي «٧» و(الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «٨» لجلال الدين بن عمر الباقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ ٥ سنة

٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «٨» ابهام الراوي أن لا يذكر اسمه ولا

يقبل حديث المبهم ولو الابهام يلفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٥٢٤ .

الجامع الصحيح للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهورين لهما بعلوم الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له أن الحسين بن علي النيسابوري قال: مات تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب، ولكن الذي لا ينبغي الإصرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لأن الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أعم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلا شرط البخاري أن يكون الراوي ثبت له لقاء الراوي عنه ولو مرة واحدة كفى مسلم بمطلق المعاصرة وما أُلزم به مسلم البخاري من أنه يحتاج إلى أن لا يقبل المنعنة (١) أصلاً ليس بلازم لأن الراوي إذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لا يجري في روايته احتمال أن لا يكون سمع منه لأنه يلزم من جريانه أن يكون مدلساً والمسألة مفروضة في غير المدلس. وأما من حيث المدالة والضبط فلأن من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون، مع أن الثاني لم يكثر من إخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلأن ما انتقد على البخاري من الأحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثاً وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف إلى هذا ما في البخاري من الاستنباطات العقوبية والدقائق الحكمية مما عري منه كتاب مسلم، هذا إلى اتفاق العلماء على أن البخاري كان أجمل من مسلم في العلوم وأعرف بصناعة الحديث مه وإن مسلماً تلميذه وخريججه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء. لكن الانصاف يدفعنا إلى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونعني بها سهولة التناول من كتابه إذ جمل لكل حديث، موضعاً واحداً يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيد متعددة وألفاظه المختلفة مما يسهل على السالك النظر في وجوهه واتقاف ثماره وتوليه الثقة بجميع الطرق التي لا حديث

١ المنعنة أن يكون في السند لفظه عن كمن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة الثقة من هو أرحم منه والاعلال وجود علة خفية قاذبة في الجند أو الحديث

ولم يحسم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة
وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر
٢٢٧٥ حديثاً

شروحه - شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف القانون
نحو خمسة عشر شرحاً من أشهرها المنهاج للمحقق الامام أبي زكريا يحيى بن شرف
النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح
كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، وإكمال المعلم للامام أبي عبد الله محمد
بن خليفة الابن المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض
والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب
القسطاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ
علي القاري الهروي زيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لأحمد بن عمر
القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المنذري «٧» ومختصر
زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي «٨» وهو
كبير في أربع مجلدات ولأبي بكر أحمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في أسماء
رجال مسلم

تصحيح غلط في الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ ص ٧ من الجزء الاول جملة والعتوب هكذا
(فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان
الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات بنسبها ولا الترتيب بينها، وفي تلك القائمة
آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالقرينة ووضع
لبعض علامات الوقف في غير موضعها سهواً

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣

«٥» سنة ١٠١٩ «٦» سنة ٦٥٨ «٧» سنة ٦٥٢ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشركين خاصة إذ لا يسع الناس عادة، ونشترد على السائل أن يبين اسمه وأبيه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر عما شاء من الألقاب إن شاء. وأما نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿الافتداء في الصلاة بمنحذي الشفاء عند الله﴾

(وما يتبع ذلك في حفيضة الاسلام والارتداد عنه)

(س ٢) جاءنا هذا السؤال من جماعة الموحدين في (دمياط) ومعه عنوان واحد منهم لجيبه فرأينا أنه بحسب نشره والجواب عنه في المنار وهو:

حضرة صاحب الفصيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب إدارة المنار العامة

نحية اخلاص نمدوها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقنا لانه محصر بغير علميتكم لمة طلاءها بنور الاله الواحد الهادي الى الصراط المستقيم سيما في ماضيات الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها. رجوناكم لا سؤال الآتي وهو: هل تصح الصلاة خلف متخذي الشفاء والوصائط من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح (وفي الختام ناهج جديماً بتكرار ارجاء ونردده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يرضى الأستاذ الامام على طائفة تقاب وجهها في السماء لطفاً بالجواب على هذا السؤال واقباً. هذا را. يمكن الأستاذ الامام نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشارق. الله ربها واحداً والافه ربوبه جميعاً أن لا نحرّم من الرد بالعنوان عليه ولكم من الله تعالى اشكر والاجر ان شاء الله والسلام

الموحدون بدمياط

(ج) الظاهر أن السائلين يمتنون بمتخذي الشفاعة والوسطاء عند الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويبيدون من دون مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانهم يرتابون في الاتداء بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لا يتم باتونه عن جهل ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم مؤمنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عنه خاتم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. وإيمانهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون ربهضان ويحجون بيت الله من استطاع منهم اليه سبيلا. فوضع الاشكال على هذا ما يصدر عنهم من العبادات الشريكية لعنير الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها وبعض النباتات والجماد لشفاء الامراض وتفرج الكرب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنقبة للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يعبد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد — هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المملومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كما يقول المتكلمون والفقهاء أم هي مما يخفى على غير العلماء الاعلام، العارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها معذورا واسلامه وما يترتب عليه من الاعمال صحيحة؟ ثم اذا تكان أسس الدين مما يعذر جاهله وهو توحيد العبادات واخلاصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو مخها ولبابها فاي قاعدة من قواعد أو ركن من أركانها المبنية على هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو المتأول لها؟ وابن اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يعتد بشئ منها بدونه مع سائر اصول الايمان القطعية المملومة من الدين بالضرورة؟

انا نعلم بالاختيار الاقبح ان كثيرا ممن يدعون فخر الله تعالى بجهلهم كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركن لاركان الاسلام كلها أو بعضها والمرتكبين لكبائر الانثم والفواحش المصرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر، ومنهم من اعتاد بعض الاعمال الدينية المشروعة (المنازل: ج ٢) (١٤) (المجلد الحادي والعشرون)

والمبتدعة اعتقادا ولكنه لا يعرف الخشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر اصحابها. أو نحوها مما يظنون تعظيم عبادة وتدين وان لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء أولئك الذين يدهون هؤلاء الموتى خاشعين معتقدين انهم يقضون حوائجهم بانفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسمي دهانه تويلا واستشفاعا ولا سيما اذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاه القرآن عن مشركي العرب ولم يمتد بايمانهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يمدون هذا تأولا المدعون للامر والنهي المانزومون للفرائض المتأمنون من المعاصي وفيهم وقع الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول الممين فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان مبرورا عند سلف الامة أهل الحق .

وانما نهد للجواب التفصيلي الثاني تمهيدا نراه ضروريا فنقول
(١) ان قواعد المقائيد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفردية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكلف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرف ، ومن ذلك الجهد سؤال العارفين واستفتاء المفتين فيما يشكل عليه من ذلك الى أن يهتدي الى الحكم المنطوق على الواقعة — فهذا اجتهاد علمي بطالب به الموام كالعلماء كالاتجاه في القبلة في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المحاريب المتواترة. وان لاحوال الزمان والمكان تأثيرا عظيما في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يسننون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار وربما بالغوا في ذلك فحملوا المباح محظورا كالبدع في العادات والمأثور والازياء وكما كتب بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتب في تحريم بعض هذه المستحدثات في أول العهد بظهورها كالأحذية الشائمة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكناصر والساتيك ومنها ما يسميه الفريقان (البوزين) واذا شاعت المنكرات الدينية وعمت تصبر عند الجمهور كالمباحات بل يحملون بعضها في عداد المنكرات والشوائب الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

التي يقطنها المسلمون بل صار كثير من المحظورات المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المتبع كالزنا وشرب الخمر. فمن يعيش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الأعمال على التواعد والأحكام الشرعية كمن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثال هذه المنكرات فشيئاً مألوفاً ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند إلى نص من كتب الفقه المعتبرة، لذلك ينقل هن بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مهر لا يكفر التارك لجميع أركان الإسلام والمستببح لا كبر الفواحش بالأصرار على المجاهرة بها بلا مبالاة (٢) قد اختلف مصنفو الكتب الكلامية والفقهية اختلافاً واسعاً في مسائل الكفر والردة من حيث الأدلة ومن حيث تطبيقها على الأعمال والناس وتاهيك بتشديد من ناطقوا هذه المسائل باللوازم القرية والبعيدة للأحكام القطعية أو الظنية القوية كمن كفروا من حقراً أو قتل أو فعل ما ينافي احترام كتاب شرعي أو فتوى شرعية باللقاء على الأرض أو القول بطلان الفتوى أو عدم قبولها إذا عدوا إن اهانة القبة أو فتواه أو الكتاب تستلزم اهانة الشرع وإن عدم الأيمان والاحترام لا فتوى يستلزم رفض الشرع والدين وقد يعدون من الإهانة وعدم الاحترام ما ليس منه في الواقع أو في حرف الفاعل وقصده. ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تصانيف المتأخرين من الأقباط الأقوال ما لا يمكن إثباته شرعاً وفي بعضها تأييد للبدع الخلة بأصول الدين وفروعه (٣) قد وقع من جراء ما ذكرناه ونشكر منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الأعمال المجرئة لأحد المتدينين إلى طريق التصوفة الفارقين في البدع على كتابة رد على فتوى الشيخ الأزهر ورئيس المآهد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي أنكرها الشيخ بالدليل ديناً متبعاً وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيفة فيستدل بها على فرض دلالة على ما ذكر - ونشر رد الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألف من الناس وصكت علماء الأزهر على ذلك إلى أن أنكره على المنصرفي بعض أهل الفيرة من الاسكندرية كما في ذلك من جزء المنار المسافري ذلك بأن شيخ الأزهر - وإن كان رئيس علماء الدين في الأزهر وسنة - معاهد التعليم الديني في هذا القطر - ليس له ريادة دينية مطاعة عند المسلمين فيما يأمر به أو ينهى

عنه أو يفتي به وإن وافق الحق لا شرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال
 مشيخة الأزهر نشر الدين بتلقين عقائده وآدابه وأحكامه لما ملة المسلمين المكلفين
 بطريقة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الأعظم قد تلقى دينه عن مصدر
 واحد موثوق به بحيث نجم أن كل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة في صدر
 الإسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الأصول والفروع بأن من جحد شيئاً مجمماً
 عليه من هذه المعلومات يكون كافراً . بل نعلم بالاختبار أن السواد الأعظم من المسلمين
 في هذه البلاد أميون وأن المسلمين في غير المماليك والديار الإسلامية من الأهالي أكثر من المتعلمين
 فيها ، فأما الأميون فأكثرتهم لم يتلق عقيدته من عالم ولا متعلم بل يسمع بمضمون من
 بعض أقوال وأمثال وحكايات بعضها من عقائد الإيمان وبعضها من أضاليل أهل
 الكفر والخرافات . أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدنيوية فكثير منهم تعلموا
 في مدارس دعاة النصرانية التي أنشئت نحو يلمهم من دينهم ، ومنهم من تعلموا في مدارس
 الحكومة وغيرها أو في أروبة . وجميع المدارس الدنيوية يثبت فيها من التعاليم ما ينافي
 الدين أو يوقم الرب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة يتقن المذاهب فيها أصول
 دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الأخرى .
 وأما المتعلمون في الأزهر وما يتبعه من المماليك فأكثرتهم يجهلون بلاد الأرياف ومزارعها
 من شعبة بما عليه العوام من الخرافات والأوهام فتمر عليه الشبهات وهو يعالجها بآدي
 النحر والفتنة التي لا تزرع من نفسه شيئاً من الخرافات والبدع التي عرفها وألفها ثم يحضر
 دروس المقائد المروقة في هذه المماليك وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية
 جافة فيما يجب اعتقاده في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر تحرك الشبهات ولا تكاد تزيد
 مدارسها إيماناً ولا عملاً صالحاً ولا تميزاً للبدع من السنن ولا توفيقاً في طلب رضوان
 الله وترهيباً من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم
 لما ابتدع بهدم كقول الجوهرة

وكل خبر في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

ولكن لم يذكر في شروحهم وحواشيمهم عليها خلاصة ما حوت دواوين السنة
 من أحاديث الاعتصام وآثار الصحابة فيه ولا ما ورد من السلف من اجتناب البدع

والزجر عنها ، بل لا تخلو أمثال هذه الشروح والحواشي مما يخالف السنة ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الأزهر في هذه الأيام بما في بعضها من قولهم إن «اه» من أسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوي أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع الستور على قبور الصالحين قياسا على منر الكعبة والقائل بهذا ليس من أهل القياس الأصولي الاجتهادي إلا أن يكون القياس الشيطاني الذي يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويبنى بانقاضها صروح البدعة ، فقد صحت الأحاديث بمحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولعن الذين إذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً . ومقتضى هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) وتقتضي هذه الفتوى أيضا أن الطواف بتلك القبور وتبجيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة غير الله تعالى وهل كان الشرك الذي بعث جميع الرسل لهدمه إلا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين بدعائهم والفلو في تعظيمهم بما لم يأذن به الله وتعظيم ما وضع للتدبير بهم من صور ومائيل وقبور ؟

(٤) لقد كان مثار كل هذه الفوضى والضلالات ما تبع التقليد والتأديب من جمل جماهير الناس كل ما دون في كفة ديننا يقع ولا سيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته إذا كان منتبها إلى بعض طرق التصوف . التقليد نفسه مختلف في عند الأصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منه في الأمور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال أنه لا يعتد بإيمان المقلد وأن وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهرة في أول عقيدته بقوله

إذا كل من قلده في التوحيد إيمانه لم يخل من تردد
ففيه بعض القوم يحكي الخلقا وبهضمهم حقق فيه الكشف
فقال أن يجزم بقول الغير كفى والا لم يزل في الضير

وناهيك بحال المتخالف في إيمانه والمباذ بالله تعالى . والتقليد الذي أجازته من أجازته منهم وأوجه صاحب الجوهرة هذا صرايا على الأئمة الأربعة المشهورين في الفقه وأبي القاسم الجليل من الصوفية — اقتبانا منه على الشرع — وهو التقليد في فروع الأعمال ، إنما

كانوا يعنون به تقايد المأجزة من معرفة الحكم للمجتهد الموثوق به عنده بأخذه هذه الحكم بدون دليل، وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو لجاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كالكثير هؤلاء المتأخرين الذين لم يعنوا قط بالنظر في أدلة الاحكام وإنما تأكيدهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الأحيان، وأكثر نقل المتأخرين عن قريبي الهدى منهم ولا يكاد احد منهم ينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل النخريج والاجتهاد في مذاهبيهم، بل جعلوا الطبقات أوصافا لبعضهم إلى ست ويقول مثل ابن عابد بن الشيرازي انه من السادسة وأعلم الأمرى النقل يعني عن قبلهم لا من الكتاب والسنة، ولا من نصوص الأئمة، وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب ما دونها عما فوقها، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عند الله ليستفي به البشر خمسة هي سادستها. وقد ضرب الامام الغزالي مثلا جبالا ضوء الشمس يدخل من نافذة فيقع على مرآة وينعكس عنها على جدار مقابل لها ثم ينعكس عنه إلى جدار ثانٍ مقابل له ثم ينعكس عنه إلى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل لباب إلى جدار رابع في حجرة مقابل له - فالنور الذي يقع على المرآة مثل لمصوص الكتاب والسنة عند المتقدمين بهم، من الأئمة المجتهدين وغيرهم من السلف لأن الله تعالى شرع دينه وجعل كتابه تبيانا عاما لا خاصا بالأئمة وإنما الأئمة أقوى فهمها وأوسع علما وأهدى سبيلا في الاهتداء به وتعليقه للناس. والنور المنعكس عن المرآة على الجدار الأول مثل العلم الذي يتلقاه الناس عن الأئمة الذين تلقوا العلم من الله تعالى وبشرعهم له. وما يستأبط منهم في غير نور قد يضيء في كل مكان من آفة ما يضيء وما ينعكس عن هذا النور على الجدار الثاني وما ينعكس من بعض ولا يقين بها الأشياء بجلاء تعرف به حقيقة ما وصفتهم كأي شيء بل تشير وتختفي وما يقع فيها الاشياء (بأنهم) من قد جاءكم رهن من رهنكم وأول اليكم نورا مبدئا. فوالذين آمنوا بالله واعتصموا به فقد يدعون في حجة الله ورسوله إلى الله تعالى (٥) يشبهه على أكثر التفسير ما في قوله تعالى فليعلم الله من أهله ومن أخذ به منهم بقول الامام بدون معرفة دليله وليس ما نعصه بالدم من التقليد

الاعمى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قلب بعض المقلدين الوضع وعكس القضية فجعلوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة واجبة زعمهم أنه يدفع مفسدة الفوضى في الدين بأدواء الكثيرين للاجتهاد وأتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقامنا باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقد من ليس أهلاً للاجتهاد بأتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهادهم ونقلت مذاهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكرناها واقعة لا ريب فيها وإنما كان سببها ما سموه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف ونزاع اليهما كما أمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس بمعناه ان يكون كل مهتد بهما إماماً أهلاً لاستنباط أي حكم شرعي احتيج اليه منهما فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجهات ولا الافراد منهم يلتزمون تقليد فرد معين من علمائهم وإنما كانوا كلهم عالمين بالضرورة من الدين ومتفانين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم ما لا يعلمه في نازلة وقعت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأل عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنن يفتونهم بالنصوص ان وجدت والا فبما يستنبطون منها

وأما هرام الخلف الذين حبل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبهم عليه الصلاة والسلام بنسبتها اجتهاداً يهجر عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعمى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من ينتمي الى العلم أو يذهب الى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا ضابط كتب المنسوبة الى مذاهم في الفقه أو الكلام أو التصوف وناهيك بكتب المشهورين منهم مهما يكن سبب شهرتهم ومن اخترع المسلمين في لاقطار المختلفة اختصاراً صحيحاً يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وإنما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المقلدين المتمين اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الكتب منها من الخطأ والغلط كما أشرنا اليه آنفاً، وبالنسبة لهم مع هنا يعرفون ما في الكتب

المعتدة في مذاهبهم ويميلون بما صبح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ! كلا
ان أكثر الموام يقلد بعضهم بعضا في الدين وآدابه وعباداته فملا وتركوا كل علم ولا
يوجد واحد في المئة ولا في الالف منهم تلقي دينه عن أحد من المنتحلين فاعلم الذي على
ما وصفنا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الاثمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب
والسنة ولو كانوا متبعين لاولئك الاثمة الكرام لاملوا أكبر همهم تذكير الناس وتعليمهم
بالكتاب والسنة وارجاع كل أمر اليهما وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تنقر
ونموت البدع أو تضعف. وأقوال المؤلفين المنسوبة الى المذاهب ليس لها من الآثار
هلي القلوب والاقناع في المقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم
متعارض لكثيرتهم فاذا حاججت امرأ يقول مؤلف منهم حاجتك بقول آخر يخالفه كما
يحتاج بعض المنسوبين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الازهر بنقول كاذبة خاطئة
وجدتها في بعض كتبهم فيما ابتدعوه من التمسك بما يسمونه اسم المصدر، وهو اخراجهم
من مذهبهم صوتا مشتملا على الخرفين اللذين مخرجهما اتهمى الحاق (أو)

بل أقول ان نقال باب الاهتداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بهما قد فتح
أبواب الزندقة وانزلق من الدين لا باب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط، وأوسع هذه
الابواب اثنان الشبهات المادية وتباعد بعض الدجالين المنتمين الى التصوف المدعين أنهم
عرفوا الحقيقة أو اتبعوا من عرفها بالكشف، وناهيك بطائفة البكتاشية والملة البابية والبهائية
من أهل هذا الزمان كسافهم الباطنية من الاسماعيلية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة
جاءت من ابتداع تلقي الدين عن ينسب الى المذاهب المعروفة والاحد بما يقوله
أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير ان يكون تلقينا للكتاب والسنة وتفهيرا
لما يحتاج الى تفسير منهما وجعل هذا التلقين هو الاصل وما قد يحتاج اليه من فتوى
اجتهادية في نازلة جزئية فرعا لا يدهي اليه ولا يحمل سنة متبعة وشرعية ثابتة ولا
يحمل من خالفه الى غير مبدع ولا فاسق، ولو فعلوا هذا واستمروا عليه بما دله
أهل العلم بالتفسير والحديث لما قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أنزله الله
اليها ولا قفل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من بعد من المعصمين
والمؤلفين مهما تكن أقوالهم ومصادرها ، وليس هذا هو الاجتهاد المطلق الذي أنفقوا به

(٧) من هذا الدين - وإن كان أصله كتاب الله تعالى وما ينشأ به رسوله في أمته وأقواله وأحكامه - يتوقف فهم الخلفاء أئمة على معرفة سيرة السلف الصالح من جمهور الصحابة والتابعين وحفظ السنة ودراستها في القرون الثلاثة التي هي خير قرون ، ذلك بأن نصوص القرآن والأحاديث تحمل المعاني المختلفة بخروب الحجرات والكليات فيعرض الناس فيها من التأويل ما ليس مراداً للشارع ، وإنما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لأنهم أعلم بأمة القرآن والحديث التي هي صليقة لهم ، ولما شهدتهم أعمال الرسول (ص) ودعوتهم على أحكامه في بيانه. ولذلك قال علي كرم الله وجهه لأن الناس (رض) حين أرسله للحاجة الخوارج: أحلهم على السنة فإن أقرت ذؤ وجوه . والمراد من السنة معناها اللغوي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته التيمة من بعده فأنهم عمل لا يمتثل التأويل كما يحتمله كلامه وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد نهى بعض الخوارج بعضاً عن مخالفة ابن عباس بالقرآن بحجة أنه من قرين الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يغلب في الحاجة والخاصة لأنه ألحن بالحجة وأبرع في مجال الغلب في الخصومة ، لأنه صاحب الحق بما يثبت به من البرهان ، على أن القوم كانوا مستبدلين ، وفيما أخطأوا فيه متأولين ، وما قالوه هو تكأة المقلدين ، الذين يعذرون أنفسهم في الأصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بجهلهم وحذق خصمهم وخلاسته في القول ، فالجواب عن عذر الجاهل المعارف والمعرف بجهله وعجزه ، لا المستدل الذي يتافع من دعواه بسيفه ورمحه ،

وعلماء المذاهب التي بدعي الناس اتباعها يقولون إن الجهل عذر في المسائل التي من شأنها أن تخفى على العامة وإن كانت مجما عليها كارت بفت الابن مع بنت الصلب السدم تكأة للثلاثين الذي جعله الله تعالى في الكلاله فرضاً للثلاثين ، ولا يجعلونه هدرا لأحد في المسائل المملومة من الدين بالضرورة - قولوا لا إذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاهر جيل ، وهذا مبني على أن معاشرة المسلمين كافية لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في العبادات والحلال والحرام وذلك كاف في صحة اسلام من يعرفه معرفة اذعان وإن جهل جميع المسائل الاجتهادية والنسبية الخفية المجمع عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها على أنه لا بد أن يعرف الكثير منها

ولما قل العلماء ذلك القول كانت مباشرة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قالوا ، ثم تغير الزمان ، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام ، ويعترف بذلك خطباؤهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة ، بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ولا من القرآن الا رسمه » وبقولهم « صار المعروف منكرا والهنك معروفنا » وهذا القول حق واقم ، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع ، وقد كان من اثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المعصمين منهم لا يطعنون بدين أحد الا بهتتهم بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الامة ، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك والى ترك البدع الفاشية ، حينئذ يندذونه بالقب وهايي أو عدو الامة الجتهدين ، وأولياء الله المقربين ، فلجبال قد اتخذوا من أسماء الائمة والصالحين الذين هم اعداؤهم سهام مسمومة يرمون بها أوليهم والمتبعين لهم في الحقيقة لانهم يرددون بالكتاب والسنة مثلهم ، — فالكتاب والسنة ليسا حجة عندهم ولا هداية لهم بل هما يردان بقول كل من الف كتابا كتب في طرته نه الملامة فلان الفلاني مذهبيا ، والعلاني طريقة أو مشربا ، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما موضح من المزار ، وهذا من الخزي الذي يعد من أغرب جهل البشر ، والخذلان الذي يمثل منتهى فساد العقول وفنار ، يتبرأ منه ومن اهله أئمة الاثر والفقهاء والتصوف ، وإنما بدلائل مذاهبهم وطرقهم . وهو ليس من التقليد الذي أجاز به بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خبر القرون لا يعلمون هامة الامة الا ما نزل الله تعالى اليها وما بينه به رسولها ، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها وإنما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة ومجلس القضاء ونوازل الفتوى في الوقائع . ومن قواعد الاصول عندهم هدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسألة رانه لا حجة في كلام أحد غير المعصوم وهم مجمعون على ان الأئمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وإنما قال بعض الشيعة بحصة نفر معروفين من أئمة آل البيت

وجميع هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في العلم بحقيقة الدين والعمل به كما تقدم ويحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وصيرتهم

ويستدلون به على لا بدع في الدين كما يستدلون بالنصوص - فنحن إذاً محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونسبناك به نرد ما يخالفه ولا سيما ما اتفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذاً أو ضعيف الرواية أو الدلالة، ولكننا نعذر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الاثمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وإن لم يعرف دليله

ثبت بالعقل والمنطق والاختبار أن العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بها والفتوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بياناً للمراد بها من القول مهما يكن فصيحاً جليلاً فكلام الله أفصح الكلام وأبلغه ومعنى هذا أنه أعلاه بياناً وقناعاً وتأثيراً ومع هذا كان بعض الصحابة يخطئ في فهم بعض أحكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من تملك منهم في التراب كما تملك الدابة لأنه فهم أن التيمع عن الجنبه يجب أن يمتاز عن تيمع الحدث وكما أخطأ من ربط في رحله عقلاً أبيض وعقلاً أسود ليعين بالتمييز بينهما طلوع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رموله (ص) ميلاً لكتبه على وصفه إياه بأنه بيان للناس وتبيان لكل شيء ونور مبين، وتبيين الر - ول (م) بأنما له وأحكامه وقاويله في النوازل أقوى وأظهر من تبينه بأقواله وإن أتى به النبوة جوامع الكلام وصار أفصح من نطق بالضاد، لأن أقواله ذات رجوة وتحمل التأويل كما قلنا الإمام علي المرتضى في الكتاب المميز بل هي أولى، وتختلف فيها لأهلها كما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في أمره إياهم بأن لا يصلوا المصرا الا في بني قريظة ففهم بعضهم أن المراد عدم التأخر عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فصاروا في الطريق ولم يتأخروا، وحمل الآخرون الأمر على طاعة مولانا العمل أبست على القدرة والانتقال وذلك في العقل والتجربة، وأظهر وقائمه في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحال من عزمهم عقب صاحب الخديجة كذا الأمر بالقول ثلاثاً ولم يمتثلوا فأنهم عليه الصلاة والسلام وكانت زوجته أم سلمة رضي الله عنها معه فذكر له ذلك فاستأذنها فيه فأشارت عليه أن يخرج إليهم ولا يكلم أحداً حتى يتبع من يخرجهم من خديجة وحق رأسه ففعل فاتبه من منسرين ولم يبق لهذا نظير منه.

فعلم من هذا أن أحكام الدين لم يبين تمام التبيين لا بالسنة المعينة ولا بالصحة

انفسهم كانوا محتاجين اليها وكان يختلف اجتهادهم في الاقوال اذا لم تبين بها .
 بل كان منهم من تأول النص الصريح في مقام الخصومة انتصاراً لنفسه ودفاعاً عنها
 كما تأول معاوية حديث عمار تقتله الفئة الباغية فقال : انما تقتله من أخرجه .
 فرد أمير المؤمنين علي هذا القول حين بلغه بان يقتضي ان يكون النبي صلى
 الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزة أي وجميع من قتل معه في بدر واحد وسائر
 الغزوات — فتابين من أعمال الدين بالسنة المتبعة فعلاً وتركاً فهو الذي لا يسمع احداً يخالفه
 ولا يعذره فيه وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الافهام والتأويل مع الاعتقاد وحسن التوبة
 وقد حدث بعد النبي (ص) بن الاحداث والوقائع ما لم يكن في عصره وختلف الاجتهاد
 في أحكامها من حيث تحقيق المناط وتبويب المناط أي من حيث الاستدلال على الحكم
 ومن حيث تطبيقه على الوقائع بالعمل والقاعدة الأصولية في اجتهاد الافراد من الصحابة
 وغيرهم انه ليس حجة في الدين وانما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر
 له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجيزون للماجزين الاجتهاد فيما يعرض له مما لا نص
 فيه أن يأخذ باجتهاد من يثق به من المجتهدين . وأما إجماع الصحابة فهو حجة عند
 جميع الأئمة والامام أحمد لا يحتاج بإجماع غيرهم وكان الامام مالك يحتاج بإجماع أهل
 المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين رآه يظهر هذا في اشعائر والسنة العملية
 المتبعة لا فيما سبيله الاجتهاد . وجهلة القول ان الله تعالى اكمل الدين بكتابه وبيان رسوله
 وكان أهل الصدر الاول من السلف الصالح هم الذين حملوا البناء هذا الدين كما سمعوه
 ووعوه بالتأول والعمل ، فمرفقة متوقفة على معرفة روايتهم له وسيرتهم في العمل به
 ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وميساسة وقضاء كان في عهد
 الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على أكل الوجوه ، بل قل بعض علماء الاصول ان
 إجماع الخلفاء الاربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث العرابض بن سارية مرفوعاً
 « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم بهذا »^(١) وانه من يمش منكم

(١) وفي رواية « ولو عبداً حبساً » وهذا في الامراء والحكام الذين يوليههم
 الامام الاعشى فلا ينافي احاديث حصر الأئمة في قرين كما نقله الحافظ ابن رجب
 وغيره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعاً —

فبيري اختلافا كثيرا فمليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عشوا عليها
بالواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وفي رواية « فإن كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرها
من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الأربعين ، بل ذهب بعضهم إلى الاحتجاج
بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وبعضهم بالاحتجاج بما صنفه عمر أي من في خلافته
لما ورد في ذلك وبيان وجه هذا مكان آخر يعلم منه أنه ليس على إطلاقه حتى عند
القائلين به . وقد ذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الإمام
مالك أنه قال : قال عمر بن عبد العزيز : من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه
الأمر من بعده صفنا لاخذ بها اهتمام بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لأحد
تديلها ولا تغييرها ولا التلظر في أمر خالفها فمن اهتدى بها فهو المتهدي ومن
استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولله ما تولى
واصله جهنم وساءت مصيرا (قال) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنه
قال : أعجبنى عزم عمر ذلك - يعني هذا الكلام - وروى عبد الرحمن بن
مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكمه عن عمر أنه ويجمع بين الروايتين بأن مالك
كان يرويه تارة ويقول تارة مقربا له في نفسه على غير طريق الرواية - فعمل جمهور
الصحابة والتابعين وصحابة الخلفاء الأربعة الراشدين وقضاؤهم وأدبهم لا يورثون

« وموقوفا » وإن أمرت قريش فيكم عبدا حبشيا فاسموا له وانظروا
وذهب بعض العلماء أنه إنما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وإن
يصح وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجدا
ولو كفتحه من قنطرة بنى الله له بيتا في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس
صحيح ويستحيل أن يكون المسجد كفتحه القنطرة وهو المكان الذي تمجد
برجلها وتبين فيه ، والامة نجمة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر
هنا لا يجوز أن يكون الإمام الأعظم صاحب الولاية العامة على المسلمين ، و
أن يلي مدون ذلك من ولاية الأمر وقال عنهم ان في هذا الحديث وما
معناه إشارة إلى ما كان في الامة بعد من ولاية العبد والماليث

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الأهواء والآثوار الخارجين على أئمة الحق والمعدل كل ذلك فبراص نهتدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا إليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول إلى مشاهدة أفعاله وسماح أحكامه والوقوف على قضائه وصيرته في الحرب والسلم وسنين أن شاء الله تعالى مزية كل خليفة من الأربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمارهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات — والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم أن ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية ممزوج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وفشو الفواحش وكثرة الشبهات إلا في بلاد قليلة فباشرة المسلمين لا يمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والمراقبة في الاسلام وإن نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فما كان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة القرة ورواة الآثار، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وحملته وكتبه

(٢) أن دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينه من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتن واحداث البدع وفي أثنائها، وحملته الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الأول ومبتروا صادقها من كاذبها وصححها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس طرق فهم النصوص والاستنباط منها. فما أجمعوا عليه من أمر الدين فهو الذي لا يسع مسلماً تركه، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً) أي ما لا وعاقبة. والرد في الامور العامة منوط بأولي الامر وفي الوقائع الخاصة بعمل كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يفتيه به من يشق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما

عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم للنصوص ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأويل اذا علمنا من حاله انه مؤمن بأن كل ما جاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مدعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ تعامله معاملة المسلمين في الصلاة معه وفي أحكام النكاح والارث وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفة ابتداعاً أو فقه اذا كانت فقهاً، مهتدين في ذلك بما كان أهل السداد الاول يعاملون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضغفاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والخوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وإنما نعذر من يفهم بعض آياته فهما مخالفاً لهم السلف مع التسليم والأذعان النفسي لكل ما فيه ولو بحسب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يعتقد هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الأحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مضمونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، وزد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا بدرء الحدود بالشبهات، وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة

بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جعل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد الجمع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجدل عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والملي لا حكمه وهو فرع العلم بها ولذلك مرحوا بأن من نشأ في ضيق جبل أو كان حديث عهد بالاسلام يميز حتى ينجذه المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوماً عنده ولم يصدقوا

الناس بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطه بهم بعد الإسلام إذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليتصل من الجحد مثلاً. وقد بينا في المقدمات أن مباشرة المسلمين في أكثر البلاد الإسلامية في هذه الأزمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الإسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وإنما يعلم إسلام المرء بأذعانه وخضوعه لما علم أنه من الإسلام، ومن كان هكذا فملاج ما يجمله تسليمه وإقامة الحجة عليه. وقد جربنا هذا الملاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والأوهام، فالسليم الفطرة ذو الجهل البسيط يشفي بسرعة عجيبة وإنما يصير شفاء أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من قشور الكلام والفقه وتأويلات أدعياء الفقه والتصرف فهم يردون بها الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولاحول ولا قوة بالله العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضرع الإسلام ولا علاج له إلا البناء التعليم الإسلامي في مدارسه وغيرها على التفسير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ما تقدم تقريره في ذلك

معاملة المتدعة والمنافقين والفاسقين

(٥) اتنا على كوننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلاً أو متأولاً نحتاج لدينا فيمن نعلم بالاختبار الشخصي أنهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو نحدث التمزق بين المسلمين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وبمض الصحابة كذيفة بن النيمان يعرفون بعض المنافقين بأعيانهم ولا يحبسونهم بذلك ولا يخبرون الناس به رجاء أن يصلحوا ويوقنوا بطول مباشرة المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأمة الجار من بني أمية وعالمهم، والأسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الحوارج ومعاوية وأنصاره. واني على هذا لا أصلي مقتدياً بمن أعلم باحتبار الشخص أنه مشرك أو كافر بغير الشرك وإن كان يظهر الإسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما عندي من الجواب عن سؤال الموحدين في دمياد كثرهم الله تعالى وبارك فيهم

واني أنبع هذا بيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أمر الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الأهواء وغيرهم ثم انتهى عليها بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يهتدي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه،

شرح قاعدة « لا تكفر أحدا من أهل القبلة بدين »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لا من يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليميزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيوخ الإسلام ابن تيمية بحقيقته نفيا مطولا فيها ذكره في مباحث تخطئة الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان أن الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب أن يقصد به بيان الحق وهداية الخلق دون التشفي والانتقام . وذكر أن الكلام في هذا مبني على مسألتين وبيان ذلك بما نصه :

(أحدهما) أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) أن المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها . وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين إجماعا بحسن ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة ك بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يساهمون في التكفير ذلك فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا يمينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية . وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة ولا غيرهم وإيس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحد من كفر من قل بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يذكر كل من قاله مع الجهل والتأويل (١) فنثبت الكفر في حق الشخص المين كثبوت الوعيد في الآية في

(١) لعل الأصل ولو مع الجهل والتأويل

حتى وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه . وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين فيستقر لهم ويرحم عليهم . وإذا قل للمسلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) يقصد كل من سبقه من قرون الامة بالإيمان وإن كان قد أخطأ في تأويل تأويله خالف السنة أو أذهب ذنبا فإنه من اخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في الصوم وإن كان من التبتين والسبعين فرقة فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين فيهم خلل وذنوب يستغفرون به الوعيد كما يستغفرون عصاة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الاسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل أنهم يتحدرون في النار

فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته فإن كثيرا من المتكلمين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قتلوهم بل أول ما خرجوا عليه ونهضوا بهجروا وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إن لكم علينا أن لا تمنعكم من مساجدنا ولا حقكم من الفيء ثم أرسل إليهم ابن عباس فقاتلهم فخرج نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وغلبهم ومعهم هفام بسبب لهم ذرية ولا ختم لهم مالا ولا صار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كسيرة الكذاب وأمثاله بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج بخلاف سيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد على ذلك . فلم يفتق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين من دين الاسلام

قال الامام محمد بن نصر النوروزي وقد ولي علي رضي الله عنه قتال أهل البني وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسام مؤمنين وحكم فيهم بأحكام المؤمنين . وكذلك عمار بن ياسر . وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهمل عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهر وان قيل له أشركون أم قال من أشرك فرواه قبيلى بن قهرون . قال لا تقول لا يدعون الله لا قبيلا . قيل فأم قال قوم بنوا علينا فقتلناهم . وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحق حدثنا

وكيع عن مسر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال قال رجل: من دعي إلى البغلة
 للشرباء يرمي قتل المشركون؟ فقال علي من الشرك فروا، قال المنافقون، قال إن المنافقين
 لا يذكرون الله إلا قليلا، قال فما هم؟ قال قوم بغيروا علينا فقاتلناهم فذهبنا عليهم.
 قال أسحق حدثنا وكيع عن أبي خاله عن حكيم بن جابر قال قالوا لابي حين قتل
 أهل النهروان أمشركون هم؟ قال من الشرك فروا، قبل فذققون؟ قال المنافقون
 لا يذكرون الله إلا قليلا، قبل فما هم؟ قال قوم حاربونا فحاربناهم وقاتلناهم فقاتلناهم
 (قلت) الحديث الأول وهذا الحديث صريحان في أن عليا قال هذا القول في
 الخوارج الحرورية أهل النهروان الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بقتالهم، وهم يكفرون صليان وعليان ومن تولاهما
 ففني لم يكن منهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فأنما دار الاسلام عندهم هي
 دارهم. قال الأشعري وغيره: أجمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه ومع هذا علي قاتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا عبيد الله بن خباب وطلب علي
 منهم قاتله فقالوا كذا قتله وأغاروا على مائسة قتلوا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلونا
 فقاتلناهم وحاربونا فحاربناهم، وقال قوم بغوا علينا فقاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء فانهم بقاء على جميع المسلمين
 سوى من وافقهم على مذهبهم. وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يندفم شرهم إلا
 بالقتال فكانوا أضربا على المسلمين من قطاع الطريق. فإن أولئك إنما مقصودهم المال
 فلو أعطوه لم يقاتلوا وإنما يتعرضون لبعض الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين
 حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم
 الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بأنهم مؤمنون
 ليسوا كفارا ولا منافقين. وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي أسحق
 الأسفرائيني ومن تبعه يقولون لا تكفر إلا من يكفركم، فإن الكفر ليس حقا لهم بل
 هو حق لله وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (إن) يفعل الفاحشة
 بأهل من فعل الفاحشة. أهله بل ولو استكرهه رجل على اقواته لم يكفر له أن يستكرهه
 على ذلك؛ ولو قتله بتجريم خمر أو تلوط لم يجز قتله بمثل ذلك؛ لأن هذا حرام لحق

الله تعالى. ولو سب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفروا
أبا بكر وعمر فليس لنا أن نكفر عليا. وحديث أبي وائل يوافق ذينك الحديثين
فالظاهر أنه كان يوم النهر وان أيضا

وقد روي عنه في أهل الجمل وصفين قول أحسن من هذا، قال اسحاق بن راهويه
حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سمع علي يوم الجمل ويوم
صفين رجلا ينلو في القول فقال لا تقولوا إلا خيرا إنما هم قوم زعموا أنا بنينا عليهم
وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم، فذكر لابي جعفر أنه أخذ منهم السلاح فقال ما كان
أغناهم من ذلك. وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد
حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عن قتل من أصحاب
معاوية: ما هم؟ قال هم المؤمنون، وبه قال أحمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن
أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون قال مر علي - وهو متكئ على الأشرس - على قتي
صفين فاذا حابس الجاني مقتول فقال الأشرس: أنا لله وأنا إليه راجعون هذا حابس
الجاني معهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد هبته مؤمنا، قال
علي والآن هو مؤمن، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل العبادة
والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع عن أبي مطر
(قال) قال علي: متى نبئت أشقاها؟ قيل من أشقاها؟ قال الذي يقتلني. فضر به ابن ملجم
بالسيف فوقع برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون يقتله فقال لا تقتلوا الرجل فإن
برئت فالجروح قصاص وإن مت فاقتلوه، فقال انك ميت، قال وما يدريك؟ قال كان
صيفي مسموما - وبه قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم النخعي عن رباح
بن الحارث قال: اقالبوا دوان ركبتي لتكاد تمس ربة عمار بن ياسر إذا قبل رجل
فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تزل ذلك فقتلنا واحدة ونبينا واحدة، ولكنهم
قوم مقتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق - وبه قال ابن يحيى حدثنا قبيصة
حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رباح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: دينا
واحد وقتلنا واحدة ودعرتنا واحدة ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى
حدثنا علي حدثنا مسهر عن عبد الله بن رباح عن رباح بن الحارث قال قال عمار

ابن ياسر: لا تقولوا كُفروا أهل الشام، قولوا فسقوا قولوا خادعوا. قال محمد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر أنه قال لعمان بن عفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لأنه إذا أنكر كُفروا أصحاب معاوية وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقتلون في دم عثمان فهو لتفكير عثمان أشد إنكارا (قلت) والمروي في حديث عمار أنه لما قال ذلك أنكر عليه علي رضي الله عنه وقال أنكفروا برب آمن به عثمان وحديثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين تبين له أنه قول باطل.

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان عهد الله بن عمر رضي الله عنه وقيصره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجيعة الحروري وكانوا أيضا يحدثونهم ويقتونهم ويخطبونهم كما يخطب المسلم المسلم كما كان عهد الله بن عباس يجب نجيعة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري؛ وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو أمامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم قاتلهم لم يكن أحدا شررا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى قاتلهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأرواحهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متديبنين بذلك لظلم جهلهم وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وصاروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزة وغيرهم فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كانهم فقد خالف الكتاب والسنة وأجاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحابة يمين وقد ضمه ابن حزم وغيره لكن حديثه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طريق وليس قوله

فثنتان وجبتون في النار وواحدة في الجنة، أعظم من قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وقوله (ومن يفعل ذلك عدواناً
وظلماً فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيراً) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة
بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار لأن مكانه تاب أو كانت
له حسنات محت سيئاته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم بل المؤمن بالله
ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا اخطأ وام يرف
الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من التمسد العالم بالذنب، فإن هذا خاص
مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب، بل هو مخطئ والله قد
نحو هذه الأمة عن الخطأ والسيان، والمقربة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين
وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب، كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأبضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يميل لهواه لا ديانة، ويصد عن
الحق الذي يخالف هواه فهذا يعاقبه الله على هواه ومثل هذا يستحق العقوبة في
الدنيا والآخرة، ومن فسق من السلف الخوارج ومحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص
انه قل (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من
بدميثاقه وبعظمون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)
فقد يكون هذا قصده، لاسيما إذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له
ولا صحابه. وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك
ليس في سبيل الله فكيف يأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها فاتهم يفعلون
ذلك شجاعة وحمية ورياء يعاقبون لما اتبعوا أهوائهم بغیر هدى من الله لا لجهرد الخطأ
الذي اجتهدوا فيه، ولهذا قال الشافعي: لأن أحكام في علم يقال لي فيه أخطأت، أحب
لي من أن أحكام في علم يقال لي فيه كفرت

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا. ومن مباح أهل العلم انهم يخطئون
ولا يكفرون. وسبب ذلك ان أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفرا، وقد يكون كفرا
لانه يقين له انه تكذيب للرسل وسبب الغفلة والآخرة لم يقين له ذلك فلا يلزم

لذا كان هذا العالم بحاله يكفر^١ اذا قاله ان يكفر من لم يعلم بحاله
والناس لهم فيما يحملونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم
بالاضطرار من دين الرسول ، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك . ومنهم
من يقول الكفر هو الجهل بالله . ثم قد يحمل الجهل بالصفة كالجهل بالوصف وقد لا يحمله ،
وهم مختلفون في الصفات نفيا وإثباتا . ومنهم من لا يحده بحد بل كل ما تبين انه
تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الايمان بالله واليوم الآخر جملة كفرا —
الى طرق أخر . ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر .
وبخسه وسبه وعدلونه مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصعابة والتأبين لهم
بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف إلا الجهم ومن وافقه كالصالح والاشعري
وقببرهم فاتهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفرا إلا اذا
استلزم الجهل بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب وهذا بناء على أن
الايمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب بعض من الايمان . وهو خلاف
النصوص الصريحة وخلاف الواقع ، ولنبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه وإذا كان الذنب
مطلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الإنسان أن يكون في هذا قاصدا
لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة
ألا من كان هودا أو نصارى) تلك أمانتهم . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .
الى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا
واتخذ الله إبراهيم خليلاً) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله
لله وهو محسن في عمله . وقال الفراء في قوله (قل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي
وقال الزجاج قصدت بعبادتي الى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر ،
وهذا المعنى يدور عليه القرآن فان الله تعالى أمر أن لا يبعد إلا أياماً وعبادته فعل ما أمر
وبارك ما حظرت ، والاول هو إخلاص الدين والعمل لله ، والثاني هو الإحسان والفضل

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لاحد فيه شيئا، وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخا صه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخا صه وأصوبه؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة، والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر معروف ونهي عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب ان يتفنى به وجه الله وان يكون مطابقا للامر، وفي الحديث « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فبني ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حلما فيما ينهى عنه » (١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فان لم يكن عالما لم يكن له ان يتفنى ما ليس له به علم، وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلط على المريض فلا يقبل منه، وكالطبيب الذي لا يقبل منه الولد وقد قال الله تعالى لموسى وهارون (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ثم اذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في المادة فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبره لى ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المنار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنة ولا فيما جمع منها ككثير العمال والمصنف بحر واسع، وفي معناه حديث « من أمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف » رواه البيهقي في شعب الایمان من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده وفي سنده سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا يحتاج به ولا يكتب حديثه رواه عن الثني بن الصباح الفارسي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوي حديثه شيئا. وقال ابن ميمون رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ « لا ينبغي للرجل ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالما بما يأمر عالم بما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى » وذكر في الاحياء للزمزالي « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حلما فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه » قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا. وذكر حديث البيهقي

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الامرين بالمعروف والنهي عن المنكر، فان الانسان عليه أولا ان يكون امره لله وقصده طاعة الله فيما امر به وهو يحب صلاح المأمور واقامة الحجّة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذا رد عليه ذلك أو اؤذي أو نسب الى أنه مخفى وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يمتدح أن الحق معه وأنه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل يفتخرون على من خالفهم وان كان مجتهداً منذوراً لا يفتخ الله عليه، ويرضون عمن كان يوافقهم وان كان جاهلاً سمي القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمّدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصيروا الاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغت المنل هذا « بال » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاته الله ورسوله ومعاداته الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالات لله والمعادات لله والمباة لله والاستمانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهى الله ومعاداته معاداته الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يفتخ لفتخ الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ويفتخ اذا حصل ما يفتخ به بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويفتخ له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا (المنار : ج ٢) (١٧) (المجلد الثاني والمشررون)

بل قسدا الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعى الحق أو السنة هو كمنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شعيبا وكفر بعضهم بعضا وفسق بعضهم بعضا ولهذا قال تعالى فيهم (وما تفرق الدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلّفوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين انهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس انهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا) فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فلم أنه كان حقا والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموما كقوله (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم «انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم» ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم، قال الزهراء في اختلافهم وجهان

(١) يوشك ان يكون قد سقط من هنا شيء ولو بعض آية البقرة التي أورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبعده (فبمث الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان بعضهم بعد الاختلاف الذي مرسخ به آية يونس وسيدكرها وفي قرأمة أبي ابن كعب الذي أهدار اليه المصنف بقوله بعض الصحابة ولم يقصد بها التفسير (٢) لعل أصلا تفسير الجمهور أي للامة الواحدة

(احدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل ما بدلوا ، وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل ، فالاختلاف لا بد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانعه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط (١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء ، والقدرى النافي يقول ليس المثبت على شيء والقدرى الجبري المثبت يقول ليس القدرى النافي على شيء والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء . بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء ، والاشمري يقول ليس السالمي على شيء والسالمي يقول ليس الاشمري على شيء وضمنف السالمي كابي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الاشمري وضمنف الاشمري الاشمري كان عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه ، وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربعية وغيرها لاسيما وكثير منهم تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك وينسفه الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية وينسفه الى مذهب أبي حنيفة . وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والاعلاء لا تشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ان يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله بذور على ذلك ويتبعه أين وجدته ويعلم أن أفضل الخلق بعد الانبياء هم الصحابة فلا فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً الا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا البطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً الا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فان الهدى

(١) يريد النمط الاخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غير حيث داروا ، فإذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأئمة لا يكون الا خطأ فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم ، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب في الأصول والفروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول فان كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلاله فلا بد أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل قول قيل في دين الاسلام يخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جاعتهم البينة وجاءهم العلم وانما اختلفوا بغيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين بل كانوا قاصدين البني عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به ، ونظير هذا قوله (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للبني لا لقصد البرهان . وقال تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبواً صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين * هذا بصائر للناس وهدى ورحمة) فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبيانات فاختلفوا للبني والظلم ، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل عليهم . وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون الا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم العلم فيبني بعضهم على بعض . (للبحث بقية)

دعوة عرب الجزيرة العربية الى الوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

نبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ومن الماديات (الآثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار مختلفة أن العرب من أقدم أمم الأرض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى أنهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر وسورية والمراق ، فاهم في حضارة الفراعنة والفينيقيين والكلدانيين المرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فان لم تكن تلك الأمم فروعاً منهم ، فلها وشائج أرحام مشتركة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام في الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاه في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات المهاد ، التي لم يخلق منها في البلاد) كقول نبيهم هود في مبيانهم وقوتهم (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ؟ وتتخذون مصانع لملككم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين) وقوله في نسلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين ووجنات وعيون) وبيانه لهم ان هذه النعم يزيد بها الرجوع الى الله بالايان وترك المعاصي نماء وفرة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويردكم قوة الى قوتكم) وما حكاه عن نوح وقول رسوله صلح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتتركون فيما همنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلمها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارحين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها كجنتهم من اليمن والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وناهيك بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتته الدين اكتشفوا آثار السكندانيين في المراق وشريعة ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمر وامصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان للغتهم الاثر الخالد في لغتها هذا الماع تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وان في لغتهم الفنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضمت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمها الجاهلية الوثنية ، (فكأن من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وصح على هذا النصف قرون وتعاقت عليه أجيال ، حتى ظن الظانون أن هذه

الامة هزمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،
ثم جاء الاسلام فجمع شملها بعد فرقة وشتات ، والف بين قلوب قبائلها
وأفرادها بعد عدواة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجها من
ظلمات الجاهلية والامية . الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها
المسكنة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم
والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في
القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من
اليابسة في الغرب ، وأحييت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون وورقت
الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع
الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب
ولكن حظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد
أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون
الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة ، فأن لبسوا الجزيرة وحضرها في
هذا العصر بما يقرب من تلك المذمة العاليا في النضاعة والبلاغة التي جعلت
لكتاب الله المعجز تلك المكاة من عفوهم وفوقهم ، حتى ان كان أحدهم ليسمع
السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته
بهديته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد ألف الاسلام
بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرزق قويمهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيما تكفر كل شيمة
منهم الاخرى أو تفسقها بعد تلك الوحدة العظيمة ، جاهلين أو غافلين عن قول
ربهم رسولهم صلى الله عليه وسلم (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيما لست
منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تعريقهم وتعاديتهم
في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أمة الامم في العلم والحكم والآداب والمدل
في اخراجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق
والتعادي والجهل والفقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم
اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شريعة تجمعها راية مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها ان تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الام خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وشبهتها هذه المخالفة أن الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المقفل فاختلجوا في أصل الاهتداء بالكتاب ، الذي أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف من غصن داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسوله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم به) الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بنبي بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يعني بعضهم على بعض ، فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر ، اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه في الخلاف الواقع ، وهو يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم يطل ذلك تمليلا ، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن هاقبة وما آلا من كل ما هداه فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم ، في نهكهم آرائهم ، والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما لا يستلزمان الاجتهاد الاصولي المطلق الذي أقفلوا بابيه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط جميع الاحكام ، كائنتهم المشهورين وعلماهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجع الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك ، ردت تنتشر دعوته في جميع جزيرة العرب التي يعمد اصلاحها وجمع كائنها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حل دون ذلك فتنان (أولاهما) مقاومة السياسة لها ، والاخرى غلو الكثير من القائلين بها ، فالاولى اذاعة الاسلام في العالم كله ان هذه دعوة ابتداء في الدين ، والفلاة أبدرا هذه الاذاعة بما اشتهر به من الفلوس ولا سيما تكفير من هداهم من المسلمين ، ولهذا التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

المسألة من قبل ، وغرضنا من الايام بذكرها الآن ، بيان اعتماد العرب للصالح
والاصلاح بدعوة الايمان ، اذ اقام بهامن يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة
بالي هي احسن كما امر القرآن ، وتذكير الفلاة من المدينة بأن لا يفلو في دينهم ولا يقولوا
على الله الا الحق ، ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وان
يمسروا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا في بث الدعوة على
نشر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وان
لا يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب ، وان يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب
الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفرا ردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول
الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لا تلبث العقيدة
ان تهم الجزيرة وفيرها ويسقط كل من يمارسها حرصا على الزهامة وحب الرياسة .
هذا وان لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء شيئا أصيلا وراء الخلاف
الديني للبني ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض ، وسببين عارضين وهما الجهل
والفقر ، وإزالة السببين المارضين من الامور الكسبية القرية المثال ، وأما الشقاء كل الشقاء
في الشقاق الناتج عن حب الرياسة والتمسك بخطر المذر بالهلاك والزوال
ان في بلاد العرب من يتاييم الثروة ما يكفي لجمل أهلها من أغنى شعوب
الارض كمدائن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير
ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لمصوب الزراعة يميز نظيره في غيرها ، وناهيك
بقهوة اليمن ونخيل المدينة وفاكة الطائف ، وأهلها أذكى الشعوب وأقواها اعتمادا
لتجارة حتى ان عوام الحضارة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا المصر علما ونجربة
في بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقايل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة
جديدة من الثروة والعمران ، وتحفظ نفعا من الخطر المحدق بها الآن ، ولكن ذلك
يتوقف على ازالة المداء الذي طرأ على أئمتها في هذا الزمان

اذا زال الشقاق وأدبل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والحجاز ونجد ، زال في
أثره مامنيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ،
واذا حل بالجزيرة ما جمل الله تعالى بدينه في البشر ، عفا بالارزاق والفشل ،
(المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثاني والمشرور)

ينزل الاسلام ويذل ساططانه من رءوس مائر الامم، وتكون تبعه ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها، وما يظن بأحد منهم انه بحسب أن بلاده بأمان من صيغارة الاجانب بوقتها، أو بحررها ودهورتها، اذ لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو منها أو أشدهم منها قوة، وأندع حرا وأصعب وعورة، على انه ليس مثلها في كونه جزيرة أو شبه جزيرة، فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنهم السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والعراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة وايتذكروا جميعا ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام سيأرزالها كما تأرزالحية الى جحرها وتطبيق ذلك على اصار اليه أمر المسلمين الآن ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح، المؤيد لحديث جابر هند أبي يعلى بسند صحيح، وهو قوله عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا هز بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وانما الى كل القوة بالاهتمام والوحدة، فاذا انحد أمراء الجزيرة وأئمتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البصرة والقادر على تنظيم الادارة والقوة وتدير الثروة من أمتهم، وتسابقت الشعوب الغنية الى موادهم أو مصانعتهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم. بل هي على وشك الاحبا اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المقارعة والصدام، الذي يتوقف نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من العرب والترك والفرس والتتر والافغان

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصيرة والدين، من عقلاء العرب وعلماء المسلمين، الذين يتنفسون الصعداء حزناً، ويحرقون الأرم غيظاً واسفاً، كلما صرخ اسماءهم نبأً تقاتل أئمة الجزيرة، للتنازع على بعض الجبال والودية^(١) مع خراب البلاد، وقهر العباد، اللذين يرزلهما الاتفاق والاتحاد، ويزيدها الاقتراق والجلاد، واني بلسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين، أدهوم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الآتية:

- (١) ابطال الحرب والفرو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حلفي ثابت
- (٢) حفظ المالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمناً للرضا بالحدود المختلف عليها
- (٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل ينبع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والحلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولا سيما في شأن الطوائف والجماعات التي تقم الشانر الاسلامية بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية ان يحكم بكفر شخص معين بدعي الاسلام ويقتله بذلك

(١) كعب بن سفيان الذي يتنازل عليه صاهبا اليمن وعسير ووادي طرية الم يروي عنه صاحب الحجاز ونجد

كما ينقل عن بعض الفلاة في بعض البوادي قرب قائل قول أو فاعل عنه بعض العلماء كقرا لدلالته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبله مذهبا ورجع عما كان عليه تابعا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الأمن في البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة إلى إنشاء تلفراف لاسلكي في البلاد ولا سيما عواصمها (د) إرسال كل حكومة مبعوثا إلى عاصمة الأخرى يكون وكلاهما عندهما كما

هو المهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الأخرى (٦) بمد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلقي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. وإنا متى رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد شروها في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا إليه جميعا قبل أن تشد الحاجة إليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه فن عقلاء الأمة المرئية في سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمي الأعاجم بمدونهم بآرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون إليه في ذلك وفيما يترتب عليه من إيجاد وسائل التروية في البلاد فيأبها الأئمة المتبعون في بلادكم انكم تعلمون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما ينطاق بأمر البلاد وأهلها، واملكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام شعبكم المرابي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الإسلامية الأخرى بأمركم وما يقولون عنكم كما بلغهم شيء من انباء اختلافكم وتقاتلكم، وما يتمنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يمدونه من اسباب معادتهم، وما يكبون اليوم في تاريخكم، مما ينشر قريبا في مسرركم، مصححا لما تنشره الجرائد عنكم، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون ان اتفاقكم خير لكل منكم وان بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب غايكم وعلى شعبكم وأمتكم ومنكم (فتقوا الله واصابوا ذات دينكم) رسالة على من تبع الهدى، ورجع للمصلحة العامة على الهوى

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر ونقضي لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بمقدار ما يحرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حديق فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها المعاني شرف منزلتها وحسن طالعها ، أو تأخذ منها الالفاظ متانة نسجها وصفاء ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المعنى صناعة التخيل ، وهي الغرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصفحات متحرراً أسلوباً لا يشككي منه القارئ طرلاً ولا قصراً

ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يرجوا على مكانه ، أو صعب عليهم مرآته فلم يسوسوه بفكر ثاقب وبيان فاضل ، فإن كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توغلوا في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ، ومن بعدهم نفوذوا في مسالكه الفاضلة واسلمهم ذرقاً في نقد معانيه وتمييز جيدها من رديئها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه الموثقة في فنون شتى فاستخلص بقدر ما تسمح به الحال لبابها ، وأولف بين ما تقطع من أسبابها ، ولا تجديني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أعتد بناصيته أو أثبت خلاله أو أضع في ردفه جهلاً تلبسه ثوباً قشياً أو تفتخ فيه روحاً كانت هادئة

الشعر

يمرّف العربي في جاهليته كما مرّف بعد أن نزل اليه العلم من كل حذب أن الكلام ينقسم الى شعري ونثري . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لا يحشو عليك الالفاظ جزافاً مثلاً يفعل النادر ، وإنما يلقيها اليك في أوزان تزيد في روتها ، وتوفر لذلك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام متقن موزون . وهذا مثل من يشرح لك الانسان بأنه حيوان يادي البشيرة منتصب القامة . فكل

ما قصر تعريفه على ما يدرك بالحاسة الظاهرة ، ولم يتجاوزها الى المعنى الذي تقوم
الحقيقة ويكون مبدأ لكمالها ، وهو التخييل في الشعر والنطق في الانسان
فالروح التي يعدها الكلام المنظوم في قبيل الشعراء هي التشايب والاستعارات
لامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخييل . وليس
زن سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسميه
رب شعرا الا عند تحققه ، واطلاق الشعر على الكلام الموزون اذا خلا من معنى
متعارفه النفس لا يصح الا كما يصح لك أن تسمي جثة الميت انسانا ، أو تمثال
لهيوان المقترص أسدا

والمنثور من الكلام يشارك الشعر في اشتماله على الصور الخيالية ولكن نصيب
شعر منها أوفر وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخييل وهو مالا يتوخى به
ماحبه وجه الحقيقة ، وإنما يقصد به اختلاب العقول ومخادعة النفوس الى التثبت
فبرحق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحك على جذوة من الحقد
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض المزايا ينتسب الى بعض
لحيث ترى حقدا على ذي إساءة فثم ترى شكرا على واسمي القرض
وقال آخر — بزین لك أن تدرج نفسك في كف الدل وتواربها في
حفرة من الخول

لقد بالخول وعذ بالذل متصفا بالله تنجو كما أهل النهى سلموا
فالرجح نعلم ان هبت هراصفها دوح الثمار وينجو الشبح والرم
ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخييل أطلق بعض المشركين من العرب
على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليلقوا في أوهام السذج أن كلامه من
نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال المموهة والتخييلات الباطلة
فهم يملكون أن القرآن بريء من النزعة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل
في لباس الحق ، لأنه إنما ينطق بالحكمة ، ويجادل بالحجة ، ولا يخفى عليهم أنه مخالف
للشعر في طر يقتهنظامه ، فإن للشعر هروضا يقف عنده ووزنا ينهي اليه ، والقرآن يصوغ
الموعظة وينفق الحكمة بغير ميزان ، ولكن ضافت عليهم مسائل الجدال وانسدت في

وجوههم طرق المعارضة ، فلم يبالوا أن ينشثوا بالدعوى التي يظهر بطلانها الاول رأي ، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في انفسهم انه بلغهم قولاً واقوام حجة وأنطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي وافقت بعض الاوزان فهي على بطلانها من بهرج النخيلات لأنجد الموافق منها لموزون قد استقل بنفسه وأفاد المعنى دون أن تصله بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن يسميه شعراً ليقدر به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينقسم التصرف في الممانى على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى تحقيق وتخيل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتضافر العقلاء من كل أمة على تقريره والعمل بموجبه كقول المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فمعنى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضعوه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة ، وكذلك اتخذوا الأمراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياحتهم ، ويستندون إليها في حماية شعوبهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الأمم إنما تنظم بالوقوف في وجه من يتهاوت به السفه على هدم شرفها والاصنثار بحقوقها ؟

والتخييل هو الذي يرده العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اما هل البدية كقول بعضهم

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فكل احد يدرك لأول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تأنطق ولا تخدم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيما من قبل أن يصير المدوح شيئاً مذكورا

أو بعد : نأثر قليل كقول أبي تمام

لا تنكري مظل الكريم من الغنى فالجبل حرب له مكان العالي

أعني الحاجة في صدر البيت عن انكارها لفافة الكرم وفراغ يده من المال
 وأخير في المعجز بأن السبيل لا يستقر على الأماكن المرتفعة . وهذا المعنى في نفسه
 صحيح ولكن الغاء في قوله « فالسبيل حرب » أفصح بأن السبيل في عدم توفره على
 الدنيا لدى الكرم هو كون الماء إذا وقم على الأماكن العالية لا يلبث أن ينحدر إلى
 ما انخفض منها من وهاد وأغوار ، وهذا إنما وصل إلى الذهن بتخيل أن رفعة القدر
 بمنزلة المكان الحسي وإن المال بمنزلة الماء الدافق ينساق إلى الرجل فيقضي منه وطره
 ثم يرسله إن شاء إلى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكرم لا ارتفاعها جعلت
 المال يمر على يده ثم ينطلق بالبذل والاتفاق يستند إلى أن الماء لا يتجمع على ما صعد
 على وجه الأرض من أكمت وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخيل لا يجوز في
 العقل إلا ربما ينظر إلى أن السبيل في عدم استقرار الماء على الأماكن العالية كونه
 جرماً ميبلاً لا تماسك أجزائه وثبت في محل إلا إذا أحاط بهجوانه جسم كثيف ،
 وليس للدرهم والدنانير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكرم ثم تنصب منها
 إلى من كانوا أدنى منه منزلة

و يفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عند عدم لا يدخل في
 قسم التخيل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب استمرار البلاغة ناظراً إلى أن المستعير
 لا يقصد إلا إثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبوعه العقل ، وإنما
 يعمد إلى إثبات شبه بين أمرين في صفة ، والتشابه من المعاني التي لا ينافي العقل في صحتها
 التخيل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة أن من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات
 بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسمونها فلاسفة العرب إذا لم تخرج عن
 دائرة العقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فإن تصرف بوجه لا يطابق النظر
 الصحيح سموها تخيلة ، ويقال في عملها تخيل أو تخيل . فمثال ما يأخذ من
 العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر إلى الزرع وخاماته نبحى وقد وث امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التفت إلى ما في حافظته من الصور المناسبة لحياء زرع أخضر بتخلله

شفائق النعمان وقد أخذت الرياح نهب عليه من جانب فيميل الى آخر ميل لا يراى
للمين انه حركة ينتقل بها من مكانه ، فوق خياله على الجيش والملابس الخضراء
والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره ادبارا وانهم زاما ليوافق
حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شفائق النعمان
ومثال مالا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق

قول الشاعر

تري الثياب من الكمان يلمحها نور من البدر أحيانا فيليها

فكيف تنكر أن تبلى ممجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

ابصر ممجر من يتحدث عنها وقد اخلقت فحاول ان يلتبس وجهها بجمل ذلك
الاخلاق من شواهد حسناتها أو بسد فم العاذل حتى لا يغض من شأنها ، فتصور طلعة
القمر والناساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يمج عليها القمر أشمته بسرع
اليها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قمر وبني على هذا أن تعجب ممن ينكر
تأثيره في ممجرها بالاخلاق ، ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهها قمر وهذا مما يالفه العقل
لانه بمنزلة التشبيه ولا مفارقة من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي
للعقل أن يلتفت عنه انما هو دعوى ان ممجرها أخلق بعلة كونه مطلقا لوجهها المسمى
بالقمر على وجه المجاز

ماذا نريد من التخيل ؟

يفهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والتخيلة اسمان لقوة واحدة وهي التي
تصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وانما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال
فعند ما يكون زمامها بغير العقل بسمونها مفكرة وعندما تنفلت منه بسمونها تخيلة
واذا عرفت أن التمثيل والاستعارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فهو
جري طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تصرف هذه القوة
تصرفا تصوغ به معنى مبتدعا سواء أنس به العقل أو نجاني عنه لم يكونوا صنفوا شيئا
سوى تغيير الاصطلاح ودخال القسمين تحت اسم واحد

والإطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث على المعاني الصادقة والتصورات
المعقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بقبضة فإن علماء البلاغة أنفسهم قد اطلقوه
على ما يأتي به البليغ في الاستعارة المكنية من الامور الخاصة بالمشبه به ويثبت للمشبه
فقالوا الأنظار أو إضافتها في قولك «انثبت المنية انظارها» تخيل أو استعارة تخيلية
واطلقوه في النحول فواصل حين تكلموا على الجامع بين الخاتين وتسموه الى عقلي
روهي وخيالي واطلقوه في فن الديدع على تصوير ما يظفر في العيان بصورة المشاهد ولم
يبالوا في جميع ذلك ان يغيروا لها امثلة من الكتاب العزيز وغيره من الاقوال الصادقة
فيسوغ لنا حينئذ ان نساير اصحاب العصر ونتوسع في معنى الخيال والتخيل ولا
تقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة أو علماء البلاغة حيث خصوا بها مالا يصادق
عما به العقل والمخالفة في الاصطلاح مادامت الحقائق قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد
عن تبديل العبارة بغير الاسلوب .

يقول الناس عند ما يسمعون بيتا أو آياتا لاحد الشعراء : هذا خيال واسع أو
هذا تخيل بديع . فيفهم السامع لهذه الكلمات وما يأتاها ان لصاحب هذا الشعر قدرة
على ملك المعاني ومروغها في شكل بديع ، ولو قالوا « ما أضيق هذا الخيال أو ما
اسخف هذا التخيل » فغير الباطل ان السامع قدرة على اخراج المعاني في عزة بركة
يصح لنا ان نأخذ هذا المعنى الذي يحضر في ذهن السامع تلك الجمل
ونشرح به معنى التخييل فيقول هي قوة تصرف في المعاني لتنتزع منها صورة بديعة
وهذه القوة انما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتهم من طريق الحس
أو الوجدان ، وليس في امكانها ان تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للتخيل معرفة بها .
ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قدماء اليونان رمزوا الى صناعة الشعر بصورة فرس
له جناحان وهي صورة انما انتزعها الخيال بعد ان تصور كلا من الفرس والطير بانفراد
وقد يجوز في خاطرك عند ما نمر على قول امرئ القيس

ايقناني واشرفي مضاجمي ومسنونة زرق كأنياب افوال

ان هذا الشاعر قد تخيل لاغوال وانبيها ولم نسبق له معرفة بها اذ لا اثر للغول
وانبيها ولا شيء من موادها في العيان فبلوح لك ان هذا يتدح في قولنا ان الخيلة

لا تواف الصور الا من مواد هرقتها بوسيلة الحس أو الوجدان
والذي يكشف الشبهة ان كلا من القول وانباها صورة وهمية ولكن لم يحدتها
الخيال من نفسه بل اخذ من الحيوانات الفطبيعة المنظر اعضاء متفرقة وانسابا حادة
وتصرف فيها بالتكبير ثم ركبها في صورة رائعة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر
اسم الغول ، حتى ان الناس لا يتفقون فيما أحسب على تصور هذا الامر الموهوم
فكل يخطر له المعنى في أبشع صورة يتمكن خياله من جمعها وتلفيقها
فناية ما صنم الشاعر أن تخيل امرا محسوسا وهي الاتصال المحددة في صورة أمره وفي
نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع
وتعتمد التحيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة
وبعد ان تتراعى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلائم الفرض فتفصل
الخطرات هن أزمته أو امكنتها أو ما يتصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخيل ،
ثم تصرف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأليف بعضها الى بعض حتى
تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

ترجم الاسباب التي تجمع بين المعاني وتجمعها بحيث يكون حضور بعضها في
النفس يستدعي حضور بعض الى ثلاثة أنواع
(أولها) اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد
أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عند ما يحظر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي
وحب أوطان الرجال اليهم ما رب قضاها الشباب هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
أو زمانها كما قالت الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل منيب شمس
وخصت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعملين عظيمين من أعمال صخر
اذ كان يقدو للآفات التي هي مظهر الشجاعة عند مطالع الشمس وييسر لسلام
اكراما للضيوف وقت الغروب

ومن هذا الوجه نشأ الكتابات وبعض أنواع المجاز المرسل أما الكتابات
فلا تها الدلالة على المعنى باسم ما يلزمه في الخارج . وصح هذا نظراً الى ان
حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لازمه في ذهن المخاطب
كقول الحصين ابن الحمام

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أقدم
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء

أراد الشاعر أن يفيد ثباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلتفت بهم الشرع
من الموت الى سبة الهزيمة فعبّر عن هذا المعنى بأن دماءهم لا تقهر على اعتناهم
البتة ، وهذا يقتضي أنهم لا يولون المدو ظهورهم حتى ينالها بسيفه كما ان معنى
قطر الدماء على الاقدام يذهب بالسامع الى معنى أنهم يستقبلون المدو بوجوههم
الى ان ينالوا ظمراً أو يلاقوا موتاً شريفاً

وأما بعض أنواع المجاز المرسل فكاملات اسم الحال على المحل والسبب على
المسبب والكل على الجزء وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى
المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما
في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو
على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الاسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين
فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فمن تصور
الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة انساى اليه معنى
العداوة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه الوصل بين الجملتين ما يقوم بينهما
من التضاد في المعنى وساقوا في أمثله قوله تعالى (ان الارار لفي نعيم وان
الفجار لفي جهيم) وان شئت مثلاً من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشمع لي وانثني وبياض السبح يفري بي

ومن هذا الوجه أيضاً صح لهم ان يعدوا في علاقات المجاز المرسل الضدية

(النوع الثالث) التشابه وهو ان يكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور
خاصة كمن يرى الرجل المقدم فيتصور الاسد ويسمع الانماط البليغة قد تدرجت
في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناسقة في اسلاكها ، وعلى هذا النوع يقوم فن
التشبيه والاستمارة المدين هما أوسع مسمار تتسابق فيه قرائح الشعراء والكتاب

لماذا تختلف الأفكار في تداعي المعاني ؟

تختلف الناس فيما يتداعي اليهم من المعاني الى ان ترى حورا تتوارد على شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لا تتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر ويأخذ بناسيته ولكنني أبحث في شيء آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الأشخاص ، ثم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشمب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدعو لساحبه ما هو الصق بميله وأقرب الى نفسه

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الأشخاص لاجل سببين (الاول) ان الدواعي والمواطف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها في الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني المائدة الى المديح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكآبة والالاف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو العشيرة يستدعي معاني الفخر والحماسة ، فالراهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الاطرار واللقاء ما يسعه خيال الخريس عليها ، والخالى من عاطفه الغرام ، لا يخطر على قلبه من معاني التشبيب ما يخطر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) ما يتفق للانسان في طرز حياته وهو حل المحيط الذي يتقلب فيه فيستوالى على خاطر الناشئ في النعيم والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشئ في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الحاضرة ما لا يحضر في نفس الناشئ في البادية ، وينساق الى خيال الناشئ في شمال المصورة ما لا يدخل في خيال الناشئ في جنوبها ، فالمقيم في شمال أوربا مثلا يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتران واتصال تقه مشاهدته لثلج أو عدم وقوع نظره عليه طول حياته . ولو نظر الى اهللال رجلائ هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فاشأن أن يتداعي الى اول صورة السوار وينتقل منه الى المعصم أو المعياغة ويتداعي الى صورة الثمنجل وينتقل منها الى الزرع أو الحدة (يتبع) محمد الحضر التولوسي

محاربة البدع

تنبيه الرد على المعارض على فتوى شيخ الأزهر

قول الفخر الرازي في اسم الله الأعظم

(١) ذكر المعارض أن الفخر الرازي قال في شرح البسملة من تفسيره ما نصه:
اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجح عندي أن (أه) هو الاسم الأعظم الذي
إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب لا شبهة على سر الإشارة وتكوين الكائنات
وظهور التعليات .

ونقل الحافظ ابن حجر عنه أنه نقل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم
الأعظم ونحن نقل هنا نص عبارته في تفسير الفاتحة في هذه المسألة ليحل الناس أن
معارض المعارض إليه هو خلاف ما ذهب إليه وليعلم المعارض نفسه أن ما اهتد من
كتب أهل الطريق في هذه المسألة لا يوثق بنقلها ولا يعلم أهلها فقول

ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير
البسملة أن الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الأسماء
وأشرفها قل : وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في السنة وهو اسم الله الأعظم
ولو اتفق لملك مقرب أو نبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له
معناه لم يبعد أن يطلقه بجميع عوالم الإنسانية والروحانية . ثم قل :

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بأن الاسم الأعظم موجودا اختلافا فيه على وجوه
وذكر أن (الاول) ذو الجلال والإكرام وضمفه (الثاني) هو الحي القيوم وضمفه (الثالث)
قول من يقول أسماء الله كلها عظيمة لا يجوز وصف واحد منها بأنه أعظم وضمفه (ونقول
أن ذكره موهول لأن التقسيم والأقوال متشابهة لاسم الأعظم والمائلين به) ثم قل

(القول الرابع) أن الاسم الأعظم هو قولنا (الله) وهذا هو الأقرب عندي لأنه
سليم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وإذا كان
كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة اه بحروفه من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بعض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر في سمة الاطلاع

ثم إن الرازي جعل الاسماء الالهية بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساماً فصلاها في أبواب وفصول وجعل الفصل التاسع من الباب السابع (في الاسماء الحاصلة لله تعالى من باب الاسماء المضمرة) وهي انا وانت وهو - عند ما تم في الكلام دالة على الله تعالى - وقد أطل في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكره إحدى عشرة فائدة واستنبط بعد ذلك أن الذكر به أعظم الأذكار ولكنه لم يقل أنه هو الاسم الأعظم ولم يصرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شراً فانه لم يرد في الكتاب ولا في السنة المذكور باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى ، والضمير «هو» ليس من أسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وإنما يدل على ذلك كما يدل على غيره إذا وقع في الكلام ضميراً راجعاً إليه . وبمسن أن نذكر نظريته ونبين بطلانها ومناقصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من أسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال يا كريم كان معناه أكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خالياً عن السؤال والطلب أما إذا قل يا هو كان معناه خالياً عن الأشعار بالسؤال والطلب فوجب أن يكون قولنا «هو» أعظم الأذكار » اهـ

وتقول إن هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليس أشرف الأذكار ما كان خالياً عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث النعمان ابن بشير مرفوعاً وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراء ، وهو على حد حديث «الحج عرفة» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ومعاها أن معظم الحج وركنه الأعظم عرفة ومعظم العبادة أروحوها ولبابها الدعاء . ويفسر

حديث أنس « الدعاء مع العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن الحارث
 قاضي مصر ومحدثها وعالمها وفيه مقال معروف ولذلك جمعه الحافظ مؤيدا
 ذكرناه في تفسيره بعد أن مرّاه إلى الجمهور وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان
 والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رفته « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »
 ولما كان الدعاء ركن العبادة الاعظم ومعظمها ونحوها صار يطلق ويراد به العبادة
 مطلقا كما قالوه في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان
 الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠) والله الاسماء الحسنی
 فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون) أفرايت من
 عمل بهذه الآية فذكر الله داعيا له بلسمه خير أم من ألحد في انصاره يقول هو هو
 هو . أو ياهو ياهو ، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن
 السلف الصالح ، وهي مع ذلك فاسدة في لغة الكتاب والسنة فان الضمير وحده
 لا يصح كلاما بلا يكون له معنى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما
 اذا كان جوابا لسؤال يبرف فيه المرجع بالتقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء
 ولا على ضمير مخاطب الذي يوجه اليه النداء . فلا يقال يا أنت وحرف النداء
 ينقض معنى الدعاء أو النداء ويؤول بالفعل ولذلك جعلوا المنادى من المنصوبات
 وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره
 لما كان ذلك بالذي يصح في نداء الخالق الذي لا يفتب عنهم وقد روى الشيخان
 وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي
 (ص) في سفر فحمل الناس مجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم
 لا تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » والصوفية
 الصادقون المارفون أجدر من غيرهم بملاحظة هذا الشهود والحضور والرازي
 رحمه الله لم يكن صوفيا وإنما ينقل كلامهم وينصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان
 أشرف الذكر ما كان خاليا عن معنى الدعاء لما كان ذلك مستلزما لتسليمه له بعمل
 الذكر بصير الغيبة — على فرض جوازه وصحته — هو المتعين في تحصيل
 ذلك الذكر بل نقول حينئذ ان المتعين ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبعا

ثم دور بأنه اسم علم للذات الواجب الوجود وان جميع الاسماء الحسنى والصفات
المالية تجري عليه ورجح هو أنه اسم الله الاعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم
الجلالة (الله) وتتبع فيه المأثور فنجمه بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل الذكر لا اله الا الله » رواه الترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله . ثم نقول ان
القرآن قد جمل اسم الرحمن مرادفا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى
(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وذكر في عدة
آيات في سياق الضر والمذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناصح
لقومه باتباع المرسلين (ان يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم
لا ييه (اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا) وهذه أبعد ما عن التأويل

نفر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية
ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في
تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا مما تتبعه في تفسيرنا . وانا
نتقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وندائه
بضمير الغيبة وهو قوله في سياق رد قول جهم في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على
الله تعالى من تفسير قوله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو انا نقول : ما المراد من قولك انه تعالى شيء
وذاة وحقيقة ؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود
وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة . وان عنيت به انه هل يجوز ان
ينادى بهذه الالفاظ أم لا فنقول لا يجوز لانا رأينا السلف يقولون يا الله يا الرحمن
يا رحيم — الى سائر الاسماء الشريفة ، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول :
يا ذاة يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه الالفاظ في
معرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى والله أعلم . اهـ

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها)
يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وله يجب على الانسان أن يدعو الله بها
وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا ابتلاحية . وما يؤكد هذا انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ولا ان يقال يا عاقل يا طبيب يا فقيه « انتهى
(المنازل : ج ٢ م ٢٢) (٢٠) (المنازل : ج ٢ م ٢٢)

بضمه ونقول ومثله ياهو ياعوفانه لم يقله أحد من السلف الصالح ولا هو جائز في لغة الدين . وأولى منه بالانكار « أه » فإنه ليس من هذه اللغة وإنما هو من اللغة السريانية كما قيل .

نقول المعتبر عن سائر العلماء

(٥) قد تبين مما تقدم أن نقل المعتبر عن شيخ الأزهر عن صحيحه لم يستدرك الحاكم وعن الفخر الرازي كذب . وبقي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع الصغير وشرح المزبلي له وعن حاشية الشيخ الأمير على متن غرامي صحيح وحاشية الباجوري لأبجهرية فنقول فيه - أولاً - أن ما نقله عن الأولين هو في شرح حديث الأئمة في المرض وقد هاتت أنه لا يصح وفي شرح حديث « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » هكذا ذكر المعتبر ولم يذكر تسمية الحديث وهي « دعوة يونس بن متى » وهذه التسمية تنفي ما يزعمه المعتبر . وهذا الحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن جرير عن سعد وبجانبه علامة الضعف . وأورد قبله حديث « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث صور من القرآن - في البقرة وآل عمران وبنو هود - وعزاه إلى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي امامة وعلم عليه السيوطي في جامعه بأصححة وذكر غيره أن في سنده هشام ابن عمار وهو مختلف فيه على أنه نص في خلاف ما يريد المعتبر أثباته

أما ما ذكره المزبلي في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن الملقم عشر بن قولاني الاسم الأعظم أولها تكبيرة وثانيها اللهم استأثر الله بعلمه والمشيرون الم يعلم باقيها مما أوردناه عن الحافظ وابن فيها أن (أه) منها . وتبعه الحفني في ذلك وأما كلامهم في حديث الأئمة فقد قلنا في شرحه أنه عند قوله « فإن الأئمة من أسماء الله تعالى » الصواب أي فقط آه من أسماء الله تعالى لكن هذا تداوله الصوفية ويذكره به أسراراً ويريد به أنه قبيح من حيث ظاهر

والحفني نقل شرح الحديث في حاشيته على الجامع الصغير (ص ٧٧ من الطبعة الأميرية) فنقل عنه قوله « دعوة يش » أي يأتي بقوله آه . وقال عنه قوله « من أسماء الله » أي من أثر بعض أسماء الله كالضار والقهار فإذا تجل

نمالي هل هبده هذا الاسم حصل له الضرر ، والا فآه لم يرد له من اسمائه تعالى . ه
وأما الشيخ الأمير فاستفتي بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهرية
فقد قال عند قوله « الانين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسم الله دون آخ لما قبل من
انه من اسماء الشيطان . ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صفة التمرض في
كون آخ من اسماء الشيطان . وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار
وبالتصوف على انهم كلهم ذكروا كلمة « آه » بالمد ولم يذكر أحد منهم قولاً ما في لفظة
« آه » التي يذهبها الممرض فقط كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كلهم
حجة عليه لاله . فإليت شعري هل يرجع ذلك الشاذلي الممرض وأمثله الى الحق
بلمد ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقتة في ذلك باطل عملاً بعنوان اعترافه
(الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الهوى التقليدي وان كان كذباً على الله
ورسوله ومخالفاً لما كان عليه السلف الصالح ومختلخ الخلف في ذلك ٧ .

الرحلة السورية الثانية

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنتي من سوء حال بلاد سورية الاجتماعية والادبية شيء كما حزنتي حل
طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرعت فقد كانت طرابلس خير المدن السورية
في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الهنية ، كما كانت القلمون خير البلاد
الصغيرة في ذلك ، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الانظم (دركنار)
بلاد الدولة العثمانية في الباب المالي كما روي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة
شرفاء ، واتقياء نجباء ، قد ولدت ولله الحمد فيها ، ونشأت في بيت الكرم والمجد لا تلبس
منها ، فكانت من أول الدهر بانه يبرز نرى العلماء والادباء والحكام ولوجهاً تفتش داره
وتعشو الى ضرره ، ورفاه بل كنت أرى فيها الصيغف من بلاد المصطفى . وبين
اختلاف ملهم ومداهم ، وكان مسجدها عامراً دائماً باقامة شعائر العبادة وقرعة

درون المسلم والوعظ ، وقد عشت ما عشت فيها ولم أر أحدا ارتكب فاحشة أو
 شرب مسكرا أو أتى منكرا إلا ما كان ينسب إلى أفراد قلائل من ارتكاب سرقة
 الفاكهة أو الزيتون واللبون وما كان يقع بين بعض المتخاصمين والمتنازعين من
 التضارب بالأيدي أحيانا وبالمدى زدرأه وقلما رأيت شيئا من ذلك بعيني . وأنا قد
 شجيت فيها وأنا أعتقد أن الدين يقترون كباثر الأثم والفواحش في الدنيا أفذاذ
 قليل عددهم في كل مكان وأكثرتهم في المدن أو الوادي . إن ذلك كنت اجتنب
 معاصرة أكثر الناس في طرابلس عند ما كنت أطلب العلم فلهذا على ما ذكرت من نظراتي
 على قهرها ، حتى أتى إلى اليوم لا أعرف جميع أسماء الذين نصبت معهم في
 الطوال في المدرسة . وكانت مدارس العلم يومئذ عامة وطلابه كثير عني العشرة كانت
 درر أهل العلم والأدب أندية وممارا تكثر فيها المطارحات العلمية والمساجلات الأدبية
 ولم تكن الحر مرفقة في شيء من ملاحب العامة (القهاري) ولا الرقص ، وكل ما كنت أعلمه
 في هذا أن في حارة النصارى ملهى في سنان اسمه الزهرية يشربون فيه الخمر ويختلف اليه
 بعض أهل الدعارة من المسلمين ، ولكنني لم أر في أثناء إقامتي فيها الطلاب العلم من
 السكاري الأعبدا أسود وشباب رطينا من فقراء الدوقة يبيع الخمر المملح والندس بالسكوة
 وأما ندم أحيانا بعض أخبار القهاري من المنكر من عليهم والتدخين فيهم ، إذ يطلب
 عليهم القهاري ويدرفهم الشباك ، كما جناح بعض أهل الدعارة في مجالسهم الخاصة في بيوتهم ،
 هل مائدة الخمر أو شربها على مائدة الطعام ، وأما كل يعمل هذا من المسلمين أكثر
 الموظفين من الترك حتى بعض قضاة الشرع . وكان هؤلاء الموظفون يعرضون على
 اغواء وجهات المسلمين الذين به شربهم وغرائهم بالشرب معهم كدأب أهل السكر في
 كل مكان ، وقال من كان صاحب لهم من قهرهم أو مودتهم ولو يقبل الكأس
 من أيديهم مرة واحدة ، ومن طرفة في ذلك ، سمعت في ذلك من أحد القضاة في أحد
 سائر الدرس العريه بمكانه من طرابلس ، قال : سمعت في ذلك من أحد القضاة في أحد
 إذا في شربهم بعد ذلك ، لا تترك شيئا من ما لا يسكر إلا كثيرا كثيرا
 فقلنا له تلك شدة بعض القهاري في قهر الذي كانوا يسمونه سيدا والحق أن كل مسكر
 فخر يحرم قبله ولا يشربه كما ثبت في النص ، القوي بغير قياس والخير والمسلم

واذ كنت أكتب مثل هذا الاعتبار به وليكون تاريخا تعرف بمثله أسباب التطور
الاجتاهي في البلاد فاني اذكر واقعة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به
الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به وهي بين مدحت باشا الوزير
الشهير ودرويش افندي الشنور

كان درويش افندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية المناز في مصره
بالعلم بالقوانين وحسن الادارة والتصرف في حل المشكلات، حتى ان أمور ادارة لواء
طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء، وهو عضو في مجلس الادارة رأيه فيه
بحكم القانون كراي غيره من الاعضاء، فكان أصحاب الحاجات يولون وجوههم شطر
داره دون أمثاله من الاعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة
الداخلية الى من دونه من رؤساء الادارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالادارة
كاخذ المسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ أحد الا برأيه —
لذلك كان له حساد كثيرون فلما جاء مدحت باشا واليا على سورية كثرت السعاية بدرويش
افندي الشنور لديه الذين يزعمونه بالاستبداد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من
رجال الدولة امرا ولا عملا في لواء طرابلس وانه هو نفسه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي
ولا قدر علي في ذلك اللواء الا باخراجه من مجلس الادارة وجعله جلس يته ، وقد
أثرت هذه السعاية في نفسه، فلما جاء طرابلس في دورة التفتيش المعتادة كان استقباله
لدرويش افندي استقبال المرتاب المختبر فلما سمع كلامه أحب الخلوة به فسمع منه من
الانباء والآراء ما أكبره في عينه، وأحله في أعلى مكان من الثقة به ، والكلام يظهر
العلم والعقل والرأي (فلما كمل قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع
مفارقة الا وقت النوم ، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كما كثر رجال الدولة وكان
درويش افندي لا يشربها كسائر وجهاء طرابلس ولا سجا أصحاب الزي الطلي
أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حمله على الشرب لتطيب له معاشرته ولا يرى نفسه
صفيرا أو حقيرا في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه لتحر به
وقد كان مدحت باشا مسلما محترما لدينه كما يقال ولكن السكر بلاء فلما يستطيع تركه
من ابتلي به — عرض لدرويش افندي أولا قبالة وأعرض كانه لم يفهم مراده .

فكاد له مكيدة سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته : ذلك أهم ما كانا في منزله من
منزهات ضواحي المدينة اسمه (بركة البداوي) فطالب الوزير الحرة فأخذ لنفسه
كأسا وناول درویش افندي كأسا أخرى وقل له نشرب على اسم مولانا السلطان
الاعظم فأخذ الكأس درویش افندي وقال على البراهة : كأس من يد افندينا مدحت
باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لا ينبغي أن تصب في الجوف وتخالط
القدر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاهجب مدحت باشا
بمذه البداة والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه .

هذه الحالة التي كانت عليها طرابلس الى عهد طايي للعلم فيها وهجرتي منها هي
التي ضاعفت آلامي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، وممر يان عدوى
المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الانمادية
ثم كان لفساد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في استئثار فساد كميناه
في النوبة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت
ودمشق في الحالة العلمية والادبية الاسلامية فقد خلت من تلك الحلقات الواصلة
من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسمار التي كانت آهلة بأهل الهبة والوقار من العلماء
والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آرائهم تضطر القرباء من حكاهم
وغبرهم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبراءه . وكذلك كان شأن شيوخ
أهل يقتضا في القلاءون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان
يحضرها كبير أمرتنا السيد الشيخ أحمد هم والدي فقد كان أوجه الوجهاء من
علماء طرابلس ورجال الحكومة وغبرهم يجلسون لما كان عليه من الجدة والوقار والتقوى حتى
إنه لم يكن أحد يشذ في جلوسه ولا في ضحكه ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال
والادب الشرعي ، وقد انهم رجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدمة أمه أو كان ممن
يترددون على القلاءون مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يترأى امامه طول حياته ،
وماذا أقول من صاحب تلك الشدة الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصرين الشيخ عبد
القاسم الزعبي تقيب أشرف طرابلس وخطيب جامعها الكبير الى اليوم : آخر من أدركنا
من الصديقين عمي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هنالك استطيع تلمذ النظر في وجه

أحد متهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاما أمرد وقد شذ في حديثه
معي تاجر في طرابلس يقول لا يعد منكرا شرعا إذا حدثت فيه النية فتركت الشراء
منه والنظر إلى دكانه بل المرور أمامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من المتكلف في
الاناء والسلام والقعود والقيام وأول من ترك عادة الجلوس على الركب في بدء الجلوس
معهم وإن فعل ذلك بهن كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن إن مجالسهم كانت
خيرا من مجالس أكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم العالية
لا المتكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضع عليهم
ذنوبهم ودينهم فيكونوا من الأخسر من أعمال الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

أصيت طرابلس بالمقيم من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم
والرشد للشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الفتى الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي
والشيخ عبد الله الصفدي ودرويش أفندي الشيبور والمفتي مصطفى أفندي كرامي
الذين أدر كناهم في شيخوختهم ، ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة
والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود أفندي المغربي والمفتي رشيد
أفندي كرامي والشيخ خليل صادق الدين أدر كناهم في كهولتهم

وأما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسمهم علما وفهما وإفادة الشيخ محمد
إبراهيم الحسيني وقد جعلت مدينته قيته فلا ينتفع به إلا أفراد قليلون من بقايا
الطلاب ومنهم الشيخ محي الدين الحفار والشيخ عبد اللطيف نشابة وأفراد آخرون
من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس واجتنبوا
الكتابة والتصنيف ومنهم من يشتغل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم
ولم أرى في هذه الزورة لطرابلس أحدا من رفاقي لا يزال مغرما بالمطالعة والكتابة إلا الشيخ
محمد رحيم والشيخ عبد المجيد أفندي المغربي ، وليس لأحد منهما ولي في عمله ولا ظهير
وأما القلمون فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم إلا عمي أبو عبد الرحمن عامر
فهو يقرأ دروسا في مسجدنا في بعض الأحيان لمن هباه يوجد فيه ولكنه في هامة

أوقاته . منزل الناس لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجماعة وقد انقضى ثلثا أهل القرية وحال الباقيين شر مما كانت عليه ، وقد كذبت قبل الهجرة الى مصر اقرأ لهم التفسير ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وغير ذلك من كتب التوحيد المواظف والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجراً على المجاهرة بالفواحش وارتكاب منكرات السلب والذهب يستعين على ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار الكيرون فيها بمجاهرون بذلك ومنهم من يذهب الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمر فيها ولكن يثقف بعضهم لتدارك الخطر كما بيناه في البند الثالثة التي قبل هذا من الرحلة ، فليحفظ الناس هذا وليتفكروا عاقبة هذا التفسير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عليهم ويحطهم خيراً مما كان عليه سلفهم ويغير ما بهم الى خيراً منه

تصحیح غلط في الجزء الاول

بيننا في ص ١٠٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنار وقانا ان الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات تامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم يفصل بينها ، وحذف هل يحذف يمرق بالقرينة . وزيد هنا أن منه حذف في السطر ١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولازمة) وهو نعمة الآية الثامنة من سورة التوبة الى قوله (ولازمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكما وضعنا في هذا الموضع نقطا لتدل على الحذف فترك في الطبع سهوا . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والحذف منها اضطرازا ترتب عليه ما ذكر

ووقع في السطر ١٦ ص ١٠ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢) وسببه في الاصل أن آية يونس سقطت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة الانعام فصارت آيتها بعد عدد سورة يونس ويكتفى الآن بتغيير الرقم . وفي ص ١١ ص ١٣ (دبروم - وصوابه ثم يوم) وفي ص ٢٦ ص ١٣ أيضا تقديم عليهم على حكيم في الجملة القرآنية وتفسيرها والصواب عكسه (حكيم عليهم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به

أَوْفَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

المجلد الثاني

فَقَرَّ عَادِي الدِّينِ يَسْتَمُونَ الْقَوْلَ فَيَنْعَمُونَ أَمَّنْهُ
أَوَّلُكَ الدِّينِ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأَوَّلُكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

١٣١٥

حَدَّثَنَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنْ لِلْإِسْلَامِ صَوِيٌّ « وَمَنَارًا » كَنَارِ الطَّرِيقِ لِلْإِسْلَامِ
مِصْرَ ٣٠ جَادِي الْأَوَّلَى ١٣٣٩ - ١٩ الدَّلُو (ش ٢) سَنَةِ ١٢٩٩ هـ ش ٨ فَبَرَايِرَ ١٩٢١

فَتَحَاتُ الْبَابُ الْبَتَّانُ

فَتَحْنَا هَذَا الْبَابَ لِاجَابَةِ أَسْئَلَةِ الْمُشْرِكِينَ خَاصَّةً إِذْ لَا يَسَعُ النَّاسَ عَامَّةً، وَلَشَرَطَ عَلَى السَّائِلِ أَنْ يَبَيِّنَ اسْمَهُ وَلَقَبَهُ وَبَلَدَهُ وَعَمَلَهُ (وَظَيْفَتَهُ) وَلَهُ بِمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَرْمِزَ إِلَى اسْمِهِ بِالْحُرُوفِ أَوْ يَمُرَّ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَلْقَابِ إِنْ شَاءَ . وَانَّنَّا نَذْكُرُ الْأَسْئَلَةَ بِالْأَرْتِيبِ غَالِبًا وَرَبَّمَا قَدَمْنَا مُتَاخِرًا لِسَبَبِ كَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَيَانِ مَوْضُوعِهِ ، وَرَبَّمَا أُجِبْنَا غَيْرَ مُشْتَرِكٍ لِمِثْلِ هَذَا ، وَلَمَنْ مَضَى عَلَى سُؤَالِهِ شَهْرَانِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ يَذْكُرُ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ كَانَ لَنَا عَذْرٌ صَحِيحَةٌ لِإِغْفَالِهِ

حَقِيقَةُ التَّصَوُّفِ وَمَكَانُهُ مِنَ الشَّرْعِ

(٣) مِنْ صَاحِبِ الْأَمْضَاءِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

إِلَى فَضِيلَةِ مَوْلَانَا وَرَاشِدِنَا السَّيِّدِ رَشِيدِ رَحْمَةٍ

وَقَعَ نَظَرِي عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ الدِّيفِيَّةِ فِي بَلَدِي الْمَسْمُومِ بِالسَّيِّدِ لَاوِيْنِ عَمَّا مِنْ

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له قوانين ونواميس غير ما بينته الشريعة
المحمدية . وإذا كان هو ما جاءت به الخيفة فما الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه
وان كان مخالفاً فمن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المخترع تلك الطرق
التي توصل إلى الله (كما يبرون) وامري إن صبح هذا كان لله طريقان طريق
بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى إليه بعض عباده المهتدين
وأما دعائي إلى سوء الكم والامتناع بما راكم ما أخشاه من كسوف شمس شريعتنا
في ذلك الاتفاق (أفق الصوفية) فإني أرى من يفسرون إليه ويدعونه قد ولعوا بمقتضياته
وشغفوا بها حتى أنسهم الأذكار والأوراد التي يتغنون بها في الساجات والأنحاء
ومبالغاتهم في الشيوخ والأولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد)
وهذا طبق ما أراه فريضة في بعض النفوس من الشغف بالكلمات وربما صعبت ذيول
النسوان على الواجبات فشا منها لأصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا إلى أن
وجب عليهم ما ندب إليه الدين وزجأ منها بهم إلى زمرة المقر بين الذين امثلوا وأمضوا
أوامر الدين

وان سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم إعادته باختصار وذلك كما أنه لمون لقرب
عمدنا بالانذار لازائهم . صادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

مدرسة القضاء الشرعي

[الذار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفياً أي أحد أفراد
الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الأقوال في المنسوب إليه أنه الصوف لانهم كانوا
يلتزمون لبسه وقيل انه كلمة صوفة أو صوفي اليونانية ومعناها الحكمة وذهب الحافظ
ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس أنه نسبة إلى صوفة وهو لقب الغوث بن مر بن أدد
ابن طابخة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر هذا العرب أنه أول من انقطع إلى الله تعالى
لعبادته هند بينه الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل
منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة وهي الافاضة
منهما فكانت لا تفيض منهما حتى يفيض صوفة فإذا حانت الاجازة تقول

« أنجزي صوفة » وكان سبب هذه التسمية أن أم الغوث كان لا يعيش لها ولد فذرت لثن عائش اتطفن برأسه صوفة ودجملته ريط الكعبة، فنملت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - نقله عن السائب الكلابي

قال الحافظ المذكور: كانت التسمية في زمن رسول الله (ص) إلى الإسلام والإيمان فيقال مسلم ومومن ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة نفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي لخصناها عنه آنفا. ثم قال في تاريخه ومبدأه: هذا الاسم ظهر لأول مرة قبل سنة متين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والأخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أن أوائلهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تأييده أن صدمهم من العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطلقوا صباح العلم مخبطوا في الظلمات فمنهم من غلب في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الخلق، ومنهم من أغري بتعذيب النفس بالجوع والعمرى والفقر الاختياري، ومنهم من غلبت عليهم الخيالات، حتى قالوا بالحلول والانحاده وكانوا يبنون بالظافة والتطعم في الطهارة. وراجت عليهم لفظة العلم الأحاديث الموضوعة. وذكر بعد هذا قصائدهم وما فيها من الغلو في الدين والأحاديث الباطلة. ثم انتقل إلى بيان ضروب التلبس عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأمل وأطال في ذلك. وكتابه هذا جدير بأن يعطى

ولشيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرها في ج ١ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة على حديثها لتعميم نفعها. وقد ضمت فيها القول بنسبتهم إلى صوفة لأنها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام رجع نسبتهم إلى الصوف وقال إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقال إن أول ظهورهم كان في البصرة لأنه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهيرية . وذكر بعض أحوال الصوفية ووزنها بميزان
 الشرع وسيرة السلف الصالح كعادته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم
 بين ذام يرميهم بالابتداع وانطروج عن السنة وبين غال يدعي انهم أفضل الخلق
 بعد الانبياء ، وان الصواب هو الوسط وهو انهم كغيرهم من الطوائف مجتهدون فمنهم
 ظالم لنفسه ومنهم متقصد ومنهم سابق بالخبرات باذن الله ، ولكن انشعب اليهم طوائف
 من أهل البدع والزندقة ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث
 بعدم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك وبأكون فيها ما وقف
 على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همهم تقليد في اللباس والآداب الوضعية ،
 ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في
 مقدمته ان لم يكن قرأه فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاستاذ الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان
 حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ
 أجملناها في ورقين مثل أوراق المنار . لمقصدها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد
 في الدنيا والعمل للآخرة برياضة النفس وتزكية الارادة والاخذ بالمعزات ومحاسبة
 النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وهمايتهم الوصول الى تَجَرِيدِ التَّوَحِيدِ وَكُلِّ
 المرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالهم من لبس منهم غشا وتلبسا ، ولبس لباسهم من
 تناقض حاله حالهم دعوى وتقليدا . وان رياضة النفس وتزكيتها تثمر للصادق فيها
 علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأمرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة
 ولا معروفة لغير أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشفاء
 مريض وتنفير من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها)
 معرفة بعض الأمور من غير طريق الحس أو الفكر وهو مايسمونه المكشف (ومنها)
 الفوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعللها الخ
 ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق المسلمين اليه قدماء الهند والصينيين
 واليونان ، وقد مرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشعائرهم وشاراتهم (كالسج والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطاعة الأذهان لكل ما يأمر به السالكين شيوعهم وإن كان منكرًا وعدم الإنكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تقصد بهذا التعاليم افساد دين الاسلام وإبطاله وإزالة ملكه بالدماس التي وضعا عهد الله ابن سبأ اليهودي وجميات المجوس السرية التي بثت في المسلمين دهوة الغلو في التشيع لآل البيت والطمر في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي لتمكين تلك الجميات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم الذين أزالها العرب بالاسلام . ولولا هذان الاصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لأن أصل طريقها تزكية النفس بالمعمل والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالعزائم وبحماية النفس حتى على الخواطر ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف ومن قواعد الاسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة انه « لا طاعة في معصية الله الطاعة في المعروف » وهذا اللفظ من حديث مرفوع في الصحيحين رغبهما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لرؤس (ص) في آية المبابعة (ولا يعصينك في معروف)

ثم بينا هناك أنه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً ورداً بعد بيان أن الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب الصوفية قسبان - ما أخذها الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للنقطة والشرع - وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صفتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والنقطة يرغب (النار ج ٣) (٢٣) (المجلد الثاني ، والمشرقة)

في بعض المباديات المبتدعة مستدلاً عليها بهذه الأحاديث الروائية أو الموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرها الغزالي
في الأحياء مستدلاً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقهاء الشافعي من الغزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافعي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حرر بها المذهب كما قال فيه وفيها بمضمون

حرر المذهب جبر أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الغزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر عمره (ونصت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيته واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . ومما أخذوا فيه بالضعيف الراهي — وهو
أكثر — دعاء الوضوء قال في المنهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافعي تبعاً للغزالي . واعتذر النسخ الرافعي شارح المنهاج
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضراً لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد عن طرق والضعيف يحمل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيما له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنة — هذا ما أذكره عنه
بالمعنى وذكر أن والده الشهاب الرافعي اعتمد دعاء الوضوء — وأقول ان النووي
نفى ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي عن طريق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة عباد بن صهيب ، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري وقال أحمد
ما كان بصاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه إلا هذا لشي
الحال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المالك عن المعاهير حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . وصاق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروي عن حميد عن أنس
بغير طویل في الذكر على الوضوء باطل الخ

أقتصر على هذين الشاهدين من لائح بالأحاديث الموضوعة والرواية المنصوص
 القتها فيهم ما وهم الذين يمول الجمهور على كلامهم ويرجعونه على كلام سائر العلماء فيها اختلفوا
 فيه لانهم هم الذين اتدبوا لتحرير فقه الأئمة الذين يدهي الناس تقليدهم وكانت
 الأحكام بحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى لامنها حتى صار جماهير المتفسيين الى
 طرق الصوفية ينتمون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي - وهو العارف بر به العالم
 بدينه العامل به - لا يقلد احدا . وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حتى ترجع أقوالهم على
 أقوال المفسرين والمحدثين ، بله الصوفية والمتكلمين ، كما صرح به ابن حجر الهيثمي
 في الفتاوى الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث
 وصحة سلف الأمة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليعينوا لهم حكم الله
 ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء
 في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول
 بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم ما صح في التفسير ومن سنة
 الرسول (ص) وصحة السلف وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الأحاديث وقد يحكمون
 بالقياس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المتعينين الى مذاهبيهم وإن لم يعرفوا
 لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد أعطوا الله شغلين
 بكتبهم سلاحا يحاربون به نصوص الكتاب والسنة اعتذارا بالتقليد فكل كتاب ينتمي
 مصنفه الى مذاهبيهم يحتاج به عندهم ويحمل بما فيه ولكن لا يجوز الاعتداء عندهم
 بالكتاب ولا بالسنة الا من هداه الله ووفقه يوم تغفل أمة من أمم الرسل عن دينها أبدا
 من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وترقيقه الحفاظ لتدوين السنة لتذر الإصلاح
 ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق لنا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بسطناه في
 الكلام على فتوى شيخ الأزهر في انكار بعض البدع وما فصلناه في الفتوى الاولى
 والثانية من جزئي المنار الذين قبل هذا

وجهة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين
 استعملوا بحقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسم في

علم فجاء فيه بما لم يجي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتفقوا على العلم بالاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وامرارها بطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا فرض الدين ومقصده فان كانوا قد فعلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ما ينكره الاسلام قائمكمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا المصير من المتحليين لطرق الصوفية فهو منهم الى أحد مذاهب الفقهاء والمكالمين فليرصلاح حال المشتغلين بعلم الفقه لا يمكنهم إصلاح أهل الطريق وأنى يصلح غيره من لم يصلح نفسه؟ وأنى يصلح نفسه أوفيه من اتخذ علم الدين حرفة للارتزاق به فهو بخدم ويطعم من يستعد أو يظن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فيما يضر ملته وأمته ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتاباته القوانين أكثر مما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبعضها بدع تهاوى به الصاقلات بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأصلها من مخالفة الكتاب والسنة فيما لم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علمي الكلام والفقه بشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي نزلت الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالأدلة النظرية الفنية التي كانت ألوفة بالشار كتاب الفلاسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في المبادئ والمعاملات لايضاح ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته ببعضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديب والآداب المنصوصة فيها أو المستنبطة منها والمفصلة لما فيها من الاجمال . وقد قلنا آنفا ان ما وقع في كتب الصوفية من المخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيريتهم وقع مثله في

كتب المتكلمين والفقهاء . يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين اتزمو تقليد مذاهبهم ويجهلون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بتأويل أو غير تأويل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلمين ويؤولون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين بحسب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من سلوك الطريقة تنوقف على هذه الطاعة موقفا لا دائما وأن كلامهم في الحقائق رموز لا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقضية أو بجعل التشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية ومنها ما احتجوا له بمباراة من حديث صحيح يردون بآقيه المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد أورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨١ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بعد هذا الفصل فصلا آخر في تحريم الألقاب والحكم في دين الله بما يخالف النصوص وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر اجماع الفقهاء على ذلك » وقد أورد في هذا الفصل ٧٧ مثلا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بغير الصحيح أو بالتشابه ، وقد ذكر في الوجه الثامن منها بعض شبهاتهم ورد عليها باثني وخمسين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المنتحلين لطرق التصوف والمنتحلين لمذاهب الفقه لا تزيل بينهم ولا تميز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من علماء السلف كالشافعي ، ولا أولئك على هدي أئمة التصوف كالجنيد والشاذلي وأمثالهم من عباد السلف . فخلق أن جميع الفرق لها حسنات وسيئات (ثمة من الاولين وقليل من الآخرين)

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعلا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم الشرع ، والبلاد ذات الحكومة الاسلامية على قلوبها بعضها شديدة التعصب المذهب معين كالبلاد الافغانية المتعصبة لمذهب الحنفية وحكومة اليمن المتعصبة لمذهب الزيدية فمذان لا يرجي أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستحالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذاك - وبمضها شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لا نعرفها ابلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وان كانوا متممين الى مذهب الامام أحمد فلا نعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل ما ثبت في الكتاب والسنة وميرة السلف الصالح وتدهو اليه. وترد ما خالفه وان قاله أو كتبه حنبلي. مثلم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال و منهم من يكفرهم كما يرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد. وأي بلاء أشد على الاسلام من هذا ؟ واذا قبض الله لهذه البلاد أن ينعم فيها العلم قائما بحبي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم يتجدد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ. قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعا « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ وبأرز بين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها » وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصاحون ما أفسد الناس بعدي من سني » رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عاد الاسلام غريبا كما بدأ حتى صار المسلم الحق المحيي للسنه قريبا مطاونا في دينه ، فاذا قوي هو لاء الغرباء الذين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعتزوا بعد ضعفهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدئه فان غربته تستنبح المجد والمزة لله ولرسوله وللمؤمنين آخر كما استنبهته أولا

لأنحاد السبب

ان العالم الاسلامي ايثن من ضعف دينه وامتهان شمو به بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمتحلبين اعلم الدين ومن جهل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقمودهم عنها حتى امنهوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

ولم يبق بأيديهم من مصلح لامة شئ يعتد به بل وطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بعدم مشاركة غيرهم حتى ما بحث فيها - وأنه سيضطرون لالازهر وأمثالهم من معلمي سائر الافطار الى اصلاح الذي كانوا يقاتلون به وأنما يضطرون الى ذلك باحققاره لما هم عليه اليوم اذ قرب ان يزول ما كانوا يمتزون به من اتباع السواد الاعظم من اموالهم وتقيلهم لا يدريهم ومواساتهم بالهدايا والصدقات والوصايا في هذا كانوا اذا قام فيهم مصلح كالسيد الافندي الحكيم والاستاذ الامام همسوا في آذان هؤلاء العوام : هذا منزلي هذا فيا سوف هذا كافر يريد ان يفسد عليكم دينكم ، فحافظوا على تقاليدكم وموالدكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ النعم - التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من اكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا ما لم يتول من مشيخة الازهر - اضطرب القطار المصري واهتز العالم الاسلامي كله اوت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت اولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشمر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لامة وملكه

سبقت الهند ومصر وسورية والحجاز في احياء السنة على وعملا وقد تمهدت العقبات امام مصر وبدأت ملامح الإصلاح في نابذة الازهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المماضة والمقاومة لها وحينئذ نجد من طلاب الإصلاح الديني والديوي أهوانا وأنصارا تبحرنا ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الإصلاح الاسلامي الديني المدني وبفاهر صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان يك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبل من كان مأى (١)

ونبتت من غرسه نابذة - سلام السدع وترأب الثأى

وترفع لهم عن المهد أو يعود جهر الصب حب كاشا (٢)

(١) مأى بالغ وتعمق أي بعد عن طرق المتأخرين المتشككين المتعمقين في مباحث عبارات الكتب (٢) أي الى أن يعود جحر الضب الذي دخلوا فيه باتباع سن =

إذا ينال وهو قد أشفى الشفا من مفضل بات به على شفا
 تمت ولي المصلحون شطره بدونه من كل فج ورجا
 ماوردوا حباصه وصدروا الا يفيضون علوما وهدى
 فاحبوا الاسلام في انفس من داناهم بهجره صرف الردي
 فساد أهلا الى وطنه من قرية طال بها عهد النوى
 وامة ثبتت غربته المجد كما كانت فساد الامر مثلها بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خلف المتصوفة هو من
 قبيل قرقم الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون مريعا اذا
 أيده حكومة اسلامية وبطباطا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون
 التجديد بالاعراف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تفلو
 من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قمار الا وفيه أفراد منها ففي حديث
 ثوربان في الصحيحين وكتب السنن لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق
 لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وفي مناه أحاديث أخرى
 وأهم القواعد التي يجب بناء الإصلاح عليها هي

(١) الاعتراف بالاسلام كل مدعى لا أجمع عليه المسلمون من أمر الدين
 (٢) بث دهره لعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف
 الصالح فيها كما أثبتته دلائل الحديث بالاسانيد الممتدة وترك ما خالفه من أنظار
 المتكلمين وآراء الفقهاء ولا يزيد في أمور العبادات والخلال والحرام على ذلك ولا
 نقص منه ، وقد بينا حجج هذه المسألة مرارا ، وليس معنى هذا ان يكون المحدثي
 بذلك اماما محتمرا بل ان يكون على بصيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم
 وخواصهم مع الاستعانة على فهم النصوص بما فسر بها العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نأمر كل متبع لمام
 من أئمة السلف المحدثين في حكمهم من الأحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي
 من قبلهم واسما بسهولة الحنفية السمجة، اشارة الى حديث أبي سعيد الخدري
 المتفق عليه « لتبمن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعهم » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتمهم »

والصادق والباقر رآة قهها . لا صار كآبي حبيبة ومالك والشافعي وأحد رآة الصوفية كالجليد ، وعلاء الصحابة والتابعين بالاولى . ولا تكفر مساماً مذعناً بذهب ولا بدعة ارتكها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو بتأول . ومتى زال التمهيب تكون المظاهرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاحترام واتقوا الشقاق والتفرق بين المسلمين ، ويتبع دعاة الاصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . يعني النبي (ص) فلا يتبعون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا لجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عليه فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والآخرين به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر فتنه فلما يسلم عالم مجتهد من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيعذر باجتهاده ولا يتبع فيه وإما اننا نكتب في فرصة أخرى مقالاً في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحاً لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى

(٤) الاستعانة بإرشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الديني مع تحصيل العلم والفتون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الخيرية فان هذا مفوض الينا بتلك الهداية التي نصت على أن الله خالق لنا ما في الارض جميعاً وامرنا بأن نمد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقل رسولنا صلى الله عليه وسلم : انما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر . وقال : أنتم أعلم بأمر دنياكم رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المنار مراراً بل كان المنار في جهته وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامي المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية وذراية وعملاً بلا زيادة ولا نقص . وبالنسبة لاتباع مدته أحد عشر أو نصيفه . واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختيار في أمور الدنيا مطلقين لاجتهادنا المنان فيه . وهذا اتباع للسلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضاً كما يعرف من برهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين ونصب القلاع ورواد بين مدتهم واقفون وعامل بها . وهو مذهب امام دار الهجرة مالك ابن انس رضي الله عنه . شاطبي في تفسيره وغيره (ومن يتتبعهم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبني على الآخر في كفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان اهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه مأمونهم الا من خالف حقاً واتبع باطلاً ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً بما تعملون عليم) وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتباً اتبع كل قوم كتاباً مبتدعاً غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مسيئين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) فهنا أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني يدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وما قبله توطئة له وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لتمضي بينهم) الى قوله - ولوشاء ربك لحمل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن إبراهيم (إذ قال ربه أسلم قال أسلمت لب رب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال يوسف (فالمر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال عن السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي يمت الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فإنه هو دين الاسلام أولاً وآخراً، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم سارت القبلة الكعبة، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتنبوا وهداء إلى صراط مستقيم) وقوله (ويهديك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضلالت إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الضلالت) وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي قيل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشركين الذين بارزوهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات سادات أهل البيت عجل الله فرجهم مثل كتاب المقالات لأبي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولأبي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما صنعه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم
وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وكان عليه سلف الأمة فلا
يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال
والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا
يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا
يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك (١)
إذا لم يجد في الاختلافات التي نظرها وناظر ما هو حق محض وكثير منهم يترك
الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه المجاز والاعراب كما قال أبو المعالي
وقت السياق: لقد خضت البحر الحضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت
في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها
انذا أموت على عقيدة أُمِّي . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف
والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة
وسلك ما تيسر له من طرق العبادة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث
بالبخاري ومسلم، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين
بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المروف بنهاية الاقدام في علم الكلام
وقال: قد أشار على من اشارته غنم، وطاعته حتم، ان اذكر له من مشكلات
الاصول، ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استحسن ذاوهم، ونفع في غير ضرم،

لمعري لقد طقت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

فاخبر انه لم يجد الا سائر آسافاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطاه
فالاول في الجهل البسيط (كلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدرها)
وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهل فندم، ولهذا تجده في المسائل
يذكر أقوال الفرق وجميعها ولا يكاد يرجع شيئاً للحيرة، وكذلك الآمدي
الغالب عليه الوقف في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في
في الموضع منه ينصرف ولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف فيه .
ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك، ولهذا لما ذكر ان أكمل العلوم العلم بالله
(١) المارة: أي الشك في الترجيح بين المسألة الكلامية والفلسفية لافي أصل الاسلام

وبصانته وأفعاله ذكر على أن كلا منهما اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشكل عليه وسى هؤلاء في مواضع فإن الله قد أرسل رسلاً بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كل فطرته بما أرسل الله به رسلاً وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أقصدوا فطرتهم العقلية وشرعهم السمية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه إلى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب، ومن الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية أقدام المقول عقال وأكثر سمي المالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسامنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفيد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق لطريقة القرآن أقرأ في الاثبات (إليه يصمد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النفي (ليس كمنه شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علماً) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وأنه لم يجد فيها ما يشفي غليلاً أو يروي غليلاً، فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فإن الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق للصحيح العقل وفطرة الله التي فطر عليها عباده. وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وهم مختلفون في الكتاب (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة مصنفه الله صنعه في محبته في رد على الزنادقة

(١) المنار كسب مصنف الكتاب في المسئلة الاميرية: هكنا في الاصل: لعل في الكلام قصداً أو يخرج ما لا يقول لعل الاصل: ذكر أن كلا منها عليه اشكال - أو - ذكر أن على كل منها اشكالاً

١٩٠ كلام الامام أحمد وابن تيمية في أنصار السنة ونصرها المنار ج ٣ م ٢٢

والجهمية فيما شكت فيه من مشابهة القرآن وتأويله على غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموثق، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والسمى، فكم من قتيل لا بليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدهوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمشابهة من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم، وهو كما وصفهم رحمه الله فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام أمانتلا مجرداً للأقوال وأما نقلاً ومخاوذاً كالأجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بمضاً ويرد بمضاً ويحمل ما يوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تفويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

*

هذا ما أحسبنا نقله من كلام شيخ الإسلام في هذا المقام وقد أطلنا بعده في وصف المتكلمين وخلافهم وقيل الأشعري على غير ما في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضاً. ونصر مذهب السلف بالمقل والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهولئك نخشاة هذا الرجل لجميع أولئك الأساطين من الفلاسفة والنظار غرورا بشبهة الشيطان أنه لا يعقل أن يكون هو أعلم منهم أو أذكى حتى يكون أحق بالصواب وأولى بالرجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق واشتبه علينا الأمر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بل هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي اتفقت بنظرياتها كل من شذ عنه قليلاً أو كثيراً، وأساس مذهبهم الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله وصريح عن رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الأمة قبل افتتنائها بالظريات التي فرقهم فيها. ونحمد الله أن سفر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك النظريات بأدلة من عندنا هي أقوى منها وأثبت بالبرهان أن صريح المقول لا يناقض صريح المقول. ويتبين عند انبئات أن هذا الدين من عند الله إذ لو كان من عند الرسول أو غيره لكان في باطن المتكلمين والفلاسفة

وكان المتأخر أسح رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين للسلف من المنتسبين الى مذاهب
السنة والمبتدعة والفلاسفة في كتابه (موافقة مريح المقول لصحيح المنقول)
وانني انقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديمهم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(تنفيذان نيمية لقول المتكلمين بتقديم المنبريات العقلية على النصوص السمعية)
والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغ لنا ظريبن أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
ويعارضوه بأرائهم ومعتقداتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به هلم ولا هدى
فإن الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يخبر عن نفسه بما يوجب حيرته وشكه والمسلمون
يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقبارة على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الارض انه لم يخفروا عن أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه ييقن
بطلان البه ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم موقولا
صرحاً يناقض الكتاب قائلهم آخرون من ذوي المقولات فقالوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بصريح الموقول فسد وما يدعى معارضة للكتاب من الموقول ليس فيه
ما يحزم بأنه موقول صحيح اما بشهادة أصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ريب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يعارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والناس
اذا تنازعوا في الموقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السامية التي لم تنفخ باعتماد يغير فطرته ولا هوى فامتنع حينئذ أن
يعتمد على ما يعارض الكتب من الأقوال التي يسمونها مقولات وان كان ذلك قد
قالت طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيعتمد على عقل نفسه وما وجدته معارضا لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالقه وقدم رأيه على نصوص الانبياء وصوت الله وسلامه عليهم . ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فاذا كان تحول النظر وأسلطت الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى الغاية وهم لباهم ونهارهم يكاد حوث في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

مفتول صريح يناقض الكتاب بل اما الى حيرة وارتباب وما الى اختلاف بين الاحزاب فكيف غيره هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في لذهن والذكاء ومعرفة اسلكوه من العقليات فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه لم يمارضه الله بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالاول (كمراب بقيمة بحسبه الظلم أن ما حتى اذا جاء لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفقه حسبه) والله سر به الحساب (والثاني) كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدرها ومن لم يجهل الله له نوراً فما له من نور) وأصعب القرآن والایمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (فالذين آمنوا به وهزروه ونهره وانتهوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون) فأهل الجهل البسيط منهم أهل الشك والخبرة من هؤلاء الماضين للكتاب المرضين عنه ، وأهل الجهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات وآخرون ممن يعارضهم بقول مناقض لتلك الأقوال هو العقليات ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والمالب فساد كلا الاعتقادين لما فيهما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقاً وباطلاً ومع هؤلاء حقاً وباطلاً والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله أعلم اهـ

[المثار] كل مؤمن سليم الفطرة صحيح العقل اذا قرأ هذا مجزماً بأنه الحق ، وانه يجب على المسلمين أن لا يفتروا بشرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خالفوا السلف فيما نقله ثمة الحديثين منهم من أمر الدين ، وأما من كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته ادعاءه بحديثي وان قصده تأييد الشرع ولكن لا ينهم أحداً فيها خالف هدي السلف السابقين في الدين ومعتزلين على نقل ثمة المحدثين دون آراء المخالفين . وهذا منتهى فإصلاح في الدين .

تاريخ فنون الحديث

٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ما أدى اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما مشيراً إلى القسم الأول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم وإلى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الإسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منها على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد لخص الحافظ الذهبي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضعيف أو منكر وهو كثير وجمع نجزه في الأحاديث الموضوعة التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة. قال الذهبي: في المستدرك جملة وافرة على شرطيهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقي وهو نحو الربع فهو من أكبر وأهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الأمر مما يتعجب منه فإن الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد اعترته غفلة وقال الحافظ ابن حجر إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سدد الكتاب لينقحه فما جعلته المنية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدثين إن ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبحث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اهـ

(١) توفي سنة ٤٠٥ هـ (٢٥) قال النووي المراد بقول المحدثين على شرطهما أو على شرط أحدهما أن يكون رجال الاسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لا يثبتون لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرها (٣) سنة ٧٤٨

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول
 الاستخراج أن يمدح حافظ إلى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً
 واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري إلى
 أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوفقه إذا لم يمكن الاجتماع معه في الأقرب
 وإنما ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض
 رواها وربما ذكرها من طريق صاحب الأصل وقد احتج كثير من الحفاظ بالتخريج
 وقضوا ذلك في الأكثر على الصحيحين لكونهما الممثلة في هذا الفن .
 وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لأنهم لا يلتزمون
 الفاظ المستخرج عليه ومنها على الأسناد إذا رواية الحديث عن صاحب المستخرج
 عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالسمع مع
 كون الأصل مبنيّاً أو بتسمية مبهم في الأصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في
 المستخرجات بالصحة إلا إذا كان سند المستخرج إلى الشيخ الذي التقى فيه
 مصنف الأصل صحيحاً متصلاً . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث إلى من
 أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه
 ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن
 عبد الله الأصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن إبراهيم الأصبهاني (٢)
 والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣)
 ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخرج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤)
 وتخرج ابي عروة الأسفرائيني (٥) وتخرج ابي نصر الطوسي (٦) والمسنود
 المستخرج على مسلم للحافظ ابي نعيم الأصبهاني (٦)

المجتبى لابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها إلى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها
 صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال ميز لي الصحيح من غيره

١٠. توفي سنة ٤٣٠ هـ . سنة ٣٧١ هـ . سنة ٤٢٥ هـ . سنة ٣١١ هـ . سنة ٣١٦ هـ

١١. سنة ٣٤٤ هـ . ٧٠٣ هـ . ٣٠٢ هـ

فصنف له السنن القنري وسماه المجتبي من السنن
ودرجته في الحديث بمد الصحيحين لأنه أقل السنن بمد ما ضيفاً وأما سننه
الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه وإذا
نسب إلى النسائي رواية حديث فأنما يمتنون روايته في مجتبه وقد شرح المجتبي
شرحاً وجيزاً الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد
ابن عبد الهادي السدي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج إليه القارئ
والمدرس من ضبط اللفظ وإيضاح الغريب والأعراب شأنه في شرح الكتب
السة على أن شرحه أوسع من شرح السيوطي (*) وقد شرح سراج الدين ممر بن
علي بن الملقن الشافعي زرائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلد

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٣)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا وحكم الله أن كتاب
السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول
من كافة الناس فصار حكمايين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم
فلكل منه ورد ومنه شرب (٤) وعليه معمول أهل العراق وأهل مصر وبلاد
المغرب وكثير من أقطار الأرض. قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله
(ص) خمسمائة الف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا
الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ريقاً به ويكفي الإنسان ليدنه من ذلك أربعة
أحاديث أحدها قوله (ص) «الاعمال بالنيات» والثاني قوله (ص) «من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث قوله (ص) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى
يرضى لآخيه ما يرضى لنفسه» والرابع «الجلال بين والجرام بين» الحديث وقال ما
ذرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وهن شديد
فقد بينته ومنه ما لا يصح سنده. وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبمضها أصح
من بعض، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) إلا وهي فيه ولا أعلم
شيئاً بمد القرآن ألزم للناس أن يتعموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً أن
لا يكتب من العلم شيئاً بعد ما يكتب هذا الكتاب إلى آخر كلامه في رسالته

(١) طبع المجتبي على شرحه هذين في الهند (٥) الشرب بالكسر كالورد وهو بمعنى
المنقول أي ما يورد وما يشرب (١) توفي سنة ٩١١ هـ ٢٠٠٠ سنة ١١٢٨ هـ (٣) سنة ٢٧٥ هـ

الى أهل مكة . وقد اشتهر هذا الكتاب بجمعه لاحاديث الاحكام وفيه كثير من المراسيل وكان محتج بها من تقدم الشافعي كسفيان الثوري ومالك والاوزاعي **شرحها** شرح هذه السنن كثير من افاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (١) في كتابه مقام السنن وقلب الدين أبو بكر البخاري الشافعي (٢) في أربع مجلدات كبار وابو زرعة أحمد بن عبد الرحيم المراقي (٣) كتب من شرحه سبع مجلدات الى أثناء سجد السهو وشرح زوائد على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح السنن شهاب الدين الرملي (٤)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبى وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الربا على المجتبى وهذب المختصر ابن قيم الجوزية الحنبلي (٦) وشرح مذهبه شرحا جميلا ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن في اختصاره فهديته نحر ما هذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على عال منك عنها اذ لم يكملها وتصحيح احاديثه والكلام على متون مشككة لم يفتح مغلها وقد تبسط الكلام على مواضع لعل الناظر لا يجدها في كتاب سواء قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة يوجد في بعضها ما ليس في الاخرى

الجامع الصحيح لمحمد أبي عيسى الترمذي^(٧)

قال ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والمراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتابي هذا الا حديثا قد عمل به بعض الفقهاء فعلى هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل بوجبه طامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح لكنه تكلم على درجة الحديث وبين الصحيح منه والمطلوب كما ميز المصنوع به من المتروك وساق اختلاف العلماء فكتابه لذلك جليل القدر جم الفائدة كما انه قليل التكرار

شرحها قد شرحه محمد بن عبد الله الاشبيلي المروفي بابن العربي المالكي (٨) وأسمى شرحه (عارضه الاحوذى في شرح الترمذي) وشرحها الحافظ محمد بن محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه وقد كلفه زين الدين

(١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦

(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٧٣٤

عبد الرحيم بن حسين العراقي (١) وشرحه عبدالرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢)
 (٣) مختصراته منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعددها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه الى الخمسة الساتة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحفاظ عبد الفتي (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وانما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ . قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة (٨) وان كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة . وقد جعل بعض العلماء كرزين السرقسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك المجد بن الاثير في كتاب جامع الاصول وكذا غيره قال الحفاظ المزي ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف ولكن قال الحفاظ ابن حجر انه انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضعف على الرجال

شروح سنن ابن ماجه : شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنه مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم ابن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه مصباح الرجاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المذكور ما كان في سنده كثير الغلط أو غافل عن الاتساق أو ماسى والشاذ ما خالف فيه الثقة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ٥٣٥ ١٠٠٠ سنة ٨٠٨ ١٠٠٠ سنة ٨٤١

بقي كتب السنة الصحيحة غير الكتب السنة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك
 الأصول الخمسة أو الستة وان كان الزائد عليها قليلا قال الامام النووي الصواب
 قول من قال انه لم يفت الأصول الخمسة الا النزر اليسير. وها نحن أولاء ندلي اليك
 ببقي الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع
 فمنها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري (١) وصحيحه أعلى مرتبة
 من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه حتى انه يتوقف في التصحيح لأدنى
 كلام في الاسناد. ومنها صحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي (٢) واسم مصنفه
 التقاسيم والأنواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الأبواب
 ولا المسانيد وقد رتب ابن الملحق وجرد أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين
 في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التسهيل في الصحيح الا أن تساهله أقل من
 تساهل الحاكم في مستدركه. ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب ابن اسحاق (٣)
 وصحيح المنتقى لابن السكن سميد ابن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن
 عمر البغدادي الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله
 ابن علي «٦» والمنتقى في الآثار لقاسم ابن أصبغ محدث الاندلس «٧»

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر طرفا من الحديث يدل على بقيته ونجمع أسانيده
 اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فمن ذلك
 أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولأبي
 محمد خلف بن محمد الواسلي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنهما
 ترتيباً ورسماً وأقلها خطأ ووهما. وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات
 — ولأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفضل أحمد

«١» توفي سنة ٣١١ «٢» سنة ٣٥٤ «٣» سنة ٣١٦ «٤» سنة ٣٥٣

«٥» سنة ٣٨٥ «٦» سنة ٣٠٧ «٧» سنة ٣٤٠ «٨» سنة ٤٠٠ «٩» سنة ٤٩٠

«١٠» سنة ٥١٧

ابن علي بن حجر الملقب بـ «السنن» وأطراف السنن الأربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسم الأشراف على معرفة الأطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف السجيين والسنن الأربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الأشراف سبته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والقيته مشتملاً على أوهام كثيرة وترتيبه مختل لهذا عمل كتابه الأشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) ورتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي أطراف الفرائب والأفراد وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوهام جمعها أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزني الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الأشراف على أطراف السنة .

ولابن حجر تحاف المهرة بأطراف المشرقة يعني الكتب الستة والمسازيد الأربعة في ثمان مجلدات . وقد أفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند الممتلي يقع في مجلدين .

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان تجمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وانزالهم منازلهم وبيان عليل الحديث من ضحيجه كاد يفتحي بانتها القرن الرابع كما انطلقت اذ ذاك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فاكثر الكتب التي تجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب أو جمع الثبت وبيان الغريب ، أو تحت منحى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان عالمة على مادونه أئمة الحديث في القرون السالفة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت النطن اللبيب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مرأاة الامور الدائمة ولا نلتفت لليسير النادر

«١» توفي سنة ٥٧١ «٢» سنة ٥٠٧ «٣» سنة ٧٦٥ «٤» سنة ٨٢٢ «٥»

سنة ٨٢٠ «٦» سنة ٧٤٨

أم الكتب الجامعة لمتون الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الأفاضل بين صحيح البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزي (١) وإسماعيل بن أحمد المروفي وابن القرات (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الأشبيلي (٥) وأحمد بن محمد القرطبي المروفي وابن أبي حجة (٥)

الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي المروفي وابن الخراط (٦) وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (٧) وكتابه مرتب مذهب

وأبو الحسن رزين بن معاوية العبدي المرقطي (٨) في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحاديث الستة فلما جاء أبو السعادات مبارك بن محمد المروفي وابن الأثير الجزري الشافعي (٩) هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول وشرح غريبه وبين مشكل الأعراب وخفي المعنى وحذف إسناده ولم يذكر إلا راوي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة إلا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الأصول لأحاديث الرسول فجاء كتاباً فذاً في بابه لم ينسج أحداً على منواله فقرب إلينا البعيد وسهل علينا السير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق إليه من يبرزه إلى عالم المطبوعات فيسدى بذلك إلى طلاب الحديث معروفاً جليلاً. وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي (١٠) وهبة الله ابن عبد الرحيم الحموي (١١) وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني الزبيدي (١٢) وهو أحسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (١٣) زوائد عليه سماها تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول وإن في هذا وما قبله لفنية عن كتب الحديث الأخرى وكفاية

نقد مشروع تميم التعليم الاولى

نشرنا في ج ٧ و ٨ من م ٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في نقد تقرير لجنة التعليم الاولى بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقتنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولى في مديرية الجيزة وهو ممن طالب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن نقتبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القطر المصري ووجه الحاجة الى تميم التعليم الاولى رأينا أن ننشر أولاً هذه الفقرات وهي التي انتقدها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منهما فوائده ذات قيمة ثمينة لمن يعنيه أمور التربية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤-١٢ من تقرير اللجنة

٤ - ونعم ما قالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فشو الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اصناف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم ضرور الاسلح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشملهم قمعها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع اعمالها الى أن تسبق بإحلال واسعة حال التعليم التي عليها جمهور الامة . فمنها :

في الزراعة : الوسائل التي تتخذ لمنع قلة محصول القطن — مقاومة دودة القطن ودودة اللوز — اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة — ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد — توسيع نطاق التماون في الشؤون الزراعية — زيادة العناية بالحجوانات — توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

في الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولى بين الناس فيما يتعلق بهم وبمنازلهم والبلدان التي يقطنون بها - تحسين محل المساكن - وضع تصحيحات للمدن والقرى - تقرير أنظمة لتنظيف المدن والقرى - اصلاح موارد مياه الشرب - تقليل نسبة الوفيات في الاطفال - تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية - التدابير التي تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعي السرعة في تداركه - استئصال شائفة الامراض المتأصلة في البلاد كالبول الدموي (البهاريا) والرمم

في الاشغال العمومية : المصارف - اصلاح البور من الاراضي - تعمير الاراضي غير المسكونة - انفاذ أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

في التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعي والفني

في الامن العام : ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل في ذلك الرشوة - منع اجرام الاحداث وصياتهم من الفسق - منع سم المواشي - مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) - اصلاح طرق الردع بالعقوبة -

في القضاء : انشاء محاكم الاخطاط وغير ذلك مما له أثر في اصلاح القضاء

في الادارة : توسيع سلطة مجالس المديريات والمجالس البلدية في ادارة شئون البلاد - توسيع نطاق الضرائب المحلية - الاستمانة في المسائل الفنية بمشورة المصالح الاميرية المختصة - الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى - اقناع الجمهور بفوائد التدابير التي تتخذها الحكومة كفانون خمسة الافدنة ونحوه - انشاء حلقبات القطن - تحديد مقدار الاراضي التي تخصص بزراعة القطن - تسمير المواد الغذائية - انفاذ أوامر لجنة مراقبة التموين - قانون المستنقعات والبرك الخ

في الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون

الفلاحين - مقاومة كنز الاموال بلا تمير - توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية - رفع شان الزراعة والتجار المصريين حتى يستغنوا عن الوسطاء من الافرنج - ترقية الصناعات - تاسيس صناعات جديدة الخ

في الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة - الاهتمام بالاطفال - مقاومة الشحاذة والشروء (التشرد) - تحسين أحوال الممبشة في بلاد الارياف والقرى فيها

هذه أمثلة عدة - لا تحتاج في سردها إلى خبرة خاصة - وهي قليل من كثير من وجوه الإصلاح الإداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الآن . وجلي أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتشاله (١) من هوة الأمية

(٦) وقد جاء في ملحق السير للدن غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تأليف اللورد ملتر بعد أن تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الإدارة ما ترجمته «على أن السبب الحقيقي يرجع إلى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجع دائم الاثر الا الترويض بالشعب عامة وتهذيبه . وانما يكون ذلك بانتهاج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الخبرة السياسية» (صفحة ٤١٣) (٧) وقال المسيو شارلتي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بتؤمر افرينية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «إن التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول إلى هذا التقدم والانتفاع بمزاياه الا اذا تربوا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتقربه من أذهانهم . فإن مسألة التعليم من أدق الأمور وأشقها وخاصة في بلاد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلفتها عصور الجهل المطبق . فإذا لم يتيسر حل هذه المسألة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل باتخاذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتدريب والتدوئة الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة نباتي بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٢١٤ ما ترجمته: «إن مالارض مصر من الخصب والقوة لا يزال كامنا دفينا إذ هي لم تخط بعد خطوات تذكر نحو التيسار بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية وإرسالها إلى العالم بأسره..... ومما لا يعتوره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الأيام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لأن به من مختلف الانبواء ما يناسب كل نوع من أنواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الجهة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه البقاع ما ستبقى الزراعة فيه أزمانا طويلة الأمد على الحال الفطرية التي تشاهد في الغابات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أنفس المحصولات

(١) المنار: النشل والانتشال في العربية أخذ اللحم من القدر وله آلة غتفاء تسمى المنشال ويطلق النشل على أخذ اللحم عن المظالم أيضا ويستعمله كتاب الجرائد في مثالهم من المعاصرين بمعنى الانتقاد من هلكة حسية أو معنوية ولهذا المعنى في اللغة كلمة فصيححة وهي الانتياش قال ابن دريد :

ان ابن مبال الامير انتاشني من بعد ما قد كنت كالتشيه اللنا

ونحن الى الآن لم نألف افتقار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة بديمة من تبغ هافا أو الفيلن الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط ملوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تزرع خاصة لاستخراج العقاقير الطبية تكفي لاقتناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها. فالزراعة التي من هذا القبيل - أي الزراعة التي نحتاج الى مهارة فنية - لها في مصر من الاحوال الملائمة ما ليس في مملكة أخرى. وقد برى في بديهة الامر أن في هذا القول شيئاً من الغلو ولكننا لم نقله جرافاً..... ولكني ننتفع مصر بهذه المرايا الطبيعية بحسب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بمقولههم وأيديهم معاً لذلك لانكون مبالغين اذا قلنا بان حاجات المستقبل ستكون كفيلاً بإيجاد طائفة جديدة راقية من المصريين أي بإيجاد شعب يجمع توفد القريحة الى ما كان لأجداده من قوة الاجسام» وليس هذا الانتقال المنتظر في المستقبل مقصوراً على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى المضلية قد فات ونحن الآن في عصر انبثق فيه فجر المقول «٩ - وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألفتا بأمرها: الاولى برئاسة حضرة صاحب المهالي اسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة، والثانية برئاسة جناب اللقنت كولوئل بلقور للنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من اتقاها عقبات كبيرة لجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠ - فقد جاء في تقرير لجنة توسيع نطاق التجارة والصناعة ما يأتي : «ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصغرى المصرية لهو حجة قائمة وشاهد نامق على ما بالبلاد من النقص الذي تش منه أنين الشكلى وترزح تحت أثقاله. فان خلوا الاعمال من النظام والترتيب واستهانة العمال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق

«فاذا سأل سائل ما حال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن ما يتبع الآن من الخلط في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الغرض السامي المقصود منهما وعن النهوض بها من الوجهة الخلقية. اذ مما لا نزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يعم حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

نقصها وتنكها الفرض المنشود بل أنها مبنية على أساس فاسد غير وظيفي الأركان .
فهي بدلا من تمويد النشء النظام وحسن التدبير تولد في نفوسهم الاسراف
وسوء الإدارة في الأعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاهمال وتصرفهم
عن الجهد والنشاط . وهي تفرس فيهم التردد في الأمور أوقلة العناية بها وعدم
النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من
الوجهة المعنوية وبذا تموق تقدمها من الوجهة الحسية أيضاً

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي إلى أقصى
درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة إلى ضرورة الاسراع
في انفاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الأولي وتوجيه مزيد العناية إليه .
وترى اللجنة أيضاً أن من الواجب عليها التنبيه إلى ضرورة بذل مزيد العناية
بأمر التربية وتكوين الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية
المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الأمة بأسرها»

١١- وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولاً موجزاً
في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شغب
من الشغب إلى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه حقها مادام الجو الذي يعيش فيه
ملوثاً بالاقذار . فانتا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تملوه
الآوساخ وتخط فيه رحاها الاقذار . فهي كما كانت في قديم الزمان ملطخة
بالأمراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن
بلادهم ما دامت الأمراض تثقل عواتقهم وتنجس على رؤسهم . ان نسبة
الوفيات في الاطفال رائعة فثلث أبناء الأمة يموت وهو في سن الطفولة وغضارة
الحياة . هذا إلى أن انتشار الحشرات والهوام بين النلاحين لم يقل على الرغم
مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحيات الراجعة التي تفتك
بالأهلين فتكا ذريعاً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شمواء للقضاء على الجهل والقذارة
واستئصال شائقة المرض والبؤس» ومما يلفت النظر أنها ذكرت الجهل أولاً
ولم تطلق أملاً كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاً وافياً بالفرض بتلقين
أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

«فإن الحقائق التي وقفنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يقضوا مع الجيش مدة يضطرون فيها إلى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يرجعون إلى موطنهم بالقرى إلا وهم عائدون إلى سيرتهم الأولى . فتراهم لا يمتدون إلى بث شيء في نفوس قومهم مما تعلموه من أسباب النظافة . وكفى بتاريخ الجيش المصري دليلاً على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء . فإن الجندي المصري بالرغم من تدريبه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق الصحية المتبعة في المسكرات والتكنات لا يكاد يرجع إلى قريته إلا وهو مندفع في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم»

وختمت اللجنة قولها في هذا المقام بأن أوضحت أن أنجع وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لا تكون إلا بالبدء بتعليم الطفل «فإن الطفل المتعلم قد يصبح أستاذاً لوالديه غير المتعلمين ويكون بمثابة النواة الأولى التي تنبت منها على مدى الأيام عوامل رقي الفلاح» .

١٢ - وقد نشرت جريدة (الاخبار) بمردها الصادر في ٢٨ إبريل سنة ١٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (علامونا القراءة أولاً) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفاً ممتعاً لا يخلو من المبالغة وبين فيها أن مصر لا تحتاج إلى جامعات جديدة بل إلى نشر التعليم الأولي بين جمهور أهلها . قال مانصه :

«السواد الأعظم من الأمة المصرية من الفلاحين لا يبسي الجلابيب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يعرفون القراءة والكتابة . أما الأفراد القلائل المتبحرون في هواهم الفطر فلا يمتد بهم لقلّة عددهم بالنسبة لمجموع الأمة . فإذا أراد واحد من الفلاحين أن يكتب صكاً أو جواباً لا يجد من يكتبه له فيضطر أن يسافر من قرية إلى أخرى حتى يفتي شخص يعرف كيف يفك الخط . وكثافة مثل ذلك الشخص لا يفك رموزها إلا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شامليون الذي تمكن من قراءة الخط الهيروغليفي :

(نحن المصريين لا نعرف من أصول الصحة شيئاً . وكل من ذهب إلى إحدى القرى أو المرب يشتم قبل أن يسأل إليها ببضعة أميال الروائح الذكية (في أنوف ساكنيها) المتصادمة من أكرام السائح الغائمة كاهرام الميزة صم أجدادنا وهم

تخطيط القرية أو العزبة من كل جهاتها . ويرى بخاري جامع القرية ذات المنظر الجليل
تجري الى النرعة التي يشرب منها أهل القرية بدون استمرار . ويرى شكل القرى
الكثيب والمنازل الملاصقة ذات الابواب الضيقة والغرف التي ليس بها منافذ ويرى
الفلاح نائما هو وأولاده بجانب جاموسته لافرق بين الجميع .

ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كاسم عزرائيل عند
المسئدين . فإذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى الخائفوا بأسرع من لمح البصر إما
أن يحملوا الى جهة في الفيض بيده أو يدفنوا في قش الارز أو حطاب القطن المكوم
على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طبعاً) شيئاً اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لا يرى
أكثر من الماء عند الفلاحين تجمد أكثرهم قدراً وسخاً وكأنه يخشى أن يخلط ملائه
فتحملها تلك المخلوقات الشريرة وتهرب بها لكثرة ما يلقها بهرشه وكرشه فهو
دائماً أبداً في قلبها .

ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين
أو من عهد آيتنا آدم الا الفلاح المصري . فلو بحث فلاح من أيام الفرائنة لرأى
أخاه فلاح اليوم لم يخن الامانة ولم يبد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه
بتفسير أو تعديل . فالمحراث والشادوف والطنبور والنمالة الخوص كلها بحالتهم العتيقة
كما تركها له . ووجدته أيضاً لم يغير شيئاً من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد
ولم يحسن نوعاً من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طعمة التاجر والمرايبي مهمل
منحت الحكومة من القوانين لحماية .

فهو ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات
التي تدرس الفلسفة والتاريخ او يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ما تريد أن
تعلمه ايام الحكومة بمشورائهم اولوائهم ؟ فالى أي شيء تحتاج الامة المصرية إذ نرتقي
ونعد في مصاف الامم الحية وما هو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة
وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتفتح أذهانها وتتم وتترقي ؟

(أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء)

وهناك جرائد مصرية أخرى ألحت على الحكومة برأوا وصاحت بوجوبها الشروع

في تعميم التعليم الاولى والمشاركة الى ذلك حتى تستطيع أن تخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل . انتهى نص الفقرات الخمس مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار ويليها ما كتبه عبدالله افندي أمين فيها وهو

التعليم الاولى والاصلاح

تقد الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الأدلة على ما جاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشور الجهل بين جمهور الأمة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد وإن ضرره لا يقتصر على إضعاف الأفراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً جسيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم شروب الإصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشغلهم تفكيرها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها » .

ومراد اللجنة من هذا الكلام إقناع أولي الأمر بوجوب الإسراع في تعميم التعليم الاولى لحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير أنه شغلها مما سواه ففاتها أن تفصير الأهلالي في قيامهم بتصديدهم من إصلاح الحكومة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لقصور مداركهم ، ليس أكبر من تفصير الحكومة نفسها وهي رشيدة عليمة وبينها وبين الشعب « هوّة » لا تُمبر « (أنظر ١٤ و ١٥) في قيامها بتصديدها من الإصلاح نفسه ولا شك أن قواعد الإصلاح وأصوله كلها ما كان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها بعضاً . فلو أن الحكومة كانت مثلاً لشعبها فقامت بتصديدها من الإصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

ولفرس هذا النصب في نفوسهم سروراً عظيماً به وبشوقاً إلى القيام
بنصيبهم من الإصلاح

ولو أن الحكومة أكثر من مستشفيات الأمراض ومستشفيات
الارماد المتنقلة والثابتة وأنشأت حمامات ومغاسل وأحواضاً لتخزين المياه
وترويقها في القرى لأقبل عامة الشعب على هذه المنشآت باقبالهم الآن
وقبل الآن على ما أنشئ من مستشفيات الرمد وهو عظيم جداً ولا تروها
على طب السمودة والتجارب الأهلية الناقصة الفاسدة وعلى الاستحمام
وغسل الثياب في مياه الترع والمصارف الراكدة وعلى شرب ماء النيل المكر
وأصلح ذلك من أجسامهم ونفوسهم وعقولهم أكبر إصلاح لما فيه من وسائل
حفظ الصحة ومن الانصراف عن العادات السيئة والتجارب السيئة
والاعتقاد الفاسد فيها

ولو أن الحكومة قدرت مثلاً مكافأة لمن يتدع مادة رخيصة جداً
إذا مزجت بالتراب جعلته صلباً صقيلاً ترصف به الأرض وتيسر لها
رصف الطرق الزراعية الرئيسية وغرست على جانبيها الأشجار الضخمة
لدفعت عن الشعب عادية التراب وما يحمل من جرائم الأمراض المختلفة
وأظلمته فدفعت عنه حرارة الشمس ، وأبعثت بذلك في نفوس الأهالي
يقظة وانتباهاً لا موريهم في أشد الحاجة إليها — انتباهاً لا يمكن أن
يكون بالنصح والاوامر وحدها

ان وسائل تربية الشعوب وتهذيبها كثيرة جداً . وكثير من هذه
الوسائل من عمل الحكومات وهي أقدر على القيام بها من الأهالي رؤوي
بها منهم . غير أن سكوت الحكومة وتراخيها وحاجة البلاد الظاهرة إلى
(المنازل ٣٣) (٢٧) (المجلد الثاني والمشمرون)

العمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين
المخلصين الى القيام بما يحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا منتظر المشغول عنهم،
وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استمداد الاهالي أو امتعاض
الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ما قام به مجلس مديرية الجزيرة المحترم
من انشائه مستوصفين متنقلين في انحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئسته
المفتور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والمزم والثقة بالنفس
وحب الاصلاح حضرة صاحب المزة عبد الرحمن فهدى بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتنقلين لما كان يتوقعه
من الآثار الجلية التي يتركها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم
وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك ! فان الذين عولجوا فيهما يمدون
بالالوف . ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك . وقد كانت أحق بهذا العمل
منه غير أنها سكنت ولا تزال ساكنة حتى ملأ الانتظار ونفذ الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح اليوس . فقد
نقلت في الفقرة (٢١) من (المستر الكي) قوله « أجل ان التربية العقلية
المحضنة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال » وتعلم أن الامة لا تغير
ماها حتى تغير ما بنفوسها ، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن
يبنها وبين عامة الشعب « هوة لا تُشبر » من أن تسمى جسد السمي في
البحث عن الملاج الناجع لتغيير شعبها ما بنفوسه — شعبها المخلص الذي
ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندي اذ نقلت في الفقرة (١٩) من
التقرير . « وأهني بهم الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين
الاذلاء . . . »

وما تلك الوسائل النافعة ؟ تلك الوسائل هي الاصلاح الفعلي كانشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها، لا النصائح القولية والاوامر الكنايية التي لا تغير من نفس ولا تحي من عمل. لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة العنيفة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر بالمليم، وتعتمد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكوز مثالا حسنا في الاصلاح اسمها فتأخذ بنصره أخذاً صحيحاً الى منازل النفع الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من أقرب الطرق وأقومها وألا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتوفي نصيبها من الاصلاح حقه

انها ان ظنت ذلك وعولت في كل ما تريد من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وألقت المبدء كله عليه، خابت الآمال وضاع الوقت سُدًى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكمين و جهل المحكومين

نقد الفقرات ٢ و ٢٤ و ١٢٥

استكثرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)^(١) من التقرير ما ينفق على التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٤] ليس الامر مقصودا على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقى الذي لا ينتفع به سوى طائفة صغيرة ممتازة من الامة لا تدفع سوى قسم ضئيل من النفقات التي يتطالبها تعليم أبنائها، أما سكان الاقاليم الذين تنوقف ثروة البلاد على كدهم ونصبهم فلا يكادون يخالون قسما من التعليم في مقابل الضرائب

بجانب ما ينفق على التعليم الأولي. وانكرت في الفقرة (٢٤) ^(١) من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية - وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضح أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لواثها - بتعليمها الطبقة

التي يقع معظمها على كاملهم

وإذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الأولية الأربع وهو ٢٨٨٠٠ من الجنيئات وصافي ما ينفق على المدرسة الأولية الراقية للبنين والمدرسة الأولية الراقية للبنات وقدره ٤٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الأميرية وهو ١٨٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة ببعض مدارس صناعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠ جنيئات - إذا استثنينا كل هذه المقادير ومجوبها ٦٨٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ - ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب. على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية. ثم ان الثمانية والستين من آلاف الجنيئات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب يقابلها ٤٩٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والمعار الموقوف للاتفاق على المكاتب الأهلية. أي أن ما تدفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفقرة ٢٤] قال المستر أسكويث «ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على ما يتوافر لدى أدنا طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية» ويرى أنه لم يبين الحكم على ما وصل اليه القليلون من خيرة أفراد الامة الذين ضربوا في التعليم الراقى بسهم. فإذا أردنا الوقوف على ما يتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الكواخ الحقةرة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيئته والى شيوخ القذارة والاوزاخ وفشو الهال والامراض وهلاك ثلاث الابناء في طفولتهم وانتشار الامية بحال رائحة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الافراد واقتصار

الراية للأمة التعليم العالى قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولى بلا شك) وعدت عملها هذا عملا مقلوبا وضربت لذلك مثلا قول (السير كلنتن دوكنز) في الفقرة (٢) ^(١) « ان التعليم الاولى في مصر شبيه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل »

كدم على القوت البومي . فهل الى ترقية تلك الاحوال في الامة المصرية من سبيل سوى تميم التعليم ؟ لا . ومن العبث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقي المنشود بالبده بتعليم الطبقات الراقية قبل هامة الشعب أو بالاعتماد على ما يحدث من التأثير الذي ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالانحوض بالتعليم العام وتطلب نشر نور المرفان في الامة بأسرها .

قال الشاعر بروننج في قصيدته المعنونة براسلس مامناه بالعربية

كتبت على لوح الحقيقة حكمة	ان الرقي شريعة الانبياء
مالي ارى الانسان يفض هيبه	هن نور تلك الحكمة الزهراء
أفجد حتى صار أهلا لاسمه	ان حق فخر الناس بالاسماء
أم نال ما نصبو اليه طباعه	من درك أعلى ذروة العلياء
أم أعمل المكنون من قوائمه	كي يلا الدنيا من النماء
أنى يتوج بالكمال ولم يزل	في العلم معظمه من الفقراء
وكان أهل العلم بن سواده	بعض النجوم الزهر في الظلام
أو بضمة من نسل هوج حولهم	جسم من الاقزام والضعفاء

(١) [نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من يادى الامر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلي العالم والسياسي الشهير : « ان مسائل التعليم الالهي كينما تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفنائها » وقال اللورد كرزن أيام كان حاكم على الهند : « ان طيب الامة الحقيقي هو ذلك الذي يصف لها أنجع وسيلة لتربية أبنائها » . وتناول كل من اللورد كرور في كتابه « مھر الحديث »

فكان هذا الاستكثار من اللجنة مع ذلك الانتكار المقرون بهذا المثال
نصا لا حادة تتناولها الحكومة اذا شاءت ومتى شاءت لتخزبها التعليم العالى
وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها
من كبار المستثمرين قد تركت فيها أثرا جعلها ترى التعليم العالى بمن
جنبية لا تستطيع أن ترى بها محل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان - مثلي - لا يجد لها فيما
يتلصص من المماذير الا مذرا واحدا وهو ما ينجيل الى المفكر فى أول الامر
من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولى ثم التنقل به بعد ذلك فى
مراحل التعليم الارق موافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك
حق واضح . لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يقر به كيف يشاء وينقله
من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسير ألدون غورست فى الملحق الذى ذيل به كتاب اللورد ملنر وهو « انجلترا فى
مصر » البحث فى وجوب اتباع خطة جديدة فى التربية نرعى الى تحسين حال الامة
عامة من الوجهتين العقلية والحلقية (انظر الفقرتين ٩ و ١٥) . وقال السير كانن
دوكنز فى ملحقه لكتاب اللورد مانر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر شبه بهرم
مقلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المالة كانت الى عهد قريب بمن
من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعها ومن سد حاجة الامة اليه سدا وافيا
وقد أوتى اتفاق ما يمكن بذله من المال فى هذه السبل على توسيع نطاق التعليم ذى
الصفة الاوربية الذى يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه
اليه من هناية أولى الامر الا انزور اليسير . لذلك رأينا أن واجبنا فبر مقصور على
درس موضوع التعليم الاولى من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها منزهة عن سواها
وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطها بالخطة القومية التي تتبع فى التعليم بوجه عام .

ليكون خبر بحاجاته ومذاقه ومضاره.

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها ناس كبار المقول
يقودونها الى السعادة ويرفعونها الى اوج المظلة . لذلك كان تعليم طبقة
رائية من الامة علما راقيا قبل تعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة
النشوء والارتقاء في الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة
قدمة وحديثة دالة على ان آمما كثيرة نهضت من عثارها ونشطت
من عقالها بأفراد منها . فالمنايا بتكوين افراد افذاذ في الامة
تكويننا فائقا احق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليما اعظم
ما يقال فيه انه اولي

هذا ما نراه ونشعر به ولم يسمدنا الحظ قط بان سمعنا او قرأنا ان
امة بأسرها امسكت عن التعليم العالي جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاول
ثم اخذت بعد في اسباب التعليم العالي ، وان اوتيت اوصياء حكماء رحماء
بصراء اقرباء من الاجانب

على ان التعليم العالي لا يزال جنينا في بلادنا ، فأين بضم مدارس
اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم المالية من جامعات كبيرة تدرس
فيها كل علوم البشر ا مع ان العلم الذي يدرس في مدارسنا العالية لم يكن
له في البلاد من اثر ظاهر نافع الا ما كان من علم الطب

لقد كان للجنة التي رأت حاجتها الشديدة الى النظر في التعليم بوجه
عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تفتش عن حل آخر لا مكان تفرغ الحكومة
للتعليم الاول . ذلك بأن ترى مثلا ان في وسع الحكومة ضم مدارسها
المالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة معاً في النفقة عليها على نحو
الخططة التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي
فيكون دراجة لقل التليم العالي كله من يد الحكومة الى يد الاهال
فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تشغل نفسها بجأمة لها كما
جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لا تمير بين الحكوميين والحاكين كما تري اللجنة
في الفقرتين (١٤ و ١٥) فالذي حفزها انما هو التربية المدرسية لا العلم ذاته.
فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه ويتزع عنه زي بلاده ويلبس
الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبت بالصيغة الغربية (فقرة ٢
وفقرة ٨٨) فيممر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحمها
الروح الغربي ومعلمين غربيين او ممن خلموا عنهم رداء الوطنية الصحيحة
من قبل، فيشب على عادات واخلاق تزده في أمه وأبيه وسائر مماشيه
كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الفرور بنفسه. وما أبمد الشقة
وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيح له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم
فيه ربحا من الزمن يفقد فيه لضمفه البقية الباقية له من سجاياه الوطنية
حتى الحمودة منها ا

هذه حال نشاهدها كل يوم في أكثر الشبان والشواب وقد نسوا جميعا
معارفهم وعلمهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها و اردوه
فليست الهوة السحيقة البعيدة النور بين الطبقة الراقية من المتأمنين وبين
طامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة
الراقية النفيسة التي شوهدت بترسية لا تلائم تقاليدنا وأمن حتنا وعاداتنا

ح . بنا دالاً على ذلك ما نجده فيمن يتخرجون في مدرسة المعلمين الناصرية ويرجعون الى أديارهم بعد أن يكونوا قد صبغوا بصبغة وطنية محضة فانهم يعودون وهم الى آلهم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم إليها قبل أن يغادروا بلادهم لأن العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس الماقل الوسوس والافهام والخطأ الذي يدفع بكثير من ناقصي العلم والمدارك الى استصغارهم أو طائفتهم وآلهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لسبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تمتلئ عليهم الحقائق ويخاطب عليهم الخابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في الهوة بين الطائفتين لا العلم المالي الذي نخشى اللجنة انتشاره قبل التعلم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال



حضرت مرة مجلساً جمعتني بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زى ظريف ومحمل عصا ونظارة وودبوسا كلها من ذهب وأعجب من هذا وذاك انه يلبس سواراً من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احدهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والاخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سناً ومقاماً . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له أبوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده وينفقها كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقداراً هيباً . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والارشاد حاول إغلاقه واستغنى بأبيه وهو على مسمع ومراى منا لا شيء .

آخر سوى الفرق بين زيه وزي أبيه والزرعات النفسية فيهما. أما المعارف والعلوم فهو منها خالي الوفاض بادي الاتفاض قد نسي تلكم القشور التي قد حصلها منها .

فشل هذا سيمود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها لا سيما اذا عاد ويده شهادة . وأي خبر يرجي من مثله لبلاده؟ وأين هذا الشاب المسكين المغرور بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصبغة وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأتم الدراسة فيها ثم سافر الى أوروبا؟

الخيال في الشعس العربي

٢

التخييل التحضيري

تتداعى المعاني بوسية التذكر للأسباب التي كنا بصدد البحث عنها ، ثم الخيلة تنتخب منها ما يناسب الفرض ، وهذا العمل اعني الانتخاب يسميه علماء النفس تخيلا تحضيريا لانه العمل الذي تتمكن به الخيلة من استحضار العناصر المناسبة للمرام

تقتصر الخيلة عند الانتخاب على ما يدعو اليه الفرض حتى انها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الاعضاء التي لا مدخل لها في المعنى فتتصور الجواد بغير قوائم كما قال المتنبي

اتوك يمحرون الحديد كأنما اتوا بجياد ما هن قوائم

والمقرب بغير ذنب كما قال ابو هلال

تبدو الثريا وأمر الذيل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وربما انتزعت المضمون من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هاني اليد فقال

ولاحت نجوم لثريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
وأخذ ابن الممتر القدم فقال
واری الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد
وأخذ آخر القلب فقال
نقل الجبال الرواسي من موطنها أخف من رد قلب حين ينصرف

التخييل الابداعي

بعد أن تنتخب الخيلة ما يليق بالفرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف الى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التصرف تخيلاً ابداعياً واختراعياً ويجري هذا التخييل في التشبيه والاستمارة وغيرها
فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فأنك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب
وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والنساء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني الممدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقاص ضوءها وينفرب عن الميون مشهدها عند ما تتجلى الشمس في طلعتها الباهرة
واما ما تذكر فيه اداة التشبيه فلا يستطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لأعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج المقول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة المقول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبدهة أو اخراج الضميف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الاثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبته الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينظر فيه الباحث عن الحقائق كانهيلسوف أو الطبيب

فلو اتفق ان وقف فتى بجانب ناري وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفت أحدهما صاحبه قيد شرب فبدا لك أن تتحدث عنهما فقلت ولو في نظم «كان فلان

في سرعة عدوه كالغزال « لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عقد المشابهة بينهما في هذا الحال يشاركك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخييل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ماجربت تسمى ولكن في الهزيمة كالغزال
حيث ان الخيال يبحث عن صورة المشبه به وهو الغزال وانتقاها من بين
سائر الصور المتراكمة في الحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه
وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين الغزال
وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخييل والتشبيه الذي هو
مأخذ عن طريقته فانظر الى قول الجنون

كان القلب ليلة قيل يفدى بلبلى الصامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فبات تعالجه وقد علق الجناح
فترى الخيال هنا قد تجول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع
منها هذه المعاني وهي وقوع القطاة في الشرك وعلق جناحها به ومعالجتها له كي
تتخلص منه وضم بمضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانعقدت المشابهة
بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب الصامرية فاخذير تحجب وجلال من لوعة الفراق
ولو نظر شاعر الى ازهار مفتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلاً

هذه الازهار في منظرها وشذاها مثل ازهار الربا
لاستبردت شمره لا ول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر
كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

يبدأ أن ذلك التشبيه نفسه لو صدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعى ان هذه
الازهار ليس لها لوز ولا تفحات عطرة كالازهار التي تنبت على الربا لا صفت اليه
سمك وتلقيته منه بكل وقار. وما ذاك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً
ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما القاء اليك
في صدد البحث عن الحقيقة فلا تفتقر منه أن يصله شيء من عمل الخيال
والاستمارة يصنع فيها الخيال ما يصنع في التشبيه المجرد من الاداة الا أنها
تمرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا أنصف اليها
بعض معان عهد اختصاصها بنوع المشبه به أعني ما يسميه البيانيون ترشيحاً ،
ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

من النفر النر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر
 اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفرعت الافلاك والتفت الدهر
 اراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدهمة
 والسطوة التي يرهبا كل خطير فساق اليك هذا الفرض في صورة تنظر منها الى
 سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى
 فيها الحسام الواحد كيف يسيل من جفنه فترتعد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر
 خذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن المرج الذي ينبعث من مطلع
 سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الأولى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا
 التعبير المألوف الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانون بقولهم استمارة مصرحة
 ثم خيل الفلك في صورة من له قلب ينزع والدهر في صورة من له وجه
 يلتفت، والتصرح باسمهما بعد هذا التخييل يدخل به الكلام فيما يطلقون عليه
 لقب الاستمارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمان السيوف
 وتألقها المشاهد بالابصار على نمط قول بشر

سللت له الحسام تفلت أني شققت به لدى الظلماء فجرا
 ولكنك تضيم من يدك ما أفاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها،
 والنفر مقرون بظالمها، إذ لا يلزم من لعلها في حواشي الداجية أن تلعب في
 ليلتها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المنار) هذان البيتان من قصيدة للبارودي بمرض بها رائية أني فراس
 المشهورة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد
 المنار السابع وذكرت البيتين وعلفت عليهما بمبارة لا بأس بذكرها هنا لأنها في
 الإشارة الى ما فيهما من الخيال وهي :

ويا لله ما أرق حاشية قوله «لها في حواشي كل داجية فجر» وما أدق غزل خياله
 فيه . وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع بيلاعته السامع حتى يخيل اليه أن الأفلاك
 تصدعت مما تفرعت فيلمس رأسه نخافة أن يصيبه كدف منها ويتهلله الدهر رجلاً
 فجئته المعجب ، قالت الى السبب، وليكاد يلقه ما يتخيل من التفات الدهر ، ويلم
 به الدهش والذعر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أمه
 فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص بعصره منب يشتر ما يكون
 من فعل ذلك السيف المستل، في يد ذلك البهمة الامثل ، وجملة ما يقال في البيتين
 السحر الذي يأخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله ورحمه .

ومن التخييل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد
لصاحبه بالحدق في الصناعة وأنت تشعر بأنه عرض عليك الموهوم في حلية
المعقول كقول الطائي

ولا يروعك إيماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب
أخبر عن الشيب بأنه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان
لكل أحد ابتغاه ان تأنس العين لرأيته ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس
هذا من قبيل التشبيه اذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يمهد السامع حتى
يقصد الشاعر الى تشبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في
الواقم ولهذا تجد في نفسك ما يناجيك بان صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق
وان استحکم تأليفها ودق مأخذها

ومنه ما يستلحه الذوق ويسمه نظر الحق وتجد هذا في قول زهير
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الاقفا
فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لك أن تطرحه من حساب
التفخيلات المقبولة، وبلوغ كف الممدوح الافق لا يتفق مع النظر الصحيح
غير أن تطبيقه على حصوله لانسان من قبل وإيراده عقب حرف الشرط الدال
على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينسذه المقل
الى القضايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من الحافظة على وجوه شتى، ولا
يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فلم لك بمهمات ما يصلح أن يكون بمنزلة
أصل تتفرع عليه تفاصيلها

أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر غملا سفيننا

فإنه اضرد في حلية الفخر حتى وصل الى التعبير عن منعة الجانب، والسطوة
التي لا يفوتها هارب، فخطر له أن يثبت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز
ما يرهبون به عدوهم فذكر انهم ملأوا البر جندا حتى لم يبق فيه متسع ويملاون
ظهر البحر بالمنشآت من السفن ليدل بهذا على انهم لا يبالون بالعدو من أي

ناحية هجم ولا يتماصى عليهم ادراكه في أي موطن ضرب بخيامه
والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته
وسقته حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما
تغص الشكنة بجنودهم وان البحر يتموج بسفنهم كوج السماء المصحبة
بأكبها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يصف وقعة الاسد حين قسمه بالضربة
القاضية على شطرين

فخر مخرجاً بدم كائي هدمت به بناء مشمخراً
فقد تخيل عند ما سقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ ونقضه
من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجثة الاسد الى أن
جعلها في العظم بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقاً
ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كفى بجسمي نحو لا أني رجل لولا مخالبتي أياك لم ترني
وقوله ولوقلم ألقيت في شق رأسه وخط به ما غير الخط كاتب
فألمس وان تقلب على فراش الهجر أمدا طويلا وأكل الوجد من لحمه حتى
شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يصل في مخافة الجسم الى أن يسهه شق رأس
القلم أو يخفى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر
ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخالبته للناس هي التي تهديهم الى مكانه
فيبصرونه، ولولاها لبقني محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبالتهم، وادعى في البيت
الثاني أنه لو وقع في شق البراعة وانطلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله
ومنها — جعل الموجود بمنزلة الممدوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كائي لم آتها
وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى واقتحام الاخطار بجنان ثابت وعزم
لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفرع للثقاقا انه لم يكن قد خاض
غمارها، ورآها كيف تنشب أظفارها، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن المطلوب
المدحمة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقعتها في مجرى المادة الامن حاد عن ساحتها،
وجذب عنانه عن السير في ناحيتها،

ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولها في هذا المقام أربعة

أحراشهم (شجيرات الحسوس في صورة الحسوس كما في قول زهير
 في ربه وقد تمت حيا الكأس فيهم والفضاء
 قاتل من أسيرت مقاتلهم ولم تهرق دماء

فهذا الشعر يصور لك من دارت نشوة السكر والفضاء برؤسهم، فاجهزت على
 البقية من شمرهم، في صورة قتلى لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق
 أو سقاء سم دب دب الحمر في مفاصلهم

(ثانيها) تخيل المقول في صورة المحسوس كما في قول الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت هلام تنحب الفتاة
 فقلت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا
 تصور المروءة في ذي فتاة فتسنى له أن يسند إليها البكاء ويمقد بينه وبينها
 هذه المحاورة

(ثالثها) تخيل المقول في معنى المقول وهذا كمن تخيل المذلة في معنى الكفر فقال
 أمطري لؤلؤاً جبال مرنديب وفيضي أجيال تكرور تبرأ
 منزلي منزل الكرام ونفسي نفس هر ترى المذلة كفرا

(رابعها) تخيل المحسوس في صورة المقول، وهذا لم نعلم له على مثال في كلام
 العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المولدين بإيراد
 المحسوس في معنى المقول كقول المتنبي

قامض بنار الى فحم كأنهما في المين ظلم وانصاف قد اتفقا
 وقول الفاروقي

ثم مع الاتراب بالخيف من منى مرور المعاني في مفاز أفكارى
 وقد يمد الشاعر الى بعض المعاني وينفي عن أفراد الموهودة ويشبه الأفراد مفهوم
 آخر وتجد هذا في قول بعضهم

ليس من مات فاصراع بميت إنما الميت ميت الأحياء
 إنما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً باله قليل الرجاء
 فقد نفى أن يكون من قضى نحبه مينا وأطلق اسم الميت على من فاضت نفسه

كأية وضاق صدره بأساء على طريقة القهر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع اسم الميت إنما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصا منه، والذي أخذ به إلى هذه الدعوى ما تخيله من أن خواص الراحل إلى القبر وهي مفارقة ما كان يشتم به من طيبات الحياة وإنقطاع أوله منها ونكث يده من العمل فيها توجد باجمها في الكتيب اليأس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا على مطية المنون لانه يزيد عليهم في الشقاء بأنه يصلى نار الحسرة والاسف بكرة وعشيا وقد يكون الامر مر بوطا بملحة محترقة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من عنده وتجد هذا في قول أبي العباس الضبي

لا تركن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين تتدلى الى الغروب وتنطفئ بهرئها إنما هو الوجع والهلم من مفارقة الناس الذين طالت عليهم ذلك اليوم حيث اتصت بينهم وبينها فيما يزعم عاطفة ألفة وإيناس ومما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد ينساقط في حديقة

هز النسيم غصون الروض في سحر كما بهز بنات الفادة الوترا
لقد (١) الحفيف على اذن السحاب أما تراه يمشو على أدواحها دررا

وقلت وقد أخذت الريح تنصف في روض

قام هذا الروض بشدو مادحا بلسان البلبل الزاهي سحبا
وتنادى فاليا في مدحه فحث في وجهه الريح ترابا
وقلت في حال أشجار تراكم عليها التاج ثم ضربت فيها الشمس فاخذت تقاطر عن جوانبها
أصبح الغمام لهذه الأشجار من هزل الثلج براقما وجلالها
والشمس تبعث في الضحى بأشعة تسلو على تلك الثياب فواها
فبكت لكشف حجابها أو ما ترى عبراتها بين الغصون سواها

وقلت في حرة الشفق

قل الدجى هذا النار ودسه تحت التراب مضرجا بدمائه

(الحلاد النادر والمثبوت)

(٢٩)

(١١١ - ٣)

فخذوا من الشفق الشهادة أنه لطخ من الدم نال ذيل رداؤه (٢).
 وبما يصاغ التعليل في قالب التشبيه كقول أبي تمام
 كأن السحاب الغرقبين نحتها حبيبا فلا ترقا لمن مدام
 فلو حذفنا أداة التشبيه هنا لكان الباقي بمنزلة العلة الخيالية لنزول الغيث المتجهم من
 ينابيع السحاب، واقتترانه بأداة التشبيه يجعله بحيث يستكت عنه العقل ولا يمانعه من أن
 يدخل في سبيل المماثلة الصادقة.

ومما نظمت على هذا المثال وكان الجو يتدفع وقت السحر بنثار من الثلج
 تطاول هذا الليل والجو مزبد فضاقت بأوج الثلوج مسالكه
 كأنني أذيب الصبح بالحدق التي يقلبها وجدي وتلك صباثكه
 وقد يقرر الشاعر معنى ثم يقابله بأمر أوضح منه عند المخاطب دون أن يصرح
 فيه بأداة تشبيه بل تكون مصدرة بأداة استفهام كقول مسكين الدارمي
 وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
 أو بأداة التوكيد فقط كقول أبي العتاهية
 فرجو النجاة ولم تسلك مسالكها أن السفينة لا تجري على اليبس
 أو تقرن أداة التوكيد بالفاء كقول بشار
 فلا نجمل الشوري عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
 أو بالفاء وحدها كقول بعضهم

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطير يرقص مذبوحا من الألم
 ولنوجه البحث إلى معنى البيت الأول ثم لا يشبه عليك بعد تحرير الغرض منه
 أن بقية الآيات جارية بمعنى التمثيل، أو ذاهبة مذهب الاستدلال والتعليل
 صدر الدارمي البيت بجمل ابن عم المرء بمكان الجناح له، والشار الثاني ينفي
 عن البازي أن ينهض بغير جناح ومعنى الشارين لا يتنم إلا بملاحظة جملة مطوية
 ما بين الصدر والمجز لم يفصح عنها الشاعر بسهولة مأخذها وبعد ملاحظة تلك الجملة
 يكون مفاد البيت أن ابن عم المرء بمنزلة جناحه فلا يقدر أن يقوم بأعباء الحياة أو يدرك
 فيها غاية شريفة إلا بما ضدته كما أن البازي لا ينهض إلى الطيران إلا إذا ساعده

جناحه والقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه ثم جة البازي الى جناحه وليس القصد الاستدلال حتى يتحقق يبيت أي تمام السوق فيما سلف للاستشهاد على التخييل الذي يراد منه المخادعة وقول الدماميني

فلا تمجبوا يوما لكسر جفونها فان اثناء الحمر في الشرع يكسر
فلا سلوب في نفسه وارد في الغرضين غير ان فحوى الكلام ومجرى الخطاب
وطبيعة المعنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل
وقد يعمد الى أمرين يعمدهما الناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيمقد
بينهما تشابها وتجد هذا في قول الممرى

وشبيه صوت النمي اذا قيد من بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة ام غندنت على غضن دوحها المياد
فالمهورد ان النفس ترتاع لصوت النمي وتتفلر حزنا، وترتاح لصوت البشير
وتأنس له طربا، ولكن الحكيم يفوس في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تصير
اليه من المواقب، فيترأى له ان ليس في الحياة ما يدعو الى لذة، او يستثير النفس
الى جزع، فتكون نعمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا
ما بين النواح والحداء (له بقية)

باب الاخبار التاريخية والآراء

تفرق العرب واختلافهم في جزيرتهم

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استحسنان عظيم
عند أولي الرأي والغيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والمشرين
في مسألة الخلاف بين الحجاز ونجد - تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه
المسألة في سورية اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذاك
وأكبر مصائب العرب بأعمتهم وأمرائهم انهم قد ازدادوا تفرقا وتماديا
وعذرانا وتقاتلا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتفاق والتواد والتعاون فيما بينهم،
وقد رأينا في جريدة القبلة المسكية التي هي لسان حكومة الحجاز ورأيها متعلا
في التعادي والتقاتل بين العرب السعوديين ومن يتصل بهم من عرب نجد

والسكوت واليمن وبين عرب عسير الادريسيين وعرب اليمن العليا التابعين للامام يحيى ، وهذه الجريدة تلقي تبعة ذلك على الامام ابن سمود وعلى السيد الادريسي اللذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان نحن عرب نفار على جميع العرب ، ومسلمون تفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب والمجتمعات ونتم بأمر حفظها وصيانتها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا ، وقد حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليفه ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسوله وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام . فلا يجوز أن يقع في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولا أن يكونا موضعاً للمنازعات الحربية ولا السياسية لأنها قد تقضي الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى الحكومات الاسلامية المربية المجاورة للحرمين التصدي لاصلاح ذات البين ولو بقتال الفئة الباغية حتى تقيء الى امر الله ، ولكن مثل هذا الاقتراح لا أرجى فائدته بالاخلاص الذي يطلبه المسلمون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة بنصر احدي الطائفتين على الاخرى ، واننا نخشى ان نرى الحرمين في يوم قريب ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثناءه وتنتهك فيه حرمة بيت الله تعالى وحرمة أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلتلا في ذلك نعرض على أهل الرأي والحصافة والمسكان من المسلمين الاقتراح الآتي

اقترح لهداية الحرمين الشريفين من الحرب

وعمرانها وأمنها

لنقطر الحجازي سنة لا يشاركه فيما انظر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواء لاهله الامتياز فيه على غيرهم بالحكم والتصرف في حكمته وأرضه ومراقبته والحكومة أن توالي وتعاوي وتعاود من تشاء وتعلم من دخولها عند الحاجة من تشاء . وتأذن فيه لمن تشاء بحسب قوانينهم والقانون الدولي العام

واما الحجاز فقبضه حرم الله وحرم رسوله اللذين حرم الله فيهما ما لم يحرم في

غيرها ككل الصيد وترويضه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من المبادع ما
يشتره في غيره فوجب على مسلمي جميع الاقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص)
شد الرحال الى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدم لا يباح لغيرهم
الاقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته. وامتن الله على عباده بمجمل جوار
بيته حرماً آمناً وجعله مثابة للناس وأماناً وقال فيه (ومن دخله كان آمناً) وقال (والمسجد
الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابة والتابعين إن خلق الله فيه
سواء لا فرق بين المقيم بمكة وغيره ممن يحججه من سائر الاقطار وأنه يجب على أهل مكة
أن لا يمنعوا أحداً من الحاج مشاركتهم في سكنى بيوتهم وحرمانهم من السكك أخذ الاجرة
منهم وكرها بعض آخر بل روى في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي (ص) وإن رسول
الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت ربيع مكة تدعى الا السواك
من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا يسيرون أن يكون ليوتها أبواب لثلا يكون
منعاً من دخولها. وليس هذا الاقتراح بالذي يتسع لثقل الروايات ومذاهب الائمة
فيها وربما خصصناه مقالاً بعد

وقد روي عنهم في تفسير الاحاد والظلم في الحرم تشديد عظيم فلم يخصصوه
بارتكاب ما حرمه الله هنالك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه الا فيه بل جعلوا من
معناه مضاعفة السبائك وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك
الم بالسيرة والعزم عليها ولو قبل الوصول الى مكة. وفي الحديث احتكار الطعام بمكة
الحاد، وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: تجارة الأمير بمكة الحاد
قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاز فلم يقوموا به حق القيام ولم ينفذوا وصية
الرسول الاخيرة فيه وهو المقصود الهم من وصيته في جزيرة العرب حتى وهم بعض
العلماء انه هو المراد بها خلافاً للمتبادر من لفظ الحديث ولا مراعاة في ان الحاجة الى العناية
به في هذا الزمان أشد من كل الازمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها
فاكثر مسلمي هذا العصر تابعون لحكومات غير اسلامية تنهم بخباياهم وشؤونهم في
سفرهم الى الحجاز فاذا وقع فيه قال قائم انتم من اداء فريضة الحج في انتماء واداء كان

الحكومة الحجاز مالمّا أثر الحكومات من حق قيام العلاقات الودية وعلان الحرب على أي دولة يقع بينها وبينها ما يقتضي ذلك فإن هذا يتيح للدولة العربية لها المعجزة على الحرمين والأمن لولا عليها أو حصرها ومنع الأقوات وغيرها عنهم أي أنه قد يدور الدول الأجنبية إلى منع دعاياها المسلمين من السفر إليه للحج ولا سيما إذا كانت مادية، وكل هذا في مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية ترجع على المفاصل الكثيرة التي اكتفينا بالإشارة إليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وأما المصلحة الإسلامية العامة أن يكون الحرمين الشريفان وصياجهما من البلاد قطرا حرا مطلقا لجميع الأمم والدول أي يكون معصونا من الاعتداء عليه وانتهاك حرمة ويكون ركن الحج من أركان الإسلام قائما أبدا — بل لينتجق وأما جعل الله تعالى إياه حرما آمنا وكون من دخله آمنا وكونه لجميع المسلمين سواء العاكف فيه والبادي لا تعدي فيه ولا إلحاد

فنترح على أهل الفكرة الإسلامية من مسلمي الحجاز وسائر الأقطار أن يسموا إلى هذه المصلحة سميا وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام لحكومة الحجاز يبنى أساسه على جعل الحجاز قطرا سلميا على الحياض لا تكون حكومته خاضعا ولا عدوا للدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تعدي ولا يمتد على أولئك ولا يخاف منها، وإن تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل النفوذ من مسلمي جميع الأقطار إلى جعل جميع الحكومات المجاورة لها وسائر الحكومات التي لها رعايا مسلمون يركبون متون البحار ويشدون الرحال إلى الحرمين الشريفين للسلام والعبادة فيهما. وأنظن أن جميع الدول تجيب إلى هذا ولا تعارض فيه

نعرض هذا الاقتراح بجملة على العالم الإسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشرف الحرمين وعلمائه لبيان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمنابر مستعد لنشر ما يأتيه فيه. وإن كان لابد من التذكير ببعض التفصيل فيه فإمكن اقتراح إنشاء محكمة إسلامية بمكة يكون لكل قرار إسلامي حق تمثيله فيها بمقرر من علماء الشرع المنسبين إلى المذاهب الإسلامية التي يستقبل المتبعون لها هذا البيت في صلاتهم ويحجونه لأهل محاكمة من يتعدى في تلك البلاد على مال

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه الطعن في المذاهب فإن ضمان حرية كل منهم إلى مذهب من مذاهب المسلمين في تلك البلاد التي لهم حق أداء ذلك فيها يتلزم أن لا يطمئن أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الأخطار في الحرم بل إذا قيل أنه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الإسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومرافقة إقامة الشائرفه مع منع العالم كما ان عليهم ان يتناولوا على كفاية أهله الحاجة وافناء أعرابه عن التمدد وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المسجدين الأشرفين مثابة للناس في العلم وفي العبادة جميعاً - إذا قيل هذا كله - رجونا ان يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقبول حسن ويتكاتفوا على القيام به حتى القبول لعل الملك حينئذ يقبل هذا الاقتراح ويبادر الى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يضموا له مشروع النظام وينشر في جريدة القبل وتربل منه نسخ الى المدن الإسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لأخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ويضرب موسم الحج القابل موعدا لتنفيذه بعد جمع الآراء وتمحيصها فيه بمرضاها على لجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الاقطار علم ورأيا وحينئذ يكون سعي هؤلاء المسلمين لموافقة الحكومات على حياده وأمنه من جهة النجاح في أقرب وقت

رائنا نرى ان هذا المشروع اذا تم يسمل ما اقترحه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين امراء العرب اذا دقة والعقد الاتفاق الذي ينشأه لهم كل عربي بل كل مسلم يفقه الاسلام ويقار على مصالح أهله بان يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يترتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه وتكثير موارده ونموين أهله ونشر العلم فيه وفي ذلك من المصالح والمنافع ، والله الموفق

(كافة لاصحف الإسلامية)

نرجو من حرقائنا الكرام أصحاب الصحف الإسلامية في جميع الاقطار أن يكتسوا رأيهم في هذا الاقتراح ويبحثوا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

وثائق تاريخية ، في المسألة العربية

لشرنا في مجلدات المنار — ١٩ — ٢٠ عدة وثائق وحوادث يصح ان يرجع اليها في تاريخ ما يسمى المسألة العربية . وسنشر في هذا المجلد وثائق أخرى من رسمية حقيقة أو حكما وغير رسمية ما يعتمد في ذلك ونذكرها بالعدد

١

كتاب من ملك الحجاز الى نائب ملك الانكسار بمصر

هذا الكتاب لشر في العدد ٢٩١ من جريدة (القبلة) الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٢٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٢٠ بعد مقدمة وجيزة ويليه تعليق عليه في الانتخار به من قبل الجريدة ونحن ننقله عن هذا العدد وان نشر بعده مرة أخرى . وهذا نص ما جاء فيه تحت عنوان (الاسى والحزن)

« اذا تأملنا ما هو واقع في ساحل البلاد على البحر المتوسط وشماله مما تنقله الصحف وترويه البرقيات من الحوادث والبواث تجد أن قولنا (الاسى والحزن) لا يفي عن تصوير تلك الحالة . وليس لنا ما نقوله عنها الا : ينتقم الله من أنور وطلعت واخوانهم ومن نحاحهم وآلهم وشيعتهم . لنا ولكل سكان الدولة التركية من ساطانها الى راعي غنمها بما جرده على تركها بانقائها في هار يتهم الخافرة التي لا يعلم شأن نتيجتها والتي تنقل لنا تفاصيلها صحف العالم بأسره مما يجعلنا في دعة رمكون . أن لا تكلم أو نبحت بها كانت ترمينا به سهام الاغراض على اختلاف نزعاتها مما يجعلنا أن نقول (وقل عملوا فبرى الله عملكم ورسوله)

ولحسن الحظ منعنا بالوقوف على صورة تحرير من مولانا الملقب (١) بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نفس ما آله شيئا مما يجده عن حالة البلاد العربية وما قال عن قيامها وخروجها عن الممالك (الانورانية) والجنائيات (العالمانية) وهذه صورة الكتاب (صورة تحريرنا لقضامة نائب الملك بمصر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦)

ما رأته خصوصا بهذا الاثناء من اعتناء فقامتكم وثنا كيداتها في ازالة أسباب

وأكون خدعت نفسي وغششتكم بأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد
بالتفتن والثورات ونحوها مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيد
حسن كل ظن حكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاصي بحبرني أن أقول من
الآن ان مبادي هذه الخطرية على وشك التحسس بها بالنسبة للطلبات المتكررة
المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أدفعهم به الا قولي ان
استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا
بأوجه أخر. وعليه فان كان ولا بد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانسحاب
ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد
عرضي ولا لفكر غرضي ، وانما لا رتاب في أني وأولادي اصدقائنا الذين
لا نغيرهم الطواريء والاهواء. ثم نصينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر
اليها في أول فرصة. وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله
الى ختامها فحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا
من التهمات ونحوه من المصوم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالامر
اليها. أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن
لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وايام حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً ولو قرر
المؤتمر المذكور أضاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنكن
من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أنوسل
اليه بكل آلائه أن يتولانا جيماً بعنايات رافته الاحدية، وقبول ما أقدمه
لنخاضتك في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايائكم» انتهى

(القبلة) بالطبع انا لا ندري ما كان من الرد على هذا التحرير السامي ولا
عن مواد الاتفاق ولكننا ندري أنه بادي تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير
لم يدع نقطة مادية أو مضمونة تتعلق أساساً بأساس (النهضة) وسائر محتوياتها
وما بنيت عليه في ذاتها وما يتعلق بالعالم سواء في الماضي أو الحال أو المستقبل
. لا. بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل ما يتعلق بها بسائر الواجه
فماذا عسى أن يقول القائلون في هذا التنبأ السياسي ونزاهة الضمير عن
الذاتيات والشخصيات في كل ما يتعلق بنفس (النهضة) أو بالعالم
وكيف لا نقول بهذا التنبأ في التحرير العالي وهو صادر منذ سنتين تقريباً؟
يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتناغسون ؛ ولئن فليجمل المتأملون

نعم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجزئية مما
احتواها تحرير مولاه المنقذ ؟

فلا عجب على « القبلة » أن تقول : (لمثل هذا فليعمل الماملون)
ومتى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والخفاس
من اللجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة « اه
(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه ، ومتى عادت حرية النشر الى ما كانت
عليه نقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها كلمتنا التي نظن أنها لا تخطر لاحد
من محرري جريدة القبلة على بال

٢-٣-٤

حديث الامير فيصل — رواية حكومة مكة عن مباحثها مع

انكثرة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد الدمشقية في الشام يتضمن
ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية المظلي نشرته هذه
الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (الموافق
١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل .
وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لا ريب في ان كل عربي تهمة مصلحة البلاد العامة يتناول الى الوقوف على
سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف
سموه تجاه السياسة الاوربية وجلالة والده الملك المظلم والامة العربية جهما
والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه
لجري بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره وإحاطة
القراء بدقيقه وجليله والى القراء ما دار بينهما .

ابتداءً أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا يا صاحب السمو في العدد
المؤرخ بثامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة الصادرة في مكة المكرمة

اعلانا رسميا يقول به والدكم صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من
الحلفاء الكرام تقضي باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالته ينشرها للملا
عند الحاجة فهل لسموكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟
سمو الامير — ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد
طلبت منه صراحا ان يجمعها سلاحي اذا كانت موجودة ولا أعلم ما سبب تأخير
ارسالها لي واكتفاء جلالته بارسال صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك
المعاهدة وها أنا اعطيتك تلك الصورة ويمكنك نشرها — وهذا نصها بحروفها :
صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى

بشأن النهضة (٥)

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني
الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس
ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً ولاية حلب
والموصل الشمالية الى نهر الفرات وينتميه مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس
ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتعهد هذه الحكومة
رعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان
من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق
وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد .

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالحفاضة على هذه الحكومة وصيانتها من
أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية
من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء
أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومضى على دفع
ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون
مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) — تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية حينما يتم للحكومة
الخدمة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من
النقد يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكما قاصرة في حضن

(٥) تعبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عنها بالنهضة

بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاضئال .

(٤) — تتمهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيتها الختكممة العربية من الاسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب .

(٥) — تتمهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ماهون ~~خاتمة~~ من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها . ~~اي~~ قال سمو الامير : ولكني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قدمت هذه الصورة الى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لا يوجد عهد ولا كتاب كمهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها مثلاً رسالة من السر هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السر هنري مكماهون الى جلالة الملك المعظم بمكة

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاملات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاملات دمشق وحمص وحماد وحلب لا يمكن تسميتها عربية محضة فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي ينتموها — وانه يقتضي هنا التعديل ومن غير اخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب تقبل الحدود على ما ذكرتموه

» ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير انفراد بمصالح حليفها « فرنسا » فان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى ان اعطى التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : —

ان بريطانيا العظمى مستعدة بعد التمديدات المذكورة آنفاً : ان ~~ي~~ باستقلال العرب والاخذ بنصرهم وذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة . « أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا ان ~~ي~~ بريطانيا العظمى ومصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتها وحمايتها من كل اعتداء اجنبي ولا ارتقاء أهاليها والمحافلة على مصالحنا المشتركة فيها (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت طالب تلك المعاهدة من مكة المكرمة ولكنها وبالاسف لم ترد علي حتى الآن . فلماذا لا يمكنني ان أقول ان ~~ي~~

من الحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وما هي خطة سموكم في هذا الأمر :

جواب : اني لا أتصور أن أقابل جميل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بأن لهما منافع أدبية واقتصادية يحجب احترامها ولكن في الوقت نفسه أؤمل أن تنظر إلينا هاتان الحكومتان بنظر الاحترام وإلى حقوقنا بنظر الانصاف والمدل، وان لا تطالبانا بما يخل باستقلالنا ورقينا المادي والمعنوي وان لا تهجرانا على اتباع تقاليدنا على العمياء بل نأخذ منهما ما طاب من مدينتهما الحديثة ونترك ما هو مخالف لمدينتنا وعظمتنا التاريخية .

سؤال : نشرنا في المفيد برقية منقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فما ترون فيها :

جواب : ان الوكيل يدافع في قضيته على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم عادلا فلا شك بأن الوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولا - وأنا في هذه الحالة لافرق بيني وبين وكلاء الدعاوي امام المحاكم فدافعتي تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية، وعلى كل فاني أؤمل من رجال الحكومات والامم المتعددة ان تنظر إلينا بعين الحب ولا تهضم لنا حقا كما تتمكن من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية الفائرة

سؤال : كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى « معاهدة سايكس بيكو » نشرها جمال باشا زاعما ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عند ما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صعدت أوروبا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذا لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الاماكن الرسمية أو اطلعت عليها في أثناء الحرب أو بعدها :

جواب : حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والذي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فقال جلالة الحكومة البريطانية بواسطة معتمده بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكذب منه : « ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات موقته بين انكلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

المصائب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل او الخبث غير في مقصدها الاسامي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضی الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى «

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن معترفاً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي والمرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بتاتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن وتصريحات الحكومات بالقاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لانعترف بتلك المعاهدة . اهـ

(المنار) هذا ما صرح به الامير فيصل في دمشق قبل نفيه ملكاً على سورية فيها بزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلعاً على شيء غير ما ذكر فيه مما دار بين والده وبريطانية المظلي من الاتفاق الذي حمله على الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها مع الحلفاء وكان هو القائد لجيش والده في هذه الحرب بل كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتماداً على ان بيده شيئاً وظاهر ان كلا من الروايتين مبين لمصلحة العرب ومناف لحريتهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانيا المظلي لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للامبراطورية الانكليزية ويحول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاءت منها بحجة منع الثورات والنقن الداخلية دع احاطتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين السر هنري مكماهون بالنيابة عن حكومته وبين شريف مكة وأميرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانجليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بمض ما جاء في تلك المعاهدة بالمعنى على ما تذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكونلونيل الانكليزي لورانس مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها

من الخير
الحكمة من يتلو ويؤمن بالحكمة قدس

المكتبة
١٣١٥

تعتبر عادي الذين يستمعون القول فينبول أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى « ومثارا » كذا الطريق للاسلام

مصر ٢٩ رجب ١٣٣٩ - ١٨ الحبل (ر ١) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ مارس ١٩٢١

فَتَاوَى الْمَلِكِ الْمَلِكِ

فصحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدما متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(النيل والفرات وتمدية التمزية وأهل الفترة)

(س ٤ - ٦) من صاحب الامضاء في بلدة - الملاقة - مصر

حضرة الاستاذ الملامه صاحب الفضيلة منشيء مجلة المنار الغراء
سلام عليكم ورحمة الله. اما بعد فهذه رسالة نذكركم فيها بما أرسلناه الى
فضيلتكم سابقاً راجين ان تجيبونا عما تتضمنه من الاسئلة بما نهمده فيكم من
شافي الجواب وفصل الخطاب

الاول: روى الصحيحان من حديث الاسراء ان النبي (ص) قال فيما يحدث
عن الجنة ان بها نهرين ظاهرين هما النيل والفرات وان منبعهما في أعلى صدره
المنتهى ونهرين باطنين ينبعان من أصل الصدر. وقد أصبح مما لا ريب فيه ان
كلا من النيل والفرات له منابع خاصة فلا نستطيع التوفيق بين الحديث وبين
ما اثبتته العلم الحديث حتى لقد قال بعض الناقدين في الحديث من العلماء انه
موضوع اذ ليس بعد البيان من دليل وقوى ذلك اضطراب روايات الحديث
خصوصاً ما روي عن ام هانيء انها صلت مع النبي (ص) المشاء ثم بات عندهما

ومعلوم انه لم يكن قبل الاسراء عشاء مع اتفاق اهل السير على انها لم تسلم الا يوم الفتح او بعده

الثاني : نقلت في احد المجلدين (الرابع او الخامس) عن امام اللغة الشيخ الفنقيطي (رح) ان عزي من التعزية بالميت لا تشمل الامتعية بمن خلافا للشهور من تمديتها بالباء ولكن الرب قد استعملوها متعديا بالباء قال شاعرهم في رثاء محمد بن يحيى (بلسان الندى والجود)

فقالا أقتنا كي نعزي بفقدك مسافة يوم ثم تلووه في غد

الثالث : يكاد اهل السنة يتفقون على ان اهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام فكيف يتفق هذا مع ماورد في صحيح مسلم من عدم الاذن للنبي (ص) في الاستغفار لامة وما ورد في الصحيحين وغيرهما من قوله (ص) لا عمرابي « ان ابي واباك في النار » وهل ما يروونه في تمذيب حاتم وامريء القيس وغيرهما صحيح يمول عليه ام لامع ملاحظة عدم قرينة تدل على تأويل الاب بالمم في الحديث السابق ؟ ولماذا لم يكن ابواه (ص) من اهل الفترة الناجين ؟ هذا ونرجو من فضيلتكم عدم ارجائها حتى لا نحتاجونا الى تذكير آخر واقبلوا منا في الختام التحية والمودة الخالصة

الاخ المخلص
احمد عطيه قوره

[الجواب من الاول]

(خروج النيل والفرات من سدرة المنتهى وكونهما من الجنة)

في حديث أنس بن مالك بن صفصة انه (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال « واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » وفي رواية أخرى لحديث المراجح هـ البخاري « فاذا في أصلها أربعة أنهار » وفي رواية « يخرج من أصلها أربعة أنهار » وقد اختلفت الروايات في سدرة المنتهى فني بعضها أنها في السماء السادسة وفي بعضها أنها في السابعة وفي أخرى أنها في الجنة وقال القاضي عياض هي في الارض . وفي بعض الروايات أن النبي (ص) رفع اليها وفي بعضها أنها هي رفعت اليه حتى رآها . وفي رواية شريك لحديث المراجح في كتاب التوحيد من صحيح

البخاري أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات.
فروايات حديث المراج مضطربة المتن في هذه المسألة وغيرها كثيرة التعارض
والاختلاف كما يتناه منذ صنين .

والظاهر أن من أسباب الاضطراب والاختلاف في هذه الأحاديث روايتها
بالمعنى ولم يبرهون العلماء المتقدمين حاجة إلى ردها بالاضطراب ولا تأويل هذه
المسألة فيما أولوا قالوا لأنها لا تنافي العقل وقائهم أنها تخالف ما هو أقوى من
دلالة العقل الذي يكثر غلطه في النظريات وهو الحق فان اللوف من الناس رأوا
منبع النيل والفرات بأهينهم وفي مصر كتاب مطبوع فيه رسم بحيرات النيل التي ينبع
منها ويخرج من أوله إلى مصبه في البحر المتوسط

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على
أن أصل صدره المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها وإذا الحفظ في
شرح البخاري : وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل الصدر
في الأرض . ورد النووي قول القاضي بظاهر معنى الحديث وكونه لا يمنعه عقل ولا شرع
ثم ذكر النووي في شرح حديث أبي هريرة عند مسلم في المسألة « سبحان وجيعان
والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » أن سبحان وجيعان في بلاد الأرمن
الأول نهر اذنه (اطنه) والثاني نهر المصبصة ثم نقل عن القاضي عياض في تأويل
الحديث أن الإيمان هم بلاد هذه الأنهار وأن الأجسام المنغذية بماؤها صائرة إلى الجنة
ثم قال والأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة واحتج بحديث المراج اه
وقال بعضهم أن المراد يكون النيل والفرات من الجنة هو التشبيه لما جاء الجنة في عذوبته
وجننه وبركته أي فوائده على طريق المبالغة ، وهذا لا يتكلف فيه إذا فسر به
حديث أبي هريرة بأنها من الجنة ولكن الاستمارة لا تظهر في روايات أحاديث
المراج الا بتكلف ولعل سبب ذلك روايتها بالمعنى ويسهل الخطأ على القول بأن
حديث المراج كان بياناً لرؤيا منامية أو مثالا لمشاهدة روحية والله اعلم

(مسألة تمدى التعزية بالباء)

البيت الذي ذكره الماثل في رثاء محمد بن يحيى البرمكي ليس من كلام العرب

بل لا اصدق أنه من كلام أهل ذلك العصر الا اذا وجدته مرويا في كتب المتقدمين
على أن الباء فيه لا يتمين أن تكون لتعدي بل انما هي للسمية ، أي أقنا لكي
نمزي بسبب فقد على أن معاجم اللغة ذكرت الفعل لازما لامتعديا بمن ولا بالباء
ولباء وجه قياسي كما علمت

﴿ أهل الفترة وأبو النبي (ص) ﴾

في نجات أهل الفترة خلاف مشهور وقد استثنى المنتهون لها من ود النص بأنهم
من أهل النار في الأحاديث التي ذكرها السائل وغيرها والا كانت هذه الأحاديث
حجة عليهم — وقد شرعنا مسألة أبي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي إبراهيم عليه
الصلاة والسلام في تفسير (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناما آلهة) الآية
فراجع في المجلد العشرين من المنار أو المجلد السابع من التفسير

﴿ كعب الاحبار ﴾

(س ٧) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

حضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي سؤلنا عن العلامة كعب الاحبار الذي نسمع بأحاديثه الكثيرة
وكان عالما عند اليهود ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعاش الحارثي
معاوية ومات وعمره ٢٠٠ سنة أهو شخص حقيقي أو وهمي

صلاح ناجي الكسادي

(ج) كعب الاحبار شخص حقيقي معروف في كتب الحديث وتواريخها

وقد استلموا في تاريخ اسلامه قل الحافظ ابن حجر في الإصابة : والراجع ان
اسلامه كان في خلافه عمر وروي عنه أن سبب تأخير اسلامه أن أباه كان كتب له
كتابا من التوراة وأمره بالعمل به دون غيره وختم على مائت كتبه وعهد اليه ألا
يقض الختم فلما رأى ظهور الاسلام وانتشاره فض الختم فرأى في الكتب صفة النبي
(ص) وأمنه فأسلم. ونقل عن ابن سعد أنه مات سنة ٣٢ وعن ابن حبان في الثقات أنه
مات سنة ٣٤ وأنه بلغ مئة وأربع سنين. وقد عدلوا روايته وذكروا انه روى عنه بعض
الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ولكن قل فيه معاوية : ان

كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين من أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.
رواه البخاري في صحيحه وأوله به فيهم أن المراد هدم وقوع ما يخبر به لا اختلاف الكذب

هو أفضل النبيين والسؤال بحقه

(س ٨ و ٩) ومنه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم زيد في مجده
سيدي السلام عليك ورحمة الله . وبعد فالمرجو من فضيلتكم ان تبين لنا
الجواب عن السؤال الآتي وهو :

قد نص القرآن الكريم على افضلية بعض النبيين على بعض في الدرجات
ولم نرفه آية تدلنا صريحا على من هو افضلهم وما هو نوع التفضيل فاذا كان
الافضل محمداً فالدليل وبماذا كان افضل

ثم اذا دعا أحد هكذا (اللهم اني أسألك بحق أو بجاه محمد سيد المرسلين
أن تسهل لي رزقي او تنفّر لي ذنبي) مثلاً فهل هذا الدعاء جائز شرعاً او يعد ذلك
شركاً. أفيدونا أثابكم الله

(ج) هنا سؤالان لسؤال واحد وانما يجيب عنهما باختصار لما سبق لنا
في موضوعهما من التفصيل في عدة مواضع

هو فضل نبينا على سائر النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام

الفضل في اللغة الزيادة وأفضل الشئين أو الشخصين مثلاً ذوا زيادة في
الصفات والمزايا والخصائص والأعمال الشريفة التي من شأنهما الاشتراك فيها
فتكون موضوع التفاضل، فالأنبياء منهم المرسلون وغير المرسلين والمرسلون
أفضل بما خصوا به من الرسالة ، وقد كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة
بشرع مؤقت يليق بحالهم واستعدادهم للهداية حتى استمد جميع البشر للهداية
الكاملة العامة فبعث الله محمداً خاتم النبيين للناس كافة وأكمل به دينه الذي بعث
به من سبق من رسله وأتم نعمته عليهم فكان رحمة عامة للعالمين وانما تكمل الاشياء
بمخواتيمها فكان افضلهم بمموم بعثته وشمول هدايته وكمال الدين على لسانه ويده
وحفظ كتابه وآيته وهذه مزايا تتعلق بموضوع الرسالة، والقرآن ناطق بكل منها،
ولهذا قال من قال في تفسير قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) انه هو المراد بالبعث،
والتمنيح قد يختار على التصريح اذا كانت قرائن الحال مميّنة له ، وقال شيخنا

الاستاذ الامام ان نكتة ذكره بين موسى وعيسى عليهم الصلاة في قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأبدناه بروح القدس) هي التفضيل لكونه هو الوسط كما قال انه جمل أمته وسطا - وخير الامور أوسطها - وقد كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة والشدة في الاحكام الجسدية والامور المادية وتعاليم عيسى مشتملة على المبالغة في احكام الزهد والمواعظ الروحية فجاءت شريعة محمد وتعاليمه وسطا في كل منهما كما بيناه بالتفصيل في مواضع من التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، ولما كانت أمم الرسل المعروفة في زمن بعثته محصورة في أمة موسى وعيسى كان ذلك من أقوى القرائن اللفظية على ان من رفعه الله درجات هو النبي الذي بعث بعدهما لان حمله على نبي انقضت أمته ولم يبق أثر لشريعته بعيد وغير مفيد وتنزهه بلاغة القرآن وهدايته عن ذلك

﴿ سؤال الله بحق خاتم رسوله وجاهه ﴾

سؤال الله تعالى ودعاؤه هو روح العبادة وركنها الاعظم والقاعدة التي تلي توحيد الله وعدم اشراك أحد معه في العبادة هي ان عبادته تكون بما شرعه سبحانه فقط أي اتباعاً لا ابتداع فيه. ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله المتبعة التي صححت بالنقل والعمل عن السلف الصالح ان يسئل سبحانه شيئاً بحقوق أحد من خلقه عليه وان كان من عباده المكرمين الذين جعل لهم حقاً عليه جزاء على أعمالهم ، ولا يجاهه عنده وان ثبت انه جعل له وجاهة ، فهذا السؤال اذا بدعة ولكنه ليس شركا في هذه العبادة لان السائل قد توجه فيها الى الله ودعاه وحده ولكنه ابتدع في دعائه بدعة أراد ان تكون سبباً لاجابة السؤال ، وهي ادخال شيء في العبادة لم يأذن به الله بنس ولا خوى بل يدل الشرع والمقل على بطلانه ، ذلك بانه ليس لاحد على الله تعالى حق الا ما جعله هو له بفضل له وان كان جزاء على عمله فانابته لمبيده فضل منه عليهم كما ثبت . وقد ورد في الصحيح من ان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه اذا فعلوا ذلك ان يدخلهم الجنة - فهذا الحق يزيد المأبد الخلد لله تعالى لا يسع ان يكون سبباً لاجابة سؤال عمرو وشفاء مرضه أو توسيع رزقه أو معصية ذنبه لان من أصول دين الله المعقولة (ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان) (المنار : ج ١) (٣٤) (المجلد الثاني والمثرون)

الا باسمي) وكذلك ما جعل الله من الوجاهة بفضله لموسى عليه السلام اذ قال فيه (وكان عند الله وجيهاً) لا يمتل ان يكون سبباً لمثل ذلك . قاله تعالى قد جعل ليكل شيء سبباً وليست هذه الوجاهة ولا تلك الحقوق من أسباب ما ذكر ، على انها لو كانت منها لما صح ان تدخل في العبادة الا باذن منه تعالى كما اذن بغير زيادة ولا نقص . نعم ان من الجاه او الوجاهة الشفاعة وهي من أسباب المغفرة ولك ان تسأل الله ان يجعلك أهلاً لشفاعة رسوله ويغفر لك بها ولكن لم يرد أنها سبب لمصالح الدنيا ولم يكن الصحابة يطلبون من النبي (ص) عند قبره ولا في حال البعد عنه في حياته ان يشفع لهم في شفاء مرض ولا دفع ضرر ولا نزول مطر ولا يسألون الله ذلك بجاهه (ص) وقد طلبوا من عمه العباس ان يستقي لهم بعده بدلاً من استسقاؤه ولو كان هذا من عبادتهم لتواتر عنهم أو اشتهر برواية الشيخين وأصحاب السنن لتوفر الدواعي على ذلك

فان قيل: ان شرع ما لم يأذن به الله قد عد من الشرك وعد من يقبله ويعمل به من متخذي الشركاء والارباب من دون الله في قوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله عز وجل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية وقد فسّر في الحديث المرفوع اتخذهم أرباباً بطاعتهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم . وطالما كرر المنار هذه المسألة (وفي تفسير هذا الجزء قول مفصل فيها) قلنا ان السؤال وارد ولكن يفرق في مثله بين تنقيح المناط وتحقيق المناط فان الشيء قد يكون بمقتضى الدليل شركاً أو كفراً ولا يعد كل من فعله شركاً أو كفراً كما نقلناه عن شيخ الاسلام (ص ١٢١ ج ٢) ولا يسأل ذلك السؤال من يقوله من المسلمين الا وهو يظن انه مشروع بتقليد أو شبهة دليل على صحته كبعض الاحاديث الموضوعة أو الضعيفة التي لا يثبت بها حكم . وكل البدع الدينية ومساائل المبادات التي لا تدل عليها النصوص من هذا القبيل ولم يكفر السلف مسلميها كما فصلناه في الاجزاء التي قبل هذا ومنهم من يدخل هذه المسألة في باب الاقسام على الخالق بالخلق وقد صرح الحنفية بكراهته قال ابو يوسف واكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشرع الحرام . والمراد كراهة التحريم . وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) وهو مطبوع نقلنا بعض أقواله في المجلد الثاني عشر من المنار وغيره فليراجع السائل ذلك في موضعه

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المبتدع اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأيه في نبأ نشرته الصحف الأميركية ونحوه انه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما تصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرت خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتك اميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن يهتم بموضوع ما فان الجمهور يبالي في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل. وعليه فلما اذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فسحت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغت أعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشتغل بهذه المسئلة ». الى ان قالت « وأهم ما في الامر ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذييها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسمى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أمر الحياة بعد الموت وبقاء النفس وامكان مخاطبة الموتى ». وهذه صورة الحديث . قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونوграф والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سميح وجهه الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس . فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يجهلون كل الجمل مصيرهم بمسده . ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا . وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولغزا من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا الخترع العظيم يمد طريقة او آلة للمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والدورية واعتمادا ترجمة انجليزية

منها مع تصحيح لغوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوروبا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسعوا الخيال آلة اديسن بانها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبائهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة أكيدة

وليس في الناس احد اشد اسفاً من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمونه الروح . تصور شيئاً لا ثقل له ولا صورة مادية ولا حجماً . وبمباراة أخرى تصور غير شيء . انا لا أستطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تقرع عليها او تعمل أعمالاً سخيفة مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قابلي لازالة ما علق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضه من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع انه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال : « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما اقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطقة اخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئاً فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكنني ادعي انه يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغاً بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والنقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخيفة المعروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملي على الشك في صحة مناجاة الموتي التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد هذا كله يظهر لي انه من الاعمال الصبائية حتى لا أستطيع ان ابحت فيه بعين الجدل والاهتمام . وعندي انه اذا شئنا ان نتقدم تقدماً حقيقياً في البحث العقلي وجب ان نطويع عليه بالآلات العلمية وبالطرق ،

العملية كما نفعل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
واما ما اريد ان اعمله فهو ان اجعل الباحثين في المباحث العقلية النفسية
بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
به آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آتية على هذا المثال حتى ان اصغر
قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
وقد مضت على مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
النفسيين بآلة قد تساعد في عملهم كما يساعد المكرسكوب رجال الطب في
مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق العادة فاني
افقد كل ثقة وایمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
ومما يقال عن المستر اديسن انه لا يصدق المذاهب المعروفة في الحياة
والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسلاً مذهبه فيها « عندي
ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من
ملايين من الكائنات المتناهية في صغرها وكل منها حي مفرد ويرتبط بعضها
ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلاً منا شخص واحد
قائم بنفسه وتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلاً منها فرد
قائم برأسه ولكنني ارى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها اصغر
من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يترض على هذا الرأي بانه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستطيع القيام بالاعمال التي
سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكترونت خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي بالحساب أنه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الألكترونات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات. وهناك دلائل كثيرة تدل على أننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا تصرف جماعة من الأحياء لا تصرف حي واحد. وهذا ما يحملني على اعتقاد أن كلا منا يحتوي على ملايين من الأحياء وأن أجسامنا وعقولنا تمثل أفعال الكائنات التي تتألف منها.

ولننظر الآن في السبب الذي يحملني على القول بأنه لا بد أن تكون أجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات. خذ بصمة إبهامك كما يفعل البوليس في بصم إبهام المشبوهين ثم ازل خطوط إبهامك بحرقها بالنار. فتى نما الجلد ثانية تجد أن خطوطه لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتحنت ذلك بنفسي حتى تحققت. هذا سر من الأسرار ما فتى مطلقاً حتى الآن. تقول لي أن هذا عمل الطبيعة. وهو جواب يراد به التفصي لا غير إذ لا معنى له بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب. إن كلمة «طبيعة» ما اقنعتني قط: أما جوابي أفا فهو أن الجلد لم يثبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل إن هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقته لرسوم التوالاول من كل وجه. واثت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فإن دماغك لم يشترك في هذا العمل: وهنا تدخل الكائنات المشار إليها وتشترك في العمل. وأنا اعتقد جد الاعتقاد أنها تحوّل نسج جلد الإبهام بمزيد العناية مستمينة على رسم التفاصيل الدقيقة بذاكرتها المعجبية.

ولزيادة الإيضاح أقول. لنفرض أن كائناً من سكان المريخ هبط إلى هذه الأرض ولنفرض أن بصره ليس دقيقاً كبصرنا وأن أصغر شيء يمكنه أن يراه بعينه هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلن فهو إذاً لا يرى أجسامنا وقد يحسب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحسب نحن العشب أو الرمل أو المادون وغيرها من الأشياء الطبيعية، ولنفرض أنه هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله. فهل يقوده الفكر الصحيح إلى افتراض أن الجسر الجديد تماثله مكان القديم وعلى مثاله أو إلى افتراض أنه مد ثانية بفعل فاعل عاقل. لا ريب أن الفرض الثاني

أقرب إلى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب أن نقفه نحن بازاء الكائنات الحية. والمسئلة كلها مجرد افتراض وتخمين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف أجسامنا منها عمالاً والجنس الباقية مديرة للمعمل وقد يكون غير ذلك. ومهما يكن من الامر فإن مجموعها هو الذي يكون شكل أجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تنفصل تعمل وترسم نسخة اجسامنا وتشرف على وفلائف اعضائنا. فاذا أصيب الجسم بطاريء افضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرمياً فان هذه الكائنات تغارقه ولا تترك وراءها الا بناء خاوياً خالياً. ولما كانت عمالاً لا تكل ولا تعمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذاك فان هذه الكائنات محدودة المدد وهي نفسها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تعدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لا تموت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهد ما هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والأكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نغير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها متعددة الضروب حتى يصعب علينا تمييز أعمالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن أن يرسموا حداً بين الاشياء الحية وغير الحية. وقد يكون أن هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فما الشيء الذي يحمل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة؟

والآن نأتي الى مسألة الشخصية. أنت ليكر بورا (اسم الكاتب) وأنا ديمس لان في كل منا مجموعاً من سمات يختلف عن مجموع الآخر. فقد أثبت ايليب باثلين وثمانين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمه تليف « بروكا ». ومن العقل والصواب

ان نفرض ان مركز الكائنات التي تدير حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلغيف . فهو الذي يشرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصيتنا . ولقد قلت ان مالمسيه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابداننا . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلغيف « بروكا » . اذ المقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . واما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لسكربورا و اكون انا اديسن ويكون زيد زيدا فاذا يجري بها ؟ هل تبقى مجموعة واحدة او تتفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بمجموعة ؟ فان كانت تتفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتمنحنا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تتفرق ثم تتحد بكائنات اخرى لتولف اجساما جديدة منها فان ذلك يضع علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها

ولي الرجاء ان شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي انا ساع في اختراعها لا بد ان تفيدنا . وهذا ما يحدوني على الانهماك بعملها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بنهاض الصبر»

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المخترع الشهير انه يمتقد بنظره العقلي واختباره العلمي جواز ما يحزم به جميع الملمين ايمانا بالغيب وكثير من الفلاسفة والعلماء الروحانيين بالدلائل والاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو أن يكون ما يجوزه ويقول بإمكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فنا هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وان كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسببها ، وبناء على هذا الرجاء يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى انها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير ارواح الموتى في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتتمنى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الاقربنج في هذا العصر وكان معروفا عند الصوفية في القرون الماضية والمصور الخالية . فتأمل كيف قربت الملم المادية عالم الغيب من عالم الشهادة . ان في ذلك للمتفكرين ، وقد أقرب مجده بحقيقة الروح ولا غرو (هل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

تاريخ فنون الحديث

الجوامع العامة

٤

« ا » منها جامع المسانيد والالقباب لابي الفرج عبيد الرحمن بن علي الجوزي (١) جمع فيه بين الصحيحين ومسنند احمد وجامع الترمذي وقد رتبها احمد بن عبد الله المكي (٢)

« ب » ومنها (جامع المسانيد والسنن الهادي لا قوم سنن) للحافظ اسماعيل بن عمر الوشي الدمشقي المعروف بابن كثير (٣) جمعه من الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومن مسانيد احمد والبخاري ويلي والمعجم الكبير للطبراني « ج » ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن علي الهيثمي (٤) جمع فيه زوائد مسانيد احمد وأبي يعلى والبخاري ومعاجم الطبراني الثلاثة وموجود منه بدار الكتب ثمان مجلدات، وقد شرع بطبعه من زهاء ٢٠ سنة ولعله تم

« د » ومنها مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود البغوي (٥) جمع فيه ٤٤٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان ويعني صاحبها بالصحاح ما أخرجه الشيخان وبالحسان ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرها وما كان فيها من ضعيف أو غريب بينه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً وقد اعتنى المصنف بها عناية عظيمة فشرحوها شروحات كثيرة وكلها محمد بن عبد الله الخطيب وذيل أبوابها فذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه وزاد على كل باب من الصحاح والحسان فصلاً ثالثاً عدا بمض الأبواب وكان ذلك سنة ٧٣٧ هـ كتاباً حافلاً واسماء منكاة المصابيح وقد شرح المشكاة كثيرون

« هـ » ومنها جمع الجوامع في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه جمع الأحاديث النبوية بأسرها. قال المناوي انه مات قبل ان يتمه ولقد اشتمل كتابه على كثير من الأحاديث الضعيفة بل الموضوعية وقد هذب ترتيبه علاء الدين علي بن حسام الهندي المتوفى بمكة سنة ٩٧٥ في كتابه كنز العمال في سنن الاقوال والافعال وقد اختصر السيوطي كتابه في الجامع الصغير وزوائده

« و » ومنها تحف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة لاحمد بن أبي بكر

(١) توفي سنة ٥٩٧ (٢) سنة ٦٩٤ (٣) سنة ٧٧٤ (٤) سنة ٨٠٧ (٥) سنة ٥١٦

(المنار : ج ٤) (٣٥) (المنار : ج ٤)

البوصيري (١) أفرد فيه زوائد - مسانيد أبي داود الطيالسي والحميدي ومسند وابن أبي عمرو واسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وعبد بن حميد والحرث بن محمد بن أبي أسامة وأبي يعلى الموصلي - أي مازاد من أحاديثها على الكتب الستة وهو مرتب على مائة كتاب

الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام

«ا» منها الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٢) جمع فيه متون الأحكام وشرحه ولكن لم يكمل شرحه ويقال أنه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه «ب» ودلائل الأحكام من أحاديث النبي (ص) لابن شذاد الحلبي (٣) تكلم فيه على الأحاديث المستنبطة منها الأحكام في الفروع ويقع في مجلدين «ج» ومنتقى الأخبار في الأحكام للمحافظ محمد الدين أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية الحلبي (٤) انتقاه من صحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وجامع أبي عيسى الترمذي والسنن للنسائي وأبي داود وابن ماجه واستغنى بالعز والى هذه المسانيد عن الإطالة بذكر الأسانيد وأنه لكتاب قيم شرحه الإمام المجتهد الشوكاني محدث اليمن (٥) شرحاً مسهباً بلغ ثمانية أجزاء جمع فيه من فقه الحديث ما لم يعمر عليك في كتاب آخر وقد أسمى شرحه نيل الأوطار - طبع بمصر وتعدت نسخته - «د» وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للمحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦) وعمن شرحه شرحاً وجيزاً صديق حسن خان (٧) بلغ شرحه مجلدين - طبع وتعدت نسخته - وقد اشتمل بلوغ المرام على ألف وأربعمائة حديث من أحاديث الأحكام وهو كتاب عظيم القدر طبع في مصر وفي الهند مع حواشي للسيد أحمد حسن الدهلوي المعاصر بين فيها علل الأحاديث المعلولة وخلاصة المعنى

كتب أخرى

من الكتب النفيسة في الحديث (المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (٨) التزم فيها الصفة فصحيح أحاديث لم يسبق إلى تصحيحها ولم يتم الكتاب وقد وجهه بعض الحفاظ على مستدرك الحاكم ومنها السنن كتابا الكبير والصغير كتابان لأحمد بن حسين البيهقي (٩) قيل لم يسنف في الإسلام مثلها قال ابن الصلاح ما

(١) توفي سنة ٨٤٠ (٢) سنة ٧٠٢ (٣) سنة ٦٣٢ (٤) سنة ٦٥٢ (٥) سنة ١٢٥٠ (٦) سنة ٨٥٢ (٧) سنة (٨) سنة ٦٤٣ (٩) سنة ٤٥٨

ثم كتاب في السنة اجمع للدلالة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي وكأنه لم يترك في سائر اقطار الارض حديثاً الا وقد وضعه في كتابه - ومنها بحر الاسانيد للإمام الحافظ الحسن بن احمد السمرقندي (١) جمع فيه مائة الف حديث رتبة وهذبه ولم يقع في الاسلام مثله . ومنها الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢) وهو من أحسن الكتب طريقة في جمع الحديث وبيان درجته وليت كتب الحديث كلها على نمطه - وهو مطبوع -

ترتيب كتب الحديث في الصحة

قد بينا فيما سلف درجة كل كتاب من كتب السنة الشهيرة في الصحة وهانحن أولاء ندلي اليك بفصل جم الفائدة عظيم العائدة ينجلي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصحة لتكون على بينة من أمرها فنقول وبالله توفيقنا

قد قسم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر الى تفاوت الاوصاف المقتضية للصحة الى سبعة أقسام كل قسم منها اعلى مما بعده فالاول ما أخرجه البخاري ومسلم ويسمى بالمتفق عليه والثاني ما انفرد به البخاري والثالث ما انفرد به مسلم والرابع ما كان على شرطهما مما لم يخرج به واحد منهما والخامس ما كان على شرط البخاري والسادس ما كان على شرط مسلم والسابع ما صححه أحد الامة المعتمدين وترجيح كل قسم من هذه الاقسام السبعة على ما بعده انما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الآخر فيسوغ أن يرجح حديث في مسلم على آخر في البخاري اذا وجد موجب الترجيح ولقد كتب الشيخ احمد المروفي بشاه ولي الله المحدث الدهلوي (٣) في كتابه حجة الله البالغة فصلا في طبقات كتب الحديث نورد لك خلاصته قال :

طبقات كتب الحديث أربع فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم

والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحنف والتبحر في فنون الحديث ولم يتساهلوا فيها وتلقاها من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون "استبراء" وذاعت

بين الناس كسب أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي . وهذه الكتب مع الطبقة الاولى اعتنى بأحاديثها رزين ابن معاوية المبدري السرقسطي في تجريد الصحاح وابن الاثير في جامع الاصول وكاد مسند أحمد يكون من هذه الطبقة والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات صنعت قبل البخاري ومسلم وفي زمانهما وبمدهما جمت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والمنكر والفريب والشاذ والخطأ والصواب والثابت والمقلوب (١) ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار وان زال عنها اسم النكارة المطلقة ولم يتداول ما تفردت به الفقهاء كثير تداول ولم يفحص عن صحتها وضعفها المحدثون كبير فحص . ومنها ما لم يخدمه لغوي لشرح غريب ولا فقيه بتطبيقه على مذاهب السلف ولا محدث ببيان مشكله ولا مؤرخ بذكر اسماء رجاله ، ولا أريد المتأخرين المتسقين والناقلين كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث فهي باقية على استنساخها وحوالها كسند أبي يعلى ومصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد ومسند الطيالسي وكتب البيهقي والطحاوي والطبراني وكان قصدهم جمع ما وجدوه من الحديث لاتلخيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل

والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متطاولة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الاوليين وكانت في انجاميع والمسانيد المختلفة فزوها بأمرها وكانت على السنة من لم يكتب حديثه المحدثون ككثير من الوعاظ المتشددين وأهل الاهواء والضعفاء أو كانت من آثار الضعفاء والتابعين أو من كلام الحكماء والوعاظ خلطها الرواة بحديث النبي (ص) سهواً أو عمداً أو كانت من محتملات

(١) الصحيح من الحديث ما رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معارض ولا شاذ وهذا هو الصحيح لذاته فان خف الضبط فالحسن لذاته وبكثرة الطرق يصحح فيسمى الصحيح لغيره والضعيف ما دون الحسن والمعروف ما كان في مسنده ثقة خالف ضعيفاً في حديثه . ومروى ذلك الضعيف يسمى المنكر ويطلق المنكر أيضاً على حديث في مسنده كثير الساطع أو غافل عن الاتقان أو فاسق . والفريب ما كان في مسنده منفرد بالرواية لم يشاركه فيها أحد أو لم يكن إلا مسند واحد والشاذ ما كان في مسنده ثقة خالف من هو صحيح عنه زعموا يطلق على من تأخره في الضبط والمقبول ما كان فيه تقديم ولا سيما في كتب وكعب بن مرة

القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يعرفون غوايض الرواية فعملوا المعاني أحاديث معروفة أو كانت مفهومة من إشارات الكتاب والسنة جعلوها أحاديث منفصلة برأسها عمداً أو كانت جملات في أحاديث مختلفة جعلوها حديثاً واحداً بنسق واحد ومظنة هذه الأحاديث كتاب الضمفاء لابن حبان والكامل لابن عدي وكتب الخطيب وأبي نعيم والجوزقاني وابن عساكر وابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة وأصلح هذه الطبقة ما كان ضميماً محتملاً وأصولها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد النكارة. وهذه الطبقة مادة كتب الموضوعات لابن الجوزي أما الطبقة الأولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين . وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها إلا النحارير الجهابذة الذين يحفظون أسماء الرجال وعلى الأحاديث، نعم ربما يؤخذ منها المتابعات والشواهد — وقد جعل الله لكل شيء قدراً — وأما الرابعة فلا اشتغال بجمعها أو الاستنباط منها نوع تعمق من المتأخرين وان شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية أن يلخصوا منها شواهد مذاهبهم فلا تنصار بها غير صحيح في معتك العلماء بالحديث اهـ

ولابي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (١) مقالة في ترتيب كتب الحديث جرى فيها على ما ظهر له في ذلك ذكرها في كتاب مراتب الديانة وقد أورد السيوطي خلاصتها في كتاب التقريب فقال . وأما ابن حزم فإنه قال أولى الكتب الصحيحان ثم صحيح سعيد بن السكن (٢) والمنتقى لابن جارود (٣) والمنتقى لقاسم بن أصبغ (٤) ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود (٥) وكتاب النسائي (٦) ومصنف قاسم بن أصبغ ومصنف الطحاوي (٧) ومنند أحمد (٨) ومنند البزار (٩) وأبي بكر (١٠) وعثمان (١١) ابني أبي شيبة ومنند ابن راهويه « ١٢ » والطيالسي « ١٣ » والحسن بن سفيان « ١٤ » والمستدرک للحاكم « ١٥ » وكتاب ابن مننجر « ١٦ » ويعقوب بن شيبة « ١٧ » وعلي

(١) توفي سنة ٤٥٦ (٢) سنة ٣٥٣ (٣) سنة ٣٠٧ (٤) سنة ٣٤٠ (٥) سنة ٢٧٥ (٦) سنة ٣٠٣ * انما لم يذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى الترمذي لانه ما رآها ولا دخلا الاندلس الا بعد وفاته (٧) سنة ٣٢١ (٨) سنة ٢٤١ (٩) سنة ٢٩٢ « ١٠ » سنة ٢٣٥ « ١١ » سنة ٢٣٩ « ١٢ » سنة ٢٣٧ « ١٣ » سنة ٢٠٤ « ١٤ » سنة ٣٠٣ « ١٥ » سنة ٤٠٥ « ١٦ » سنة ٢٥٨ « ١٧ » سنة ٢٦٢

ابن المديني (١) وابن أبي عذرة (٢) وما جرى مجراها من الكتب التي أفردت لكلام
 رسول الله (ص) ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره. ثم ما كان فيه
 الصحيح فهو أجل مثل مصنف عبد الرزاق (٣) ومصنف ابن أبي شيبة
 ومصنف بقي بن مخلد القرطبي (٤) وكتاب محمد بن نصر المروزي (٥)
 وكتاب ابن المنذر (٦) ثم مصنف حماد بن سلمة (٧) ومصنف سعيد بن
 منصور (٨) ومصنف وكيع بن الجراح (٩) ومصنف الرزبالي وموطأ مالك
 وموطأ ابن أبي ذئب (١٠) وموطأ ابن وهب (١١) ومسانل أحمد بن حنبل
 وفقه أبي عبيد (١٢) وفقه أبي ثور (١٣) وما كان من هذا النمط مشهوراً
 بحديث شعبة (١٤) وسفيان (١٥) والليث (١٦) والاوزاعي (١٧) والحميدي
 (١٨) وابن مهدي (١٩) ومسدد «٢٠» وما جرى مجراها فهذه طبقة موطأ
 مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ولقد أحضيت ما في
 حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث ونيفاً مسندة ومرسلاً يزيد
 على المائتين وأحضيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت
 في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفاً مسندة وثلاثمائة مرسلاً ونيفاً وفيه
 تيف وسبقون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضمنية
 وهاها جمهور العلماء

تاريخ علوم الحديث الاخرى

الى هنا كانت العناية موجهة الى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة
 للافظاء والشارحة لمقرنه وان ذلك لغرض من أغراض، وناحية من نواح، فان
 خيرة المسلمين، وشيوخ المحدثين، كما عنوا بذلك عنوا بالتأليف في شرح غريبه،
 وبيان ناسخه من منسوخه، واضهار حال رجاله والكشف عن علومه ومصطلحاته

توفي «١» سنة ٢٣٤ «٢» سنة ٢٧٦ «٣» سنة ٢١١ «٤» سنة
 ٢٧٦ «٥» سنة ٢٩٤ «٦» لا أدري هل هو ابراهيم بن المنذر المتوفى سنة
 ٢٣٦ أو علي بن المنذر المتوفى سنة ٢٥٦ «٧» سنة ١٦٧ «٨» سنة ٢٢٧
 «٩» سنة ١٩٧ «١٠» سنة ١٥٩ «١١» سنة ١٩٧ «١٢» سنة ٢٣٤ «١٣»
 سنة ٢٤٠ «١٤» سنة ١٦٠ «١٥» سنة ١٩٨ «١٦» سنة ١٧٥ «١٧» سنة
 ١٥٦ «١٨» سنة ٢١٩ «١٩» سنة ١٩٨ «٢٠» سنة ٢٢٨

من صحيح وعليل ومقبول ومردود ومتواتر ومشهور، الى غير ذلك من جليل
الاغراض ومتنوع الاقسام

وسنقرء فصلاً لكل نوع من أنواعه الشهيرة نلم فيه بتوضيحه، ونرج
على تاريخه، مقرئين ذلك بذكر أحسن الموثقات فيه حتى يتجلى لك تاريخ
الحديث من جملة نواحيه

علم فريب الحديث

الفريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به بريد المعنى غامضه
بحيث لا يتناولوه الفهم الا عن بعد ومماناة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام
من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب

وهانحن أولاً نمحكي لك خلاصة مقاله ابن الاثير في مفتتح نهايته فانه أحسن من
وفي هذا الموضوع قسطه من البيان ضامين اليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب
التي تعرضت لهذا الشأن

كان (ص) أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعرفهم بمواقع الخطاب،
وأهداهم الى طرق الصواب، وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين
لهجاتهم، كلا منهم بما يفهم، ويحاذيه بما يعلم، وكان اصحابه والوفود عليه من
العرب يعرفون أكثر ما يقول وما جهلوه سألوه عنه فيوضعه لهم واستمر
عصره (ص) الى حين وفاته على هذا السن المستقيم وعليه سلك الصحابة في
عصرهم. وكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً من الدخيل الى أن فتحت
الامصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبش والنبط وغيرهم
من أنواع الأمم الذين فتحت بلادهم للمسلمين وورثوا علم الموحدين
فاختلطت الفرق وامتزجت اللسان وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الأولاد فتهلوا
من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمحاورة منه، وتركوا ما عداه لغيرهم
عنه واستمر الامر على هذا النهج الى أن اقترض عصر الصحابة — القرن
الأول — وجاء التابعون لهم باحسان فسلخوا سيلهم، وإن كانوا في الاتقان
دونهم ولم ينقض زمانهم — سنة ١٥٠ — الا واللسان العربي قد استحالة
اعجبوا أو كاد فلأرى المستقل به والمحافظة عليه الا الآحاد مجمل الناس من هذا
الهم ما كان يلزمهم معرفته واخبروا منه ما كان يجب عليهم تقدمته، فلما افضى

الداء، وعزالدواء، اللهم الله جماعة من أولي المعارف والنهي ان يصرفوا الى هذا الشأن طرفاً من عنايتهم، فشرعوا للناس موارد، وقعدوا لهم قواعده، فقليل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري «١» فجمع من الفاظ غريب الحديث والآثر كتيباً صغيراً ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأمري أحدهما ان كل مبتدع لأمر لم يسبق اليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم. ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني «٢» كتاباً اكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حجمه. ثم جمع عبد الملك ابن قريب الاصمعي وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه كتاباً احسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب «٣» وغيره من أئمة اللغة والفقه جمعوا أحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها في اوراق ذوات عدد ولم يكده أحد ثم يتفرد عن الآخر بكثير حديث لم يذكره الآخر واستمر الحال الى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام «٤» وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار اثنى فيه عمره اذ جمعه في أربعين سنة وآتاه لكتاب حافظ بالاحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجليلة. ولقد ظن رحمه الله على كثرة نصبه وطول نصه انه قد أتى على معظم الغريب وما علم ان الشوط بطين، والمهل معين، ولقد بقي كتابه معتد الناس الى عصر أبي محمد عبيد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «٥» فصنف كتابه المشهور ولم يودعه شيئاً من كتاب أبي عبيد الا ما دعت الحاجة اليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض لجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه وقد قال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال وقد كان في عصره ابراهيم بن اسحاق الحربي الحافظ «٦» جمع كتاباً في الحديث بلغ خمس مجلدات بسط فيه القول وأطال بذكر المتن وامانيدها ولم يكن في المتن الا كلمة واحدة من الغريب فحجر الناس لذلك كتابه وان كان جم الفائدة. ثم أكثر الناس من التصانيف في هذا الفن كالمبرد «٧» وطلب «٨» ومحمد بن قاسم الانباري «٩» وسلمة بن عاصم النهوي وعبد الملك

«١» توفي سنة ٢١٥ هـ «٢» سنة ٢٥٤ هـ «٣» سنة ٢٥٦ هـ «٤» سنة ٢٢٤ هـ

«٥» سنة ٢٧٦ هـ «٦» سنة ٨٥ هـ «٧» سنة ٢٨٥ هـ «٨» سنة ٢٩١ هـ «٩» سنة ٣٢٨ هـ

ابن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقهاء والحديث، واستمرت الحال إلى عهد الإمام محمد بن أحمد الخطابي البستي (١) فالف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة وصرف عنايته فيه إلى جمع ما لم يوجد في كتابيهما فاجتمع له من ذلك ما يداني كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والآثر أمهات الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس وعليها يعول علماء الامصار إلا أن هذه الكتب الثلاثة وغيرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقتفى يرجع الإنسان عند طلب الحديث إليه إلا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه إلا بعد تعب وعناء، ثم هي مع ذلك متفرقة فيها الأحاديث فلا يعلم الناظر في أيها يوجد الغريب فيحتاج إلى البحث في كثير منها حتى يجد غرضه. فلما كان ز من أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (٢) وهو من طبقة الخطابي ومما صرح به في كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق إليه فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أمّا كتبها واثبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم ولم يفصمه بالأسانيد والمنون والرواة - شأن ما سبقه من الكتب - فإن ذلك له علم مستقل به وقد جمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدمه وأربى عليه فجاء كتاباً جامعاً في الحسن بين الإحاطة والوضع إلا أنه جاء الحديث مفرقاً في حروف كلماته. ولقد ذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب واقتفى أثره كثيرون واستدرك ما فاتهم آخرون وما زالت الأيام تنقضي عن تصانيف وتبرزت آليف إلى عهد الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الرغشري (٣) فالف كتابه الفائق في غريب الحديث وأنه لكتاب قيم رتبة على وضع اختاره مقتفى على حروف المعجم ولكن في المنور على معرفة الغريب منه مشقة وإن كانت دون غيره مما سبقه لأنه جمع في التنقية بين إيراد الحديث متروكاً أجمعه أو بعضه ثم شرح ما فيه من غريب فيجنيء شرح كلماته الغريبة في حرف واحد فتزد الكلمة في غير حروفها فكان لذلك كتاب الهروي أقرب منه متناولاً وإن كانت كلمات الحديث متفرقة في حروفها

ولقد ألف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني (٤) كتاباً جمع فيه

(١) توفي سنة ٣٨٨ (٢) سنة ٤٠١ (٣) سنة ٥٣٨ (٤) سنة ٥٨١

على طريقة الهروي ما فاته من غريب القرآن والحديث، وكذلك صنف أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي الجوزي "١" كتاباً في غريب الحديث خاصة منج فيه منج
الهروي بل كتابه مختصر من كتابه لا يزيد عليه الا الكلمة الشاذة واللفظة
الفاذة بخلاف كتاب أبي موسى المديني فانه لا يذكر منه الا ما دعت الحاجة اليه
أقول ثم جاء محمد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن
الاثير "٢" الذي نخصت ما تقدم من مقدمة نهايته فجمع ما في كتاب الهروي
وأبي موسى من غريب الحديث والآثر وأضاف اليه ما عثر عليه في كتب السنة من
صحاح وسنن وجوامع ومصنفات ومسانيد - وانه لكثير - سالكا في الترتيب
منج أصله فكان من ذلك كتابه - النهاية في غريب الحديث والآثر - وقد روى
لما في كتاب الهروي باهاء ولما في كتاب أبي موسى المديني بالسين . وقد ذيل النهاية
نحوه بن أبي بكر الأرموي (٣) واختصرها عيسى بن محمد الصفوي (٤) فيما يقرب
من نصف حجمها وكذلك الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٥)
في كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير ، وله : التذييل والتذييب على نهاية
الفريب ، وقد طبعت النهاية وعلى هامشها الدر النثير مشكولة وغير مشكولة

علم رجال الحديث

هذا فن جليل القدر عظيم الاثر الحاجة اليه داعية والضرورة به قاضية
وليس من عظيم في الحديث وهو عنه ينسب أو باعه فيه قصير وكيف لا يكون
كذلك وهو نصف علم الحديث فانه سند ومتن والسند عبارة عن الرواة فمعرفة
أحوالهم نصف هذا العلم بل ارب

- والكتب المصنفة فيه كثيرة الانواع متشعبة الاغراض فمن مؤلف في أسماء
الضعفاء خاصة أو في رواية الحديث عامة ومن خاص بالثقات أو الضعفاء أو
الحفاظ أو المدلسين أو الوضاعين ومن مبين للجرح والتعديل والفاظهما ومراتب
كل منها ومن كاشف عن المؤلف والمختلف أو المتفق والمفترق من الاسماء
والانساب ومن قاصر على ذكر الوفيات أو مؤيد رجال كتاب معين أو عدة كتب
مخصوصة وكل كتب فيه المناء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الفاية كما ترى بعد

(١) توفي سنة ٥١٤ (٢) سنة ٦٠٦ (٣) سنة ٧٢٣ (٤) سنة ٩٥٣

(٥) سنة ٩١١

١٠ أسماء الصحابة

الصحابي كل من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ردة في
 الاصح وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
 البخاري (١) أفرد أسماء الصحابة في مؤلف وجمعها مضمومة الى من بعدهم جماعة
 من طبقة مشايخه خليفة بن الخياط المحدث النسابة (٢) ومحمد بن سعد (٣) الذي بلغ
 مؤلفه خمسة عشر مجلداً ومن قرأه كيعقوب بن سفيان (٤) وأبي بكر بن أبي
 خيثمة (٥) وصنف في الصحابة خاصة جمع بعدهم كالحافظ البغوي عبد الله بن محمد
 ابن عبد العزيز (٦) وأبي بكر الحافظ الكبير عبد الله بن أبي داود (٧) ثم علي بن
 السكن (٨) وأبو بكر صهر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٩) وأبو منصور
 البارودي وأبو حاتم الرازي ابن حبان (١٠) وسليمان بن أحمد الطبراني (١١) ضمن
 مصحبه الكبير ثم عبد الله بن منده (١٢) والحافظ أبو نعيم (١٣) ثم عمر بن
 عبد البر (١٤) ألف كتابه الاستيعاب وسماه بذلك لظنه انه استوعب كتب من
 قبله في كتابه ومع ذلك غفاته شيء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيل
 حافلاً وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المديني (١٥) على
 ابن منده ذيل كبيراً وما زال الناس يؤلفون في ذلك الى ان كانت تباعير القرن
 السابع فجمع عز الدين ابن الاثير «١٦» كتاباً حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه
 كثيراً من التصانيف المتقدمة الا انه تبع من قبله غلط من ليس صحابياً بهم
 وأنغل كثيراً من الاوهام الواقعة في كتبهم ، ثم جرد الاسماء التي في كتابه من
 زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي «١٧» في كتابه التجريد وأعلم لمن ذكر
 غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب ثم جاء الحافظ أحمد بن
 حجر المسقلاني (١٨) فألف كتابه الاصابة في تمييز الصحابة - في ثمانية أجزاء
 صغيرة - جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة واستدرك عليهم كثيراً
 وقد اختصره تلميذه جلال الدين السيوطي في كتاب سماه عين الاصابة

- (١) توفي سنة ٢٥٦ (٢) سنة ٢٤٠ (٣) سنة ٢٣٠ (٤) سنة ٢٧٧ (٥) سنة
 ٢٧٩ (٦) سنة ٣٣٠ (٧) سنة ٣١٦ (٨) سنة ٣٤٣ (٩) سنة ٣٨٥ (١٠) سنة
 ٣٥٤ (١١) سنة ٣٦٠ (١٢) سنة ٣٥٥ (١٣) سنة ٤٦٣ (١٤) سنة ١٦١ (١٥) سنة
 ١٨١ (١٦) سنة ٦٣٠ (١٧) سنة ٧٤٨ (١٨) سنة ٨٥٢

ومد الف كل من البخاري ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان أي الصحابة الذين ليس لهم إلا حديث واحد وكذلك الف يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهاني (١) كتاباً فيمن عاش من الصحابة عشرين سنة ومائة

«ب» علم الجرح والتعديل

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالقاطن مخصوصة وعن مراتب تلك القاطن والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابتاً عن رسول الله (ص) ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوز ذلك صوتاً للشريعة لا طعناً في الناس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال فهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك وقد تكلم في الرجال خلق لا يتهاونهم وقد سرد ابن عدي (٢) في مقدمة كتابه الكامل جماعة إلى زمنه من الصحابة ابن عباس (٣) وعبادة بن الصامت (٤) وأنس (٥) ومن التابعين الشعبي (٦) وابن سيرين (٧) وسعيد بن المسيب (٨) وغيرهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم إذا كثروا ضجاجة وهم عدول وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات إذ لا يكاد يوجد في القرن الأول من الضعفاء إلا القليل وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء وضعف أكثرهم نشأ غالباً من قبل تحملهم وضعفهم للحديث فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط وذلك مثل أبي هريرة المبدري ٩ ولما كان آخر عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الأئمة فضعف الأعمش ١٠ جماعة ووثق آخرون ونظر في الرجال شعبة ١١ وكان متنبهاً لا يكاد يروي إلا عن ثقة ومثله مالك ١٢ ومن كان في هذا العصر إذا قال قبل قوله مصر ١٣ وهشام الدستوائي ١٤ والأوزاعي ١٥ وسفيان الثوري ١٦ وابن الماجشون ١٧ وحامد بن سلمة ١٨ واليث بن سعد ١٩ وبعده هؤلاء طبقة

(١) نزل سنة ١١١ ٢٢٥ ٣٦٥ ٤٢٥ ٦٨ ٤١٥ ٣٤ ١٥٠ ٩٢ ٤٦٥ بد الله
٢٧٩ ١١٠ ٤٨٥ بد الحسين ٤١٥ ١٢٤ ٤١٠ ١٤٨ ٤١١ ١٦٠ ٤١٢ ١٧٩
١٠٣ ٤١٣ (١٤) ١٥٤ ٤١٥ ١٥٦ ٤١٦ ١٦١ ٤١٧ ٢١٣ ٤١٨ ٦٧
١٢٥ ٤١٩

منهم ابن المبارك «١» وهيثم بن بشير «٢» وأبو اسحاق الفزاري «٣» والمما
عمران الموصلي «٣» وبشر بن المنضل «٤» وابن عيينة «٥» وقد كان في ز
طبقة أخرى منهم ابن عليه «٦» وابن وهب «٧» ووكيعة بن الجراح «٧»
انتدب في ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان يحيى بن سعيد القطان
وعبد الرحمن بن مهدي «٨» وكان للناس وثوق بهما فصار من وثقاهما
ومن جرحاه مجروحاً ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس في
ما ترجح عندهم ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع اليهم في ذلك منهم
ابن هرون «٩» وأبو داود الطيالسي «١٠» وعبد الرارق بن همام «١١»
عاصم البضحاك النبيل بن مخلد «١٢»

ثم صنف الكتب في الجرح والتعديل والملل وبينت فيها أحوال
وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منهم يحيى بن معين
وقد اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال كما تختلف آراء النقيضين
وعبارته في بعض المسائل التي لا تكاد تخلص من اشكال ومن طبقة آخر
حنبل «١٤» وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم
بدلاً ولم يخرجهم عن دائرة الاعتدال. وقد تكلم في هذا الأمر محمد بن سعد
كاتب الواقدي في طبقاته وكلامه جيد موقول وأبو خيثمة زهير بن حرب
وله في ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبيل حافظ الجزيرة
قال فيه أبو داود: لم أراه حفظ منه. وعلي بن المديني (١٧) وله التصانيف الك
في الملل والرجال ومحمد بن عبد الله بن نمير (١٧) الذي قال فيه أحمد هو
العراق وأبو بكر بن أبي شيبة (١٨) صاحب المسند وكان آية في الحفظ وعبد
بن عمرو القواريري (١٨) الذي قال فيه صاحب جرزة هو أعلم من رأيت بما
أهل البصرة واسحق بن راهويه (١٩) امام خراسان وأبو جعفر محمد بن عبد

(١) توفي سنة ١٨١ (٢) سنة ١٨٨ (٣) سنة ١٨٥ (٤) سنة ١٨٦ (٥)

١٩٧ (٦) سنة ١٩٣ (٧) سنة ١٩٧ (٨) سنة ١٩٨ (٩) سنة ٢٠٦ (١٠)

٢٠٤ (١١) سنة ٢١١ (١٢) سنة ٢١٢ «١٣» سنة ٢٢٣ «١٤» سنة ٢٤١ «١٥»

سنة ٢٣٠ «١٦» سنة ٢٣٤ «١٧» سنة ٢٣٤ «١٨» سنة ٢٣٥ «١٩» سنة ٢٣٥

الحاكم (١) وأبو نصر الكلاباذي (٢) وعبد الرحمن بن فطيس قاضي قرطبة (٣) وله
دلائل السنة وعبد الفتي بن سعيد (٤) وأبو بكر بن مردويه الأسفهاني (٥)
ثم من بعدهم جماعة منهم محمد بن أبي الفوارس البغدادي (٦) وأبو بكر
البرقاني (٧) وأبو حاتم العبدي - وقد كتب عنه عشرة آلاف جزء - وخلف بن
محمد الواسطي «٨» وأبو مسعود الدمشقي «٩» وأبو الفضل الفلكي «١٠» وله
كتاب الطبقات في ألف جزء. ثم من بعدهم جماعة منهم الحسن بن محمد الخلال
البغدادي «١١» وأبو علي الخليلي «١٢» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن عبد البر «١٣»
وابن حزم «١٤» الأندلسيان والبيهقي «١٥» والخليل «١٦» ثم من بعدهم جماعة
منهم ابن ماكولا «١٧» وأبو الوليد الباجي «١٨» وقد صنّف في الجرح
والتعديل - وأبو عبد الله الحميدي «١٩». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الفضل
ابن طاهر المقدسي «٢٠» والمؤتمن بن أحمد «٢١» وشهرويه الديلمي. ثم من
بعدهم جماعة منهم أبو موسى المديني «٢٢» وأبو القاسم بن عساكر «٢٣»
وابن بشكوال «٢٤». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الحارمي «٢٥» وعبد
الفتي المقدسي «٢٦» والرهاوي وابن منفلد المقدسي «٢٧». ثم من بعدهم جماعة
منهم أبو الحسن بن القطان «٢٨» وابن الأماشي «٢٩» وابن نقطة «٣٠» ثم من بعدهم
جماعة منهم ابن الصلاح «٣١» والزي المنذري «٣٢» وأبو عبد الله البرذالي «٣٣»
وابن الأبار وأبو شامة «٣٤» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن دقيق العيد «٣٥»
والشرف الميذومي وابن تيمية «٣٦» ثم من بعدهم جماعة منهم المزي «٣٧» وابن سيد
الناسخ وأبو عبد الله بن أبيك والذهبي «٣٨» والشهاب بن فضل الله «٣٩»
ومغلطاي «٤٠» والشريف الحسيني الدمشقي والزين العراقي «٤١» ثم من بعدهم
جماعة منهم الولي العراقي والبرهان الحلبي وابن حجر العسقلاني «٤٢» وآخرون
من كل عصر إلا أن المتقدمين كانوا أقرب إلى الاستقامة وأبعد من موجبات الملامة
ولمك سُمّت الأكثر من ذكر الأسماء - وإن كان مقتضى الحال وعين
ما يتطلبه المقام - لكن لنا في ذلك غرض جليل ومفرض نبيل وهو أن نكم

١ توفي سنة ١٠٥ - ٢ - ٣٩٨ - ٣ - ٤٠٢ - ٤ - ٤٠٦ - ٥ - ٤١٦ - ٦ - ٤١٢ - ٧ -
٤٢٥ - ٨ - ٤٠١ - ٩ - ٤٠٠ - ١٠ - ٤٣٨ - ١١ - ٤٣٩ - ١٢ - ٤٤٦ - ١٣ - ٤٦٣ -
١٤ - ٤٦٦ - ١٥ - ٤٥٨ - ١٦ - ٤٦٣ - ١٧ - ٤٧٠ - ١٨ - ٤٧٤ - ١٩ - ٤٨٨ - ٢٠ - ٥٠٧ -
٢١ - ٥٨١ - ٢٢ - ٣٢٣ - ٢٣ - ٥٧٨ - ٢٤ - ٥٨٤ - ٢٥ - ٦٠٠ - ٢٦ - ٦١١ - ٢٧ - ٦٣٨ -
٢٨ - ٦١٩ - ٢٩ - ٥٢٩ - ٣٠ - ٦١٣ - ٣١ - ٦٣٦ - ٣٢ - ٦٢٥ - ٣٣ - ٦٢٥ - ٣٤ - ٧٠٢ -
٣٥ - ٧٤٢ - ٣٦ - ٧٤٨ - ٣٧ - ٧٤٩ - ٣٨ - ٧٦٣ - ٣٩ - ٨٠٦ - ٤٠ - ٨٠٦ - ٤١ - ٨٥٢ -

أفواه أولئك الذين تقولوا على السنة أنه دخل فيها الغريب عنها إذ قد طال العهد عليها وتناولتها عصور الجهالة وبصرت منها أحن الزمان وطواريء الحدثان فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً صاطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تمهد لذي أمة من الأمم ولا في مسلة من الملل وإن ذلك كان ديدن المسلمين في كل عصر فلم ينفقوها فترة من الزمن حتى يعبث بها أولو الأغراض، وينال منها ذوو الأحقاد، بل لازالت محفوظة من يد المابئين، مخدومة من جهابذة المحدثين، فلمهم الكلمة على المتقولين، والثناء من عامة المسلمين

الخيال في الشعر العربي

٣

حال المني والتخييل

قد يصوغ الشاعر المني لأول الخطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قريحته ورقفت حاشية المعية ككثير من الأشعار الواردة على طريق المعميات والألفاظ أو من سبى إليه ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال كبهض المحاورات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكتمه عن يصفى إلى حديثهم أو يطلع على رسالتهم

وقد بصرح بالمني ثم يدخل به في طريق التخييل وهذا إما أن يخرج الصريح بالتخييل فيفصل المني ويضع بآراء كل قطعة منه صورة خيالية كما قال الغابي يصف السحاب

والفيم كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحت طبق

تظنه مصمتا لا فتق فيه فان صالت عزاليه قلت الثوب متفتق

إن معمع الرعد فيه قلت منخرق أو لآلاً البرق فيه قلت محترق

مثل الفيم الضارب في الآفاق بالثوب المنشور ثم أخذ يقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب فجعل أمساكه عن المطر مظنة الصحة والمتانة، وانسكاب الغيث من خلاله منبثاً بمنطقه، ومعممة الرعد اءلاتا بانخراقه، وبمبيض البرق شغايا من

الاله يؤذن باحتراقه، واما ان يستوفى المعنى بالصراحة ثم يأتي بمثاله الخيالي متواصل
الاجزاء وهذا كقول بعضهم

رأيتكم تبذون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأنتم كمثل النخل بشرع شوكة ولا يمنع الخراف ما هو حامل
استقضى المعنى الصريح وهو تظاهرهم بالالاهة للحرب وقعودهم من قتال عدوهم
وافتنكك ما سب من حقوقهم، ثم ضرب له المثل على نسق واحد بالنخل بشرع
نصلا مسنونة من الشوك كالمناهب للذود بها عما يحمل من الثمار فيعمد الخراف لها
ويجتنيها بأجدها دون أن يناله ذلك الشوك بأذى

ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيق انقبرواني
رجوتك للامر المهم وفي يدي بقايا أمني النفس فيها الامانيا
وساوت لي الالبام حتى اذا انقضت أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنت كأني نازف البئر طالبا لاجامها أو يرجع الماء صافيا
فلا هو أبني ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا
وإما ان يصرح لك بالمحل الذي يجعله مناسبا للحديث عنه ثم يسوق القول كله
على طريق التخييل كقول بعضهم

أني وإياك كالصادي رأي نهلا ودونه هوة يخشى بها النفا
رأي بمينه ماء هز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا
فقد أراك أول الشمراته يريد الحديث عن حاله مع المخاطب ثم الحرد في مجال التخييل
الذي أفاد به اذ الحاجة تمثله على القرب منه، والخطر المعرض في سبيله ينصح له
بالاحجام عنه. ومن أبدع الوصف المنسوج على هذا المثال قول شرف الدين البغافني

أما ترى الأرض من زلزالها عجبا تدعو الى طاعة الرحمن كل بقي
أضحت كوالدة خرقاء مرضعة أولادها درئدي حائل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب وأفرشتهم فراشا غير ما قاق
بني اذا تهرت بهن الذي كرهت مما يشق من الاولاد من خلق

(المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الثاني والمثرون)

هزنت بهم صدهم شيتا قبيهم ثم امتناطت وآل الطبع للخرق
فصكت الممد غصبي وهي لافظة بعضا على بعضهم من شدة الترق

أسباب جودة الخيال

لا مباحة ان النفوس تختلف بفطرتها في صحة الذوق وقوة التذكر فيكون من أسباب
التفاوت في جودة الخيال ما هو هائد الى الفطرة، والفرض في هذا المقام انما هو البحث
عن الأمور التي تؤثر في جودة الخيال وتبسط في نطاقه من خارج، ومدارها على أمرين
(أحدهما) تردد النظر في مظاهر المدنية فان امتلاء حافظه الشاعر من المناظر
المتنوعة والصور التي لا تدخل تحت حصر تجمله أغزر مادة حتى اذا عرض له معنى
اقتضى الجبال ابراده في طريقة الخيال لا يورده مني التفت الى حافظته ان يلاقه منها
ما يساعده على العمل بسهولة، ثم انه لغزارة مادته وسعة مجاله تكون مخيلته أكثر
عملية انشاء المباني وابدائها، وكثرة العمل مما ترشح به هذه القوة النفسية فيكون صاحبها
أقدر على صناعة التخيل وأوسع فيها من كانت بضاعته مزجاة وحافظته في املاق
ومن جهة ان غزارة المادة تساعد على كثرة العمل الذي هو الإبداع، وكثرة
العمل تقوى بها النفس في صناعة التخيل أمكن للشاعر المدني أن يفوق الشاعر
البدوي أو القروي في تخيل معاني اشتركوها في العلم بالعناصر التي تنزع منها الصور الخيالية
يلغ تأثير المدنية في تهذيب الخيلة الى ان يكون الفرق بين عملها في حال البداوة
وعملها بعد ان تجلس صاحبها الخفاوة أوضح من نار على علم، فهذا هو ابن الجهم
الذي قال في الخفاقة

انت كالكلب في حفاظك لهم وكاتبس في مراهي الخطوب
هو الذي يقول

فان لنا نحن الالهة انما نفهي لمن بأوي البنا ولا تقري
يد انه قال البيت الاول أيام كان يسكن البادية وقال البيت الثاني بعد ما نزل
بغداد ونراصف في حافظته من الصور والمباني ما رآه حاشية طبعه وجعل قريحته
تسج من المباني البدية برودا ضافة

(ثانيهما) الحرية اذ لا شبهة ان الاستبداد الاصح يطعم الناس على الجبن ويقيهم في أفئدتهم رهبة تخملهم على ان يجعلوا بينهم وبين الاقوال التي تسخط لها الحكومة القائمة حاجزا لا يدنون منه ، فيضيق بذلك مجال الشاعر وربما تنسكب الخوض في الاجتماعيات ، حذر الوقوع في السياسيات ، ومن ذا ينكر ان الخيال الذي يسخره صاحبه في كل غرض ويطلق له العنان في كل حيلة يكون أبعد مرمى وأحكم صنعا من خيال الشاعر الذي حصرت السياسة في دائرة ورسمت له خطة لا يفوتها ، ولقد كنت أعرف أناسا شبروا تحت سلطة تكره للاديب أن يتنعم لهااته في الاحوال السياسية فصرخوا بمظلم حياتهم في التردد على الغزل والمديح والرثاء وفاضت عليهم قرائحهم في هذه الاغراض بمان رائقة ولما سمح الوقت بالكلام في مقاصد اجتماعية أو سياسية وقف بهم الخيال في عقبة كؤود أو أتوا بها في نسج واه وهياة متخاذلة فالخيال حر في عمله لا تملك السلطة المستبدة مرده ولكنها تمنعه من ان يتجول على مراكب الالسنه والاقلام وهذا ما يثبط الشاعر عن اطلاق خياله للهمل ولا يرخي له العنان الا في افراض يسعه الحال لان يخاطب بها الناس نطقا أو كناية فذاذك سيان لان يكون الخيال بديع الصنم في كل غرض يتوجه اليه ، وهنا أمر آخر اذا اتفق للشاعر حال تصديه للنظم في غرض يكون له أثر جلي في سهولة التخيل وبعد الرمية الى المعاني الغامضة وهو الاحساس والتأثر فمن الشعراء من يتكلم عن مشاهدة وتأثر نفسي كأن يرى البطل يلقى نفسه في مواقع الخطوب أو العالم كيف يتدفق بالحكمة البائنة أو الجواد كيف يسط يده بالدوال فيشمر باعظامه ويأخذ في مديحه وتعجيدته ، ويرى الجبان كيف تصفر أنامله من ذكر الحرب أو الجاهل كيف يتعضض باللعو أو الباطل ، أو البخيل كيف يشد على الدينار دباطا فوق رباط فيشمر في نفسه بمماته ويتصدى لهجائه ، ويموت من يمز عليه من قريب أو صديق أو استاذ فيشمر بالانجم والاسف عليه وتتفجر قريحته برثائه ، وتحمل بصديقه فاجمة فيحس بالاشفاق عليه فيأخذ في تسليته وتهوين رقبته عليه بالعزاء الجميل ، ويدخل الرضة الفيحاء فيمتع بمراى أزهارها وتاجين بلايا فيهب في صدره ابتهاج وانس ويستمرسل في رصفها وذكر مآراقه من مشاهد

ومن الشعراء من يسوقه الى الشعر باعث طمع أو خوف أوجاه ومن الجلى ان
الاحساس والتأثر مما يفتح أمام الخيال طرقاً قلما يصر بها من يحمل نفسه على الشعر
المجرد الطمع أو الخوف أو الجاه فانظر ان شئت مثلاً الى قصيدة أبي الحسن الانباري
التي يقول في مطلعها

هل في الحياة وفي الممات لحق أنت احدي المعجزات
تجد فيها تخيلات فائقة ، والذي ساعده على ذلك فيما أحسب انه أنشأها
من قنوع واعظام بالغ لانه رقى فيها الوزير ابن بنية يوم قتله عضد الدولة مصلوباً فنظمه
لها - وهو لا يرتجي من وراثتها فائدة بل يوجس في نفسه انطبعة من أن يناله عضد الدولة
بالمقربة عليها - بشر بأن الباعث له على انشائها التلهف والاخلاص
ولو نظرت الى القصائد التي يخاطب بها الشعراء الملوك تهنته بانتصار أو فتح
وقتها بالقصائد التي يخاطبونهم بها تهنته بعيد مثلاً أو بمولود أو بناء قصر لوجدت
الاولى أجود خيالاً لان انتصار الدولة مما يندر في نفوس الامة فرحاً وبشر فيها
عاطفة اجلال لمن جرى النصر على يده وليست الثانية بهذه المكانة اذ طلوع العبد
على الأمير وازدياد ولده أو تشييده لقصر لا تهتز له نفس الشاعر حتى تظهر به في
جو الخيال، ويفتصم مايلذه الذوق من بدائع الافكاره وانظر ان رمت الوثوق
بهذا الى قصيدة أبي تمام التي انتهى فيها المتصم بفتح عمودية

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
فانه ذهب بمعانيها مذاهب خيالية لا تطلع له على ما يحاكبها في القصائد التي لم
يستغزه لها قبر ما يرجوه من التوال
وكذلك الشاعر الذي يريد أن يتبرأ من جنابة تعزى اليه أو يحاول أن يزيل
ما في نفس السلطان من ضغينة أو نية سيئة فانه يبتكر من المعاني ما لا يبتكره في
القصائد التي يمدح بها وهو مقبل عليه

وبما يخوض الشاعر في فرض انما دعاه اليه بجماعة غيره ومباراته في مضمار البيان
فيبلغ من انفاقوا اليه عن احساس وعاطفة نفسية ويقع على تخيلات جيدة
ولكن أمثال هذه التخيلات تنال على ذي التأثير النفسي بدون نصف حينها يحتاج

الآخر الى أن بحث إليها قرينته وبجاذبها وهي كالمناصبة عنه

بماذا يفضل التخيل ؟

عرف مما سبق ان التخيل يدور على انتقاء مواد متفرقة في المحافظة ثم تأليفها وبرزها في صورة جديدة ، فيرجع فضله والبراعة فيه الى ثلاث مزايا احدها أن يكون وجه المناصبة بين تلك الجواهر - أعني المواد المؤلفة منها صورة المعنى - فامضاً ، فزينة من يتخيل الكواكب أزهاراً باسمه في روضة ناضرة دون مزينة من يقول

وخوض الشهب فوق الليل باد كأطراف الاسنة في الدروع
فان المشابهة بين الكواكب والازهار لا تغيب عن كثير من الناس أما التشابه بين النجوم وبين أطراف الاسنة الالمة عند نفوذها في الدروع لا يحوم عليه الا خيال بارع

ولا فضل لمن يرى الشمعة فيجأ إليها بالرمح اذا قست بمن ينظر إليها فيقول
كأنها عمر الفتى والنار فيها كالاجل
فان محادثتها بالرمح لا تكاد تخفى على ذي بصر وانما الخيال الفائق هو الذي ينتقل منها الى العمر والاجل حيث يشمر بالمناسبة الدقيقة بينهما وهو ان الاجل يدنو من الانسان حيناً فحيناً ويتقاضى عمره رويداً رويداً الى أن تنقضى عنه أضمة الحياة ككسب الفتيلة يدب في جسم الشمعة وينتقصها قليلاً قليلاً الى أن يأتي على آخرها وتذهب في الجو هباءً منتوراً

ثانيها - أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة بالصورة التي يراعى في تأليفها ثلاثة ممان مثلا تكون أرجع وزناً وأتقى قيمة من الصورة التي تبنى على رعاية معنيين فمن الشعراء من يصور لك الرمح شهاباً ثاقباً فهل يحق لك أن تساويه بمن يخيله لك ورؤوس الأعداء منصوبة على طرفه بالفن يوم يكون مكلاً بالثمار كما قال ابن صهارب مخاطب المعتصم صاحب المرية

أثمرت رمحك من رؤوس كآتهم لما رأيت الفن يمشق مشمرا
يقف الناس في تصوير الحرب بمعنى الرمح عند قولهم دارت رمح الحرب
وكان عمرو بن كلثوم أبسطهم في هذا التخيل باعاً حيث يقول في وصف الحرب
مني تنقل الى قوم رحاها يكونوا في اللقاء لها ملحين

يكون تقالها شرفي نجد ولطوتها قضاة أجمعينا
فالتغال ما يبسط تحت الرحي لتساقط عليه الدقيق والهبوة القبضه من
الحب تلقى في فم الرحي لتطحنها وقضاة هي القبيلة التي يهددها هذا الشاعر
بالحرب الطاحنة ، وكانى به عند محضر في نفسه معنى الحرب انساى اليه معنى
الرحى لما بينهما من التشابه المهود ثم تنقل نظره من الرحي الى ما هو من
خواصها فوقع على التغال والهبوة ثم انقلب الى معنى الحرب وألقى نظره الى
ما حولها فترأى له ميدانها مبسوطاً كالتغال والرجال الذين يتهافتون عليها
فتتناور رؤوسهم وتتساقط أشلاؤهم على ذلك الميدان في صورة الهوة فصاغ
الآيات على هذا الوجه الذي يدل على حسن تصرفه في ضم المعاني الى أشكائها
والادباء الذين أروك الحصى في صورة الدريسا بقليل وانما المزية لمن اتسع
في صورة هذا المعنى ونظر في تركيبها الى أمور متعددة فقال يصف وادياً

وقاة لفحة الرمضاء واد سقاء مضاعف النيث المميم

زلنا دوحه فحنا علينا حنو المروضات على القطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا ألد من المدامة للتديم

بروع حصاه خالية المذارى فتبس جانب العقد النظيم

كأنى بالشاعر عند ما صبح فتح جفنه على الحصى وهي في ملاستها وصفاء
مُنظرها انصرف خياله الى ما يحاكيها من الجواهر النفيسة ثم الى حال تناسقها في
هياة قلادة وتذكر بهذا موقعها من الصور فخرت على قلبه الفتاة وشرع يتصور
كيف تنظر الى تلك الحصى فيهبم على ظنها بفتة ان قلادتها انفرطت وان ما تراه
من الحصى انما هو اللؤلؤ الذي كان متناسقاً في نحرها قد تساقط الى مواطئة
أقدامها فلا تملك أن تضرب يدها على العقد حتى تحفظ البقية من السقوط
أو لتتبعن صدق ظنها فتسعى الى التقاطها

فالتها — ان يجري الشاعر في استخلاص المعاني وتأليفها على ما يوافق الذوق
السليم فهو الحافظ لنظام المعاني كما ان القواعد المريية تحفظ نظام الانفاذ ،
ومن الشعراء من تأخذه سنة عن هذا الشرط فيضع المعنى الخيالي على مثال
تشمز منه النفس كما أن ناسج الثياب من غزل اختلفت ألوانه اذا لم يكن
صاحب ذوق فائق لم يحكم وضعها وأخرجها في صورة تقذفها الميون . ومنال
هذا اق أبا القاسم بن فراس اللند الامير محمداً أبيتاً يقول فيها

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة يشر
فقال له مؤمن بن سميد : قبحاً لما ارتكبته جمعت وجه الخليفة عرائناً
تشر فيه البذور ؟ فنشيه الخجل وجعل جوابه عن هذا النقد الصائب سبيلاً
ووقع في مثل هذه الزلة كثير من كبار الشعراء فهذا أبو تمام يقول في مدح
أجد الأبطال

صاحي الحيا للهجير وللقنا تحت المجاج تخاله محرائناً
فجمل ممدوحه محرائناً كما جملة هاذياً حين قال
لا زال يهذي بالمكارم والملا حتى ظننا انه محموم
وهذا بشار بن برد يقول

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرها وقدت لرجل البين فعلين من خدي
فأثبات الرقاب للوصل والرجل للبين من التخييلات المستهجنة
قد يخطر لسائل أن يقول : ان هؤلاء الشعراء براعة مسلمة واذواقاً لا رقاب
في صحتها وصفائها ، وقد مرت هذه المعاني التي رميتوها بسبب السخافة على
أذواقهم فألقت اليها بالتسليم أفلا يكون رضاهم عنها واستحسناتهم لها شاهداً
براءتهم مما تدعون من سماجة الوضع ومناقرة الذوق ؟
والجواب ان القبح في هذه المعاني وما كان على شاكلتها محقق بما يجسده
الإنسان في نفسه من أثر الفكرة لها وعدم الانس لساعها ، فضلاً عن شهادة
فريق عظيم لا تقصر بهم سلامة الذوق والمعرفة بحرفة الادب عن طبقة اولئك
الشعراء . وهذا ابن رشيق يقول عقب ايراد البيت الاول من بيتي أبي تمام
« فلعمنة الله على المحررات ههنا ما أقبحه واركه » ولم يبق سوى النظر في عدم
تنبيههم لذلك القبح وكيف خفي عنهم وجهه وهو كاشف لثامه حتى لا يمتاز
بادراكه في بعض الايات الادباء عن غيرهم

والوجه في هذا ان البصيرة مثل البصر والمشهد للصورة من عيان قد
يقوة ان يحدق فيها من بعض الجهات فلا يشر بما فيها من عيب . فكذلك
الشاعر قد يصوغ المعنى ولا يأخذ بالنقد من جميع أطرافه فيصير على مخرج
قد يبصر به من هو أضعف بصيرة منه ، والملة في عدم تنبيه الشاعر لذلك
الخلل قصر المدة فيما بين انقضاء القصيدة وارتدادها لللا بحيث لا يتمكن من
تجريد نظره الى كل بيت وتقد معناه من سائر وجوهه

وربما أصيب الشاعر من اعتماده على براعته ومسكاته سمعته ، اذ كثيراً ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة التي يدرسها بين قومه فيتلقون شعره باستمعان فوق ما يتلقون به شعر غيره بمن لم يقيم لهم صيت وان كان في نفسه أبعد أمداً وأحكم نسجاً ، فكثرة الاجادة وسعة الذكر قد تؤثر في همة الشاعر في بعض الاحيان فيتلقي القصيدة على علاتها ولا يحمل نفسه على التدقيق في تقدها . ومن ثم ترى أكثر الذين يقومون في هذه المثرات ان هم الاكابر الشعراء والمكثرون منهم كأبي تمام والمتنبي ومن كان في طبقتهم

ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد انما لصقت بهم من جهة عدم تقدم المعنى بعد أن تقذفه القريحة نقداً وافياً اما لضيق الوقت أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة وأحرزوا من الشهرة ، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الإعجاب حتى اذا أعاد عليه النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على اذاعته أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه

ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذاً بليغاً ثم يعثر في صورته على وجه من الخلل ولا يتمكن من تلافيه وإكمال قصته إلا برفض الصورة من أصلها ، وحيث يرى أن جهة الحسن أرجح ويرجو أن تسجل على ذلك المنزع فضل رداً لها فلا يشعر به الناقدون بيبقي صورة المعنى على حالها ويحيزها للرواة وهو بصير بملتها . ولا أخال أن النابغة حين قال

نظرت إليك لحاجة لم تقضها فنظر السقيم الى وجوه العود
لم يחדش عاطفته أن يضع المحبوبة بمنزلة السقيم ولكنه عز عليه أن يضرب من هذا التشبيه الذي لا يلحق شأوه وان وخزه لفن السقيم في ضميره وخزات بالغة

الأهل والعيال

« وهو فصل من كتاب «الأخلاق والواجبات» للمفريجي »

ذكرنا في الفصول السابقة واجبات الشخص منفرداً . ونريد ان نذكر في الفصول التالية واجباته مجتمعاً مع غيره من أبناء جنسه . وأول اجتماع له من هذا القبيل اجتماعه مع أهله وعياله . وأهله زوجته . وعياله أولاده . واذ كانوا أغنياء انضم اليهم خادم يكفيهم مؤونة المولى ويقال للمجموع المؤلف

من هؤلاء الافراد في اللغة العربية «عيل الرجل» - بتشديد الياء - وفسروه بقولهم هم اهل بيته الذين يتكفل بهم ويمونهم من أزواج وأولاد وأتباع . وقد اصطلح كتاب هذا العصر على تسميتهم بالصالئة مع ان كلمة عائلة في اصل وضعها اللغوي بمعنى فقيرة تأنيث (عائل) فقير و (العيلة) الفقرو (عال) افتقر . ويبحث الواجبات العائلية يتضمن بيان ما يجب على الشخص نحو افراد عائلته المذكورين ويدخل فيهم أحياناً من يعوله من غيرهم كآبيه وأمه او يتيم يكفله او امرأة تأوي الى كفله ، وتميش على نفقته .

وقد وجدت العائلة على وجه البسيطة من يوم وجدت المرأة بجانب الرجل وولدت له أولاداً والأعمال التي يراد لها كل من الرجل والمرأة في عائلتهما تختلف باختلاف حال الأمة التي يعيشان فيها بدواة وحضارة : رقيقاً وانحطاطاً . ويقلب في الامم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الاعمال البيتية . كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتغل ويتعب ويستثمر أنصابه ثم يلقى بهذه الثمرات الى زوجته . ويتكفل في هنائه العائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابة رئيس شرف له .

وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف مذ قال صلى الله عليه وسلم
 « كل نفس من بني آدم سيد : فالرجل سيد أهله . والمرأة سيدة بيتها)

فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة . وخصها بها . وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تنكر . واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسته كان من أول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة : فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحة فانها اذا توفرت فيها هذه الشروط أصبح المنزل فردوس الرجل . ومظهر كرامته في قومه والمنبت الخصب لتربيته وأولاده . ومن ثم كان للمنزل والعائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع . حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الأمة كلها : فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الأمة على أثره والمكس بالمكس . قالوا : واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء العائلة فيها بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الامور والاخلاق في أسواقهم وحواليتهم ومعاملهم وقهاوبهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية : فاذا رأيتهم هنا

(المنار : ج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني والمضروفي)

على نظام أدبي ثابت حكمت باستعكام النظام الادبي في بيوتهم وعائلاتهم. لان
هذا الأصل فالك . والا فلا .

فلما آنفك ان (المخل) هو المخرس الاول للنرية والاولاد . فهم ينقلون
منه الى المخرس الثاني اعني (المدرسة) ومنها الى ساحة التجارب والصل والسمي
في خدمة انبيهم ووطنهم . فاذا طابت نرية المخرس الاول (المائلة) طابت اذ
فالك : فصار ابناء الامة . وغزرت محصولات عقولهم وأخلاقهم ، وان خبثت تلك
النرية خبثت النمار . وقبحت الآثار . وساءت الاخبار .

وقال بعض علماء الاجتماع المعاصرين « أن أحقر المنازل اذ تولت رئاسته امرأة مدبرة بشوش كان ملؤه الراحة والهناء والسعادة . كان فيه أشرف المواضع العائلية . كان عزيزاً لدى الرجل لما يستلزمه من دواعي السرور . كان ملاذاً للقلب . وملجأ من عواصف الحياة . كان خير مكان للراحة من عناء الأشغال ومتاعب الحياة . كان في الشدة مسلياً . وفي الرخاء فخرأ . وفي كل حال نعيماً . فالمنزل الصالح اذن خير مماهد التربية لا للشباب وحده بل للكهن أيضاً . وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر وخصب النفس وتترك روح الحياة ومعنى الواجب »

فلتنظر الامم كيف تضم نظام عائلاتها على أساس وطيدة ثابت ولينظر
الآباء واجيبهم الشرعي والاجتماعي من هذا القبيل
، وأول واجب عليهم حسن اختيار سيدة المنزل وقد ورد في الاحاديث
النسبية المبنية على العناية باختيارها لينجب اولادها ، ويطيب الميوس منها .
وقد امتن حكيم من حكماء العرب على اولاده في قيامه بهذا الواجب بنحوهم
هذه قال :

وأول اخواني اليكم تحيوي . لما جدة الالهائي . باد غفائيا .
ومن الواجبات المائلية أيضا الضاية بترية الاهل والميالي وتعليمهم ما به
صلاح أمرهم . وتثقيف عقولهم . وبهذا المعنى فسروا قوله تعالى .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)
أي حولوا بينهم وبين شقاء المذاب بما تعلمونهم إياه من ضرور بالحكمة
والعلم النافع . وبهذا المعنى أيضا ورد قوله صلى الله عليه وسلم
• ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم •

فجاءت قوماً يريدون ممارسة بعض الاعمال فامرهم بالانصراف عنها الى ما
هو اهم منها وهو أن يرجعوا الى نساءهم وأولادهم فيعلموهم .
وحض الشارع على التخلق بالاخلاق الفاضلة ان لم يكن لها فلاحها تكون
وسيلة الى تخلق أفراد العائلة بها فقال صلى الله عليه وسلم :

« عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم
فمن عف عن فصيل القبيح كان خليقاً أن تعف نساؤه . ومن بر آباءه كان
جديراً أن تبره أبناؤه .

أما أحاديث الحض على حسن معاملة الامل والميال والرفق بهم وترك
الغلظة عليهم فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم

« خيركم (١) خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي
« ان من أكل (٢) المؤمن ايماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهله
« خير الرجال من أمتي الذين لا يتناولون على اهليهم ويحسنون اليهم
ولا يظلمونهم

« ان الله سائل كل راع عما استرعاه : أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل
الرجل عن أهل بيته . أي يسأله كيف كان ضيعه بهم ومعاملته لهم حسنة أم
قبيحة فيجازي بحسب ذلك .

« كان صلى الله عليه وسلم في بيته ألين الناس وأكرم الناس ضحاً كما بساماً
« كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والميال
« من كان له صبي فليتصاب له

أي ليتنزل أن يفعل في ملاعبته قتل الصبيان تطيباً لنفسه . وادخالا
لشروقه على قلبه . وروي انه صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه ذات يوم
الى طعام دعوا له فاذا بابن بنته الحسين وهو صبي يلعب مع صبية في السكة
فاستنزل رسول الله امام القوم (أي اتفرد عنهم وتقدمهم) وأقبل على الحسين .

(١) هذا لفظ الحديث رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس
والطبراني في الكبير عن معاوية بسند صحيح ورواه ابن عساكر عن علي بن زياد « ما أكرم
النساء الا كرم ولا أهانهن الا لثيم » وهو صحيح أيضاً . وذكره المؤلف بلفظ خياركم
الخ وهو حديث آخر ليس فيه وأنا خيركم لأهلي - فذلك صحيحناه (٢) أورده
المؤلف بلفظ أحسن . والرواية أكل وظاهر ان كل ما أوله هذه الملامة « فخير حديث »

فطعن بفر مرة هبنا ومرة هبنا . ورسول الله يضاكك . ثم أمسكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والآخرى تحت فأس رأسه (أي قفا رأسه من تحت قذاله) وأقنعه (أي رفعه) وجعل يقبله وقال :

• أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً

أما حسن معاشرته لنسائه الطاهرات فائسنة مستفيضة به . من ذلك ما روي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرني والحبشة يلعبون بحراهم في المسجد وهو يسترني بردائه . انظر الى لعبهم . وكان يقول لي كفى ! فأقول لا احتى اكتفيت . ومن جملة الرفق والمناية بالاهل والميال ما ورد في الحديث وهو :

• كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحداً من أهله في يوم عيد الا أخرجه يعني انه كان في صبيحة أيام الأعياد يخرج كل واحد من أفراد عائلته الى خارج المدينة حيث يجتمع المسلمون لصلاة العيد في مصلاها الخاص فيصلون ويشاهدون الناس في هذا الاجتماع الحافل فيدخل عليهم السرور والفرح بروية ذلك .

• مشيك الى المسجد وانصرفك الى اهلك في الاجر سواء

سوى في الاجر والنواب بين المشيتين مشي الرجل الى عبادته ومشيه واجماً الى مسامرة عائلته . وكأن الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله هذا يمرض بأولئك القساة الذين لا يحملون من اوقاتهم نصيباً مفروضاً لمعاشرة عائلاتهم بل ينفقونها جزافاً في أماكن اللهو والبطالة . وبذلك تسوء عيشة المائلات وتتنقص حياتها بل ربما أدى بها الامر احياناً الى المفاسد وقبيح الاعمال ومن الواجبات العائلية ترفيه العائلة . والتوسعة عليها بالنفقة . واعداد ما يلزم لها من وسائل الراحة والهناء . ومرافق الحياة والمعيش . وقد حض الشارع صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة منها :

• ليس منا من وسم الله عليه ثم قتر على عياله

• شر الناس المضيق على أهله

• أول ما يوضع في ميزان المرء اتفاهه على أهله

أي ان النفقة عليهم من أول الاعمال التي يشاب عليها .

• دينار اتفقته في سبيل الله ودينار اتفقته في رقة ودينار تصدقت به على

مكن ودينار اتفقته على اهلك . اعظمها اجرا ذلك الذي اتفقته على اهلك
 * اطعم زوجك اذا طممت واكسها اذا اكتسيت ولا تقبح الوجه
 ولا تضربه (١)

ينهي عن ضربها وكل ما يؤذيها وعن تقبيح وجهها فلا يواجهها بتقبيح القول
 وفطيم الشتم . او المني : لا يقول لها « قبح الله وجهك » وهو شتم مألوف
 بينهم نهى الشارع عنه بخصوصه .

* الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر .

في هذا الحديث تحذير لارباب العائلات الذين يجمعون المال حلالا وحراما
 صدا لحاجات عائلاتهم . وأشباعا لنهاتهم : فهو صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لتعاسة ذلك الاب الذي يترك عائلته بعد موته في سعة من الرزق ومحبوحة
 العيش من مال جمعه حراما لهم ثم يقدم على ربه يوم القيامة وهو مثقل بتبعات
 ذلك المال الذي جمعه وخان الناس فيه فيمذبه الله عليه . ويكون قد اشبه الشمعة
 التي تضي للناس وتحرق نفسها . فاذا كانت التوسعة على العيال واجبا عائليا على
 رب العائلة فان تحري الاتفاق عليها من المال الحلال هو ايضا واجب عائلي عليه
 تحذره مراعاته والاتباه اليه .

وأما الاولاد والصبيان فهم ثمرة الحياة ، وريحانة البيت . وأمل العائلة
 والغاية المقصودة من الزواج . قال صلى الله عليه وسلم

* بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه

* ربح الولد من ربح الجنة

* الولد ربحان الجنة

(١) المنار : الحديث لا يوجد بهذا اللفظ في الجامع الصغير الذي استمد منه
 الكاتب معظم ما أورده في كتابه من الاحاديث ويوجد باللفظ الآتي معزو الى الطبراني
 والحاكم مصنفهما ورواه أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني وصححه
 وعلقه البخاري في الصحيح عن معاوية بن حيدة مرفوعا وهو « حق المرأة على الزوج
 ان يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر
 الا في البيت » قالوا أي المبيت بان يبيت وحده مؤاخذا لها على النشوز وهو
 عصيان الترفيع ولكن لا يحمل له أن يترك مكانها

لكن ينبغي للآباء والأمهات ان يعلموا ان اولادهم ليسوا ملكا لهم
كملكهم اشياءهم وانه لم تمنعهم العناية الالهية لهم ليكونوا بمثابة متاع او
قطعة زينة في البيت ينافس بها . ويحرص عليها . وتلذذ النفس بالنظر اليها
فحسب . وانما خلقوا ليقضوا زمن الصبوة في حجر المائلة ثم يخرجوا منها
احراراً مستقلين . ويضافوا مدداً الى الرجال العاملين

فالمائلة اذن مكلفة بتربية الطفل وتربيته جسمياً ونفسياً وخلقاً للقيام بوظائفه
المتخلفة في خدمة قومه ووطنه . وان العناية بالاولاد وتربيتهم هذه الترية
الصالحة من اكبر واجبات الابوين التي يفرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهم
كما ان اهمهم والتفريط في تربيتهم من اكبر الجنايات التي يمتقها الشرع وتعاقب
عليها القوانين المدنية (١) . قال صلى الله عليه وسلم :

« اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم : فان اولادكم هدية الله اليكم
ولا يمتحنى ان الشكر على الهدية انما يكون في تقبلها بفرح ثم العناية بها . والمحافظة
عليها . كما ان التفريط فيها كفران لحق من أهداها . وباعت على غضبه ونقمة
* لان يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق بصاع (٢)
* حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرمية وأن لا يرزقه
الا حلالاً طيباً

هذه أهم علوم الرجل (٣) في ذلك العهد . ومنها الرماية بالسهم . أما اليوم
فقد اختلفت الاحوال وتبدلت الاوضاع . واستجدت علوم لم يكن يعتنى بها
من قبل ، فالواجب على اولياء الاولاد اليوم ان يعلموهم منها ما هم في حاجة ماسة
اليه ، وان الاسلام ليقدر هذا الاختلاف الزماني قدره كما ورد في الاثر
* خلقوا اولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا الزمان غير زمانكم (٤)

(١) المنار : لعله أراد السنن الاجتماعية لا المعنى الاصطلاحي عند الحكومات
(٢) في الاصل بصدقة وهو سهو ولذلك صححناه والصاع مكيال معروف
والحديث في الترمذي من طريق ناصح بن عبدالله الحملي وهو كما قال الذهبي
هالك فلذلك أنكر الحفاظ على الترمذي روايته عنه (٣) هذه ليست علوماً بل
الكتابة فن عملي والسباحة والرمية رياضتان ولا يزال هذا من أهم ما يربى عليه
الاولاد ولكن رماية هذا المصير بالرصاص لا بالسهم (٤) هذا ليس بحديث بل هو من كلام
بعض المولدين فلذلك التخليق فيه بهذا المعنى عمر بن قتيبة ولا معناه شرعي صحيح

فاذا كانت الاخلاق تختلف بين زمن الاب وابنه فكيف يكون مبلغ اختلافها بين زمن السلف وزماننا هذا ؟

• أيما امرأة قدمت على بيت أولادها فهي ممي في الجنة يرشد الشارع صلى الله عليه وسلم المرأة في هذا الحديث الى واجبهافي تربية أولادها وهي أجدر بهذا الخطاب الشرعي من الرجل : فهو يقول لها: ان تركها الاشتغال بما لا ينفعها والمكوف على تربية أولادها في بيتها خير وسيلة الى دخول الجنان

• ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن كأن هذا تمرىض بمن يخص بمض أولاده بالنحل والمطايا وتقيس المتاع وقد ورد النهي عن ذلك صريحاً في الاحاديث الاخرى • اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم • ان الله يحب أن تمدلوا بين أولادكم حتى في القبل و(القبل) على وزان غرف جمع قبله وهي التقيلة .

• ساوا بين أولادكم في العطية: فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء لمل السبب في استحقاق النساء للتفضيل انهن سرعات التأثر . وقيقات الشعور . شديداً الخيرة : فهن لذلك أجدر بالمطايا . وأنواع البر واللفظ (المهدايا) من أخوتهم الذكور . ومع هذا فان الشارع نهى عنه خشية التنافس والتحاسد بين الاولاد . وفي الحديث اشارة لطيفة الى وجوب العناية بالنساء ومراعاة شعورهن وعواطفهن ، ومن هذا القبيل ماورد في الحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم .

• كان يكسو بناته خمر القز والابرسم يفصل ذلك موافاة لرغبتهن ، ومراعاة لميلهن وتنافسهن في لبس الحرير والنفيس من الثياب . والاسلام لا يفرق بين الذكر والانثى في الحب والعناية والتربية كما رأيت وسيأتي في بحث (النساء والايام) زيادة بيان لذلك وان من أهم الاغراض التي جاء الاسلام من أجلها هدم ما كان عليه أهل الجاهلية من هضم المرأة واذلالها . والتفريط أحياناً بحياتها . حتى عابهم القرآن في ذلك . وغيرهم به . مد قال تعالى :

(واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم • يتوارى من القوم

من موهب ما بشر به: أعمى على هون أم يدسه في التراب)
 هذا هو حال أهل الجاهلية قبل الإسلام : كانوا إذا ولد لأحد منهم أنثى
 اكفهر وجهه . واستخفى عن أعين الناس حياء وخجلا ثم فكر في كيف يتخلص
 من هذا الضيف الثقيل ؟ ايصبر عليه ؟ أو يئده تحت التراب ؟ فجاء الإسلام ناعيا
 عليهم حالتهم هذه . وبشر بالمرأة . ووجوب العناية بها . واعطائها حقها من
 الوجود ونصيبها من الحقوق . ومما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :

لا تسكر هوا البنات فانهن المونسات الغاليات

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فتتثبت به (أمامة) ابنة ابنته زينب. فكان
 يحملها على عاتقه: فإذا سجد وضمها وإذا قام حملها .

وانما نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن تفضيل بعض الاولاد بالمعطية تفاديا
 من التحاقد والتحاسد بينهم كما مر آنفا . بل قد يحقدون أحيانا على أبيهم نفسه
 والاب مأمور بأن لا يتعاطى من الاسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده
 ومن قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك

• رحم الله والداً أعان ولده على بره

• أعينوا أولادكم على بركم: من شاء استخرج العقوق من ولده
 أي انه في مكنة الاب أن يحمل ابنه على العقوق وترك الطاعة . وذلك
 يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تقريظ أو ابتسامة أحيانا . فليكن
 الاب حكيما فطنا ضابطا لمواطنه وتوزيعها بالعدل بين اولاده . والا جر على
 نفسه وعائلته من بئس بلاء .

وكما يطالب الولد ببر والده يطالب الوالد نفسه ببر ولده . وبر كل منهما بحسبه .
 وقد وصف صلى الله عليه وسلم بيا قوماً من الأبرار فقال :

• انما سبأهم الله الأبرار لانهم يروا الآباء والأمهات والأبناء . كما ان لوالديك
 عليك حقاً كذلك لولده

ومن جملة بر الوالد لولده ما ذكر صلى الله عليه وسلم في قوله :

• لا يبعد الرجل صبيه ثم لا يفي له

فان هذا فضلا عن كونه يحمل الولد على احتقار والده واعتقاد الكذب
 فيه يسهل أمر الكذب عليه . ومن شابه اباة فما ظلم . فيشتك كذابا لا يصدق
 بقول . ولا يفي بمهد .

ومما به إليه الشارع من أمر تربية الأولاد أن لا يشاءم الوالد بأحد أولاده ولا يئأس منه إذا رآه غنيدا شرسا ذا شر وأذى : فقد يتحول كل هذا فيه إذا أحسنت تربيته إلى أخلاق فاضلة كاشجاعة . وقوة الإرادة . وكبر العقل .

والشم وطلب المعالي . قال صلى الله عليه وسلم

« عرام (١) الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره

والمرام الشراسة والأذى والشر والبطر ومفارقة القصد والخروج عن

الحد . وقيل هو الفساد

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم أيضاً لآباء الأولاد ما جاء في قوله :

« الولد ثمرة القلب وأنه بحبنة صبخلة محزنة

ومعنى ذلك أن الآباء لقرط حبهم أولادهم وحرصهم على خيرهم قد تغلب عليهم صفات (الجبن) فتراهم يحجبون عن التمرض للاخطار خشية أن يموتوا فتضيع صفارهم من بعدهم — و (البخل) فهم يبخلون ويشحون بالمال فلا ينفقونه في وجوهه الواجبة أحياناً لئلا يموتوا بلا أرث يتركونه لصفارهم يهتمون به في كبرهم — و (الحزن) : فهم إذا اعتل الولد وساءت حاله وجوا وحزنوا واستولى عليهم اليأس والقنوط وهذا معنى (بحبنة) (مبخلة) (محزنة) وهي من صيغ المبالغة في الوصف . وما ذكر من هذه الأوصاف وإن كان أمراً فطرياً أو طبيعياً في الآباء والشارع يمتدح به فهو ينهيه إلى خطره . ويوصي الآباء بالرفق والاعتدال خشية أن تستحكم فيهم هذه الملكات، فتقودهم إلى الشرور والآفات

ومما ورد في فضل الولد قوله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير

« أن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى لي هذا ؟ فيقال له باستغفار ولدك لك

والحنو على الولد والرأفة به والصبر على ما يبدو منه أحياناً من العناد والطيش ودواعي الصبوة أمر طبيعي في الآباء يحتملونه بصبر ورضا . إلا من

(١) النار : الرواية كما في الجامع الصغير عرامة وهي بالفتح كالمرام بالضم

(النار : ج ٤) (٣٩) (المجلد الثاني والمشرون)

فدر منهم: فقد رأى الأفرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فقال له: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال صلى الله عليه وسلم: * ان من لا يرحم لا يرحم

وقال معاوية رضي الله عنه للأحنف بن قيس: ما تقول في الولد؟ قال: «يا أمير المؤمنين: ثمار قلوبنا. وثمار ظهورنا. ونحن لهم ارض ذليلة. وسماة طليقة. وبهم نصول على كل جليّة. فان طلبوا فلنعطهم. وان غضبوا فآرضهم بمنحورك ودهم. وبحبوك جهدهم. ولا تكن عليهم فضلاً ثقيلاً. فيملوا حياتك، ويوردوا وفاتك. ويكرهوا قربك» فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف لقد أَرْضَيْتَنِي مِمَّنْ سَخَطَ عَلَيْهِ مِنْ وَلَدِي. ثم وصله بمطية عظمى

﴿ كلمة المنار في هذا الفصل ﴾

هذا الفصل من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المقرئ صدقنا ورفقنا في طلب العلم بطرابلس الشام أنه حديثاً لحكومة دمشق الشام ليقرا في مدارسها وهو كما يرى القارئ في حسن أسلوبه وكثرة فوائده الجامعة بين حاجة العصر وهداية اللذين، ولما أرحل البنا هذا الفصل منه لنشره في المنار كتبنا اليه منتقدين انخاله تخريج احاديثه وكثرة الضعاف فيها مع امكان الاستغناء عنها بالصالح فكنت اينا انه قدر ما كتبناه اليه قدره وان عذره الاضطرار الى الاختصار مع كون الكتاب كتاب آداب لا كتاب حديث وان احاديثه منقولة من الجامع الصغير وهي مخرجة فيه «سوى احاديث قليلة مسندة غائبا الى رايها» وان التصريح بضعف بعض الاحاديث يسقط تأثيرها من النفوس ويظن الطالب أن الضعيف يمتني الباطل مع انه ليس الاصطلاحاً للمحدثين - وان العلماء تساهلوا في احاديث الفضائل ولا سيما اذا كانت موافقة لاصول الاسلام الخ

لأجل هذا رجحنا عما كنا هزمتا عليه من تخريج احاديث هذا الفصل وبيان مراتبها من القوة والضعف في أساسيدها كما دتنا. وما قاله في ضعف الاحاديث يصدق على الكثير منها ويختلف اصطلاحهم فيها حتى ان الضعيف في مسند الامام أحمد أقوى من الضعيف في زوائد دع الكتب التي يتساعل أصحابها في المدلل تكاين حبان والحاكم وقد وافق الفقهاء على الصل بها في احاديث الارشاد والفضائل بشرط بيانها

في المنار من قبل أهلها موافقتهما لثابت المقرر في الدين وعدم اشتداد ضعفها. فاز
منها ما سبب ضعفه مخالفة الراوي له لبعض الثقات أو ضعف ضبطه ولو في آخر عمره بل
عد بعضهم كثيرا من رجال الصحيحين في الضعفاء. مثال ذلك حديث «ان الله
سائل كل راع عما استرعاه» في ص ٢٩٩ أخرجه النسائي وابن حبان عن انس مر
طريق معاذ ابن هشام وقد عد بعضهم معاذ في الضعفاء وقال ابن معين فيه صدوق
ليس بحجة، على أنه قد روي عنه الستة

ومنها ما ضعفه شديد يقرب من الموضوع أو يدخل في بابيه وقد ذكرنا مثالا
في الجزء الذي قبل هذا في سياق الكلام على التصوف وتساهل بعض الفقهاء في
الاحاديث الواهية والموضوعة كحديث دعاء الوضوء ومنه في هذا الفصل حديث
«عفوا نعت نساؤكم» الخ نقله في الجامع الصغير عن الطبراني في الاوسه
من حديث عائشة بهذا اللفظ مع تمة وعلم عليه بالضعف وعن الحاكم عن أبي هرير
بلفظ «عفوا عن نساء الناس» الخ فالاول الذي اختاره المؤلف في اسناده يزيد
خاله النسي كذاب. نقله الشيخ محمد الحوت وعلمته شرح المناوي على الجامع الصغير
واسند هذا القول الى الهيثمي وليس لهذا الرجل ذكر في ميزان الاعتدال. وقال في
الحديث الآخر: صححه الحاكم ورد عليه الذهبي فيه سويد عن قتاده ضعيف وقال
المذري هو ابن عبد العزيز واه انتهى ولعل الصواب انه سويد بن ابراهيم الجعدي
ابو حاتم الحنط فانه هو الذي قالوا انه يروي عن قتاده فيخلط ويأتي
باحاديث لم يأت بها أحد غيره وهو ضعيف وبالغ ابن حبان في جرحه فقال
يروي الموضوعات على الثقات، وذكر المذري أن الطبراني رواه من حديث
عمر أيضا باسناد حسن، فلهذه الروايات كان عنده مما ينأدب به ولذلك أورده في
الترغيب والترهيب لأن معناه صحيح موافق لاصول الشريعة في الترية بالعمل
فلا تضره مثل هذه الطل.

ومثل ذلك ما كان في سنده انقطاع كحديث «ان من أكل المؤمن
إيمانا أحسنهم خلقا وأطهرهم بأمله» وكذا ما كان في سنده مجهول كحديث
في حديث «من كان له صبي فليصنح له» ولكن لا يحتج بها في تشریع بعد.

في الأحكام والحلال والحرام ، ولا في أصول العقائد والايان وعالم الغيب . ولا يعتمد بشئ منها اذا خالف النصوص الصحيحة أو القواعد الثابتة في الشرع والامور الثابتة في الوقائع أو بمتنهي البرهان المقلي أو الدليل القطعي فان مخالفتها من علامات الوضع . وأكثر اعتماد المتدعين على أمثال هذه الروايات الشاذة أو المنكرة التي لا يثبت لها اسناد

وفي هذه الاحاديث ما ليس في الجامع الصغير ولم يمز الى كتاب آخر كحديث «ارجعوا الى أهليكم فطاهروهم» وحديث «كان (ص) في بيته ألين الناس وأكرم الناس ضحكا كما بساما» ولا أذكر اني رأيت هذا الحديث في الشامل ولا غيرها وفيه وصفه (ص) بالضحك ولم يكن ضحكا كالأنا كان ضحكه تبسما : وحديث «أما امرأة قدمت على بيت أولادها» الخ وحديث «لا يمد الرجل صبيه» الخ وهو جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ولعله في الجامع ولا أذكر أوله لأراجع فيه ، وفيها ما أورده بغير الفاظه التي في الجامع الصغير كحديث «اذا مات ابن آدم» الخ عزاه في الجامع الصغير الى البخاري في الادب المفرد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة عن أبي هريرة بلفظ «اذا الانسان» وليس في آخره كلمة بخبر . وحديث «انا من حسين الخ فانه فيه بلفظه المشهور «حسين مني وانا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سيطان من الأسياط» عزاه الى البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه وألحاهم عن يعل بن مرة ، وحديث «اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم» فانه ذكره بهذا اللفظ وعزاه الى ابن ماجه عن انس . وقد زاد المرواف فيه ما ليس في سنن ابن ماجه ولا الجامع الصغير وهو «فان أولادكم هدية الله إليكم» ولم يذكر من أي كتاب نقله

ومما اقتصر فيه على الضعاف مع وجود الاحاديث الصحاح ما أورده في المساواة بين الأولاد من حديث النعمان بن بشير «اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما تحبون ان يروكم» وقد عزاه في الجامع الصغير الى الطبراني وأشار الى ضعفه ، ثم ذكر بعده بحديث حديث «ساووا بين أولادكم» الخ وعزاه في الجامع الصغير الى الطبراني والبيهقي وأشار الى ضعفه وذلك أن في اسناده سعيد بن يوسف وهو ضعيف وذكر ابن عدي في الكامل أنه لم يرو له أنكر منه ، وقد ترك حديث النعمان بن بشير

المروي في الصحيحين «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» وفي رواية بين أولادكم وله قصة في انكار النبي (ص) على من ميز أحد لأخوة هل الآخرين . وإنما فعل المؤلف هذا لان في الأحاديث التي اختارها زيادة فائدة في المعنى مقصودة في بابها . وقد ذكرت في الحواشي تفسيحات أخرى ما أحيت ان تؤخر الى هذه النقطات العامة واتي أحب لصدقي أن يراجع جميع أحاديث الكتاب ويقابلها بالكتب التي نقلها منها ويندكر في حواشي الصحائف مأخذ كل حديث ليس في الجامع الصغير بنصه ، ويصرح بأن كل حديث لم يمره الى كتاب فهو في الجامع الصغير فان هذا ادعى الى ثقة الناس بهذه الأحاديث في كل قطر ، وهذا العمل لا يفتني زيادة كثيرة في أوراق الكتاب لقلة الأحاديث التي ليست من الجامع الصغير ، وان يدقق النظر في تحرير الالفاظ ولا يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المحدثين من جواز رواية الحديث بالمعنى فان هذا ليس لمن يقتل من الكتب مثلاً وإنما هو خاص بمثل الصحابي أو التابعي يسمع الحديث فيتحرى بيان المعنى الذي فهمه منه فلا يفسره باختلاف بعض الالفاظ كقوله «اعدلوا في أولادكم» أو «بين أولادكم»

مختارات من الجرائد الغربية . في حل المسألة الشرقية

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩
نهاية الدولة التركية - هدم عقد شروط صلح ١٩١٨ - تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هيرالد في عددها الصادر هذا الصباح ان من المرجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وان كان ذلك غير مطابق للتواضع المرصية ، لا ان المؤتمر يذكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على ان تركيا لم يمد لها حكومة دولية حقيقة وانه لم يبق للعالم المدني الا الانتفاع بتركيا الدولة العثمانية
مثل اليونان أكبر جزء من تركيا أوروبية ، وأما الآستانة مع مضائق البحر

فتبعم لعصبة الأمم نحت وصاية أمريكا التي نه على في هذا الابان نفسه الوكالة على أرمينية الى ان تصير هذه البلاد صالحة لان تحكم نفسها بنفسها
ثم ان اليونان صيغيتها جزء ليس بقليل من آسية الصغرى وأما باقي ولايات هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسة وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم وانكسرة تأخذ بلاد العراق وفرنسة تأخذ سورية أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال

وراثه الخلافة

ان انحلال تركية أوجد مسألة اليولة الخلافة كما انه وضع حدا لنهاية نفوذ فرنسة في الشرق - لقد كان لنا عدة قرون أكبر نفوذ بسياسةنا الودية مع تركية ، وقد حلت ألمانية مجلنا عند ما أهملنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في امكاننا استرجاع مكانتنا الاولى على أثر صولة النصر الا اننا لم نقتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية بمحبة بمصالحنا - فما يكون نصيب فرنسة بالنسبة الى البلاد المتسعة التي وضعت تحت وصاية انكسرة وأمريكا ، ان ما خصص لنا انما هي سورية بعد استثناء تلبسبا وفلسطين منها وحرمانها من البوغازين المهمين أعني بهما ثفري اسكندرونة وحيفا

وجاء في جريدة لافير (المستقبل) في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

تعديل الخريطة - اعادة نظام الخمسة وانحلال تركية

عزم المؤتمر على فحص المسئلة التركية وقد بدأ هذا الفحص بارسال مدرعات وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها الى اليونان وتم ذلك فملا تقرر أيضاً ضم سورية الى فرنسة ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل العراق وفلسطين تابعتين لانجلترا وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضمالية وقونية بإيطاليا والاسستانه وأرمينية بأمريكا

أما التركي فانه يحسب تخويل الشعوب حق تقرير مصيرها قد صار ازالته من الخريطة والمأمول ان هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لا تتم لانه ليس من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الإسلامية في أنحاء العالم واضمارها في الأصانة

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركية تحت سيطرة دولية ثم روي اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد وتجنيسها بجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق التملك الحقيقي
 اننا بتوضيح تركية وبتشريع هذه المملكة اوجدنا أوجهاً للنزاع وللشقاق بين دول أوروبا في المستقبل اذا ان الرجل المريض سينقل عدوى مرضه الى أوروبا ولاجل تميم العدوى دخلت ايضاً امريكة في المرسح ولنا أن نتساءل ما شأن امريكة في تركية ؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضائق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما ؟
 ان الحل الوحيد هو عدم تخصيص الاستانة لدولة معينة من الدول واذا كان لا بد من وضع مراقبة على تركية فليس ثمت أحسن طريقة من جمل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مخالفة للمدالة وللروح المصري والصالح الأوروبية في الشرق

وجاء في جريدة الفيخارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار المانية العسكرية وانهزام دولتي تركية والخمسة والمجبر أصبحت هاتان الدولتان الاخيرتان مزعزعتي الاركان وتولد عن ذلك مسألة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني
 ان سقوط الدولتين المذكورتين انقذ الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يعد لها صبر على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته اجيالاً طويلاً
 فالذين تقول اليهم تركية هم أولاً اليونان الذين بعد ان تخلصوا من ذاك الملك الخائن انضموا الى قضية الحلفاء = ثم الارمن الذين بسبب السياسة الخرقاء الموعز بها من عمال الالمان قاسوا أشد انواع المذاب واوشكوا ان ينقضوا ويلهم السوربون الخ

فال يونان القاطنون في تركية أوروبا سينضمون الى دولتهم التي ستتم كثيراً على أثر هذا الانضمام كما ان ولاية أزمير = حيث يكون المنصر اليوناني = ستضم ايضاً الى دولة اليونان بناء على التوكيل الممنح هذه الدولة وبحسب الشروط المعينة لذلك

وأما مشروع انشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط فالمنظور أن امريكا تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعد على ارتقاها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الاستانة وعلى المضائق التابعة لها ايضا = فاذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكى لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً الا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكى عليه

وفرنة تكون الوصية على سورية بالنظر لملاقبها القديمة بها لكن لا بد ان تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية بأكملها وليس على سورية مقسمة ولا ريب في أن المخبرات التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرنة لكن من الضروري ان تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستعطى لاطاليا مع ميناء اضاليا

ثم ان فلسطين والعراق يكونان تحت مراقبة انجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادى بدء وبقي في آسية الصغرى جزء مأهول بسكان اترك يحتموي على بروسة وانقره وقد طلب من فرنة حماية هذا الجزء لان بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتتمنى ان لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسية الصغرى والذي نراه هو ان تكون دولة تركية المقبلة تحت اشراف مستشارين اوروبايين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين بيانا للرأي العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من جميع الامم يظنون ان ماتقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذي لا مرد له لانه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبدة والزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات لجمال تلك الاماني حقوقا ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن في حساب احد من الخطوب والمشكلات التي عجز جميع دهاء السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نقشوا فيها ودميت اظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المفكرين بالقوة والمظنة الباطلة الذين يرتكسون في البأس عند سماع كل صيحة هائلة ،

(فاعتبروا يا أولي الابصار)

أماني المبشرين ، أو مخادعتهم للموسرين

كتبت إحدى الجرائد التبشيرية الأمريكية مقالا للدكتور صموئيل م زويمر المعروف في مصر تحت هذا العنوان

« الإسلام يرحب بالنصرانية »

ان الجاحدين من أهل الإسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وان دور الأولياء والكهنة قد انقضى فاصبح المسمون يرحبون بالانجيل المسيحي هذا ما كتبه الدكتور صموئيل زويمر من القاهرة الى (الانتليجنسر) مبيناً أن الاضطراب السياسي في الشرق الأدنى لم يكن ناجماً عن عوامل اقتصادية أو رغبة في الحكم الذاتي بقدر ما كان ناجماً عن عدم القناعة الدينية وقد أقام برهاناً على أقواله ان اللورد رادستوك الموظف في جمعية الشبان المسيحيين YMCA قد ألقى عدة مواعظ دينية في المدن والقرى المصرية ابان الاضطرابات الاخيرة قوبلت بكل ترحيب وحفاوة بالرغم من تلك الاضطرابات السياسية ومن ظهور برزته الافرنجية ، فيدل هذا على ان الفرص سانحة جداً للتبشير بين الطبقات كافة والمسلمين الذين يمثلون المجموع الاعظم خاصة ، وان الابواب التي كانت مستعدة بان تفتح اصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة لان الابحاث اللاهوتية ابتدأت تأخذ طورا جديداً في الوقت الحاضر واصبحت صفات السيد المسيح تمحور في الجرائد اليومية . وما يشجع على ذلك اننا نرى اقبالاً لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية حتى مملي الجامع الازهر وكافة طبقات الشعب فقد جاء في مؤلف لأحد علماء الإسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح بين فيه الكاتب جلال المسيح وتأثيره العظيم على التاريخ

ان الإسلام لا يعترف رسمياً ببسبب المسيح وآلامه فاصبحت خشبة الصليب هي المثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم قد نكون عرضة لنسيان أن الشرق الأدنى نال قسطه من (جنسياني) « مكان في القدس حيث دفن المسيح » فان الحرب قد حفرت حفراً عميقة في حياة البشر وقلوبهم حيث نرى الملايين من اليتام والارامل وذي رى بيتاً في تركيا الا ونشاهد فيه فراغاً .

غلب الاسلام في ساحة الحرب فاصبح مخدوعاً في مظاهره مضطرباً في برنامجه وعليه فانه أصبح ناضجاً مستعداً لقبول التعاليم المسيحية اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لاجل الاسلام كما كان يحارب قبلاً وان تلك الخطط الثورية والمطالب التي كانوا يلبسونها ستاراً من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجد لهم نفعاً فان اليهودي وجع الى فلسطين وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلاً مهاناً .

ان المسلمين أنفسهم يدرسون حياة محمد وتعاليمه درس الناقد وان ما جاء في تفسير القرآن الذي كان ينشر تباعاً في مجلة المنار التي هي من أمهات المجلات في القاهرة دليل على ما ذكرناه

ان الطلاب الأبيض ابتداءً يزول فالتعلمون من المسلمين يقرأون الكتب الفرنسية والانكليزية وعلى الأخص كتابات « لامنس » و « كايثاني » و « موير » و « ماكوليوت » وغيرهم ثم ان « س خدا باخش » من كلكتا ترجم مؤخراً كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانكليزية منتقداً التربية الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها في خطابه ومحاضراته الشائعة غير هياب ولا وجل . وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث التعاليم المسيحية كما نتنازع النابتة ونخلص المرأة المستعبدة ثم نبث معنى الحياة الزوجية قد يرى المبشرون في هذا الجهاد انصاراً لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم .

الرق قضي عليه والحجاب في حالة القضاء عليه وأما تعدد الزوجات وشريعة الطلاق فان الظروف الحاضرة كفيلة بزوالها . انتهى

(المنار) يطلب على ملنا ان الفرض الاول من هذه الكتابة استنداءه أ ك ف الموسرين من الضيورين على تنصير المسلمين ليجودوا بالمال ، ولا يبعد أن يكون الكاتب مغروراً متمنياً يرى أن أمانيه حقائق ثابتة كالسياسيين الذين يظنون أنهم قضوا على الاسلام بكسر الدولة العثمانية ، واقتسام البلاد العربية ، والحق ان المبشرين كانوا قبل الاحداث التي ذكرها أشد تعظيماً للمسيح عليه السلام منهم الآن وان أوربة قد جنت بهذه الحرب الوحشية وبمآهلات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الغربية أقبح جنائية فأصبحت جميع الامم الشرقية نافرة منها أشد النفور فان لم يكن الكاتب شمر بهذا الى اليوم — وهو ما لا نظنه — فلينتظر فانا منتظرون

باب الانتقاد على المنار

مسألة فناء النار أو انتهاء عذاب أهلها

راجعنا أفراد من قراء المنار فيما نقلناه عن كتاب (حادي الأرواح) في مسألة الخلاف في فناء النار وبقائها وما رجونا من اقناعه لبعض المنكرين لعدم نهاية عذابها مع عدم تضرر المؤمنين بقول الجمهور به . ورأينا بعضهم فهم من كلام ابن القيم أنه يرجح القول بفناء النار ويختاره واننا وافقناه على ذلك بما تقينا عليه ، ولم نر أحداً منهم فهم قولنا حق الفهم ولا قوله ، وقد تيسر لنا افهام من كلمنا في ذلك مشافهة حتى اتفقنا فيه رأياً

وكتب الينا بعض اخواننا في ذلك مستعظماً للاصرافاً أنه كلام يهدم الدين ، ويؤيد شبه المرتدين ، ويجري مصاة والفساق على ارتكاب الفواحش والمنكرات ، وقد كتبنا اليه بعض التوضيح لقولنا والتذكير بما لعله ذهل عنه وفتحنا له باب الرد على ما ذكره وازالة شبهات من يظن أنه يفتن به ، فشرع في ذلك ، ثم رأينا ان نبين له ولغيره من القراء المسائل الآتية ونذكرهم ببعض ما سبق لنا من القول في أمثال هذه المسائل

(١) ان المسألة خلافية بين المسلمين لاجماعية وقد نقل الامام الطحاوي فيها ثمانية مذاهب في عقيدته عزرا اثنين منهما الى أهل السنة أحدهما ان الله تعالى يبقيهما ما يشاء ثم يفتنيها ، والآخر قول الجمهور المشهور ، وابن القيم لم ينقل الا سبعة أقوال ، وقد ذكر الخلاف في كثير من كتب العقائد والتفسير والحديث ، ومقتضى كلام الطحاوي ان مذهب بعض الصوفية فيها كذهب الجهمية ليس من مذاهب السنة (٢) ان الطحاوي لما ذكر القولين اللذين عزاهما الى أهل السنة قال :

ولينظر في دليلهما . فجاء بمده ابن القيم وبسط دلائلها ، ولم يجزم بهذا ولا ذاك بل فوض الامر فيه الى ارادة الله ومشيئته وهو قول ٨ أو ٩ لأهل السنة

(٣) ان المنار لم ينشر مطلوباً فالكتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين الناس ولا سيما الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي وشرح عقيدة المفاريني وما زاد حادي الأرواح على غيره الا تلك المسائل الدقيقة في حكم الثواب والمقاب ورحمة الله تعالى وحكمته في الجزاء والتفرقة بين صفات الخلق كاللحكمة والرحمة وصفات الافعال كالزناق والمهي والميت والمنتقم وهي التي نوهنا بفتنائه

واثنين على سمة علمه وهما مرفقة لاجلها دون أصل المسألة المشهورة قبله .
 (٤) اتنا قد بينا غير مرة في المنار أن المعتقد عندنا في التفسير وأصول
 الدين وفروعه ظواهر النصوص مجتمعة وفي اختلاف العلماء ما كان عليه جمهور
 السلف ان علم بالنقل الصحيح ، واتنا اذا أوردنا في المنار أقوالاً أخرى فانما
 قصد بذلك دفع بعض الشبهات عن الدين أو تقريب بعض مسائله الى بعض
 من لا يقتضيه غيره بحسب اختبارنا . وعلى هذه القاعدة جرينا في تفسير آية
 الانعام فان فيها بعد ذكر الخلود الاستثناء بمشيئة الله تعالى وتلميل هذا
 الاستثناء بقوله تعالى (ان ربك حكيم عليم) وقد فوضنا اليه سبحانه الامر
 في ذلك وبيننا ان مشيئته في ذلك مجهولة لنا ولا يملكها حتى العلم غيره سبحانه
 وانما تتعلق بما يقتضيه علمه وخكمته ووعدنا بتحرير الدلائل في المسألة عند
 تفسير آيتي سورة هود فيها

وقد سبق لنا تحقيق مثل هذا التفويض في تفسير قوله تعالى حكاية عن
 عيسى عليه السلام في قومه (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم) وبيننا فيه ضعف من اضطر به من المفسرين لصراحة السبارة
 في جواز المغفرة لمن اتخذه وأمه الهين من دون الله ومنه أقوال بعض مفسري
 الأشعرية باستحسان غفران الشرك كما صرح : أبو السمود والآلوسي وأطنب
 الرازي في ذلك . وأتى بسدة وجوه في تأييد مذهبهم رددناها عليه أقوى رد
 بفضل الله علينا ، وبيننا وجه تذييل الآية بقسمة العزة والحكمة دون المغفرة
 والرحمة بما لم نطلع على مثله لاحد

(٥) ان قيل انه تعالى بين في سورة النساء انه لا يغفر ان يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تقييد للمشيئة ينقض قول الأشعرية . قلنا انما يدل
 هذا على أن العقاب على الشرك حتم مقضي ولكنه لا يدل على أنه سرمدي لا
 نهاية له بل هذه مسألة أخرى ، وجمهور العلماء يقيدون المشيئة بغير هذا النص
 أيضاً اذ صرحوا بأنه لا يغفر لمن يوحد الله ولا يشرك به اذا لم يؤمن بثلاثة
 الله ورسله واليوم الآخر ، ولا لمن جحد أي أصر جماع عليه معلوم من دين
 الاسلام بالضرورة ، ويثرون النص في جواز غفران ما دون الشرك كالنص في
 خلود متعمد القتل في جهنم بناء على مذاهبيهم فأكثر التأويل لتصحيح المذاهب
 المتبعة لا للجمع بين النصوص وتقديمها على جميع المذاهب ، والآيات تثبت

اطلاق المشيئة الا انها لا تعارض غيرها من صفات الله ومدلول كلامه

(٦) ان مرادنا بقولنا : ان هذا البحث لا يضر المؤمنين بقول الجمهور
مقلدين كانوا أو مستدلين — ظاهر جلي وهو أنهم يردون القول المخالف لم
قلاوهم أو لدلائلهم فلا يترتب عليه أثر في أعمالهم، ونزيد على ذلك انه لا يضر
أجداً من المؤمنين مطلقاً وان سلمه لان جواز تعلق مشيئة الله تعالى بانتهاء
عذاب الكفار بعد لبثهم في النار احقاباً لا يصح أن يكون سبباً لترك المؤمن
الصادق لشيء من الواجبات ، ولا لارتكابه لشيء من المحرمات ، ولكن في
كتب الفقه والكلام والمواعظ والادب وخطب المنابر كثيراً من الاقوال التي
ازالت حرمة الاوامر والنواهي من قلوب اجمع الفقير من الناس وكان من أثرها
ما نراه من ترك الصلاة ومنع الزكاة وانجاعة بالقطار في رمضان وفشو السكر
والزنا والقمار . . . كالكلام في تخلف الوعيد والمغو والمغفرة والكفارات
والشفاعات والكرامات ، وقد شرحنا ذلك مراراً ورددنا شبهات الضالين فيها
وبينا ما له أصل منها وما هو موضوع باطل كحديث اعتناق ستائة الف عتيق من النار
في كل ليلة من رمضان . . . ولم يكتب ختباء الفتنة وعلماء التقاليد بتلقيق الدهماء
هذه الموضوعات بل تصدى بمنشهم رد ما يرد عليها كأنها من أصول الدين
كقول بمنشهم اذا كان عدد عتيق رمضان يزيد على عدد مسمي الارض كلهم
ولا سيما في زمن النبي (ص) فان الله تعالى يكلمه من الجن :

وانني بما اتق لي من الاختبار الواسع للناس وبقدر ما أوتيت من العقل والفهم
اجزم بأنه يندر أن يكون الخوف من العذاب الابدي سبباً لاستجابة كافر لدعوة
الدين ، بل هذا قلب للمعقول لانه يتوقف على التصديق بالعذاب المذكور قبل
الايمان بالرسول وبما جاء به ، وهذا قلما يقع الا لافراد من المعاندين كبعض كبراء
مشيخة قریش في زمن البعثة .

(٧) لا انكر ان بعض المارقين والملاحدة المشاغبين قد تزيدهم أمثال
هذه المباحث رجساً الى رجسهم من حيث تزيد المؤمنين ايماناً بالله تعالى (يفضل
به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يفضل به الا الفاسقين) الذين فسقوا من نور
القطرة والاستعداد للهداية كما تنشق الرطوبة من قشرتها وانما ارجو أن يهتدي
بهذا البحث بعض المرتابين من أهل النشر الذين يؤسرون ان نعمام اها عتيا
حكيا ، وربما رؤفاً رحيا ، وان من حكيمته الجزاء على الاعمال النفسية والبدنية ،

وان جزاءه عدل وفضل، ويستحيل عليه الجور والظلم، وهم ينظرون ويتفكرون، وإذا ظهر لهم الحق يقبلونه ولا يدعون، وأما أولئك المارقون المستهزون من أهل الرقعة فلا يلتفت إليهم ولا يبالي عاقل بامرهم، ألا ان يشفق عليهم ويحزن لكونهم من امته أو ابناؤه جنسه

(٨) ان الشبهة التي أشرنا إليها ليست ولودة على بقاء دار العقاب التي تسمى النار والجحيم والهاوية وجهنم وغير ذلك من الاسماء فقد تبقى وينقلب عذابها عذابا كما زعم الشيخ محيي الدين بن عربي وشيخته أو لتعذيب خلق آخر من المكلفين مثلاً - ولا على أصل العقاب فيها فطالما أقمنا المنكرين لهذا بأنه حق وعدل - وانما يقول أصحابها وهم المنتسبين الى أديان مختلفة: ان المختبر لا حوال البشر يعلم علماً يقينياً ان أكثرهم ينشأ متديناً بالدين الذي نشأ عليه بين قومه وأهل ملته تقليداً لم وتسلية ثم يمرض لبعضهم الشك والريبة في دينه وفي سائر الأديان بالتبع ويتفق لبعض آخر الاطلاع على دين آخر والافتناع بحقيقته فينتبئه، ولكن يقل جداً أن يظهر لأحد حقيقة دين ويجهده به كبراً وعناداً كما وقع لبعض كبراء أقوام الرسل عليهم السلام في عصرهم، ثم ان المتدينين يعملون بما يعلمون من أديانهم على تفاوت عظيم بينهم في العمل بسببه تأثير التربية والقدوة وطريقة التعليم له، ويعلم أيضاً ان بعض المرتدين عن أديانهم بشبهات نظرية او علمية يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً، وان بعض المتدينين بالأديان الكتابية كغيرها يشركون بعبادة الله تعالى اشياء كثيرة من الاحياء والاموات كما ان بعض المرتدين احسن من بعض المتدينين اخلاقاً واعمالاً وانفع منهم للناس وللأوطان؛ ويقولون اننا مع هذه الحال نرى اهل كل دين يقولون ان المواقف لهم في دينهم لا لهم ولدوا فيهم وتربوا بينهم وهم وحدهم اصحاب النعيم المؤبد الذي لا نهاية له وان جميع المخالفين لهم سيكونون في عذاب اليم مؤبداً لا نهاية له سواء عرفوا حقيقة دينهم او جهلوا بها، بل يعلم أكثر اهل البصيرة والاختبار ان أكثر المخالفين لهم لا يعرفون حقيقة دينهم؛ وان من يعرف شيئاً منه يقل يعرفه على وجهه عندهم؛ وان ليس كل من يعلم شيئاً منه على حقيقته يقو عنده الدليل على صحته - ونتيجة ما تقدم ان أكثر افراد البشر مقلدون في دينهم لمن تربوا معهم وتعلموا منهم؛ وان غير الأكثر اهل نظر واستدلال يرجعون ما ثبت عندهم بحسب درجات نظرهم واستدلالهم على غيره في العقائد

والأعمال — فالذي أصاب الحق من المقلدين لا فضل له في أصابته إذ لا عمل له فيه ولا اجتهاد ، والمقلدون في هذه الأعصار إنما يتبعون جمهوراً متقليداً فلا يكاد يتفق لأحد منهم أن يصيب الحق في جميع المسائل ، وإذا كان التقليد حجة لصاحبه فيما وافق الصواب وعذراً فيما خالفه كما يقول أكثر أهل كل ملة في أنفسهم فلماذا كان ذلك خاصاً بهم والله رب الجميع وهو الحكم العدل ثم إنهم يقولون لأهل كل دين أنتم قد تفرقت في دينكم وكتمت شيئاً تحكم كل شئمة على الأخرى بالكفر أو الابتداع والضلال فإذا كان الواجب على جميع البشر أن يتبعوا وكان كل من لا يدين بدينكم خالداً في العذاب بالمعنى الذي تقولون فاي مذاهب الشيع يجب عليهم الأخذ به لينجروا من الهلاك الأبدي ؟ إن نصارى قول كل شئمة بل كل فرد منكم أن من يدين الله بدينه ويموت على عقيدته هو الناجي العذاب بالنعيم الأبدي وإن عاش العمر الطويل قبله على غير ذلك ، وإن كل من مات على غير عقيدته يخلد في العذاب الأليم الأبدي وإن عاش العمر الطويل قبله على الإيمان بالله وحده وبالبعث والحساب وعمل البر والاحسان بتعاليم دين آخر أو باجتهاده فورد الشبهة بهذا البيان أن أكثر أفراد هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً إنما خلقهم تعالى لأجل أن يعذبهم عذاباً شديداً ألباً مهيناً أبدياً ثم الآلاف والملايين من الاحقاب والقرون وهو لا يزداد إلا شدة واستمراراً وإن هذا العقاب جزاء عادل على مسائل اعتقادية قاطبة كان أكثرهم جاهلاً بها وغافلاً عنها لانه لم يدعه أحد إليها البتة ، وقد بلغت بعضهم على وجوه مختلفة منكرة لا على وجه صحيح بحرك داعية النظر فلم ينظر فيها . وبعضهم نظر وبحث فلم يبين له أنها الحق . وبعضهم ليس أهلاً للنظر برصوخة في تقليد أهل دينه وأطمأنه به . وإن هذا العقاب الأبدي الأليم لا ينافي طاعت في القتل والنيل من عدل الله تعالى وحكمته وسعة رحمته وكونه أرحم الراحمين بل أرحم من الوالدة الرزوم بظلمها الرضيع . هذا ما يقولون أنهم لا يقتلونه فيؤمنوا به وليس في طاعتهم أن يعتقدوا صحة دين يحكمهم به ويحتمه

(٩) أني أحمد الله تعالى أن رقتي لا تناف كثير من الناس مختلفي الدين والجنس

بحكمة الله وعدله في عقاب المجرمين كما وقفت لاقصاع من لأحمي لهم عددا من المرتدين والمعتلين الماديين بوجود إله خالق واحد وبالرسالة وبكثير من أصول الدين وحكم فروعهم وموافقة الدين الاسلامي للعقل والمصالح البشري في دنياهم. واتي ابنيت بمراجعة الناس في ذلك من أيام طلبي للعلم لاني كنت كثير البحث فيه بالليل الفطري حتى إن بعض الشيوخ في طرابلس الشام كان يراني في السوق فيسألني عن بعض مشكلات الشريعة ووجه مطابقتها لامتثال أولي الصلحة العامة. وحدثني دانتش بك الذي كان امين السر لمحمود باشا الدماماد والد الامير صباح الدين بك التركي الشهير حين جاء من مصر في أوائل العهد بهجرتي اليها أن الاستاذ الامام قال له: انني لا أعرف أحدا أقدر من هذا الشاب صاحب النار على التوفيق بين الدين وبين العقل والمدنية. ثم أقول بعد هذا وحده الله عليه عودا على بدء اني لم أعجز عن إقناع منكر شيء من أصول الدين أو حكمة كما عجزت عن إقناع المنكرين لا بدية المذاب الاليم الشديد انكارا شتبا وارتباب لا جمود وضاد، فإن الجاحد المبادئ لهوى في نفسه لا يتنعم بالضروريات بله المشكلات، ولكنني اذا قلت لبعضهم ان بعض السلف والخلف من المسلمين قولوا بانتهاء المذاب وقولا بتعويض الامر فيه الى الله تعالى قالوا اننا نجهزم بأن عظمة الله تعالى وحكمته ورحمته نجل عن تعذيب هؤلاء المباد الضعفاء الجاهلين الى غير نهاية من أي الامر بن أجدر هؤلاء؟ الجزم بأن عدم نهاية المذاب الشديد لمن ذكر من أصول الدين التي بعد غير المؤمن بها مرتدا لا يعتد باسلامه أم إقناعه بأن اعتقاده لا ينافي الاسلام وان له أسوة بمن سلف من المؤمنين ولو الجهمية الذين لا يكفرهم أهل السنة بما خالفهم فيه عن استدلال وتأويل؟

(١٠) بعد هذا كله أصرح هنا بأن مسألة فتاء النار أو انتهاء عذابها الاليم الشديد مع بقائها ليست عندي من المسائل التي ادعو اليها وأناخل عنها ولا أبالي أن أنشر لمن يرد عليها ما يكتبه على علانته من غير نقد لما أراء منتقدا منه بشرط ألا يطيل بما لا حاجة اليه في الموضوع. وما سبق ذكره لا ينفي في جميع آفاقنا من القول الآخر، وان بين صفة من لا ينهي عذابهم ومن لا ينهي نعيمهم التي استحق بها كل منهما ذلك وأنتمى لو يوفق أحدهما شيء ينفع من ذكرت، والله الموفق للصواب.



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاملام صوت ٥ ومنازل ٥ كذا في الطريق —

٢٩ رمضان ١٣٣٩ - ١٥ الجوزاء (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٦ يونيو سنة ١٩٢١

فصل في أسئلة الناس

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشركين خاصة إذ لا يسمع الناس كلمة. ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلاده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألفاظ إن شاء. وأما تذكر الالفة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه. وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولأن معنى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لما عذر صحيح لا نقاله

أسئلة مغربية، من عاصمة البلاد الأسبانية

(ص ١٢ - ١٤)

الحمد لله

فضيلة العلامة الاستاذ الشريف السيد محمد رشيد رضا الحسيني حيا كما الله توجد جماعة من المسلمين بأسبانيا دعيت دواعي اقتصادية وسياسية أن يكون لباسها اللباس الافرنجي بسائر أنواعه من البرنيطة وغيرها. ولقد اطلعت على فتوى العلامة المقدس الاستاذ الامام مفتي الديار الاسلامية بمصر برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فيعه، إلا أن ابتهامة المذكورة على مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعمدة كتب المالكية النقية هو مختصر أبي الضياء خليل وما كتب عليه، والشيخ المذكور يقول في كتاب الردة « وشهد زنا » كتب عليه الزرقاني ما نصه: ونحوه مما يختص بالكافر كلبس

رنيطة نصراني وضرماء يهودي ان سعى بذلك للكنيسة . قال بناني محاسب المراد طبعوس الكفار الخصاص بهم ، وكلام المصنف ان فعل ذلك محبة في ذلك الذي وميلا لأهله واما ان فعله هزلا ولمبا فهو محرم اهـ

نحن نريد زيادة ايضاح في المسألة سواء كان ذلك داخل المذهب المالكي أو خارجه من بقية المذاهب الفرعية وذلك فيما يتعلق باللباس لا من جهة الحب فيه والميل لأهله بل من جهة الاقتصاد والتسهيل ليس الا

كذلك نريد بيان الحكم في مسألة الصيام والافطار على حساب النتائج المصرية والتونسية لتعذر رؤية الهلال علينا هنا في حينه ، والشيخ خليل يقول « لا يتنجس » فهل يجزي الصيام والافطار بمقتضى تلك النتائج أم لا بد من الرؤية أم ماذا

وكذا نريد الحكم في حلق اللحية هل يحل شرنا أم لا ، واذا كان يحل فهل الحديث الوارد في الموطأ الذي من ضمنه « اعنوا اللحية وقصروا الشوارب » صحيح أم لا واذا كان صحيحا فما حجة من بحقه من المسلمين بما فيهم من حيلة الشريعة الاسلامية في حل الافطار :

وحيث شاء الله تعالى انفرادكم في هذا المصير بالوسمة في العلوم الدينية وغيرها وتمكنكم من زمام الفتاوى املنا من فضيلة كم الكريمة انارة ظلمتنا على صفحات مجلة المنار - افتونا مأجورين ولكم الفاضل سلفا ، والله المسؤول ان يديمكم معصيا يستضاء به (في) الاسلام بجاء النبي عليه الصلاة والسلام

مدريد - في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ مخلص الود لكم

محمد البلفيضي العلوي الحسني

مهميد للاجوبة عن هذه الاسئلة

تشديد العقاب وعاقبة تقليد

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه وجعلنا من المختصين بهداية كتابه وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة الوسط - أن فقهاء المذاهب كلها قد توسعوا في فروع الشريعة بأقيستهم واختلاف افهامهم وتأثير الأزمنة والامكنة التي كانوا فيها فعملوا الحيفية السمحة التي رفع الله عنها الحرج وبناها على أساس اليسر دون المصير من أعسر الشرائع فهما وأنزلها على البشر حملا حتى يهتدوا على أهدى دراستها وترك أكثرهم العمل بأكثر أحكامها وما جاء هذا

به الا من توسع هؤلاء المصنفين في تلك الكتب المسئلة في النسخ التي يقل
 بها ذكر القرآن والأحاديث النبوية ويكثر فيها قال فلان ومسح فلان ورجح
 ان . ومن معجزات هذا الدين ان كل ما مسح في كتاب الله تعالى وما بينه من
 نة رسوله (ص) في منتهى اليسر والسباحة ، كما مسح في وصف هذه
 سريمة ، وكل ما أشرنا اليه من المسراتما هو اجتهاد من أولئك المصنفين في
 بقة بعد عصر السلف الصالحين وأكثرهم غير مجتهدين ، ولا على سيرة من
 عوا اتباعهم من المجتهدين ، فن تقيد بتقليد هؤلاء يتعذر أو يتمسر عليه
 يكون مسلما قائما بأمر دينه كما يجب ، ولقد كان الانراي في عصر السعادة
 سلم بين يدي الرسول ويتعلم دينه في مجلس واحد ويقسم انه لا يزيد على ما علم
 رجوبه عليه ولا ينقص منه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « أفلح ان
 صدق . أو - دخل الجنة ان صدق » كما ورد في الصحيحين وغيرها

وأنت تعلم أن الائمة المجتهدين من علماء الامصار المتبعين لم يجوزوا لا تقسم
 ان يكون شارعين وان يكون كلامهم ديننا يتبع لان من اتحل هذا فقد جمل
 معه شريكا رب العالمين كما بيناه في التفسير من هذا الجزء والذي قبله . وانما
 استنبطوا ما استنبطوا لاجل فتح أبواب الفهم في النصوص مع ارشاد الناس
 الى انه لا يجوز لاحد ان يقلدهم فيه ، وانما يعمل من ظهر له مع النظر في الكتاب
 السنة انه هو الحق الذي شرعه الله ، وقد بين ذلك الجزني صاحب الامام
 الشافعي في أول مختصره الفقهي بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من
 لن علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لاقر به على من اراده
 مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحفظ فيه لنفسه
 وبالله التوفيق »

وكان جميع الائمة على هذا ولو لم يكونوا عليه لما صح ان يكونوا ائمة هادين
 مهتدين وقد دخل القمني على الامام مالك وهو في مرض موته فراه يبكي
 فسأله عن سبب بكائه فأخبره أنه ما بلغه من ان الناس يملون بأقواله مع انه
 قد يقول القول ثم يظهر له خلوه فيرجع عنه ، فقد خشي ان يفضل الناس به
 عن شرعهم ونصوص كتاب الله وسنة رسوله (ص)

واذكرك مع عصب بهذا ان مذهب المجتهد عبارة عن الطريق الذي سلكه
 في فهم الشريعة من الدلائل وأصول الاستنباط المعروفة في الاسول . فهذا

ما يصح للفقيه على مذهبه أن يجري عليه إذا كان مقتنعا بصحته وليس معناه أن يأخذ فروع المستنبطة فيجعلها أصولا للدين يستنبط منها أحكاما ويقيس عليها أخرى بحسب فهمه ويسمى هذا شرع الله في الإيمان والكفر وعبادة الله والحلال والحرام، مع ما عظم من أمر التشريع وجعل اتعاله واتباع منتحله من الشرك والأفتراء على الله. وبهذا تعلم أن هؤلاء المقلدين المؤلفين في الفقه ليسوا متبعين في كل ما قالوه في كتبهم لمذاهب الأئمة الذين يدعون أن هذا الفقه فقههم

مثال ذلك أن مذهب الإمام مالك أتباعه نصوص الكتاب والسنة في المباديات والوقوف مع ظواهر النصوص وفهم أهل السدر الأول لها ومحلهم بها - ولا سيما أهل المدينة في زمنه - دون الدوران فيها مع الملل والحكم وما يسمونه المعنى المناسب. ومذهبه في أحكام المعاملات والمآذات مراعاة مقاصد الشرع والمصالح العامة المعروفة من أصوله لا مجرد ظواهر الالفاظ كما بينته العلامة الشاطبي في الاعتصام (١) وغيره وهو معروف مشهور عنه - وتري بعض الفقهاء خرجوا عن أصل مذهبه المذكور في مسائل كثيرة من المباديات بحجة اتباعه والعمل به وأكثروا بشاهد من الشواهد على ذلك :

رأيت رجلا مالكيًا مصمًا لا أعرفه يذكر لفقيه مالكي أعرفه ما ذكره هؤلاء من الشروط في ماسح الخف وفي الخف الذي يجوز المسح عليه ككونه من الجلد وكونه مخروزا وأنه إذا كان ملصقا لا يجوز المسح عليه الخ فقلت له ما الدليل على هذه الشروط في المذهب ؟ قال قاعدة الإمام مالك

في الاتباع في المباديات والتزام ما ثبت في الكتاب السنة وهكذا كانت الخفاف في عصر النبي (ص) قلت أن هذا مخالف لمذهب الإمام مالك كل المخالفة فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الخف الذي يجوز المسح عليه يجب أن يكون جلدا وأن يكون مخروزا، ولا دليل على أن الخفاف كلها كانت كذلك، وإذا ثبت كونها كذلك بالفصل فذلك لا يدل على الشرطية لا عند أهل الاتباع المحض ولا عند أهل الرأي في التمسك. مثال ذلك المطابق له المسح على الهامة قد ثبت في السنة فهل يشترط في مسحة الهامة أن تكون كهامة الرسول (ص) في صفات نسيجها ككونه من القطن أو الصوف وكونه من نسيج الخشن أو غيرها وكون طولها كذا ذراعا ؟

ان من الاصول التي لا يتماهى فيها عاقلان ان أمثال هذه الصفات والاحوال التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه في لباسهم وأكلهم وشربهم وهيئاتهم حتى في وقت أداء العبادة لا تمتد من فرائض الدين ولا من شروط صحة العبادة ولا من المندوبات الشرعية لجرد كونهم عليها وانما يتحقق كون الشيء واجبا أو شرطا أو مندوبا بنص شرعي يدل عليه دلالة صحيحة والجمهور لا يمدون فعله (ص) دالا على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل

وجه القول ان جماهير المصنفين من خلف هذه الامة قد خالفوا سلفها وعسروا يسر شريعته حتى أدخلوا الامة في جحر الضب الذي حذرهم منه الرسول (ص) في الحديث المتفق عليه « ولتبتعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد سبر المسلمون قرونا على الحبس في جحر الضب ثم ضاقوا به ذرعا حتى خرج بعضهم منه من غير الباب الذي دخلوا منه ففرقوا من الاسلام وحسبوا انه هو جحر الضب لاسواء وانه لا قبل لهم به - ودعاة الاصلاح يريدون أن يخرجوهم ان حقيقة الاسلام وهو الباب الذي دخلوا منه اذ أوهمهم المصرون انه هو الاسلام وما الاسلام الا القرآن وسنة الرسول في بيانه على الوجه الذي كان عليه جماعة السلف الذين أمر الرسول بلزوم جماعتهم فكان اجماعهم حجة فيما اتفقوا على انه دين

وفي هذا المقام احتج على المقلدين بعلم امام من الائمة المجتهدين واجمله شاهدا ثانيا على ما ذكرته من معنى مذاهبتهم ومخالفة من يدعون اتباعهم لها

قال الامام الشافعي رحمه الله في أول باب الاجماع من رسالته بعد تفصيل الكلام في الكتاب والسنة « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحمل المسلم علم كتابا ولا سنة ان يقول بخلاف واحد منهما » فقال لا يحمل المسلم ولم يقل لجنوده وهو فكرة منقبة تفيد العموم ثم بين في هذا الباب لمن سأله عن الحجة على العمل بالاجماع ان الجماعة التي أمر الرسول (ص) بلزومها هي جماعة الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم الذين لا تعزب سنن رسول الله (ص) عن عامتهم (أي جملتهم وسوادهم الاعظم) وقد تعزب عن بعضهم . وقال في آخر الفصل « قل له يمكن لزوم جماعتهم معنى الاما عليه جماعتهم من التحليل والتعزيم والطاعة فيهما » وهذا ظاهر كالنفس وهو غير الاجماع الاصولي الذي لا تقوم عليه حجة

اذا تمهد هذا فهاك أجوبة الاسئلة :

(الجواب عن مسألة الزي)

ان ما قاله الفقهاء في النار ونحوه لا ينطبق على حالكم في لبس ثياب الافرنج لانها ليست من الزي الديني ولا تلبسونها بالقصد الذي قالوه وتوضح المسألة ببعض ما سبق لنا تفصيله في المجلد الاول والسادس وغيرها فنقول

ان الاسلام لم يقيد المسلمين بزي خاص فقد كان النبي (ص) يلبس زي قومه الذي كانوا عليه في الجاهلية في عامة أيام رسالته وقد عرض له لبس أزياء غيرهم من الامم فلبسه بيانا للجواز كالجبة الرومية من لباس النصارى كما ثبت في الصحيحين وجبة الليالسة الكسروانية من لباس الجوس كما ثبت في صحيح مسلم فالاصل في الأزياء الاباحة كما شألها من المبادات وقد تميز بها الاحكام الخمسة بما يمرض عليها من دفع ضرر يقيني أو ظني أو وقوعه أو تحصيل نفع كذلك. وما سبق لنا بيانه غير مرة ان بعض كبار العقول من المسلمين قد تنبهوا ونبهوا لما في مسألة الزي من التأثير السياسي والاجتماعي فكروا ان يقلدوا غيرهم من الامم في أزيائهم في أثناء الفتوحات العربية وغيرها لئلا يندغموا في الامم التي فتحوا بلادها بسبب قتلهم فيها ولانهم جاؤا ليكونوا أئمة هادين متبوعين لا تابعين مقلدين، وقد اتبعهم الاوربيون في هذا المعنى

وأول من تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى مسلم انه كتب الى جيشه وهم في أذربيجان مخاطبا قائده : يا عتبة بن فرقد! انه ليس من كبد أهلك ولا من كبد أمك فاشبع المسلمين في رحاطهم مما تتبع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك الخ قال النووي في شرح مسلم : وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرايني باسناد صحيح قال : أما بعد فأنزروا وارقدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بالباس أبيكم اصماعيل، وإياكم والتنعم وزي الاعاجم، وعليكم بالشمس فانها حمام المرب ومعدودوا واخشوشنوا واقطعوا الركب (١) وبرزوا وارموا الاغراضاء وقوله تمعدودوا معناه تشبهوا بمعدكم معد بن عدنان في أسباب القوة والصلابة، وهذا نحو مما يعرف في تاريخ اليونان عن الاسبرطيين والتشبه بهم في مصارعة الشدائد. ثم ان المسلمين لبسوا كل زي في بلاد أهل وفي بلادهم وقد لبسوا في زمن المنصور بأصروا قلانس كقلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد من العلماء كما أنكروا

على السلطان محمود العثماني استبدال زِي الأفرنج زِي قومه المعروف ثم زال
الانكار، والمسلمين في الاقطار المختلفة أزياء كثيرة طبعت دورها حديثا في
صميمية كبيرة إحدى ادارات الجرائد الانكليزية وفيها يرى الناظر ما يرى من
المشابهة بينها وبين أزياء الملل الأخرى

وما قاله الفقهاء في حكم من لبس ملابس الكفار فهو مبني على مدرك
نشري معروف وهو ان من لبس ملابس أهل ملّة مما هو خاص بدينهم تفضيلا
لتلك الملّة على ملّته كان مرتدا وهذا اللبس بشروطه دليل على الردّة عنها
والانضمام الى غيرها ولكنه غير مطرد واذ أصبح للفقهاء ان يذكر التنبيه والتذكير
والتنكير فلا يسح للنفي ولا للقاضي أن يأخذ به عند الفتوى او الحكم في التوازل
والتناوي المميّنة على علته ولا يسح بالاولى أن يحمله على نفسه من لبس
لبس أهل ملّة لسبب من الأسباب التي لا تنافي الدين ولا تخل بالايمان
كأسباب الصحبة ومنها انتقاء الحر والبرد أو الاقتصادية أو السياسية
كالميون والجواسيس أو العسكرية أو الاجتماعية كن وجد مع قوم وهو يعلم
انه اذا ظهر زِي مخالف لزيهم يتأذى باحتقارهم ايذاء أو تشهيرهم به أو كثرة
السلع اليه والاستغراب لزيه وقد ورد في السنن النعي عن لبس الشهرة
والوعيد عليه في حديث أبي ذر عند ابن ماجه والنياء وحديث ابن عمر
عند أبي داود وابن ماجه وحسنوها، وأكثر من يغير زيه من المسلمين الذين
يذهبون الى أوربة فائما يغيرونها للسبب الأخير ولا سيما التغيير بلبس القبة
المروقة بالبرنيطة فانه لم يبق فارق بين كثير منهم وبين الاوربيين الا فيما يوضع
على الرأس، والبرنيطة هذه ليست شمارا دينيا للأفرنج ولا هي خاصة بهم وقد
نعت ان بعض عرب اليمن صنعوها للوقاية من الشمس ويسمون بها المظلة ولا يخطر
ببال أحد من يلبسها من المسلمين أنه فضل على دينه دين القوم فلا وجه اذا لطمها
امارة على الردّة ولا للقول بتحريمها بل هذا التحريم شر من لبسها وأشدّ خطرا
على دين القائل به لأن ممناه ان الله تعالى أزال وجهه بخطاب يقتضي ترك لبسها
اقتضاء جازما ومحبر بأن جزاء من لبسها العقاب في الآخرة. وهذه جرأة على
الافتراء على الله تعالى والنول عليه بغير علم وهذا كثير يتمدى شره الى حمل
الس على الحمل به فهو أغفل من الشرك القاصر ضرره على صاحبه كما قاله
بعض العلماء في تفسير آية (٧ : ٣١) قل انما حرم ربي الواحش ما ظهر منها وما

بطن والاثم والبني بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) اذ قال ان غلظ هذه المحرمات جاء فيها على طريق الترهل وانما كان الاخير أغلظ مما قبله لانه شرك متمدد وما قبله شرك قاصر - وهو اتباع قائله به بغير علم من نبي الوحي فقد اتخذه ربا وشريكا لله كما علم بالتفصيل من تفسير هذا الجزء من المنار والجزء الذي قبله . وقد حققنا مسألة الردة في بعض الفتاوى من أجزاء هذا المجلد وفي مجلدات أخرى من المنار

(الجواب عن مسألة الصيام والنظر
بقول أهل الحساب أصحاب النتائج)

هذا السؤال غريب من مثل سائله الفاضل فهو يعلم ان حكم الشرع في صيام رمضان والافطار منه منوط برؤية الهلال اذا تيسر والا فباكمال عدة شعبان في الصيام وعدة رمضان في الافطار ثلاثين يوما ، وحكمة ذلك جعل المباداة ابتداء وانتهاء مما يقيس اراهم بموافيقته لكل جماعة ولكل فرد من الامة وحكمة عدم نوط هذا التوقيت بالحاسبين من علماء الملك هو ان لا يكون امر المباداة مترقنا على أصحاب الفنون الذين لا يوجدون في كل مكان وان لا يكون لامثال هؤلاء الافراد حكم فيها ولا رياسة او شبه رياسة دينية بسببها . ولعله لا يعلم ان اهل مصر وتونس انفسهم لا يعملون بهذه النتائج في الصيام والافطار بل بآليات رؤية الهلال او اكمال العدة ولكن قد يستعينون بها على الاستهلال فيرصدون الهلال في الليلة الذي تنص على انه يرى فيها وفي المكان الذي يرى فيه بالنسبة الى مغرب الشمس

وقد استغربنا بناء السؤال على تمذر رؤية الهلال عليهم في أسبابية وهو لم يبين سببه وقد كانت هذه البلاد (الاندلس) في حكم الاسلام وكانوا يرون الهلال فيها ولعل السائل ومن معه يقيمون في فندق او دار لا يمكنهم الصعود الى سطحها او لا يرى مكان الهلال من الافق للواقف على سطحها ويتعذر عليهم رؤيته من سطح آخر او من ضواحي البلد ، فاذا تمذر عليهم ذلك بالفعل فلا يبعد ان يقال انهم يعملون بحسابهم او حساب من يشقون بعمله اذا قال ان الهلال في ذلك البلد او في افقه يولد في وقت كذا ويمكن رؤيته بالابصار في ليلة كذا - فالليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال بالفعل هي اول الشهر الشرعي .

واختلاف المطالع ثابت قطعاً فلا يصح اعتماد من في أسبانية على نتائج مصر أو تونس بجعل أول الشهر فيها هو أول الشهر في مدريد

(الجواب عن مسألة خلق الله)

هذه المسألة وامثالها مما سيأتي ليست دينية مما يعبد الله به فعلاً أو تركاً وإنما هي من الأمور المادية المتعلقة بالزينة والتجمل والنظافة وقد سميت في الأحاديث الواردة فيها من الفطرة أي المادات المتعلقة بحسن الخلقة ففي حديث أبي هريرة عند الجماعة (أحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة) قال رسول الله (ص) «خمس من الفطرة الاستحداد (أي حلق العانة) واختان وقص الشارب وتنف الأبط وتقليم الأظفار» وفي حديث عائشة مرفوعاً عند أحمد ومسلم والترمذي والنسائي «عشر من الفطرة: قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وحلق العانة وانقاص الماء» أي الاستنجاء قال مصعب بن شيبة راويه: ونسيت الماشرة إلا أن تكون المضمضة

وورد في اللحية والشارب أخبار ممللة بملة أخرى وهي مخالفة المشركين والمجوس ففي حديث ابن عمر في الصحيحين ومسنده أحمد مرفوعاً «خالفوا المشركين: وفروا الله وواحفوا الشوارب» زاد البخاري وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه. أي قصه. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جزوا الشوارب وارخوا الله خالفوا المجوس» وقد كان النبي (ص) في أول الإسلام يحب مخالفة المشركين وموافقة أهل الكتاب ثم صار بعد الهجرة يأمر بمخالفة أهل الكتاب حتى في الأمور الاجتماعية والمادية لأن المسلمين كانوا في أول الإسلام مع المشركين في مكة فكان يجب أن يمتازوا عنهم وكانوا بعد الهجرة مخالطين لأهل الكتاب فكان يجب أن يمتازوا عنهم. مثال ذلك أمره بصيغ الشيب ففي حديث ابن عباس في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي «إن اليهود والنصارى لا يصبغون نخالقوم» وفي لفظ عنه للترمذي «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»

والأمر في مثل هذه الأمور المادية ليس لأوجوب الديني والشرعي عنها ليس لتحريم كما قال الإمام الطبري والظاهر أن الأمر فيها للأمر الذي يتعلق

بمنافع الدنيا ومصالحها كحديث « كلوا الزيت وادهنوا به » رواه ابن ماجه
والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح وتبعته « فانه طيب مبارك » وعنه وعن
غيره بأسانيد ضعيفة وتبعة أخرى . هذا ما يوافق أصولهم والمشهور عند
أكثر الفقهاء ان هذه الخصال كلها مستحبة الاختتان فقد قالوا بوجوبه للذكور
وقالت المالكية بوجوب اعفاء اللحية وقال الجمهور باستحباب ارسال شعر
الرأس وفرقه واستحباب صبغ الشيب وخضابه لمخالفة الكفار كما ورد . فأما ما
وصف بأنه من سنن الفطرة فالفرض منه أن تكون الامور الفطرية أي أمور
الخلق على أحسن حال في حسن المنظر والنظافة والصحة . وأما ما ذكر لمخالفة أهل
الخل فلاجل ان يكون لصنفين مشخصات وعادات حسنة خاصة بهم من
حيث هم أمة جديدة جعلها دينها اماما وقدوة لسائر أهل الملل في اصلاح امور
الدين والدنيا وقد كان اتساع الدين والاجتماع عام في جميع الأمم باجماع المؤرخين
أما قص الشارب وأقل ما قال الفقهاء فيه ان تظهر الشفتان وأكثره
استئصاله ولو بخلقه فكلمته تاهور النهم وجماله ومرآة الصحة والنظافة فان شعر
الشاربين يملق به الفبار ودمم الطعام وما فيه من جرائم الامراض فاذا شرب صاحبه
من اناء دخل شعره فيه فيؤثر في الشراب كما يؤثر الشراب فيه وقد يتعذر
الامراع بتنظيفه كما يؤثر في الملاعق اذا اكل بها مائما ولا يزال أكثر الناس يضطرون
الى الشرب من اناء واحد والاكل من صحن واحد كاهل العصور القديمة
ولا يخفى ما يترتب على ذلك . وأما كون اعفاء اللحية من سنن الفطرة فعناء انه
زينة خص بها الرجل الذي هو اكمل من المرأة خاتما فامتاز به عليها كامتياز أكثر
ذكور الحيوان على انثائها، ولم ترد مخالفة في اعفائها كما ورد في احفاء الشارب بل
قال ابن السيد حمل بعضهم قوله « اغفروا الاخي » على الاخذ منها باصلاح ما شذفها
طولا وعرضا واستشهد بقول زهير « على آثار من ذهب العفاء » وهو شاذ
وظاهر الرواية ان المراد به ترك حلقها كما كانت تفعل الاعاجم أو قصها قصا
يقرب من الخلق بحيث تزول هذه الزينة وما فيها من المهابة . قال الحافظ في
شرح ما ذكرنا من زيادة البخاري في حديث ابن عمر المذكور آتيا الذي يظهر
أن ابن عمر كان لا يخس هذا التخصيص بالنسك بل كان يحمل الامر بالاعفاء
على غير الحالة التي تنشوء فيها الصورة بافراط طول شعر اللحية أو عرضه فقد
قال الطبري : ذهب قوم الى ظاهر الحديث فكمروا تناول شيء من اللحية من

منوها ومن عرضها وقال قوم اذا اراد على الفبضة يؤخذ الزائد - وذكر عنه الاستدلال بحديث ابن عمر وغيره ثم قال - ثم حكى السري اختلافاً يؤخذ من الاحية هل له حد أم لا فأستدل عن جماعة الافتصار على أخذ الذي يزيد منها على قدر الكف وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم ينطش وعن عطاء بن رباح قال وحمل هؤلاء النهي على منع ما كانت الاناجم تقمته من قصها وتخفيفها قال وكره آخرون التعرض لها الا في حج أو عمرة وأسنده عن جماعة واختار قول عطاء وقال ان الرجل لو ترك لحية لا يتعرض لها حتى تحش طولها وعرضها تعرض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (ص) كان يأخذ من لحية من طولها وعرضها وهذا أخرجه الترمذي ونقل عن البخاري أنه قال في راويه عمر بن هارون لا اعلم أنه حديثاً منكراً الا هذا وقد ضعف عمر بن هارون مطلقاً جماعة . وقال عياض كره حلق الاحية وقصها وتخفيفها وأما الاخذ من طولها وعرضها اذا عثمت فحسن بل تكره الشهرة في تعظيمها كما تكره في تقصيرها ، وتعقبه الثوري بأنه خلاف ظاهر الخبر في توفيرها اد المراد منه

وجملة القول أن حديث مالك في المسألة مؤيد بأخبار الصحيحين والسنة فهو صحيح واكثر العلماء على كراهة حلق النعني وقصها وترك الشارب الى ستر الشفتين والمسألة عادية دينوية لادينية تتركى بها النفس لتكون أهلاً لجوار الله وثوابه في الآخرة كما قلنا . وان كان فعلها بنية الاتباع وتقوية رابطة الامة ما يثاب عليه كسائر الامادات والمباحات التي تحسن فيها النية ، ولكون هذه المسائل غير دينية لم يمن المسلمون بالخضاب وصبغ الشعر كما عتوا . بارسال الملحق مع صحة الاحاديث بالامر به وكونه زينة وخالفة لامل الكتاب بل كرهه بعضهم بحرمة آخرون بالسواد ، وقد صحح أن ابا بكر كان يخطب بالحناء والكتم وفي حديث أبي ذر عندهما أحمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي « ان احسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم » (بوزن الجبل) نبات يمني يصبغه اسود ضارب الى الحمرة نعم صرح كثيرون باستحياب صبغ الشعر بخضابه مطلقاً وبعضهم بما عدا السواد الحديث امره (ص) بتغيير شيب أبي بحافة مع قوة « وجنبوه السواد » ولا حديث اخرى لا يصح منها شيء يرفوع وقد سبق لنا تحقيق ذلك في المنار وحديث « جنبوه السواد » لا يدل

على تحريم السواد ولكنه لم يستحسنه (ص) لشيخ بلغ من الكبر عتياً كإبي
فحافة وكان شعر رأسه ولحيته كالثلثامة في بياضه كما قال بعضهم فالعلة ذوقية
واضحة كما يأتي عن ابن شهاب قريباً. وذكر الحافظ في الفتح أن الدين أجازوا
الصنع بالسواد تمسكوا بالأمر المطلق بتغييره مخالفة للأعاجم (ثم قال) وقد
رخص فيه بطائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص وعقبة ابن عاص والحسن
والحسين وجابر وغير واحد (أي من الصحابة) واختاره ابن أبي عاصم في
كتاب الخضاب له وأجاب عن حديث ابن عباس عند أبي داود « يكون قوم
في آخر الزمان يخضبون بالسواد كمواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة » بأنه
الخيار عن قوم هذه صفتهم وذكر عن ابن شهاب أنه قال : كنا نخضب بالسواد
إذا كان الوجه جديداً فلما نفى الوجه والاسنان تركناه .

وجملة القول أن أكثر العلماء كرهوا الخضاب بالسواد وجعل النووي
الكرهية للتحريم وهو كثير التشديد وقد حقق ابن الأثير وغيره أن الخضاب
بالحناء والكنم مما يكون أسود وقد صح استحسان النبي (ص) له قولاً
وفعلاً إذ رأى من خضب به وإن أبا بكر كان يخضب بهما مملاً أو منفردين ،
وهل يعقل إذا صح أن - واد خضابه يضرب إلى الحمرة أن يكون السواد الحالك
سبباً للحرمان من رائحة الجنة ؟ أو ليس الموافق لأصول الشريعة أن صح
هذا أن نقول أنه علامة لقوم من المبتدعة المجرمين في آخر الزمان يجرمون الجنة
بأجرهم لا بخضابهم كما جعل خلق الشعر علامة للخوارج - والا كان سعد بن أبي
وقاص أحد المشركين ومسيذاً شباب أهل الجنة أول من يتناولهم هذا الوعيد الشديد ؟
أوليس من علامة وضع الحديث ترتيب الثواب العظيم أو العقاب الشديد فيه
على التافه من العمل ؟ وقد قال ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وخطأه
من صححوه وحسنوه من حيث السند على أن فيه عبد الكريم غير منسوب
قبل أن كان الجزري فقد روى عنه الشيخان نقول ومنع ابن حبان الاحتجاج
بما ينفرد به كهذا الحديث وإن كان ابن أبي الخارق فضيف . وقد اضطروا إلى
تأويل الوعيد فيه بالتكليف

وأما قول السائل إذا كان الحديث صحيحاً فما حجة من يخلق لحيته من
المسلمين بما فيهم من جملة الشريعة - لجوابه أن المسلمين قد ترك الكثيرون
منهم ما هو أعظم شأناً من قص الشارب وإعفاء اللحية من السن والآداب

الاسلامية من دنيوية اجتماعية ودينية وكثيرا من الفرائض أيضا. وكان يحتاجون
 لشيء من ذلك الا اذا قال أو عمل به بعض شيوخهم في التقه أو التصوف
 وقد يقولون ان جمهور علماءهم يقولون باستحبابه لا وجوبه، مثلا والعواب ان كل
 قوم يعملون بما ألفوا واعتادوا من هذه السنن حتى ان بعض السلف تهاونوا
 في بعضها ولاجل هذا توسعنا في المسألة بذكر سنة الخطب التي لم يعمودها
 الا القليل منهم منذ عصر السلف فقد روي ان الامام أحمد رأى رجلا قد خضب
 لحيته فقال اني لارى رجلا قد أحيا ميتا من السنن وفرح به. وروي عنه في ذلك
 أقوال أخرى. ونضرب له مثلا من المقابلة أعظم من هذا لانه في مسألة عملية
 تتعلق بمقيدة التوحيد وهو ما ورد من حضراته وروايتهم والامر بمسما وحشر
 تشريف القبور ولا سيما قبور الصالحين واتخاذها مساجد ووضع السرج عليها والامر
 بتسوية القبور المسترفة المرتفعة عن الارض بالتراب - كل ذلك صحيح في الاحاديث
 وعلمته انها من أعمال الشرك والوثنية التي سرت الى أهل الكتاب من الوثنيين -
 ولكن المسلمين تركوا العناية بالتصوير والدور والتأثيل حتى ما لا دخل له
 في الوثنية وأمور الدين بوجه من الوجوه وان كان من أهم منافع الدنيا
 ومصالحها كاللغة والعلم والحرب - وغنوا بتقارب الصالحين حتى اتخذوها مساجد
 وشرفوها ورفعوا بنيانها وحبسوا الارواق على ما كان السرج والمصابيح
 عليها وصاروا يشدون الرحال اليها ويألفون بها تدينا فوقفوا في كل ما حرم
 الشرع بناءها وتعظيمها لاجله والفقهاء يقرؤونهم على ذلك والقضاة يحكمون
 بصحة أوقافهم وهم يقرؤون الاحاديث الصحيحة في امر من فعل ذلك

أكبر أسباب تهاون المسلمين بأمر دينهم وآدابهم ومشخصاتهم المالية في
 أكثر البلاد أمران (أحدهما) ترك العلماء فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (وثانيهما) عدم وجود حكومة اسلامية تحافظ على الشعائر
 الدينية، ومقومات الامة ومشخصاتها المالية، ولذلك لا ترى مثل هذا التهاون
 في بلاد نجد وبلاد الافغان وكذا بلاد اليمن التي لم يتولى الترك الحكم فيها كجبال
 الزيدية ولكن بعض هؤلاء المتدينين قد غلوا في دينهم حتى وقفوا في مثل
 ما انكروا وفيما هو شرمته كتحريم ما لم يحرم الله ورسله افتراء على الله وقولا
 عليه بغير علم وتكفير المسلمين بما ليس كفرا ولا تحريما

وقد فتن أهل البلاد العثمانية والمصرية بتقليد الافرنج والتأني به بهم كما هو

معروف ومن الجرب ان كثيراً من الذين يتركون ازياءهم من المسلمين ويلبسون الزي الأجنبي يتهاونون بأمور الدين ويتجرؤون على الفسق والنجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة الملية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غيرزيه لاجل التوسل به الى المعاصي كان تغييره ممصية ومن خاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يبالون بهذا اذا كان لعدم اذعان انفسهم للأصم والنوبي فليس راعى شيء من الدين - ولعل هذا ما كان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في العادات ولكن الجرأة على التحريم والتكفير للاشخاص المصينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره وينكره الفلاة فالأفراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجناية عليه والاضاعة له فنسأل الله الحفظ والسداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة للمبرة والتاريخ

تمهيد ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية - مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشر في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقریظ جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر الحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذفت منه المراقبة الانكليزية ما حذفت ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفوس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السلاطة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل معينة من أهمها المسألة العربية والحجاز . على

(١) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا ننقل بعض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمنار ألبتة أو بحذف بعضه حتى نحذف بعض تقرير مشيخة الازهر الرسمي في التقاد مشروع التعليم الاولي هذه نشرنا اياه نقلاً عن الجرائد

أنا راعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الزمان. فسكتنا عن بعض الحقائق وبيننا بعضها بالتصريح ، واضطررنا في البعض الآخر الى الايماء والتلميح ، واننا نذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الفناء المراقبة على الصحف في مصر بعض الحقائق ونرجي بعضها الى فرصة أخرى ، قاصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعنة والذكرى ، فنقول

اننا كنا نتوقع وقوع الحرب الاوربية الكبرى قبل وقوعها بزمان بعيد ولا سيما بعد حرب البلقان خلافا لجاهل المنكرين الذين كانوا يستبعدونه أو يحيلونه ظناً منهم أن الدول المعنوية وصلت الى درجة الكمال في القتل والتفنيـة ومراعاة المصالح الانسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالاساليب السياسية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بإمكان وقوع هذه الحرب الا بعد اشتعال نارها بالفعل

وكنا نتقد أن الدول الاوربية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناماً لفرصة تهور الاتحاديين وتنشيرهم للمناخس العثمانية بغلوهم في المصيبة التركية ، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات المتفرقة التي كتبناها بعنوان (المسألة الشرقية) بمناسبة استيلاء ايطالية على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المنار ، وكانت نشرها في المؤيد مثيراً لبعض وكلاء الدول الاوربية وحاملا لهم على مراجعة العميد البريناني بمصر وايضا العميد الى رئيس الوزارة المصرية بايدان صاحب المؤيد بالامر ووجوب مطالبته اياي بتخفيف الحملة عن الدول مجملاتها وخصم الكلام في ايطالية ومسألة طرابلس وقد حملنا في المنار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضعت من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقة نفوذ اقتصادي لها ومشروع الاتفاق مع فرنسا على مثل ذلك في سورية كما حملنا عليها في اتفاقها المصري مع ايطالية واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في العرب بعد أن انفذوا غير واحد من زعمائهم بأنهم يقيموننا ويرقون شعبهم بشمتنا ، ولأجل هذا اندفع العرب العثمانيون الى طالب الاستقلال الاداري من الدولة لولاياتهم على طريقة الامر كثرية

ولما أعلنت المانية الحرب على روسية جزمنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وان دولتنا ستصل ناراها مع المانية لما كنا نعلم من الروابط بين زعماء

٤٤٤ وعد الانكليز بعدم أخذ شيء من بلاد العرب المنار: ج ٦ م ٢٢

الاتحاديين وبينها و توقعنا أن نكون الحرب سبباً لحل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يمتنون به العرب من الإصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الأول ببازيس ، لأن الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبعث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما أحدثوه من العصبية الجنسية سبباً للتنازع الموجب للفشل ، ولاجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في المنار بوصية الشعب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالإصلاح ويكون مع الترك بدأ واحدة وكلمة واحدة فيما تقتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للشفر ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكليز باستقلال العرب ومساعدتهم

في هذه الاثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عازمت على العطف على العرب ومساعدتهم بنفوذها الأدبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الإصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تتظاهر به واما اذا انضمت الى المانية في الحرب فانها تساعدهم على الاستقلال وتكوين دولة عربية ولما اصطلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نخاف عليه بلادنا العربية لأنها خالية من الحدود والمعاقل الحربية وبعيدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة ولم نلبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق الاحزاب مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانها لا تبغي أخذ شيء منها واذا اندلعت الى محاربة الترك فيها فانها تترك لهم كل ما تدخله منها بمداخيل اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مسلمين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخذونهم أعداء ، وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان بمثل ما بلغنا بمصر عن بلاغ من لندن . ثم أطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم نر عبارته مضمرة ما وعدونا به بل هي ايهام محض فاقترحنا عليهم أن يصرحوا فيهم بالمراد تصریحاً لا يحتمل التأويل كقولهم يتعهدون باستقلال هذه البلاد اذا ظهر واقع الحرب وبحمل حتمهم على ذلك وعدم أخذ شيء من البلاد العربية إلا باسم الفتح والامتلاك ، ولا الحماية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالقوار

البصرة والتي سيدخلونها من بعد بلا شرط ولا قيد . وبعد التشاور بينهم ومراجعة
حكمهم العليا بلندن في ذلك حدثوا هذه التقيود . وكانوا يرجون منا مساعدة
بناء على تلك الوعود فكتبنا لهم مذكرة بعد مذكرة في الاحتجاج على ما نهرلنا
منهم وبيان خوف العرب على بلادهم من انكثرة دون سواها واعتقادهم أنها
هي الخصم لهم وتحذيرهم من الفرور عما كتب جرائدهم وبمض الجرائد المداعنة لهم
من وصفهم بأنهم أصدقاء العرب وان العرب اصدقاءهم . وبيان مكان الدولة
العثمانية من الاسلام والمسلمين وما لهم به من فوز له من عداوة العالم الاسلامي لهم
وفي مقدمته مسلموا الهند وجعلهم ابناء واحداً عليهم اذا هم استولوا على بلاد العراق
وسورية ومنها البلاد المقدسة وما يترب على ذلك من سيرورة الحجاز تحت
رحمة تصرفهم مع محاربتهم للدولة التي يعترف لها السواد الاعظم من المسلمين
بأنها دولة الخلافة اذ يمتدنون حيث تحتية ما لهم به دولتهم من عزها على ازالة
الحكم الاسلامي من الارض . وان السلطة الاسلامية في نظر المسلمين اهم المعتمدات
وثانية عقيدة التوحيد لانها سياجها وحفاظها وان عداوة السبب في تعلق
مسلمي الارض بالدولة العثمانية وحبها . وبيننا لهم في أول تلك المذكرات ان
الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا
بالمركب المذل بل يحتاج الى قوة برية كبيرة جدا لمنع الثورات الخ
كان غرضنا من هذه المذكرات اقناع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها ان
تقنع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدواناً على الاسلام وسلطانها
لاجل تقليص ظله من الارض بل لتحيزها الى أعدائهم الالمان عليهم وعلى احوالهم
الا اذا أعطت العهد والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد
الاسلام وفيها معاهد المقدسة الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى في القدس
ومعاهد العلم ومشاهد الائمة للشيعة في النجف وكر بلاه وهي منظر حضارة
الاسلام العربية، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية ، مع بيان ما في ذلك
من الفوائد السياسية والاقتصادية والادبية . التي شرحناها لهم بالصدق الخالي من
شوائب الايهام ، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام ، مع مکتوبات
أخرى في المسألة العظيمة الشأن

خاب سعيها الى ما سعيها اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم نغتر
بالايهامات التي كانت تصدر أحياناً من برقيات روتر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانيا المظني بالمطف على العرب وما ينتظر من سمادة البلاد العربية اذا تحررت من سلطة الترك واعادتها مجد هارون الرشيد والمأمون. وعلمنا مما دار بيننا وبين رجالهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السرمارك سايكس الذي أرسلته السلطة العليا من لندن الى مصر والمراق لدرس المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم ثابتون على مضمونهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بخين كثيرة ونوهنا به في المنار مراراً وكان لهم طبع في مساعدتنا ايادهم على اقناع العرب بما أشرنا اليه آنفاً ولو بكتابة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لاجل هذا الخداع فخاب أملهم فينا كما خاب أملنا فيهم

ما كان بين الانكليز وامراء العرب

ولي الانكليز وجوههم شطرا امراء العرب وزعمائهم في الجزيرة والعراق وسورية للاستعانة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم امام اليمن ووالي الدولة في الحرب كما عاهدوا في السلم، وواتاهم أمير نجد وسيد عسير على ان يوافق على الحياد. ووالاهم شريف مكة بإعلان استقلال الحجاز ومقاومة طينة الاعتماد والترقي المناغية الباغية اولاً ثم بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والشام، وقد انخدع أهل سورية والمراق بهذه الموالات والمخالفة وصدقوا التقرير الذي كان يوجه اليهم في المنشورات والجرائد ولأسيما جريدة الكوكب - ووافق ذلك شدة سفيان الاتحاديين وتنكيتهم بعرب سورية والمراق تقيلاً وتمليلاً وتضريباً وتمذيباً فرجد المضطهدون منهم مهرباً وماجاً من المذاب فقروا اليه بأمال كبيرة اذ ظنوا أن حوادث الزمان قد مهدت السبيل بهذه الحرب واشتغال الدول الأوروبية الطامعة بعضها بمض لا استقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية المالية التي يفتخر بها التاريخ، ولم يري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاء يفتنونها من غير أن يجنوا على الجامعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية

ثورة الحجاز والاتفاق مع بريطانيا

كانت حركة الشريف الأولى في الحجاز من النتائج التي تقضيها المصالحات التي بحسب نسبة الاجتماع وكل يمكن أن يكون أقل ما يقال فيها ما قلناه عقب حديثهم

أما أن تنفع وأما ألا تنفع — وأكبر ما يرجي منها أن تتخذ وسيلة لجمع كلمة العرب في الجزيرة ونظيم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سيطرة دولة أجنبية إذا غلبت الدولة بالتبع لانكسار حليفاتها الكبيرين المانية والخمسة . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع إليه سبيلا من كل عربي وكل مسلم أيضا ولو كان من الترك الذين هم شأن الإسلام . ولما ذهبت إلى الحجاز عقب ثورته لاداء فريضة الحج صرحت لأميره (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبتني من جمال خروجه وعدائه خاصا بالأتحاديين الذي فرقوا الكلمة ونكسروا بالعرب الدورين وغيرهم في الوقت الذي هم اخرج فيها إلى التأييد والاتحاد وما يجب من اتقاء هداة الترك واضفاف الدولة وحصر السعي في جمع كلمة العرب وإيجاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ حياتهم والاهتمام بأمر استقلالهم إذا انكسرت الدولة وحفظ حقوقهم معها إذا هي انتصرت كما ينبغي كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد العام بمي وتصدقته أبي في كل مقاصدها برهان رسمي على ذلك مطلوب في جريدة القبلة ومجلة المنار (١)

على أنني لما عرضت عليه الشروع في مظلة أئمة الجزيرة حوله إلى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك إلى أن يستولي على المدينة المنورة لتلايظن جبرانه انه يخطب ودعم خوقا منهم لارجاء وصبا للمصالح العامة . ولم يرضي هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السعي من قبل بعض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم إذا هم وافقوا فأبى إلا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت إلى مصر أخبرني وأخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدين الأمير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذلك — وقد كرر أمماهم — ولكن هذا الناقل ممن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وهابنا وله وهابيه . وقد يصدق الكذب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان تقابل مع ابن سعود بدلا من ان يتحدوا

ثم إن الشريف بعد ان بايحه أهل الحجاز باسم ملك العرب — واعترف له جلقاؤه

من الإنكليز والفرنسيين بمالك الحجاز فقط - جاهر بمداورة الدولة العثمانية والترك وببذل الجهد في قتالهم فغاب املنا في وقوف ثورته عند الحد الأدنى مما رجونا منها بعد ان رفض السعي الى الحد الإلهي أو السماح به وقد اشرنا الى ذلك بقولنا في بيان الحلة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨١ من المجلد العشرين) عند الكلام على ما كان يراد من مبايعة الشريف بالخلافة وسمينا الى مقاومة ذلك: **ذبت ليأتي أفكر في هذه المسألة ...** وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الأمير دون من حوله وقد أكرته لذلك وكان أعجبنى من منشور به الاوان جمل هذا وثيقة الاتحاد بين المنتخبة لالشعب التركي كاهولا للدولة

العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدها - هـ

ففهوم هذه الجملة لاختيرة ان الثورة الحجازية تمحورت عند كتابة هذه البذة من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في أول عهدها ومنه الوقت الذي كنت فيه بمكة وهذا كل ما كان يمكن التمسح اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ - فبراير سنة ١٩١٨) ولحقته قبله في (ص ٢٨٠) الى الحديث الذي دار بيني وبين الشريف الأمير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بتولياني ذكرت له رأيي من مصلاة صلاها رفرل لأن ان ذلك بمسبل كان في بيان محملورات أنه له لمصوب الخلافة وما يرتب عليه من المفاسد مم كونه هو مبايعا للسلطان محمد رشاد - وحديث « اذا بويح الخليفةين فقتلوا الآخر منهما » (رواه مسلم في صحيحه) - وكون بيعة أهل الحجاز له لا تصح لانهم ليسوا أهل المال والعقد في الامة الاسلامية وهم خاضعون لسلطته وحكمه فبرأحرار في اختيارهم - وكراهة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز وقبر هذا مما لم يكن التصريح به ممكنا في عهد المراقبة . وقد كان الشريف يؤمل أن أفون من أنصار الثورة وأعمال الحجاز وكان هذا ما يجب على لوجرت الاعمال على ما اعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ولم أفعل أظهرت حكومته لي العداء وأمرت بمنع المنار من دخول الحجاز بحجة اني طمنت في رجالها بما يرفع الثقة منها ونشر ذلك في جريدة القبلة وثمة الحمد - فما علمت به كان أول ما خطر على قلبي قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) فانه يدفع عن اتهم كثر من الناس اياي

بمشايمة هذه الثورة مطلقا واددت نشر بلاغ المنع في لمارقه مني المراقبة الانكليزية
 هل انه كان نشر في جريدة (وادي النيل) في الاسكندرية وسمى بعض رجال المكتب
 العربي في الصالح بحلي على تأويل لما كتبت اقترحوه فلم يقبل ونكتني اشترت لي
 سبب ما كتبتة وفرضي الصحيح منه بما لا يرضى الشريف على ان غضبه كان اسبب حر
 والسبب الذي جراً أمير مكة بالامس وملاك الحجاز اليوم على ما فعل وحمله
 لا ينالي باترك ولا بأمراء جزيرة العرب هو لا اتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى
 قبل الثورة فانه كان يظن ان سيحكم به جزيرة العرب وصورة وتمرق قوة بريطانية
 العظمى التي لا تملوها قوة في العالم وقد اشترت لي ذلك في بيان صفته من الرحلة
 الحجازية بقولنا (ص ٣٥٧ م ٢٠) «ومنها ان ثقتنا بالدولة البريطانية وتقديره لوتها
 وعظمتها لا حد لها ولا سلطان شيء عليها» فهاذا لم يكن يمكن لاحد اقتناعه بفكر ما اعتدته
 وجري عليه لا يبرهن العقل ولا بمجيج القل له وله في جريدة القبلة أقول في ذلك
 حرية نقلنا بمضها وفيما لم نقله ما هو أغرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له وأولده
 فيصل غير مرة - وهذا الايمان والتسليم لها في حالي الرضا والغضب هو الذي
 عطفها عليه وعلى أولاده أخيرا كما أني بياه - هل انه كان يكتم نفس هذا لانه في
 حتى عن أولاده حافظ بياه مع المذكرات الرسمية الاخرى في الكيس الأزرق
 الذي لا تنله غير يده - وقد كان بعض البريطانيين اعطاني على نص هذا الاتفاق
 بالمرية قبل الثورة وسأني عن رأيي فيه فقلت واجها متلما: هذا اتفاق لا يرضى به الا
 هدو للعرب أو حار لا ينفهم معناه - فحمر وجهه ووقمت بيني وبينه - من قصة حادة فيه لا
 اني تألت في نفسي لجريان كلمة حمار على لساني وما رأيته قريب مما بلغه الشريف
 فيصل في دمشق لجريدة المفيد ونشر فيها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد الا
 ان فيه تصرفا بأزغري موروثة ليس عربيا وانه لا يدخل في الاتفاق لما تدعيه فرنسا
 من الحقوق فيه وانه اعداء من البلاد العربية التي لا ينزع انكثرة أحدها في نفوذها فيه هو
 الذي تصرف باستقلاله يستولي عليه الشريف منه بشروط منها استثناء ولاية البصرة
 الخاصة بالانكليز وكون جميع ما يحتاج اليه هذه البلاد التي تستقل باستقلال الشريف
 (المسار: ج ٦) (٥٧) (المجلد الثاني والمشرون)

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد فاما يطلبه من انكسرة -
واختراقه بجميع ما بينها وبين امراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمكاتبات
(وان لم يسلم على شيء منها) فالشروط خمسة هذا مضمونها ولا أدري هل عدل
شيء منها أم لا ، وقد قيل ان لديه مصادات ومكاتبات أخرى وأما البقرة
بالميل ، فهو الذي لا يماري أحد فيه ، وسيأتي ذكر ما انتهى الى شوطه وشوط
أولاده فيه ، هل انه قد ظهرت قوادمه وخوافيه

ما ائتمر به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب
لاجل التشاور في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان
رأي جمهورهم ان الحلفاء سيكونون هم المنتصرين وسيستولون على بلادنا فينبغي ان
نخاطبهم فيما نحب ان نكون عليه حكومة البلاد في ظاهم احتياطا اذ يرجح ان يتساهلوا
الآن فيما لا يتساهلون بمثله بعد النصر - فعارضت في ذلك جازما بأنه لا يجوز لنا
ان نخاطب أحدا في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مستوليا علينا - وقد تكرر
هذا الاجتماع في عدة مجالس من دورهم فتمحست فيها الآراء وكان الرأي الذي
انفرد كاتب هذا المقال بمرضه عليهم والاعتجاج على صحته والنضال عنه هو
وجوب السعي الى الاستقلال التام وتكوين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلفاؤهم
وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم
رأيي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الأوروبية وتجنسها
بجنسيتها وتجهلها جزءا منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة
أوروبية (الثالث) - وهو رأي المدلل - ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رعاية الدول
المظلمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول - وأنا لم
أوافق على هذا التمدد لان الاستقلال فيه صوري لا حقيقي ، ولم أقبل في وقت
من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان ، ثم وجدنا من غير هذه
الجنة أفرادا واتونا على طلب الاستقلال التام المطلق كما منذ كر بعد

وقد وضع هؤلاء المؤتمرون مواد أساسية لتشكل حكومة البلاد على تقدير استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الإداري تحت الحماية وتقدير وفوعها وكتبوا للنشر وعين معاً مقدمة ووزعت نسخ ما كتب من المؤتمرين وبعد مناجاة دارت المناقشة فيها وعدل بمصر موادها. ولما ردت منب الاستقلال لم يكون دولة عربية في نسختي كتبت في حاشيتها ما يأتي الامتناع به في ذكرها مناجاة به طلاب الانضمام الى الدولة الأجنبية ومطالب الاستقلال الإداري في كل دولة أجنبية وهذا نصه :

« ويحتاج أصحاب الرأي بأن من ومن نفسه شي أن يكون تماً لغيره لا يرجح له الارتقاء والوصول الى الكمال الاجتماعي كمال الاستقلال والحرية الذي تبذل الامم دماءها وأموالها في سبيله . وان بعد انتم من سركتون الجنسيات فاذا كانت الامم المرزاة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى جنس من الاجناس أن يساوي جنسها باختيارها سواء كانت من عناصر دولتها أو مستقلاً دونها . وبراء كان مدتها أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية — فبالإمكان أن ترضى أمة من الامم أن ترفع شعباً ضعيفاً تستولي عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها ؛ هذا محال لا مضمع فيه فالواجب على السوريين وثم أرقى الأمة العربية أن وحسرة ألا يخسروا أنفسهم وأمتهم ما عندكم الله واغناها من الاستعداد ولا يرضوا بأن يكونوا دون أهل جبل الأسود والبلخار واليونان ، بل يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم الى أغنى ما تشبه الامم من الكمال ، يبدلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال . فان نالوا بالسعي الذي تقدمتم القصد ، وان صدهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة مخموفة كغيرها عندي وثم نسخة عليها تعليق مهم بقلمي عند باشا من باشوات أولئك المؤتمرين . وقد كان ذلك كل ما أتمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سميننا الى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكوين أمة عربية فلم نشجع الا نفراً قليلاً من النصاري في مقدمتهم اسكندر بك محمود الخالد الذكر باستقلال فكره وكرم أخلاقه ، وكان هذا قبل تأليف الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بمدة جهاد في تأليفه دام عدة اشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه بن طلاب الاحتلال

اتفاق سنة ١٩١٦ على قصبة البلاد العربية

وضع هذا الاتفاق كل من السر مارك سايكس المستشرق أحد أعضاء مجلس النواب البريطاني وموسيو جورج بيكو الذي كان قنصل فرنسا الجنرال في بيروت الى عهد اعلان الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وبعد أن أقنعا دولتيهما به التا وفدا وحضرا الى مصر ثم سافرا الى حدة لأجل التمهيد لقبوله عند السوريين وملك الحجار . وقد التا في أوائل رجب سنة ١٣٣٥ وأواخر ابريل سنة ١٩١٧ جمعية من السوريين فيها ثلاثة أو أربعة من المسلمين وواحد من وجهاء الدروز وباقي أعضائها من المسيحيين لأجل الاتفاق بين أبناء ملل البلاد حتى يستكون عليه في ظل هذا الاتفاق قبل اعلانه . (وفي هذه المرة لم يطلب السر مارك سايكس مقابلي لانه يئس من استخداي لمقاصده مما دار بيني وبينه المامة الأولى بمصر سنة ١٩١٥) وشاع في تلك الاثناء أنه قد ألفت جمعية سورية بمصر لأجل السعي لاجتلال فرنسا سواحل سورية وجمعية أخرى لانشاء حكومة مسيحية في سورية تحت اشراف فرنسا ورعايتها او حمايتها

ولدي مذكرة في بعض اسمعته في تلك الايام من بعض أعضاء جمعية السر مارك سايكس ونبرها من اهل رجل من اعم المشغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) أنه فهم من السر مارك سايكس نفسه ان فرنسا اعطت سواحل سورية كاهل القرنة لأنها البلاد التي كان السراون قد احتلوا في سنة ١٩١٤ من رواب الصربية المشهورة .

واول ما في الامر ان امدان عاد السراون الى رجل في رجب سنة ١٣٣٥ من ربابه في رجل من اعم المشغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) أنه فهم من السر مارك سايكس نفسه ان فرنسا اعطت سواحل سورية كاهل القرنة لأنها البلاد التي كان السراون قد احتلوا في سنة ١٩١٤ من رواب الصربية المشهورة . وقد ذكر سايكس بعد ذلك من أقواله في رجل من اعم المشغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) أنه فهم من السر مارك سايكس نفسه ان فرنسا اعطت سواحل سورية كاهل القرنة لأنها البلاد التي كان السراون قد احتلوا في سنة ١٩١٤ من رواب الصربية المشهورة . واقتراح من رجليه ان يقول لموسيو جورج بيكو نفسه به فلم يخالف بحرف منه ، (ولكن هذا الرجل ان بعد انه وهمهم ان هو الذي اقنع والحق ان الملك لم يمارض فيه حاج الى اقناع) ثم بعد بضعة ايام اخبرني بذلك رجلان آخران ممن كانوا يلقون سايكس أو من أعيناه اللعة التي انصها ثم بعد سماعنا هذا بأسبوع أو أسبوعين جاء القاهرة أحد القواد الذين كانوا مع الامير فيصل فالتقيناه معتقدا ان الملك وافق الانكليزية والفرنسية على ما قررا في شأن سورية والمراق ، ثم سمعت هذا الخبر بعينه بعد شهر من مسلم آخر كان مشغلا بهذا الصل مع اللجان . ثم اخبرنا بعض من كانوا مع الامير فيصل انه رأوا كتابا من والده يذكرفيه ذلك

ويمثله بأن فرنسا تحفظ له سواحل سورية من التمدي عليها الى ان يسير للدولة العربية اسطول يحميها به على انها تدفع مبلغاً معيناً للدولة العربية في كل عام مادامت محتلة في تلك السواحل

وجملة القول انه قد تألف بمصر في سنة ١٩١٧ جميات ولجن بايعاز الانكليز والفرنسيين بعضها لوضع اساس الاتفاق بين السوائف على ما سيكون عليه نظام البلاد بعد تنفيذ ما علم بالأجمال أن الدولتين الحليفتين اتفقت عليه وانه جعل فلسطين ومناقضها لليهود وبعضها لوضع اساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن هذه الجماعات جمعية فندق تاسيونال ولم يكن فيها الا مسيحية واحدة وقد كنت كل سمعت من أحد خبراً من الاخبار في هذا الشأن اجادته بالتي هي أحسن الا أن يكون مستلماً فانت انتدرد سوء عاقبة السعي مع انشاعين في هذه السبل وما يعقبه من لمة الملايين لو الى يوم الدين

وفي أول سنة ١٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمظهره الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر فبراير منها ريد أوروبية شارحاً ذلك فأمرت المراقبة بحتم الخوض فيه في الجرائد الى أن تمهد له السياسة مما أرجو أن يكون به مقبولاً عند جماهير السوريين المختلfi الأحزاب والآراء . وكانت وصلت الي في هذا البريد جريدة المستقبل العربية التي تصدره في باريس جمعية موسيو شكري غانم السورية بنفقة الحكومة الفرنسية منفصلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرناه بعد ذلك في الجزء الاول من مجلة المنار الحادي والعشرين (فليراجعه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المستغلين بالسياسة مع الانكليز كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره « مع أخامس المحبين » في مساء ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع أن تكون لتأييد الاتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك مؤمناً نفسي على انني من مصر هذه المقاومة مستعداً لذلك وقد رأيت في المكان ما قوي حدسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأمراداً من المستقلين طلاب الاستقلال . وبعض المراقبين من الضباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك النقيب والاستاذ الكاظمي . ثم في ذلك السعيد: وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والناكحة اقترح على شاعر

العرب الكاظمي أن يسمع الحاضرين ما تجود به قريحته من الشعر الاجتماعي
ماعتذر بانحرافه صحته ثم ارتجل أياتاً صفق لها القوم تصفيق الإعجاب مراراً
لا يذكر منها الآن إلا قوله

قد منمنا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم (١) أن يلقي خطاباً في
موضوع الحال الحاضرة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه أنه مضطر إلى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال
التي انتهت إليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار إلى مدار بين الدولتين
في مسألة البلاد العربية وقال إن رجالهم المظالم صرحوا بأنهم لا يمكنهم أن
يتفهموا سورية حول البساط الأخضر في مؤتمر الصلح إلا إذا كان زعماءها متفقين
على أمر مستقبلهم فهم يهتموننا بعدم الاتفاق وإن الفرصة الآن سانحة لنا إذا أردنا
اتخاذ بلادنا من حكم الترك وإذا فاتت هذه الفرصة فلا يمكن أن تعود لنا ولا
لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول أننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون
ولا مجال للخلاف في هذا الأمر الجوهرى للبلاد وهو اتخاذها من طاعة الترك
وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمره سهل متى تم لنا اتخاذ البلاد -
(وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني فرأيت أن الخلاف بينها وبيننا
بسيط يمكن تلافيه بتمديد خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال
لبنان وسورية والمراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم
قوله بأننا كلنا عرب ومساجتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالأسباب حاول أن يأخذ قراراً من الحاضرين بالأمم
الذين زعم المر مارك سايكس بختابه في الجمعية السورية بباريس أنه يمكن
للسوريين الأحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وإزالته -
واعتماد السوريين على مساعدة فرنسا في السير بأنفسهم في طريق الحياة - أي
كاغتماد المراقين على انكسار في ذلك ! (راجع ص ٣٥ م ٢١) فقال:

«هنا صرحت هنا باسم الخطيب مع الزامي كمان أسماء الأفراد في هذا المقام
ولا سيما من كنت منتقداً رأيهم وعملهم في شأننا في كل ما كتبت لأن هذه الخطبة
قد ذكرت أخيراً في خذل كبر خطب فيه الخطيب ورددت عليه كما سيأتي

السناكلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الاتواك
واخراجهم منها؟ - وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم
نعم وسكت الا كثرون - فقال - ليس بعد هذا أمر يقتضي الاتفاق عليه من
الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلقاتنا الكرام ولا سيما انكثرة وفرنسة
ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة
من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار
البعض منا - فننقل الآن أن نترك البحث في ذلك ومتى صار السوري
في سورية واللبناني في لبنان والمراقي في العراق فعند ذلك يكون المجال امامنا
واسعا في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم
ومنهم قول الكاظمي

قد منعنا الحق الصراح وأعطني غيرنا حقنا بلا استحقاق
وقال ان هذا في غير محله وان حقنا لنا لم يأخذه أحد بغير استحقاق الخ
خطاب الكاتب صاحب المنار

ولما اتم خطابه ظهر لي ان فني في هذا الاجتماع المدبر عين اليقين وان
المراد منه ان يؤخذ من جمهور زعماء السوريين - وكذا المراقبون على قلوبهم
هنا - اقرار بما قرره الدولتان كما أخذ من جمعية مودس وغانم بباريس وهو
انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم ويفوضون أمرها الى انكثرة
وفرنسة - فنهضت في أثره متصديا للرد عليه فصفق الا كثرون - وألقيت
خطابا حماسيا تدفق من قلب يقطر دما افتتحته بقولي انني اضطرت الآن الى
مواجهة صديق بارد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطرت من قبل الى
مواجهة صديق آخر بارد عليه في وجهه لمصلحة الوطن وهو سليمان افندي
البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتفال الذي أقيم
للبناني في فندق الكورنتينال عقب زيارته لسورية ومصر وأرادة المودة الى
الآمنة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردني عليه في ذلك الاحتفال) ثم قلت
ان صديقنا الخطيب المود قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بعراحة غير
ممتادة وانا أقول انني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح مما خاطبكم لانه لا ينبغي
أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم الذي تعدون أرقى اهلها علما واختبارا كما قلت

في تحليل ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتفال المشهور
قال الخطيب ان الدولتين الحليفين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين
لها بأنهما لا تستطيعان مساعدتنا في مؤتمر السلاح اذا بقي المندوب في بلادنا الا
اذا اتفق زعمائنا في أوربة ومصر وأمريكا على الامرين اللذين ذكرهما تبعاً للسر
مارك سايكس أحد ذينك المندوبين وهذا ما كتبه الخطيب عنكم
أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الحليفين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما
لاستعبادكم باستعمارها فقد جاءتني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطمت
فيها على تفصيل هذا الاتفاق (ونظمتها) كما نشرته بعد في الجزء الاول من
الجلد الحادي والعشرين (فقامني الدكتور ثورنر قائلاً انهم صرحوا بأنهم لا يمانوننا
بالضغط والتوسع الاستعماري ووافق الدكتور شيندر فقات للدكتور ثورنر
لاتقاطعي فاني ما قطعك - قال أريد تفسير العبارة وايضاحها كما قليت . قلت
أخر ما تريد ان تقوله الى أن أم كلامي - قال سحبت كلامي . فضيت في كلامي
وهذا ما خبته

ان الترك ضغفاء وجاهلون مثلنا فلا يستطيعون أن يستعبدونا اذا نحن تنبهنا
لحقوقنا وأما انكثرة وفراسة فها أقوى منا في كل شيء فلا نستطيع أن نتعصى
من عقابها اذا هما استولتا علينا - هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال
هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب - وذاكرت الجيوش والسلاح
والأساطيل البحرية والجوية - فاني لنا أن نفدى من سلعائهم القاهرة ؟
نعم قد قالوا انهم لا يريدون أن يثقلوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان
فراسة تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تفعل بريطانيا في العراق
وامل مرادهم أنهم يحملون لنا اميراً منا وكثيراً من المستخدمين ، وهذا تصرح
بأنهم يريدون استعمار بلادنا والزيادة علينا وانما يهونون علينا الخطب بأنه
استعمار هين لين لا قاس شديد . ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين ، لا عبيداً
مسيودين ، سواء علينا أكان السيد رحماً بعبيده أم لا . على أن هذه الطريقة الآمنة
في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهتموا اليها بالتجربة والكنها امثل وخير لهم
لا للشعوب التي يسودونها ، فانها تخدر اعصاب الجماعير وتخدع عامة الامة بأن
حكماها منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها ، وبذلك يتمخر على الزعماء
العارفين الدفاع عنها والمطالبين بحقوقها ، لانهم اقلتهم تسهل مراقبتهم وانزال

نقاب بهم ، اذا لم تكن وراهم امة تؤيدهم . قال القونس اسكروس في
 اابه اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة اللينة
 بل ذلك بنحو مما اشرنا من تخديرها لاعتصاب الامة حتى لا يبقى لها مجال
 كرف في الخروج مما هي فيه . واشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق
 لغرب ظاهرة جليلة كتونس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند .
 بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم
 معنى الاستقلال والتفكر فيه دع الاستعداد له والسعي اليه ، وعلمت ان رؤساء
 الحكومات اطوع للانكباب من ظلمهم واشد قبولا لكل ما يقترح عليهم . واما
 لولايات التي يدير امرها الانكباب بأنفسهم فهي التي تناضل وتنتقد وترجو
 استقلال وتستعد له وتمتد ان ستنا له في يوم من الايام

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يدعون تحرير الامم والشعوب وأنهم
 يدون باقتسام بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر الجميل !
 سون الحقائق باسماء الاضداد ، وما ادري بأي مقود اورسن يريدون انية ودونا
 بالاستقلال الذي لا نصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والورود على النار ، ومتى
 انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كاتقاد الدواب حاملة الانتقال ؛ ياخذون منا
 مالك ويجودون علينا بالانفاظ والاسماء التي تخفف وقعها على قلوب الجاهلين ،
 كالحماية والرعاية والاستشارة والمساعدة والانتداب وغيرها)

(وقلت) اني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من
 هؤلاء الناس اعطي حق المراقبة على حكومتها وسمي عبد السورين او عبد
 مرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستعبدة له .
 حرية والاستقلال معنى واحد يقابله العبودية وهي حقيقة واحدة لا يتغير
 معناها بتغيير اسمائهما . ولو انهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلالاً
 مافي سياستها شأراً مشؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها لنساعدكم عليه
 متعين باتفاقكم لكان لهذا الطلب معنى ، ولكنهم اتفقوا على اغتيالها وامرونا
 ان نتفق على طلب هذا منهم لنكون حجة على انفسنا باننا نخضعنا انفسنا بأيدينا ثم
 سمى الموت حياة والاستعباد استقلالاً . اما الامر كذلك والاليت بكرامتنا
 الواجب على كل منا ان يقبع في كسريته (أي في زمن الحرب والحكومة
 المارة ج ٦) (٥٨) (المجلد الثاني والمشرور)

العرفية) و ينتظر الفرج من الله تعالى

واني أختتم خطابي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوها الفكاهي
تغنياً لمرارة ما سمعتم من تهديد الخطار الأكبر لوطنكم : حكي أن رجلاً مسلماً
تصرف في جبل لبنان وذهب الى (دير قزحيا) الشهير وانتشبه في سلوكه بهبانه، واتفق
أن كان الرجل مترفاً وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يحد
من الطعام الا العدس المسلوق ونحوه من التمرج الخالي من الدهن فاشته به القرم (شهوة
اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد أن نام
الهربان فاتفق أن مر بعضهم وشم الرائحة من حجرته فطرق بابه وكلمه فلم يجبه فشكاه
الى الرئيس بباء الرئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا، قال من اين
جاء السمك في جميع الليل من البحر البعيد الى هذا الجبل . قال أما قال سيدنا
يسوع بالايمان يكون لكم كل شيء ؟ قال الرئيس بلى واننا نحب أن نرى هذه
السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع لتزداد ايماناً بمشاهدة هذه
العجيبة — وكشف القدر فرأى الدجاجة، قال هذه دجاجة يا أخ حنا لا سمكة،
قال قل سمكة يا سيدنا . قال كيف ؟ قول سمكة وأنا أراها دجاجة وهل يغير
الحقائق تغيير الاسماء ؟ قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبانا، قال نعم لا يغير
حقيقة المسمى، قال اذا ماذا كان اسمي انا ؟ قال محمد . قال وما اسمي الآن ؟
قال حنا . قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله
وان محمد رسول وآكل الدجاجة واسم من الدير صباحاً — فاذا كانت الدجاجة
انقلبت سمكة فاستعباد المقتسمين لبلادكم ينقلب استقلالاً والسلام

فضحك الحاضرون وصفقوا تصفيها شديداً وانصرفت وقال لي بعض من
شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحتنا بكشف
الخباء وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاوره مع ضابط بريطاني

بعد مرور سبوع أو هذا الأسبوع من الكثيرين من الحاضرين يشيرون
تعالى في هذه المسألة سافروا في بعض السفينة المسكينة التي كانت لا حيلة لها
لنصارى راقب في ذلك ثم لي منه وذر يعني وبين ضابط بريطاني في معاد
المكتب محاوره كان من المسائل فيها الخفية أخلصها لي
(قال) هل سمعت في مدارس باريس بشأن سورية وخطبة السر مارون

سايكس ؟ قالت نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولا سيما المسلمين وعللت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة . قال كان الغرض من تلك الخطاب والتعريضات ارضاء السوريين فهل جاءت بهذا المراد منها ؟ قالت انها جاءت بالاثار الطبيعية الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراد منه — قال : ان امر مارك سايكس صرح في خطابه بان الحجاز قد استقل فلا يمثل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قالت هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكلترا وفرنسا اتفقتا على اقتسام بلادنا ... قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قالت لا معنى لهذا وقد اقتسمت البلاد الانكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار اللين اللطيف . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعليه عليه) فأجاب جواباً ذكر فيه القسمة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرنسة :

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرنسا يراد بها مناطق النفوذ المالي بمعنى أن أحدنا لا يمارض الآخر في منطقتيه بالأعمال المالية وقد صرح وزراء فرنسا رسمياً بأن حكومتهم لا تنوي فتح أي من البلاد ولا قهر شعب على الخضوع لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعداً صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لإقامة الحجة على الفريق الآخر ولا قبائح الاحرار والاشتراكيين حتى من امهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونه — ولاجل هذا تطالبون منا نقوض أمرنا اليكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يطالب منا مساعدته على تحرير نفسه ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة طلبه حبا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرضاكم ؟ قالت لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لمرفتا كيف ترضياننا ذلك بأن تقولوا اننا قررنا ان تكون البلاد العربية دولة مستقلة كبلجيكا واننا لانعقد السلع الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرنسا لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال . ماذا تريد ان تفعل لنثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز ان يتمكن من الرجف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

الفقر والضعف وان كثيراً من رجالها الاحياء منقبون ومهاجرون فهل تأمن اذ تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في الفوضى والاختلال وزيادة الحاجة والفتن؟ قلت ان الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ما جاء وقته لانكم لم تفتحوها ولو فتحتموها وسألتوني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ ما ان اقول اتركوها ففيها من الرجال من يقوم بأمرها وأما ان اطلب مساعدة مالية موقته، ولكننا نرى ان ما تخافون وقوعه من الفتن في سورية ان تركت وشأنها وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لا أمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انهم لا يقبلون من المانية دعوى ابقاء جنودها فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الامن واعادة النظام مع أن البلاد الروسية متاحة للبلاد الجرمانية ويخشى أن تنتقل المدوى منها اليها - فسكت وانتهت المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجلة القول ان السوريين المقيمين بمصر واللاجئين اليها كانوا من الحرب في امر مرجح وقد عثت الاجانب باكثر الذين يترسون بالسياسة منهم فكانوا يخدمونهم بكل ما يربدون وقد خائنا اكثر الذين كانوا هادونا واقسموا اغلق الابواب على السعي لاستقلال البلاد المربية وعدم الرضا باحتلال الاجانب لشيء مما منها فارتد افراد من اشهر الاستقاليين وآمن افراد من الاحتلايين وتذبذب آخرون ممن كان يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقالي يرى انه ينبغي مشايمة الاجبي على أخذ بعض البلاد المربية في مقابلة مساعدته ايانا على استقلال البعض الآخر غافلا عن امتهالة ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام الناجز بصدق وثبات على كثرة ما تالف من اللجان والجمعيات الالحمية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات الاحتلالية حمية الاستقلال. وكان مما سمته باذني من اثنين من مؤسسيها في (٢٠ و ٢١ ربيع الاخر سنة ١٣٣٥ و ١٢ و ١٣ فبراير سنة ١٩١٧) انها امرا مع آخرين بالذهاب الى سورية من طريق المريش لتأليب العرب وحملهم على الثورة والخروج على الترك فكتبت الجمعية تقريرا بيث فيه انه يجب العمل في سورية باسم الشريف سواء كان بدعوة البدو الى القتال أو بغير ذلك فان لم يفعل الانكليز ذلك وقموا في مثل القلعة الذي ارتكبوه في المراق فادى الى قتال العرب لهم وتأخير فتحه وان العرب في سورية سيفعلون ذلك اذا لم يكن عملهم باسم الشريف. وكان

المتكلم من صنف الضباط قال واننا اقنعناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام - وصدقته رفيقه وهو ممن جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبل وارسل الى بلاد الدروز مرتين لاستمالتهم الى الانكليز وكنا قبل ذلك غشينا به واعطيناه اعتمادا فكان من الخائنين واراد ان يتوصل بالاعتماد للايقاع بنا

المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سعي مشترك مع جماعة للاستقلال التام بعد ما بيناه من الجهاد السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان العمل وندائه بحرية الامم وقمها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشاقه والدكتور شهنادر وخالد بك الحكيم بينا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء استفتاء اللجنة الاميركية بعد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا ننشرها بعد

عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بعد كسر الروس وعقد الصلح معهم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيواسبول تخافت انكثرة ان تكون وجهته المراق فكان من أعمالهم الاحتياطية بذلك ان أقنع بعض المشتغلين بالسياسية منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسموا الى مساعدتهم على تكوين قوة حرية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتعهد بريطانيا المظلي بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الألمانية الى المراق سكت الانكليز عن هذا العمل وأعرضوا عنه

فصل ثان في المسألة العربية بعد انتصار الحلفاء

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الحلفاء وتمهيدهم السبل لاستثمار البلاد العربية كان في أثناء الحرب التي كانت كفتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم أقوى من الرجاء لهم ولذلك كانوا يحاولون اقناع أهل البلاد اياهم ومساعدتهم

لهم على استعبادهم مع الشكر لهم على ذلك لانهم سموه تحريرا للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سائبين لشيء من أملاكهم ولا حربتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع معرية ورحمة من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فظائع بغاة الاتحاديين الأخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لكانت ذنوب الترك كلها سلبية أي أنهم ليسوا بمعمرين ولا مارقين اشموب دولتهم في العلوم والفنون والاعمال ولا محسنين لمهارة الأرض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المنار (١) ومقالة في (المسألة السورية والاحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الأمريكية لأهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المختلف فيها ووثائق تاريخية تراجعت في مجلدي المنار ٢٠ و ٢١. وقد نشرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكا الشمالية والجنوبية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبعده ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا تزال في اردباد — واعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكا على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكا للعراق وما كان من زحف الجنرال غورو على دمشق واخراجه لفصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته، كما نقلت عن رقيات أوربة وجرائدها بعض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاتل أكثر من مئة ألف جندي من الماسكر البريطانية واضطرار انكلترا بذلك الى المدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية واعلانها العزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأليف حكومة وطنية موقفة فيه والاستعداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة الثابتة وتختار الأمير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل للعراق وبحث الدعوة له، وتأليف حكومة جديدة في شرق الاردن تابعة لحكومة القدس الصهيونية الانكليزية

(١) راجع ص ٦ من فائحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (ص ٢٣٧)

(٢) ص ١٩٧ منه (٣) ص ٤٣٤ منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستعداد
لاخراج فرنسا من سورية وبث الدعوة لذلك وجدد المبايعة لآخيه «الملك فيصل»
كل ذلك معروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وستريده
هنا بيانا وتحقيقا لمسبق الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه
كسابقه حجة بينة على اتنا كنا على الحق والصواب فيما كنا نصرح به في مصر في أثناء
الحرب وبمدها وفي سورية مدة السنة التي أقناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكاز
والرئيس بمساعدة الشريفين على استثمار بلادنا السورية والمراقبة على ما بينهم
من التنازع والخلاف السري والعلني في ذلك. وقد انردنا بالسبق الى معرفة ذلك
والجاهرة به والتعرض بذلك للخطر وعدم انخداعنا لاحد في ذلك ولا خداعنا
لاحد بل كنا نقول الحق وننصح باتباعه لقومنا ولخصومنا. وهذه منة من
أكبر من الله تعالى علينا ما كنا لولا فضله وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف
التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحننا للانكاز والرئيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحننا للانكاز قولا وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية
وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة
البريطانية منذ سنتين كالماتين بيننا له فيها ان ما كنا نصحننا به لرجالهم بمصر قد
ظهر صدقه وان ماجروا عليه مع حكومتهم في المسألة العربية مخالفا له كان هو
الخطأ — بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند — وان انكثرة ستكون
هي المفبوة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بعداوة الشرق وحسد الغرب
لها وان عداوة اكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقارا لهم بضعفهم
ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون اضعف من ميكروبات الامراض
والاوبئة — وانهم سيكونون به اتحادا اسلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان
ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لعداوة أكثر شعوب أوربة —
وان الخير لأمهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال
الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا...
ونصحننا لرجال فرنسا في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وما
نطلب منهم الاستقلال سورية ورجح صداقة الامة العربية كلها بذلك واتقاء
يقع عليهم من النخب بعداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وقد

قال لنا موسيورو بيردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو من
الممكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج الى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين
بكثرة البعث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحننا للشريف الاكبر - كما تقدم - ثم لنجمله الامير فيصل - فأما الاول
فانه خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويحري عليه وما لا يمكن
ان يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقر أو يثق بختبره بأنه أقنعه بشيء وان كان
غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرا
سواتاته وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب
هو سريع القيئة بعد الغضب وقد عاشته زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر
أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا
وانكسرة من البلاد المريية الآن ووجوب العمل مع احدهما وخدمة البلاد
بساعدتها في ظل وصايتها والاستمانة بموادتها على تخفيف وطأتها على انه لا
صرح بهذا تصريحاً جليلاً وهذه نظرية كل من وانوا الأجانب في هذا الطور
ذي نحن فيه كني بك المظم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير
صل والامير عبد الله وان كان أتباع الاميرين يعدون هذين من الخائنين
متهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف
صل وسيرته في سورية يجمل حقيقته ماثلة لكل قارئ

جاء الامير فيصل سورية من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨)
بناير (١٤ / سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد انه بانفاقه مع كايي: نصو على قبول الوصاية
فيه مع تخفيف شروطها قد خدم سورية أجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يقنع
به الاخص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يأتلف حزبا من المحافظين
بين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي الزعقة الذي
بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته ولا لاستمانة به، بعد أن تعرف اليه

لما لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميرا مؤقتا
من سورية من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة
الشام ثم مهاجرا سياسيا في أوروبا ثم مرشحا من بريطانيا العظمى لدولة المراق

وتذكر لحزبه وظل سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانته على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة وحمله على قبول اعلان استقلال سورية وجعله ملكا عليها وارضاه بمجعل ملكها ارثا في ذريته وبجعل الراية الحجازية راية سورية مع زيادة نجم ابيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرف مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على اساس الاعتراف بانه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لاجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان ينشده احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الحلفاء وذلك عززوه بتصریحات وزراء الحلفاء التي كانوا يفهمون بها في ايام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضمون اقرار المؤتمر من اعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظالم والغواشي التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفوا كل احد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشمالية. بدل على ذلك ما كان يلتمس في المؤتمر السوري العام بدمشق من الحلفاء في انكار تلك الاعمال والاطمان فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزاريته مما نلم به بعد واتخذ علم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال وشيئة أساليبهم وقدمانها بعد ممارسة الحوادث ان فيصلا قائدا للحلفاء وكول اليه حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد - وانه قوة رسمية ومالية فان الافكار كانوا يدفعون له رانيا وكانوا يطارونه حصة المنطقة الشرقية من جبرك حيفا وصيدا والفرنجية - يطارونه مثل ذلك من جبرك بيروت بمقدام المادة، وقطموه عند الحادة، - وانه ياتس من الاستقلال التام الناجز وان كان أولى من غيره بحبه - وانه لين سلس كان في أول المهديس - في البلاد كما يشاء البريطانيون ثم جاءها اخبار من فرنسا يدعو الى الاتفاق مع الفرنسيين - فارادوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة وضغط بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالها المنطقة الشرقية باسمه ونحت قيادته باعلان الاستقلال التام سورية المتحدة بجميع مناصبها - اجمعوا الحلفاء تجاه أمر واقع بسفينة مسجلة لهم معروفة بفضائهم ومالكية قادمين قياد حلفهم، (المنار: ج ٦) (٥٩) (المجلد الثاني والمشرود)

فإن ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فإن حال البلاد مهم بعده لا يخفى أن يكون شرا مما كان قبله ، وذلك أنهم حينئذ ينفذون الاستعمار الذي سموه انتدابا بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاصاحية وللمعاهدة الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الأمم المصريح فيه بأن البلاد المشروط في استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لأهلها الحق الأول في اختيار الدولة المنتدبة وشكل الحكومة التي ترشاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون للبلاد التي التي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره فإنه يكون قد قتل نفسه بيده

بجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة قاذرة المثال وبلغ امر اعلانه للدول فجعله الحلفاء محلا للنظر وكان جواب انكسار لفصل أنها تعترف له بصفته حاكم على رأس حكومة مستقلة لكن يجب أن تقرر العصبة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان ريمو) فتردد أولا لان الرأي العام لم يرنح الى سفره وفي مقدمته المؤتمر السوري الذي كان يلح عليه بوجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد وتأييده جميع الأحزاب . ثم اقنع الاكثرون باستحسان السفر بعد إلحاح انكسار به وقد طالب من الجنرال غورو في ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تنقله الى أوربة فاجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى مطالب طلبها منه من أهمها اباحة استعمال الخط الحديدي من ريباق الى حلب لنقل الجنود الفرنسية والذخائر الحربية وانه إذا صافر قبل تنفيذ هذه المطالب من طريق آخر فإن فرنسا تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تقويض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب والفرنسيين والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كايانصو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه الخمس وهي الاحتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط الحديدي المذكور آخا لسلطة العسكرية الفرنسية - والماء الخدمة العسكرية الاجبارية وجمل عدد الجيش المنطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود - ومراقبة

المجرمين المؤتمرين بالمصائب والمخربين على فرنسا - وقبول ورق البنك السوري الذي سته قرنة بحمله نقدا وطنيا رسميا، وجعل آخر موعد لإجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وضع الملك فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري امام الاحزاب السياسية كلها كانت لغير راضية عنه ولا من حكومته لمدم قيامها معه بما يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفاع عنه ولهذا اضطرره الى استقار وزارة علي رضا باشا الركابي ثم رأوا ان وزارة هاشم بك الانامي التي خلفتها لم تكن قوى منها فحاولوا اسقاطها، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهل وسوء الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج الى مثر طبقات الاهالي الذين اندفعوا الى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملك فيصل جهرا ويتحدثون ببلابق به حتى انه وضع من كان لديه من الجند المجازي حول داره لحمايتها - وسمى الى الجنرال غورو ملتصقا منه تمديد مطالبه فاني -

وفي فترة ذي القعدة - ١٧ يوايو كتب الي رئيس الوزارة بأن الملك يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فاجابنا الطلب وقابلهم ووزرته فشرح لنا الحرج الذي وصات اليه حال البلاد ونهيج الوام يغبر عقل وخذلان انكثرة حتى لا يرجو منها أقل مساعدة كما أبقى اليه محمد بك رستم من لندن وان الحكومة حجب على الجنرال غورو لاستطاع الادلاء بها في أوروبا وله عليها حجب منها حق وبعضها باطل بنشرها حيث شاء. ثم طلب من الاعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حديثه في كتب مخومة وعامدهم على انه يعمل بها ولا يطلع احدا عليها فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد ان يمتنع به على قبوله للمطالب الفرنسية ويجعل التهمة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوايو - تموز) اجتماعا سريا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في العامن في الحكومة لانه هم ثم قررت انقسام بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكنظ مكان المستمعين بحضورهم من الوجوه رؤساء الاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووجدتها ورفض المجرى الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا نقض بعض
نقض كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يندب بمأخذ
لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في الماسية

وفي اليوم التالي (١٤ ذي القعدة ٢٠ يوليو) أصدر أمره بأجل عقد المؤتمر شهرين لا
المجلس النيابية تقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية الأمر على من
المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصرفوا جميعين بمنتهين، وكان بعض الأعضاء يريد عد
امثال هذا الأمر فأقنعهم بأن هذا خير للمؤتمر وأني سررت به ولولاه لا ترحم
على الأعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الحيات
والخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكلهم
يرجون من المؤتمر مالا قبل له به - وما ثم الا إزام الملك والوزارة برحبانها
الجنرال فوررو والدفاع عن البلد ان هوجمت بغيا وعدوانا او اسقاطهم واقامة حكا
عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة، ولا يوجد
البلد من هو أهل لئول ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترب على ذلك
من الفوائيل يكون حينئذ في عتق المؤتمر الذي لم يأت انما ولا ادخر في الخدمة وسعد
وقد أصبحت الامة كلها راضية به بعد ان كادت الدسائس تغيرها عليه، وانني علم
أن التجديد الاجباري الذي قرره الحكومة بفسط المؤتمر والحاجة قد كان عم
صوريا وانما لم تقصد به الا إهام الامة ما يرضيها وإهام فرنسا ما يحملها الى التناهد
فيما نطلبه ويطلب منها

انقض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال فوررو على قبول موا
انذاره متصلة فلما أصر على قبولها كإسأ أمر الملك قبل كل شيء بسمريج الجبهة
السورية من ثكناته ومواقفه الحربية واهمها مضيق مجدل عنجر الحصين في طريق
جيش الجنرال فوررو الزاحف على الشام فمرح الجيش بغير نظام فترتب على ذلك أ
نهب الاسلحة والذخائر وحدث ثورة في شوارع دمشق وهاج الشعب هياجا شديدا
وكنز المتصرف في الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسبب الملك فيصل وأبيه والتمدد
بجبانته ورجوب قلبه وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجنود لحفظ الامن ان تقا

اثورة بالسلاح حتى انها استعملت لمقاومة الرشاش في ذلك وقتل كثيرون
- قبل ٥٠ وقيل ٧٠ - وجرح كثيرون - قبل ١٥٠

قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنهم قبول الوصاية
بلا شرط ولا قيد فاصبحت بذلك صاقطة مع ما فيها من غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا.
ثم انها علمت في اليوم التالي تسريحها الجيش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال
غورو زاحمة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبيه ان حجة على الزحف
ان جواب القبول تأخر عن مواعده وهو الساعة الثمانية عشرة من نصف ليل وكان قد
أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه اية فة بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل
عنجز - وهي تقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لآمر
التسليم بعد أن وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عاليه ، وان سبب تأخر
برقية التفصيل انقطاع السلك البرقي باستعمال الجيش الفرنسي له

نظام الخطب على فيصل ووزرائه ما رواه انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك
الشروط الخيرية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية
وخدمتها كما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم إمكان قبولها منقولا من المبالغات ونبتد فيصل
من يقبلها بأقبح الاتعاب - وعلموا أنهم خسروا كل شيء - وظاهر لهم أن القتل والكباسة
في التسليم أن يكون آخر ما يمتد من الشروط تسريح الجيش - فصدر الأمر لباقي
الجيش بالتوقف عن الانسحاب فوقف غربي (خان ميسلون) ودق الجيش
الفرنسي الراحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئذف
المفاوضة في إيقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصري (وزير
المعارف) فسافر الى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا

وفي يوم الخميس (٦ ذي القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع
المتطوعة وحثهم على الجهاد وكان جمع الزعماء ورؤساء الأحزاب وبلغهم انه أعلن
الحرب رسميا ونشر ذلك في الجرائد ولى الجمعة في يومها في الجامع الأموي وسمعه المبر
بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد مع حماية الدين والوطن - فقل كثير من الناس
انه يريد بهذا استمادة مكاتبه وكان الناس في هياج عظيم وانبال على التطوع

وبذل اكل ما يلزم للدافعين من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يعد ينسجم لعدل مفيد
ثم ذهب فيصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه ارسل
أمنته الخاصة وذخائره الى (درعا) وان الحكومة أرسلت أوراقها ودقاترها اليها أيضا.
ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكسوة بمن معه من وزرائه وخوادمه ومنهم
بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك البوسف وذلك بعد انتهاء
مركة خان ميلون التي قتل فيها وزير حريته يوسف بك العظمة وقرقت الطيارات
شمل من كان معه من العسكر النظامي ويقال انهم كانوا زهاء خمسمائة جندي .
وعاد في المساء جميل بك الاشقي حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو، كوس (الذي
كان ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية
للاتداب مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه باسم الملك على صفة دخول
دمشق وقد عاد معه في مبارته مبنها مسرورا .

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذي القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد
فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ وبمسكر في
(الامة) من ضواحي البلد وان الملك يدخل الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف
ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو الميالين الى فرانسة رئيسها علاء الدين
بك الدروبي ، وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح
الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يعرفون
بالملاك . فقلت له وكيف ندمتم به الى العاصمة ؟ . قال لم يكن هذا رأيي وانما هو
رأي جماعة الذين ورطوهم في مقدمتهم الدكتور فلان - وفي يوم الثلاثاء باقته السلطة
المحتلة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل . باقني ذلك بمساء العشاء
فذهبت الى داره لوداعه هل ما كان وقع من الجماء بيننا من قبل الانذار الفرنسي ،
الذي لا علاقة له بالردة الشخصية فوجدت في الدار أفرادا من الشرطة باقني انهم
حرس على اثاث الدار لئلا يورخذ شيء منهم . وكانت معي نصف ساعة أعجبني فيها
صبره وأمله ، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ايلاء وقد خرج بعد وداعي له بنصف
ساعة وحمله قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت ممجبا بما أدنى من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته مستمدا للحكومة العربية في بيروت الى ان عين وزيراً للعربية بانقراحي وسمي بمم بعض الاخوان: استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى هن رئيس الوزارة بل يسمي الامر الاعلى الملك فيما اظن ولما استندت لازمة - أنه هل هو مستمد للدفاع؟ قل نعم اذ ارافق الملك واذا خالفه لم يخشى ان ياجأ الى الاجانب.. ولما عين ياسين باشا الهاشمي قائداً لموقع العاصمة هتب الانذار واظهر لوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان به ولما اذرافق الوزارة على قرار التسليم طاب غورو - بعد هذا كما رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته ووجدته كلاماً شديداً ذكرته ببعض كلامه فقال روجه ممتنع كوجه الميت اني مذنب وأتحمل توبة عملي وكنت البارحة انصر من انعم فلا تزد علي . ولما خرج الى الدفاع عن بقي معه من قايما جيشه تزين ولبس ملابس الرسمية ووطن نفسه على الموت - فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيثر ذليلاً بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمراً جليلاً لا يجهله مثله ولا مثلي ممن لا يعلم من الحرب شيئاً ولذلك رغب الي الكثيرون ان اخطب في التطوعيين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فاستنمت - كما أبيت مراراً أن اخطب في لاجتماعات السياسة - وقلت لبعض الحواص انني لا أغش أحداً ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم ينفذ - على ان ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريفة ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة ان فيضلاً كان بمنقذ ان الوصاية على البلاد أمر مقضي وانه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تعفظ لاسقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وتأثير الى ان يضع الحطة - اقرار الاخير الذي كان يرى انه قد در على السعي الى حمل وطاعة الوصاية فيه خفيفة، ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد للدفاع بتظيم قوى المش ترولاً للجيش

النظامي ولم يكن يقتصد انه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعد للقتال ولو دفاعا وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش نظام بادر الى تسريحه عند الحاجة اليه ، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ لعدم الاضيقاد بتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطته وعمله مرارا في أوروبا وبلغنا انه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا .

وأما زعماء الامة الذين خالفوه فقد بينا انهم علموا بمد طول الاختبار ان الدولتين شرهتا في تنفيذ ما اتفقاهما من استعمار بلادهم فلا ولي أن تقارنهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفوسها اذاها جموها بالقوة ليكون مركزهم فيما مر كزائفة مسب وقبول الانتداب يجعله شرعا وأما الجنرال فوروك كانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصالحات والمشاثر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انكسارته التي يعدونه من صنائعها الخاضعين لها - فهو قد حارب الامير فيصل القائد الحجازي الذي بعده أجنبيا عن سورية لا نقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والرعاية الفرنسية ، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية .

الطور الأخير للمسألة العربية

ان ما تفاقم على الدولة البريطانية من مضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيانها دون حل عقدها أو عتدها منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لامراتها مع اصطناع من أمكن اصطناعه منهم والتמיד للتدخل الاقتصادي والفني بالتدريج ثم الاستمارة بأولائها ملاك الحجاز واولادهم في سورية وفلسطين والمراقمة والاهرافض عنهم وعدم المبالاة بهم اراخهم حريصة الزبلة بمكة بالاستمطاف والاستمارة والتذكير بالمهود والوعود والنجاة والحسبات البريطانية وعد حايثها الملك الخروج من مرضاتها مساريا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتثله في تدائها بقول الشاعر

• فان كنت مأكولا فكأن انت آكلي •

والفرض الأول من هذه السياسة والادارة الموقنة تخفيف النفقات عن كاهل دافعي الضرائب في بريطانيا العظمى الى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على اليهود الصيونييين ، والثالث إخضاع العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق وبولشفيك الروس اذا اصرروا على تنفيذ فكرة الجامعة لاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والمعجمية . وبأخذاً انهم أعادوا الراتب الشهري ملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الاخيرة الى لندن فجملوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء منير أشرف وزير المستعمرات البريطانية بمصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة حفاظ الطيران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استمضى لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ثم سافر الى فلسطين فأذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعده بلفور بجمعها وطنا قوياً لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكماً لشرق الاردن باتتبع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من ممتلكاتها السامي واعطاءه من القوة العسكرية والطائرات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها ونأمن ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التفريغ اللاسلكي وحظيرة الطائرات ، وبلي ذلك مد السكة الجديدة العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطائه حصه جبرك حيفا للداخلية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكريم وجيه عراقي لجعفر باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي جعفر باشا العسكري الذي كان احد قواد الشريف فيصل في حرب فلسطين وسورية وعهد اليه الانكليز في العراق بتأسيس الجيش الوطني بعد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لجمال الشريف فيصل ملكا للعراق وكان قد جاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايخين للانكليز وهو (المنار: ج ٦) (٦٠) (المجلد الثاني والعشرون)

(عبد القادر بك آل باش اعيان) وقد دعا هذا الوجيه طائفة من وجهاء مصر وسورية والعراق الى مجلة شامي في فندق شبرد تكريماً للجعفر باشا في ١٨ مارس ولما جاءته رزمة الدعوة خطر لي انه ربما كان لها معنى سياسي ولما جئت الفندق دعيتنا الى حديثه لاجل تصويرنا مع المحتفل به بمحتفمين فأبيت ذلك مع أفراد آخرين وبعد شرب الشاي استند شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي فارتجل قصيدة تناسب المناسبات واثني عليه صمداندي دغر الشاعر السوري المصري بأبيات مرتجلة في المجلس ثم دعي الدكتور فارس افندي نمر أحد أصحاب المنظم الى الخطابة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب بالثناء على الدولة البريطانية والشهادتها بالرغبة في ترقية الشعوب ونحو برها والاخلاص للعرب فيها وضوء من يدعة الانتداب قل ولدتني على هذا الاعتقاد فيهم قد انتدت عليهم تقسيم سورية وانبأت منه ورأيت ضاراً بالسوريين مفرقاً لهم ولم اكتم ذلك عنهم بل غابت عليه واضمح اساهه السر مارك سايكس المحب الخلع للعرب وكلته بذلك في هذا الشرق الذي نحن فيه فأجابني قائلانا اننا فعلنا هذا لمصلحة العرب أيضاً لانهم اذا ظلموا احد الفر يقين وشدد عليهم الوطأة احتجوا عليه بلين الفريق الاخر وحسن ادارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والعراق وعزم الانكليز على منحهما الاستقلال وما يجب من بذل كل خلاف في هذه السبيل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين تؤسسان في القطرين لانهما تجربة اذا فشلت قضى على الامة العربية والشرق كله بأنه غير أهل للاستقلال بنفسه . ثم ختم الخطاب بقوله انه ينتقد أن جميع الحاضرين على رأيه - فصفق له بعض الحاضرين ووقعته بالرد عليه:

خطبة الكاتب في المسألة

افتتحت خطابي بقولي اني متطفل بالخطابة لم أدع اليها ثم قلت : انه كان الظاهر من هذه الدعوة انها شخصية يريدونها المحتفل تكريم صديق له لاسباسية كما ظهر من خطاب الدكتور نمر . ولون الخسب بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول حمل الحاضرين على اقراره عليه وسلب الموافقة عليه بالاجماع لكننا في سعة من السكوت ولكنه قال انه يظن ان الجميع على رأيه وقد صفق

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار، والاجماع السكوتي مختلف فيه عند علماء الاصول بعضهم يقول ان حجة بشرطه والاخرون يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحضرة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على ما قاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اثر اعلان الخائفاء له وهو مطالبتهم بترك من بلادنا وتقويض امرها اليهم وتحسين الظن بهم فانضاررت الى معارضته وقتئذ كما اضطررت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك الحقل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا يزال على رأيه الاول بعد ان مزق الخائفاء شمل سورية وجعلوها بضممة ممالك اودول دينية فاوقد ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التزيق والتكيل في بلاد أعدائهم.

وأغرب ما جاء في خطابه الآن ما نقله عن السير مارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بانه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستعبادها، وهو ان هذه القصة التي قال الخطيب انه كان قد استأه منها لم يبعثهم عليها الا شدة حب العرب ومراعاة مصالحهم بما تكون قسمة بلادهم بين سيدين مالكين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهم وظلم، بفعل من أحسن ورحم، ولكن ماذا يعملون اذا اتفق الفريقان على الاسائة والظلم؟ وها نحن اولاء نرى وطأة بريطانية المظلم في القسم الغربي من سورية اشد من وطأة فرنسة في القسم الشمالي منها خلافا لاهود والمشهور في الاستثمار الذي ينهد فيلسوف فرنسة الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المذهب البريطاني فيه على المذهب الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بأن بريطانية زادت على ما شاركت فيه فرنسة من الاستئثار بادارة البلاد ان جعلتها وطنا قوميا لغرباء اليهود المسيحيين وقررت تملكهم رقة ارض البلاد باعطاءهم الاراضي الاميرية فيها التي شي ملك بيت مال المسلمين وأملاك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الائتالي وتريد أن تجعلهم أكثر اهل البلاد بالتدريج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد نجت اصوات اهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فإمتن عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع السير مارك سايكس في هذا الفندق عات منه ما يسرون ببلادنا وأما مشروع تأسيس حكومة وطنية في المراق تابعة لوزارة الخارجية

الانكليزية فهو لا يضر أحداً من العرب لأنهم يطلبون الاستقلال لا الاستعمار الأجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استعمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن الممارسة للحكومة فيه .

قرن الخطيب مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يطلبه الوفد المصري وأين هو منه ؟ ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخلها وخارجيتها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤولة لديه ومسئراء وقناصل في الممالك الأجنبية وأن يعقد بينها وبين انكلترا اتفاق أو بحالفة تحفظ هذه مصالحها وتكون متميزة بها على غيرها من الدول فإذا كانت انكلترا تسمح بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جديراً بأن يقبل بالتعظيم الواجب

(ثم بينت ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تتخضع بخلافة الالفاظ ولا يمزجها الا جمع الكلمة واتحاد كاتحاد الشعب المصري بين ابناء الملل والمذاهب والا أضاعت نفسها)

قلت : واني أذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير المخابرات البريطانية بدمشق اذ كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عند لحيته مع بديع افندي الحوراني — ولعله ممناهما — ودار الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أترى ان سورية تستغني عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء وال عمران الى الدرجة التي تجرئه على القول بأنها تستغني عن مساعدة فلا مندوحة له عن الاعتراف بحاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الوصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالافراد لا يستغني بعضها عن مساعدة بعض — فهذه بريطانيا المظلمة التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسمة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترف ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بأنها محتاجة الى مساعدة رجال من الالمان على تنظيمها — روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتس ورك) قالت انه شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في تحاورها معه بضمه لابن أخته (غليوم) عاقل الالمان فذكر ذلك وذكر لها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام وتبني

لو أن معه رجالاً منهم يتولون إدارة بلادهم ولا يكرهون إذا جاؤا لا يخرحون، قد ترجمت هذه المقالة بالعربية و نشرت في مجلة المشرق المصرية (١) فإذا كان منكم يقول بأنكم تحتاجون إلى مساعدة أمة أخرى، هل أقول أنا انشالاً نحتاج إلى مساعدة غيرنا ممن نعرف بأنهم أعلم منا وأرق في تفكيرهم، لا والله أقول أن المسألة مسألة دفع للمساعدة، انكم تطمعون في استثمار البلاد والسيادة عليها وتسمون ذلك مساعدة لإقامة الحجة وتروين الخطاب عليه، ان المساعدة بمنهاها اللغوي المعروف من أعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فإذا ساعدت فقيراً على مدينته بأعطائه جنياً فلا اقاوم ولا اخاصم من يعطيه جنياً او من يشر جنياً . فما بالكم تختصمون وتتسارعون في قسمة البلاد التي تدعون الرغبة في مساعدتها، ثم ان الاقتناع بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح فما بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المساعدة بجميع انواع الاسلحة وتفتكون بهن لا تخضع لكم من شعوبها

ثم سألته بشرفه واستقلاله الكسوي أي المطلقين خيري في حفظ الامن العام والحرية الشخصية وعدم التعصب بالدينية والمذهبية، المنطقة الشرقية التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالادارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها الفرنسيون، فأعترف بتفضيل المنطقة الشرقية في ذلك : فقلت اذا يكون

التي ساعدتكم الى مساعدتهم فسعدك وضحكنا
كنت أحب أن أظن القول في هذا الخطاب بما أشرت اليه من
الاتحاد والتعاون بين شعوبنا والتعاون بين شعوب المنطقة الشرقية الذي صر به
مثلاً لياً للشعب السوري وبما ينفقنا من وحدة الزخامة ولكن خشيت من
الحاضرين الذين فوجئوا من السياسة بحالم يكن ينتظروهم أكثرهم، ورأيت ان
أترك وقتاً لغيري فأكتفيت بالإشارة

وفي تمام ما بيدي عيدا فندي كامل الخطاب المصري المشهور فألقى خطاباً
بليغاً فيه ما يكفي القاع للغة مما كنت أحب السلام به من وجوب التعاون
والولاء بين شعوب المصري الممتاز بخدمة الكثرة في سائر الشعوب العربية

(١) راجع ج ١٩١٦ من المجلدات و ج ١٩١٧ من المنار وليس
عبارة الملك المترجمة «ويأجبنا لبحكمنا الامن لمدة السكوية لاصلاح ادارتنا
والكس المصيبة انهم اذا اتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم»

وتوسع أيضاً في السياسة الانكليزية وما لها من المصلحة والمنفعة في اجابة النصب
المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بحقها في الاستقلال التام . فكان خطابه
تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الوتر فتكلم في المسألة
الاولى وأجاد

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالذكر المعتاد وشرع الحفل المجتمع
في الانصراف وقف الدكتور عبد الرحمن شاهيندر على كرسي واستوقف الناس
لسماع كلمة منه فوقفوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يغلب عليه التشاؤم
وهو يحب ترجيح التفاؤل ، ثم اني نرى المصريين ومصر ملجأ الأحرار بما رجح
ان يزيد الولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاد

وانني اعترف بسبق كلمة صديقي الدكتور شاهيندر وان كنت انكرت
في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول اني كنت منذ اشتغلت بالسياسة
غيدارا في السياسة الاوربية والمسامح الاستعمارية (الضيدار هو الذي يسيء
الظن فيصيب) يملب علي التشاؤم من مساعيهم ولم أرفها بحسب
للتشاؤل وحس الظن كما شرحته في هذا المقال ، وانني لم اختلف مع صديقي
الدكتور شاهيندر في مسألة من المسائل التي كنت فيها متشائماً وكان متفائلاً الا
وشهر اني كنت السري فليتذكر أول الخلاف في اثر قدومه من العراق الى مصر
وأوسطه وأخبره في دعوته اباي مع آخرين الى امضاء تقريره الممهور ، وفي
مؤتمرا في هذا الاقتبال

ختم المقال بالتشاؤل بالمال

واختم هذا المقال بقولي اني مؤمن برب اليأس من روح الله والقدر من رحمة
كفرا ، وانني لا يمني التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سمي فاننا لا أزال
أرجو اقناع الدولتين المقتسمتين لبلادنا الهاضمتين لحقوقنا بأن الخير لها والمدنية
والانسانية ان يتركونا احرارا في بلادنا حاكين في شعوبنا وان يساعدونا على
ما يريد من همران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية
والادبية . ومن سوء الحظ ان كان سمي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ،
وأرجو ان أوفق للسمي مع احرار المصنفين منهم وهم والله الحمد كثيرون
وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حفيظة أمور الشرق من احرار أهل ولا يكتفوا
ببلاغات السياسة الاستعمارية وما يختزله أهلها من أقوال مديري الخبايا لهم

أود لو يعلم أحرار فرنسا الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يعتبرون
الامة العربية بل السواد الأعظم من العرب ومن مسلمي الاطاحم غير راسين
عنهم وأنه ليس من مصلحة فرنسا معاداة هذه الامة في هذا البيت منها ونة
بجملها خصا للترك ، وأنه لا يمكن أن تنال دوائهم عطف العالم الاسلامي مع
مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكلترة ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يفتروا باستخدام
مستعمرهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة
ويرضونها باستعمار بريطانيا لبلادهم على أن الايام ستعلمهم ما لم يكونوا يعلمون
وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا منناه لم يقصر
أمراً مقضياً ، وأن عصبة الامم لن تكون الموبة بيد المستعمرين ، وأن الرجا
في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على
أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على
المستضعفين رجا قوي يزيد العلم به والسمي اليه قوة ولا بقاء للعمران
بدونه — (فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفر الناس فيمكت في الارض ،
كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبرأؤها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه
الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة حلفية يحفظ بها استقلال كل منهم ويعود به
مجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بجمعها
بين الرفاهة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان
نفسه التفريق وتفريره لهم بالمال والمال (يعدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان الا غرورا)
ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعونه باسم الله تعالى لما
يحبيهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض
مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم المصيبة الدينية والمذهبية ، وليعتبروا بانخوانهم
الترك ، الذين قضت عليهم مما هدت الحرب بالزوال والحق كيف تحولت حالهم بجمع
الكلمة والدفاع عن البيضة الى ان صار الحلفاء القاهرون لهم ولا خلافهم الذين
كانوا أقوى وأعز منهم يعدمونهم خطرا عليهم ، ويتساقطون الى لاسان مدمهم أو
التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفخار ولم يوجد
في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والمار ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

قرار لهيئة الأمم في الانتداب

قررت لجنة عصبة الأمم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة العثمانية في ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقدمها للهيئة العامة وهي

(١) لا يسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة لزيادة قواتها العسكرية
(٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لا تستخدم القوة التي يمنحها اياها الانتداب لتثبت هي أو أصدؤها بموارد البلاد الطبيعية وتستمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم

(٣) يوضع نظام أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنظر فيه عصبة الأمم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه

(٤) يجب أن تنشر جميع مذكوك الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها
﴿ مصائبنا بولينا وهم ﴾

لجئنا في الليلة الرابعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدا الصغير (اهام) بعد مرض طويل بل امراض متوالية أوها وعكة برد ورطوبة تلاها سعال عاذي انقلب سملا ديكيا حرمة المنام والطعام عدة أسابيع اذ كان يقي عما يأكله غالباً فتضعف جسمه وقل احتمائه واصابته في هذه الحال الحصبة وانتهت بانثأثير المجهود لها في الامعاء وكل ذلك من مواعيد قبول الغذاء، وبقي أياماً كثيرة لا يطلب الا الماء؛ فله ما أخذ وشه ما أعلى، ان العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرضي ربنا، وانا برفاقتك يا (اهام) لحر ونون «انا لله وانا اليه راجعون. اللهم اجبرني في مصيبتني واخلف لي خيراً منها» اللهم اجعله فرطاً لنا وذخراً، واجعل مصائبنا به أجراً ورحمة، ولا تجعله فتنة. واجعلنا من الصابرين المهتمدين
(تاريخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف الصحة ومرض جميع الاولاد وسهرنا على تمريرهم ثم وفاة صغيرهم (اهام) ما اقتضى تأخير صدوره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من الجلد أربعة أجزاء صدر ان شاء الله تعالى في أواخر الاشهر الآتية ذي القعدة وذو الحجة والمفرد وسنر فيكون أول جزء من الجلد الثالث والعشرين في ربيع الأول كما صدر أول جزء من هذا الجلد فيه

المسحاة

١٣١٥

فبشر عسادي الدين يستمعون القول
فيتمون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

بوتني الملكة من يقاه ومن يقاه
فقد أوتي خيرا كثيرا وما به
إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوي « ومنازل » كمنار الطريق —

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٩ - ١١ الأسد (ص ٢) سنة ١٢٩٩ هـ : أغسطس سنة ١٩٢١

الخيال في الشعر العربي

٦

الغرض من التخيل

مادة النفس الارتياح للأمور تشاهده في زي غير الذي تمهده به ، والتخيل يأتيها من هذا الطريق فيعرض عليها المعاني في لباس جديد ويحليها في مظهر خير مألوف

فللتخيل فائدة عامة لا تتخلى عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقي المعنى بارتياح له وإقبال عليه ولو كان من قبيل الحديث المألوف أو المعلوم بالبدهة . وانظر ان رمت الثقة بهذا الى قول الشاعر

أخذنا باطراف الأحاديث بيننا وسالت باعناق المعنى الإباسع
فالمعنى الذي صبغ البيت لتأديته اثنا أخذنا نتناوب الحديث والإبل تسير
(المنازل ج ٧) (٦٢) (المجلد الثاني)

مسرعة في الاطماع . وهذا كما رأيت معنى مبذول وحديث لا يختص به طر
سبيل دون آخر ولولا ان الشاعر اورد في هذه الصورة التي خيلت اليك بطا
تدفق بسيل من اعناق المطايا لم ينل عندك هذا الموقع من الخطوة والاستحسان
قد يكون للمعنى في ذاته وجه يدهو تمس السامع الى التفرغ عنه ، وصناعة
التخيل تبقى له أثرا لذيذا في النفس فتأنيها اللذة من ناحية غير الناحية التي
يجي منها النفور ، فلو سمع اشياخ ابن بقية قول عمارة اليمني شامتأ به وهو مصلوب
ونكس رأسه لكتاب قلب دعاه الى الفؤاية والضلال

لوجدوا لهذا البيت في أنفسهم ألما بليغا يدخل عليها من جهة القدر في
كرامة رجل امتلأت صدورهم باجلاله ، وهذا الالم لا يمنع من ان يبقى البيت
في نفوسهم أثر لذة تسرى اليها من جهة التخيل وان كانوا لها كارهين . وما
قلت في بعض الخطرات : قد يهذب السياسي حاشية ظلمه فيكون كالبيت البليغ
يؤثر في نفس من يهجي به لذة وألما

قد يبدو لك ان هذه الفائدة العامة انما تتحقق فيما اذا كان المعنى مبرورا
للسامع من قبل التخيل كوصف حال القمر والكواكب والبرق والسحاب
والرياح والانهار ، والمقلة والشعر والقلم والدواة ، او حال الرجل من كرم وشجاعة
وعلم وغيرها من الخصال اذ يصح ان يقال ان التخيل قد مرض على السامع
هذه المعاني في صور حديثة . واما الوقائع والاحوال المجهولة فلم يعرفوا لها
صورة من قبل حتى تعد الصورة الخيالية جديدة وتحدث في النفس لذة زائدة
من لذة العلم بأصل المعنى

والجواب ان المعنى الذي تتلقاه من الشاعر دون ان تسبق لك معرفة به
قد يلقيه اليك بوجه صريح ثم يدخل به في الخيال كما هي الطريقة الشائعة في
التشبيه والتخييل ، وعد التخيل في هذا صورة جديدة بالنسبة الى الصورة التي
تقعها التصريح أولا مما لا تترك فيه شبهة

وقد يلقيه لاول الخطاب في صورة خيالية وهذا مما يصح عده في الصور
المستجدة اذ للمعاني صور اصلية وهي التي ترسم في النفس لاول ما تدرك
للمعنى بمشاهدة او وجدان فالنفس تشر حال تلقيها للصورة الخيالية ان المعنى
الذي تحمله اليها صورة أخرى هي الصورة البسيطة التي يمر عنها القول الصريح
وليك تقول بعد هذا ان صور المعاني تختلف ما اختلفت العبارات

سواء كانت تصريحية أو تخيلية فالصورة التي يعطيها قولك: زيد يكتب. غير الصورة التي يفصح عنها قولك زيد يخط بالقلم على القرطاس، وكل منهما صريح لا مدخل فيه للتخيل وإذا كان التخيل يلذ للنفس من جهة أنه يكسر المألوف لساناً جديداً فيمكن لنا أن نصوغ للمعنى عبارة صريحة غير التي يعرفها المخاطب فيأخذ بها صورة جديدة، ولا يفوز التخيل بهذه الفائدة ويختص بها دون التصريح والجواب أن الصور التي تنشأ من العبارات الصريحة وإن تفاوتت في مواقع البلاغة واختلفت بالإيجاز والأطناب لا تعد كما تعد الصورة الخيالية غريبة عن المعنى المراد، إلا ترى أنك تعرض المعنى الواحد في صور خيالية متعددة والضمير واحد فيجد السامع عند كل صورة داعية لذة، ولو أقيمت المعنى في عبارة صريحة ثم بدا لك أن تخرجه في عبارة أخرى تشاكلها في الصراحة والمخاطب وأحد لقيت في نفس المخاطب سامة لأنك لم توافقها بصورة غريبة تخيل بها أنك تعبر عن معنى غير ما ألقيته عليها أولاً

فلا أنكر أن الصور في العبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف العبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما تشتمل عليه من المعاني الزائدة عن أصل المراد وإن هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة وإنما اذهب إلى أن تلك الصور وإن احكمت فسقتها واصلت اليها من المعاني ما يرتفع به شأنها لا تهيج في نفس السامع هزة الطرب التي تثيرها العبارات الخيالية فالعبارات الخيالية تشارك العبارات الصريحة في جودة نسجها واشتمالها على المعاني التي ترتقي بها في مدارج البلاغة ويزيد عليها بآراء تلك المعنى في صورة بدلية تتمشقها النفس وتهتز لوقعها طرباً

ثم إن التخيل لا يخلو في أكثر أحواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون مرفقة بالمخاطب له أقوى وفهمه إليه أسرع، وهذا مما يجعل النفس أوفر وأرتياحاً له أكل

ولا احسبك تعلم من هذا الوجه في شبهة أو تقف في حيرة حين ترى الوجه السابق يقتضي أن لذة التخيل جاءت من غرابة الصورة وهذا يقتضي أن انبساط النفس لما جاء من جهة ألفها وكثرة التردد عليها فإن غرابتها بالنظر إلى المعنى المراد لا تنافي أن تكون مرفقة بها أو عناصرها أجل لدى المخاطب في ذاتها. فالناصر الذي يقول

كان شمع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع .
 دنائر في كف الاشل يضيها . لقبض فتهوي من فروع الاصابع .
 قد خيل اليك حال تدفق الاشعة وقت الغداة وتجليها على الاوراق في صبغتها
 الصفراء في صورة دنائر يضم عليها الاشل يده ليقبض عليها فتسابد بين
 أصابعه متساقطة الى الارض . وهذه الصورة بالنظر الى مسلك الحديث وهو
 حال الاشعة غريبة ولكنها في نفسها جليلة اذ السامع للبيتين وان لم يتأمله من
 قبلها دنائير تقتار من يد الاشل فان المواد المولدة منها الصورة كالدنائر ويد
 المرتفع من اوضح معلوماته .

وللتخيل بعد هذا اغراض خاصة يرمى اليها الادباء ويتفانون في التمكن
 منها ولا يسر هذا المقال سوى ان نذكر بمهماتنا فنقول
 قد يقصد الشاعر من التخيل تقوية الداعية الى الاخذ بالشيء حيث يصوره
 بصورة مالا يستغنى عنه كما قال بشار

فلا تجمل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة القوادم .
 ضرب المثل للشورى في تثبيت الرأي واقامته على وجه السداد بالخوافي
 من الجوامح حيث تساعد القوادم على الطيران ، وهذا التمثيل يلقي في نفس
 السامع انه محتاج الى الشورى حاجة القوادم الى الخوافي ويؤكد داعيته الى
 العمل على سنتها او الحث على الثبات والصبر على الامر حيث يخرجها في مثال
 مالا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه كما قال بشار ايضا

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لاتماتبه
 فمض واحدا او صل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
 اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربهم
 فالآيات مرسومة في الارشاد الى تحمل ما يصدر عن الاخوان من جفاء او
 هفوة فضرب لهم المثل بالشارب حيث لا مندوحة للانسان عن ورودها وهي
 لاتصفو له سائر حياته بل يصادفها في بعض الاحيان كاشفة له عن وجه كالح
 وماء كدر ، يلجئه الظما الى الشرب منها ، واغضاه الجفن عن اقدائها ، فهذا
 التمثيل يريك انك لاتستطيع ان تمش مستقلا عن الاخوان وان ليس في طبيعتهم
 ان يسروا في مرضاتك بحيث لاتتلاق منهم طول حياتك الا ما يلائم طبيعتك
 ويوافق رغبتك ، ومقتضى هذا ان تعد يدك بعري صحتهم وتغضي عما يمرض

لم في بعض الاوقات من جفاء او يزولن فيه من عثرات

او التحذير مما يرغب فيه كما قال ابو نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

لو ذهب الى ذم الدنيا صراحة وهي حلوة خضرة لم يأخذه السامع بماخذ التسليم

والكران يكون في لذيتها المذاق جميل المنظر ما يجب الحذر منه فمدل الى اخراج

الذم في مثال يريه كيف يتربى الشرير في الخير ويظهر المؤذي في بهيمة ما يمد قافعا

او تخفيف الرغبة فيه وتقليل الاهتمام به كما قال المعري

وان كان في لبس القتي شرف له فاسيف الاعمى غمده والحمائل

فن تثلث له الملابس بمنزلة الفمد والحمائل من السيف لم يطمح بنظره الى

تثنيها او يحمده سميح في اتخاذها من النسيج الفاخر وانما يصرف همه الى

ما تسمو به النفس من علم وفضيلة كما ان البطل لا يمتد بالغمد والحمائل وانما يقبل

على السيف فينتق وسعه في اجادة صنعه وارهاف حده

او التسلية كقول صاحبنا الامير شبيب يسلي البارودي وهو في المنفى

ان يحجبوك فما ضر النجوم دجى ولا زري السيف يوما ملي انقاد

لا بأس ان طال نجر السعد موعده فاعذب الماء شربا في فم الصادي

اراد ان ينفث في نفس مراسله كلمة تحمل منها عقده الضجر وتطرد عنها

غيم الوحشة فذكره بأن ماجرى عليه من التفريب والاحفاء من أعين من القوم

والفهم قد ابتليت بمنزلة الكواكب فلم يحسبها بنقيصة ومنيت به السيوف فلم

يضع من قيمتها فتلا . ورام بعد هذا تخفيف ماعناه ان يساور قلبه من لوعة

الحنين الى الوطن، والهيم بما طال عليه من الامل، فقام له مثالا من حل الماء

حيث يكون مذاقه في فم من بعد عهده به . وهو الطمان - الدواشمي

ومما صنعت في غرض التسلية

بثت شعاع علمك في نفوس تسوق اليك ما استطاعت حنونا

كذا الاقمار تكسو الارض نورا ولولا الارض ما لقيت خسونا

او ازالة ما يخالف النفس من النور عن الامر او عده عيبا كما قال الفرزدق

تفريق شيب في ثياب ناعم وما حين ليل ليس فيه نجوم

ضرب المثل بنصر الاسود لتحلله شعرات من الشيب بحال ليل داج تتألق

في مائه الكواكب ليخيل ان الشيب مما يحدث في الخلقه حسنا ويريد هابهجة

حتى يضع الانس به مكان التجافي عنه . ومن هذا القبيل قول قابوس
 ياذا الذي بصروف الدهر غيرنا هل عائد الدهر الا من له خطر
 أما ترى البحر تظفر فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
 وفي السباه نجوم لا عداد لها وليس يكف الا الشمس والقمر
 او الدلالة على ان الذي تمكى عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى لتسدي
 له في نفس المخاطب اجلالا واشفاقا او تحقيرا له او جفاء عنه ، ويرجم الى هذا
 الغرض كثير من التخييلات الواردة على طريق المبالغة في المديح والقصص والاعتذار
 والمجاء والوشاية وامثلها كثيرة الدوران في كتب الادب والبيان
 وقد يكون المعنى مما لم تتداوله الافكار وليس من البعيد ان يلاقه
 المخاطب بالتعجب الذي هو مطية الانكار ، فيجبي التخييل عقب هذا لازالة
 التعجب منه ويبان ان وقوعه داخل في حوزة الامكان وهذا كما يقول أبو
 تمام الاندلسي

لا يفخر السيف والاقلام في يده قد صار قطع سيوف الهند للقصب
 فان يكن أصلها لم يقو قوتها فان في الحمر معنى ليس في العنب
 ادعى في البيت الاول ان القطم الذي عهدت به السيوف قد انتقل الى
 الاقلام التي تهزها يد معدو حه فلم يبق للسيوف خصلة تفاخر بها ، وليست هذه
 الدعوى من الجلاء بحيث تفتح لها النفوس باب القبول بسرعة واول ما يطمئن
 فيها ان الاقلام منتقة من القصب وهي اوهن من المصارع السيف ومضاه
 فاحتاج الى تأييدها بما يدفع الشبهة ويحشرها في زمرة الاقوال المسلمة فضرب
 لها المثل في البيت الثاني بالحمر التي هي عصارة العنب وقد امتازت عن بقية
 العصير بامضاء نور العقل واطلاق اللسان يخبط في فلاة الهذر خبط عشواء فصارت
 بهذه الخاصية حقيقة قائمة بنفسها ومالكة لقوة لم تكن في جنسها

وقد يكون المعنى مما تألقه المنقول ولا يتثبت به في سياقه ما يمر السامع
 الى ارتياب او يحمله على انكار وانما يقصد الشاعر الى ايراده في مثال واضح حتى
 يقع من نفوس السامعين في قرار مكين ومثال هذا قول سيف الدين بن المشد
 ان ترقى الى المال اولو القصد ل وساخت تحت الثرى البغواء
 نجاب المدام يملو على الكا س محلا وترسب الاقضاء
 فارتفع الفضلاء الى المراتب المالية وهبوط أهل البغى الى ما تحت الثرى

ليس في نفسه بأمر يتمجب منه أو يتلقى بانكار لما كانه بارتضاع الحباب على وجه السكاس وزول الاقذاء الى اسفله انما كانت مؤكدة له ومنسحة عن مناسبتة للحكمة والطباقه على سنة الله الجارية بارتضاع المناصر النقية ورسوب الاجرام المتخففة . ومما صفت على هذا النمط

لا يالف المرثعبا لج في وسن من الخلاعة لا مسمى ولا أملا
كالدر يزهر على صدر المنة وان دب النعاس الى اجفانها اعتزلا

ومن الدواهي الى التخييل تخصيص بعض السامعين او القارئين بفهم المعنى اما لفضل المعية او لان في يده من القرائن المساعدة له على التنبه ما ليس في يد غيره فلو حاورك انسان في أمة من الناس اقاموا على فريق من أموالهم رقباء فأردت ان تذكر له ان أولئك الرقباء لم يحرصوها بعين الامانة حتى تناولها قوم ملاؤا منها حقائبهم واثروها في سبيل شهواتهم فكتبت اليه على مثال ما كنت قلت

يارباضا خابها الحراس اذ غرقت احداقهم في وسن
سرت ربح الصبا منك شدى طاب وانساب به في الدمن
لم يستطع فهم ما أردت من الكلام الامن دارت يدك وبينه تلك المحاورة
وقد يذهب الشاعر الى التخييل لقصد التهم كما قال المعري يتهم عن يحكي ان
أول من شاب ابراهيم عليه السلام

ما افجع المين قلم لم يشب أحد حتى أتى الشيب ابراهيم عن أم
كذبتم ونجوم الليل شاهدة ان المشيب قدما حل في الامم
فكانه يقول هذه الرواية الملفقة ليست اهلا لان تقابل بغير هذا الرز
القائم على الخيال . ويقرب من تخييل نجوم الليل بالمشيب قول احمد بن دراج
القطلي يصف الجرة

وقد خيلت طرق الجرة انها على مفرق الليل البهيم فتير
وربما لا يمجد الشاعر داعيا الى مسلك التخييل بمدبسط النفس سوى التنبيه
على ما بين الماهي من المناسبات الخفية او مجازاة البلفاء واقامة الشاهد على
الحذق في هذه الصناعة ، وما يرمي الى أحدهذين الترخين ما يمتلئ به الاباء في
وصف بعض المناظر الفطرية كالسكواكب والحدائق او الصناعية كالشمعة والسفينة
محمد الخضر

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدأنا مرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية ثم كنا نترك نشره لسبق الجرائد اليومية إيانا إلى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما بل جاؤا بالذرة، وأذن الجرعة كما قيل في المنزل - فان كان أكثر ما كتب لم يخل من تحريف الجدل أو تحيز إلى فئة فذلك أخرى باستقصاء أصول المسألة وفروعها - فنكتفي إذا باستخلاص الزبد من الخيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بحكمات وجيزة نحرز في المفصل، ونعطي قارئها من الموعظة والاعتبار والجسم ما لعله لا يجدد كله في غيرها

مقدمة وتمهيد

(١) قد سبق الذكاء الفرنسي الدهاء الانكليزي إلى معرفة مكانة مصر من ارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة قد اليها حكامه نابليون الاول نابغة عصره في الذكاء والاقدام، ولكن الدهاء الانكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم اعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة مصرية، فمارضتها انكلترا بنفوذ الدولة التركية، حتى وقفت مدها، وأرجعها إلى ما وراء حدها، ثم تعاون الدولتان على ارهاق مصر في زمن اسماعيل، ثم سبقت اداهما إلى احتلالها في عهد توفيق باشا.

(٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية محضه الحار كم الأعلى لها شارع ومنفذ ومالك متصرف في البلاد وأهلها تصرف السيد المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى ان تتكون في ظل هذا الحكم بهذا العصرية، ولا ان تمتاز دولة، بل يهدم مستبد مفسد، ما يناء مستبد مصلح، كما هدم اسماعيل المبذر، ما أسسه محمد علي المعمار. حدثني المرحوم حسن عبد الرازق باشا ان قيمة اطيان القطر المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة اسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للاجانب

(٣) ان غايات الاضداد تتصل بمبادئها ففي عهد اسماعيل الذي انتهى إليه الاستبداد في محن ثروة البلاد وفساد الاخلاق - ررع وبت فرس الاصلاح الاجتماعي والسياسي والادبي بأرشاد حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين

الافغاني مؤسس الحزب الوطني الاول في مصر ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة ، ولكن بريطانية المظلمى كانت بالمرصاد لهذا الاصلاح المنوي ، فناوئه كما ناوت ذلك الاصلاح المادي ، فأغرقت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بمد ان كان قد عاهد - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الاصلاح ، ومنه جعل حكمة البلاد نياية وتعميم التعليم وغير ذلك ، ولكنه قال عند خروجه من مصر انه ترك فيها من يتم ما بدأ وهو مريده الذي احاط بمبادئه ومقاصده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٤) تجدد في البلاد عهد الاصلاح المادي والمنوي معا في اول اماره توفيق اذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذو الفطرة الناهرة والوطنية الصادقة التي لم ترمض في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع اخلاقه وفضائله واستقلاله وعدله واصلاحه الاداري وان وجد فيها من الوزراء وغيرهم ألوف فاقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض الشؤون التي لم يكن يعرفها - فقام هو باصلاح المالية والادارة خير قيام . وولى الشيخ محمد عبده ادارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية فتوسل الشيخ بهذا الى اصلاح لجنة الصحف والدواوين ثم الى اصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فصلناه في ترجمته وترجمة رياض باشا ولكن كان من سوء حظ مصر ان وقف سير هذا الاصلاح بالثورة البرابية المشؤومة بالاحتلال الاجبي قاتل الامم ومفسد الشعوب ومذل البشر

(٥) توسل الانكليز الى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه وتفوزده ، وخداع اوربة بايهامها انهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ أموالها ومصالحها ، ولما تولى هؤلاء وأولئك بأن الاحتلال موقت لا تقصد بريطانية المظلمى فيه لنفسها انما ولا تنوي سيادة ولا أثره ، وانما تنوي خدمة مصر واوربة والانسانية . وياستلخدعوا البشر بمثل هذا الايهام . ولم تعرف عامة أمم الارض رياءهم وخداعهم الا في هذه الايام ، ثم طمقوا بكونهم تفوزدهم بالتدريج ، ويسيطرون على الادارة والقضاء والتعليم ، ويسبون اخلاق العامة بالاباحة التي يسونها الحرية الدينية . واخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواتب العظيمة ، ويغنون على الشعب بأنهم المنقذون له من ظلم الترك واعوانهم ، والمعدون له للاستقلال الذاتي

حتى اذا ما استمد له ثروا له بدماء مصر ساعدوا ما كانت البثور
متوجهة اليه من اصلاح الري ورفية الزراعة ليكون البلاد ينبوع ثروة لهم ،
ولكنهم ندموا اخيرا انهم لم يحولوا دون تعصيل بعض الاهل للثروة الواسعة
في بلادهم كما يعلم مما يأتي

(٦) ظل الانكليز يهدون النيل باسم مصر الى مستعمراتهم مدة ثلاث
قرن و ينتظرون الفرص كدأهم ، حتى اذا ما اشتملت نار حرب المادية المادية
الملعمونة واذنوا الدولة العثمانية بالحرب ، انزلوا لانفسهم ما كان لها من السيادة
على مصر ، واعلنوا حمايتهم عليها ، وانفقوا أيديهم في رجالها ، وأموالها وغلاتها ،
وحيرها وجمالها ، بل تصرفوا في كل شيء للحكومة وللأمة واستخدموه في
حرب الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على البلاد التي لم تكن تستخدم
في سيادتها أحدا في نفسه ولا تصادره في شيء من ماله ، حتى ان الحملة التي
وجهت الى فتح فلسطين في آخر حرب صليبية — كما وصفها رئيس الوزارة
البريطانية (لويد جورج) — قد سموها الحملة المصرية ، وقد كانت هذه التسمية
حقا وان فسد بها معنى آخر خفي — وهو الأخذ بشار قلب الأسد وسائر
الصليبيين الذين كسروهم مسلمو مصر وغيرنا بقيادة صلاح الدين (قدس الله
روحه) وانتزاع البلاد المقدسة من أيديهم ، فحملت مصرية حين الامام ابن فيها من
شيان مسلمي مصر وجل المال الذي سبق ديارها على السكك الحديدية وغيرها
من مال مسلمي مصر — كما أنه تم مساعدة أشهر الأمراء المنسولين الى بني
الاسلام ، عليه وآله من دونهم السلام والاسلام ، ولو فسدوا بالتسمية ممناها
الحق ، لما صح ان يجازوا المصريين باسم مصر ، بل لوجب ان يشاركونهم بهذا
التمتع ونحوه ، اللهم ، نظام حكمنا الذي هو هذا كالحكم الانديهم مثل هذا
الخط بل أكر منه في حكم السودان نحن ما به يشاركونا مصر في فتحها الثاني
له بعد اجبارها على تركها لبلادنا وان لم يوافقوا في هذه الشركة بالعلم ،
وجعلوا المصريين فيها العرب كما ينادون في القضاة على ان لا يفتق على هذه الشركة
بينهم وبين المصريين ، فلو كان في ذلك شيء من العدل ، وان كان مدان
امتنع من ذلك ، فلو كان رئيس القضاة قد وافق ان يفتق على ذلك في مصر من
محس القضاة ، فلو كان هذا حتى يكون عناية خاصة في بلاد
وغيره ، وفان هذا لا يمنع أن يكون في القضاة في بلادهم على شره

وزايمته واستقلاله ، على ما كان من منصف ارادته مهم واستسلامه
الحماة البريطانية والوزارة الرشدية

(٧) أعلنت بريطانيا المنامي الحماية على مصر بالاتفاق والمواطاة مع وزارة
رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها. وهذه الوزارة هي التي مكنت
للانكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والامة من
الاعياز والمنافع والاباني والدواب والانعام، ولولا هالما استطاع الانكليز ان
يستخدما زهاء ألف شاب مصري وينتفعوا بما يقدر بألوف الألوف الكثيرة
من الجنهات، وقد نقل عنها انها لم تفعل ذلك الا عن وعدة وعدوها اياها وهي
منح البلاد الاستقلال الاداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها اول من خدعته
الوعود البريطانية فنقول انهم لا يفقهون السياسة وأخاديمها — ولما انتهت
الحرب وزال الخطر عن بريطانيا المنامي واحلافها، وشمرت بأن أزمة سياسة
العالم صارت في قبضة يديها، قلبت لمصر ظهر الحن وشرعت تمهد السبيل لضمها
الى املاكها، والاجهاز على لغتها العربية التي طالت عمارتهم لها واستبدال اللغة
الانكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها التشريعية والتنفيذية
للانكليز وغيرهم من الاوروبيين، والتبعض على ناحية الثروة والمواصلات التي
هي شرايين الحياة الادارية والمالية في الامة — وقد ظهرت مبادي هذه
المقاصد في عمل اللجنة التي أنفت لوضع نظام لالغاء الامتيازات الاجنبية
وحصر النفوذ الاجنبي في البريطانيين وقد كان عدلي باشا عضوا فيها فلما
رأت ذلك وزارة رشدي ظهرت ان هالك مصر بالاستعباد للانكليز واقع على
يديها، فكبر عليها الامر، وسدت في وجهها منافذ الحيل، حتى ظهرت مبادي
النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله

تأليف سعد الوفد ومساعدة رشدي وعدلي

(٨) ان خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسمى لاستقلال مصر باسم
الوفد المصري معروف، ومشايمة وزارة رشدي باشا له غير مجهولة، وقد كانت
قيمة مساعدتها حق السابية ثمينة، وأمن بالاجبية منهم مقاومته عند اخذ وثائق
التوكيل من ممثلي الامة للوفد بطالب الاستقلال التام. وقد حاول مستشار
الداخلية الانكليزي منع هذه الوثائق فلما لم يستطع استخدام الوزارة
فيه كان عمله أبطر نافسا فكان هذا من اظهر الشواهد على عجز الانكليز عن

التصرف في الامة بأنفسهم، فهم لم يعملوا شيئاً ضاراً ولا نافعا الا بأيدي المصريين . ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن توافلوا وتعاهد على السعي منه الى الاستقلال التام الذي التزمه اذ لم تكن ترجو هذا وانما رأت ان قيامه بهذا الامر يكون وسيلة لها الى أحد الامرين اما الحصول على استقلال اداري واسع مع الارتباط بالامبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند اعلان الحماية - واما اثبات وطنية افرادها لتعلم الامة ان وافقها للدولة البريطانية على اعلان الحماية ومساعدتها اياها على استخدام قوى الحكومة والامة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد يغفر لها خطأها فيه حسن النية والتكفير عنه بمساعدة الامة على طلب الاستقلال

الاستمداد للاستقلال وأسبابه

(٩) ان استمداد الامم للانقلابات الاجتماعية التي يظهر بها اتقائها من طور الى طور انما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي اليه او ما سترتب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص ، وان رجال الاستعمار من الافرنج يراقبون الشعوب التي يسودونها ليعملوا بينها وبين الاعمال التي تجتمع بها كامناتها فتكون أمة مستقلة بالاستمداد بالقوة، الذي لا بد ان يتبعه الاستقلال بالتفصيل فيصرفونها عن هذه الاعمال ويشغلونها بغيرها بقدر علمهم واجتهادهم ، وقد يخونهم العلم فيعملون بأنفسهم لاعداد الامة للاستقلال ما لا تستطيع عمله او ما لا يأتي منها وهم لا يشعرون ، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان اوسع انكاز مصر علما وخبرا وحرما) يعلم بان اباحته للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأعظم رجالها سيكون سببا من أسباب جمع كلمتها اذ كانت الحكومات هي السالبة لاستمداد الشعب بمصر والحائلة دون جعله أمة - وانما كان منتهى اجتهاده في ذلك ان سقوط هيبة الحكومة الوطنية وزوال سلطانها يجعل المصريين خاضعين للانكاز حامين لهيبتهم وحدهم ، وهم الذين لا يطلع أحد في اضعاف سلطانهم - ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم ان ذلك التصرف في أموال الملاحين وسائر الطبقات الواضحة وفي أنفسهم يولد عندهم من العلم بصير السلطة الاجنبية والشعور بكرامتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشد هم شعورا فتجعل الامة كتلة واحدة وكلمة واحدة - بل أقول ان الحكومة البريطانية

العليا في لندن كانت تجهل ما تلده لها الدعوة (البوربندية) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لاقتناع الامم كلها بأنها مع حلفائها يقاتلون لتحرير الامم والشعوب وازالة ما يريد الالمان وحلفاؤهم من جمل السلطان للقوة دون الحق - وهو توجه أنصر الشعوب المستعمرة او المستعبدة بالإسماء المختلفة الى الحرية والاستقلال وبفض المستبد واحتقاره والخروج عليه مما تكن النسبة بعيدة بين قوة وضمفها - كما كانت تجهل بالاولى ان بقي صمد باشا زغلول ورقاقه من مصر عند اظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولد في مهر ثورة اجتماعية عامة . كيف وقد سمعت هذه الحكومة ممن كانت تعده أعلم رجالها بحال المصريين - وهو مستشار الداخلية السابق - قوله : اذا اشتملت نار ثورة في مصر فهو يطفئها ببصقة من ده !

الوحدة المصرية وما حدث من صدها

(١٠) ظهرت مبادئ استعداد الوحدة المصرية للاستقلال ونيل السلطة الانكليزية بعد وقوع اسبابه التي أشرنا الى بعضها في زهاء ثلث قرن فكانت كلما قاومها الانكليز تزداد قوة لانها حقيقية لا صورية مدبرة كما ظنوا باري ذي بدء ، ولو علموا انها حقيقية لما لجروها باللين والخدعة ، لا بالشدة والصراحة ، ولكن هذه الوحدة لم تنشأ أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام ، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتصام والوحدة ، قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانقسام والفرقة ، الا وهو الوفد المصري الذي اجتمعت الامة على الثقة به وجعلت في تصرفه مئات الالوف من الجنهات ، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الامة فخابت فيه الآمال ، وغلب بأس الجمهور على الرجاء ، وآخرون متحIRON يقولون ما عدا بما بدا ؟ وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر او يجيد على هذه النار هدى ؟ وقد يجبرون لقول مثلي بعد هذا التفرق الذي اشرب المدا ، ولم يسلم من الهجر والبلاء ، على أكابر الزعماء والرؤساء : ان الوحدة المصرية حقيقية ، ولم تكن خدعة صورية ، نعم انني قلت ما قلت على علم ، وانني اثبت رأيي بالدليل : لا تتمحص الحقائق الا بدخولها في جميع الاطوار التي من شأنها التطور بها فإظهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي اكبرها العالم مدة سنتين يشبه ما كان من اكبار العالم للانقلاب المئاني الذي هتفت له الشعوب المئانية على اختلاف مللها ونحلها ، ولقاتها وتربيتها ، ولما هتفت وتآخت

لاجل تنفيذ قانونه ، ثم لم تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي أحدثته ان هدمته بيدها ، وكذلك هدم الوفد المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند بقي رئيسه وثلاثة من أعضائه المؤسسين الى مالطة - ثم عند اطلاقهم من اعتقالهم - ثم في مقاطعة لجنة لورد ملنر واجماع الامة على ردها الى الوفد المصري - ثم في استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الامة في تقرير لورد ملنر - ثم في استقبال الرئيس سعد باشا زغلول بمخاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه الى أقصاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد وما دأب لم يسبق لها نظير : ولم يبق أحد يجهل ان اتحاد الامم هو أعظم قوة لها تثمها سائر القوى اذا ثبتت ، وينتكت قتل كل ما يوجد منها اذا نكثت ، فماسبب هذا التفرق بعد ظهور ثمرة الاجتماع بجنوح بريطانيا العظمى الى استمالة مصر وارضاها برفع الحماية عنها والاعتراف بالاستقلال لها ، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها ؟

موضوع الاتفاق وسبب الافتراق

(١١) ان ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر مجهل توجه اليه استعداد جميع طبقات الشعب وهذا التفرق لم يزد الا قوة ولكن الشعب (لما اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يجهلون أن الكمال يقصد في أول السعي وقدما ينال الا في آخره . وان المسافة بين الاول والاخر في اعمال الامم قد تكون قريبة تحسب بالسنين وقد تكون بطيئة تعد بالاحقاب ، ومنهم من كان يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح ، ومن يرى ان أخذ بعض المنصوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب بالبهض الاخر فالواجب الانتظار لاخذ الحق كله ولو بعد حين - فكان هذا خلافا يداخل الاتفاق وان لم يذكر في الوقت الذي لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما الى الاعتراف بشيء من الحق لصاحبه ، دع الوعد ببذله كله او بعضه ، فلما اثمر سعي الوفد بقوة وحدة الامة التي تؤيده جنح الانكليز لارضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقوقهم في ادارة بلادهم واستقلالهم فيها (بشرط اعترافهم هم لبريطانية العظمى بمركزها في البلاد تحفظ به مصالحها ومنافع اوربة بما ان نسبتها من الاهلية لهذا الامتياز بالاحتلال الماربل الذي خدمت البلاد فيه ورقت موارد الثروة فيها وغير ذلك فما تدعيه سواء كان مسلما أم لا) ودعي الوفد المصري من باريس

المنار ج ٣ م ٢٢ رأي سعد وعدي في مشروع ملنر والشقاق بينهما ٥٢

الى لندن لاجل المفاوضة في التقرير الذي وضعه لورد ملنر وزير المستعمرات
للبريطانية لحل اشكال القضية المصرية - لما كان ذلك - ظهر في المسرح عدلي
باشا يكن أجد أركان الوزارة الرشدية التي استقالت في سبيل تأييد الوفد
فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملنر التي فوضت الحكومة البريطانية اليها امر
المفاوضة وسبر غور الوفد - وظهرت بتلك الوساطة مبادئ الخلاف الكامن الذي
أشرفا اليه ، وانتهى بالتفريق والشقاق الذي نشكوا منه ، فأنتم شي جديد ، الاولة
أصل تليد ، كان يتخال بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيد بقيد
الامبراطورية فنبت ذاك اولا في مصر ونبت هذه بعده في أوربة ثم في مصر ،
فكان كارثوان بين القمح

لقد فتن الجمهور المصري تبعا لوفده بمشروع ملنر وبعد طول البحث فيه
والتمحيص له استقر رأي سعد باشا على أنه «حماية مقننة» القرض منه جعل مركز
الفاصل المبطل شرعيا بقبول الامة المصرية هذه الحماية المقننة - ورأي عدلي
باشا أنه مشروع جدير بأن يبنى عليه الاتفاق بين انكلترا ومصر وانه يمكن
تعديل بعض ما يشتمل سعد باشا في انكاره منه - وكان سعد باشا يرى عدم
المفاوضة في هذا المشروع - ثم رأي بعد مفاوضة لجنة ملنر التي استدرج اليها انه
لا يجوز جملة أصلا للاتفاق بين مصر وانكلترا ولا أساسا للمفاوضات الرسمية
الا اذا ألغيت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاوره الامة
والاطلاع على رأيها . واشتد النزاع بينه وبين ملنر مرارا حتى هم بقطع
المفاوضات وكان عدلي باشا يصيد المياه الى مجاريها بلفظه وكياسته فأرضى بذلك
الانكليز وعلقوا آمالهم به وأغضب سعد باشا ، وسعد شديد الشكينة حديد
المزاج اذا غضب جرح فادى ، وعدلي باشا رقيق الطبع من أبعاد الناس عن النضال
والخصام ، ولكن مال اليه بعض اعضاء الوفد وآثروه على رئيسهم في شخصه وفي
طريقته ، فاجتهدوا أولا في التآليف بينهما ، ولولا ذلك لظهر ما نجم من الشقاق
بينهما في أوربة . على ان سعد باشا انبأ لجنة الوفد بمصر برفقة من باريس
بأن عدلي باشا مشاق للوفد فلم تنشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الاعضاء
هنالك فاصلحوا بينهما أصلا التزم فيه عدلي بالأعمال الا بالاتفاق
مع الوفد . وحمل سعدا على كتابة برفقة تنسخ البرقية الاولى فنشرت هذه
دون تلك . ويقال انهم أقنعوا سعدا بأن يؤلف عدلي وزارة تتولى المفاوضات

مع انكثرة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان فان كان مرضيا أيده والا
استأنف جهاده وضميه

ثم ظهر الخلاف بين سعد والمشايمين لعدلي من أعضاء وفده فقادره خمسة
منهم وعادوا الى مصر فسبقهم اليها نبأ منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية
من الشبان اسوأ استقبال منذ بلغوا مرفأ الاسكندرية الى أن آووا الى بيوتهم
واسمهم اذى كثيرا مشوبا بالوعيد والذم، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي
الرئيس ومعه ، ولكن لم يمنهم ذلك من بث الدعوة لعدلي باشا والظمن في
سعد باشا والتنفير والصد عنه وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك

الوزارة المدلية

(١٢) من القضايا التي صارت معروفة للجمهور ومسجلة بين الخصوم أنه لما
كان الوفد المصري وعدلي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية ان
يؤلف عدلي باشا بعد عودته الى مصر وزارة تتولى المفاوضة الرسمية وعقد
الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر على أساس تقرير ملنر بشرط إلغاء الحماية
فقط ، والشائع ان أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد الى مشايعة عدلي
قد تواطؤوا معه هنالك على تأييد الوفد له اما بجذب سعد اليهم واما بنبذه
بأكثر الآراء ، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدلي باشا ان يدخل في هذه
المصعة وينقض عهده فانه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واتقاء القيل
والقال ، دمع الاستهداف للظمن والنضال ، وانهم حاولوا هذا فلما لم يستطيعوا
اليه سبيلا تمحزوا الى عدلي جهاراء ، واننا نلخص خبر الوزارة بموجب من القول
سبق ان ذكرنا في المنار الصفة الرسمية لتأليف الوزارة وانها كانت بسبب
البلاغ البريطاني لمظمة السلطان في شأن المفاوضة باستبدال علاقة أخرى
بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالامبراطورية وقد اشتهر ان السلطان كان
يرغب ان تتولى وزارة محمد توفيق باشا نسيم ذلك لانها كانت احظى الوزارات
هنده ولما استقالت لاجل هذا العمل عهد الى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة
المطلوبة فلم يمكن ، ويقال انه ذكر غيره ثم علم أنه لا يمكن ان يقوم بهذا الامر
الا عدلي باشا

ولما ألف عدلي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الامر السلطاني بتأليفها
خطتها السياسية الناطقة انها لا تتجمل نصب هيئتها في المهمة السياسية التي

ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر . وستجري في هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وتستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا المرض . وقع هذا القول على ابهام عبارته واضطرابها (١) أحسن موقع من الامة فان آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها فرأت أنه قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الامة والحكومة كلمة واحدة وبدا واحدة بعد ان كانت الحكومة خصما للامة منذ تمكن الاحتلال الانكليزي وأنشأ برائته فيها الى هذا العهد، لاجل هذا صفت الامة هذه الوزارة وقابلتها بمظاهرات الثقة بها والاهتاف لها مع الاهتاف للوفد ولرئيسه سعد باشا

التفريق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم ان الوزارة أذنت سعد باشا - وهو في باريس - بتأليفها وخطةها وطلبت منه الحضور الى مصر للتعاون معها على العمل فبادر فقابلته الامة من أعلى طبقاتها الى أدناها في جميع البلاد من أدناها الى أقصاها ، بمظاهر من الحفاوة والتكريم ، لم يسبق لها شبه ولا نظير ، فكانت الامة كالجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثليها من تكريمه وإعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة ، ولكن هذا الاجماع لم يكن تاما تاما سالما من الشذوذ الخفي بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من أوربة مفاضيين وبعض الحاسدين الذين زادهم مارأوا حسدا يخفون في أنفسهم ما لا يريدون للناس فذا تحذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيها ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المغاضبون لرئيسهم يتسللون من (بيت الامة) (٤) لو اذا ، وينفضون الى الوزارة ثبات وافرادا ، ثم استمالوا هم والوزارة اليهم آخرين منهم ، وحمي

(١) ان نفي ايجاد محل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي ان يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فانه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب - الجمل والمحل والشك - فاذا كان الاتفاق على ان تكون مصر كـ بعض امارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستعمرات مستقلة فانه يصدق عليه ما ذكر والاسترشاد بما رسمته ارادة الامة لا يقتضي اتباع ادارتها وعدم تجاوزه

(٢) بيت الامة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول

وطيس الخلاف والجدل ؛ وصرح رئيس الوفد بمدم الثقة بتولي الوزارة للمفاوضة مع الحكومة الانكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر، فعارضته الوزارة وقاومته بكل مالمدي الحكومة من حول وقوة ؛ وتظاهرها في ذلك السلطة المحتلة، ومن وراثتها الامة البريطانية بحكومتها وجرائدها، وبإلها من قوى هائلة تستغث من هولها الامم، وتخشى صولتها كبرى الدول، فظهر بذلك صدق ما قيل من انه قد تقرر في انكلترا ان يتولى عدلي باشا الوزارة ويؤيده الوفد ثم يكون هو الذي يمتد الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر على قواعد تقرير ملز بشرط النفاء الحماية واستبدال علاقة بريطانية أخرى بها فوقع بذلك الشقاق في الامة ؛ وانشقت عصا تلك الوحدة التي ليس لمصر من دونها حول ولا قوة ؛ فكان هذا أول طلائع الظفر البريطاني الذي يغالب جميع الخطوب بالصبر والجلد، مع الدأب في العمل

وقل من جد في أمر بمحاولة واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
فقيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالتها مصر في العالم كله بوحدها واتفاق كلمتها مدة عامين ؟ هل هو شقاق في المذهب السياسي ام تنازع على الزعامة والرياسة بين الافراد وانتصار كل فريق لرعي تفضيله اياه في الزعامة للمصلحة العامة او المنفعة الخاصة ؟ ومن المذهب المسؤول ؟ وأي الخزيين هو الظافر وأيهم المفضون ؟

موضوع الشقاق وزعماء

(١٤) من القضايا التي صارت معروفة لكل أحد ان وحدة الامة المصرية التي كان يمثلها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الامة في طريق السبي الى استقلالها فريقين — وأن زعيم الفريق الاكبر او الاكثر هو سعد باشا ويمبر عن افراد حزبه بالسعديين، وان زعيم الفريق الاصغر او الاقل هو عدلي باشا ويمبر عن افراد حزبه بالمديين، وان كل قوة ساعد مستمدة من الامة، وان جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة البريطانية الموحدة لهذه الحكومة — وان هذا الصدع قد كان من قبل الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استعداد الامة له وهم زعماء هذه الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقم من الخلاف بينهم فهم المسؤولون — وان التنازع على رئاسة الوفد الرسمي، الذي يتولى عقد الاتفاق

بين بريطانيا المظنى ومصر اذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف هذه قضايا لا سراء فيها والمدليون يتهمون سعدا بأنه لا عذر له في الامتناع من تأييد الوزارة الاحب للرئاسة وقد اذاع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن المبالة شخصية، وهذا جار كبير على الامة بأسرها . وسعد باشا يحتج بأنه يجب أن يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لأنه هو الممثل للامة التي وعدت الحكومة باتباع ارادتها في قضيتها السياسية والوزارة الحاضرة ليست الا وزارة الحماية الانكليزية فهي مظهر السلطة البريطانية فاذا كانت هي التي تتولى ادارة المناقشة ثم الاتفاق مع بريطانيا فكان ملك الانكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن ما تقتدر به الوزارة أو تحتج به على ما تخرج من عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي رئيسا - وهو ان التقاليد المتبعة في جميع الدول ان رئيس الحكومة هو الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها وهو الذي يمقد المحادثات والاتفاقات مع الحكومات الاخرى - عذر باطل وحجة داحضة فان ما ذكره من تقاليد الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والامة جميعا اذ لا يكون رئيسا لها الا بتأييد مجلس نوابها الممثل للامة ، وهذا مبين لحال الوزارة المصرية

ويقول المدليون ان الوزارة أجابت سعد باشا الى جميع ما اشترطه لتأييد الوفد لها الا مسألة الرياضة فهما يكن له من حجة على طلب هذه الرياضة لنفسه، فليس له أن يوقع الشقاق في الامة لاجله، وناهيك بقبول كون أكثر أعضاء الوفد الرسمي من أعضاء وفد الامة الذين يختارهم رئيسه وكون الثقة بشخص عدلي باشا لا نزاع فيها - وسعد باشا وحزبه يردون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد فيكون اجابة ما عدا شرط الرياضة من شروط الوفد فقد كان أهم الشروط اصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الاساس الذي تجري فيه المناقشة على ما يشق مع مطلب الامة ومبادئ الوفد كالنص على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى امام الدول الاجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج ، وبليه شرطا إلغاء الحكومة العرفية والمراقبة على الصحف لتكون الامة وصحفيها حرة في أقوالها وافعالها لا مسيطر عليها في ابداء رأيها الا القانون، فلم ينفذ من ذلك -

ويقولون أيضا ان الرئيس لم تبق له ثقة باقتدار عدلي باشا على تحقيق مقصد الامة المصرية بعد ان تمحست قضيتهم لانه يرضى بدون ما ترضاه ولا ثقة له بأعضاء الوفد المميزين اليه فهذا كله مما كتب. وهو يفيد أنه لم يجد اشتراط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا ، فاذا ألف عدلي الوفد الرسمي فجعل ثلثهم من رجال الحكومة الذين على رأيه واثلاثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من المميزين اليه تكون يده الاكثرية الساحقة ، واذا كان مع هذا هو الرئيس الذي يتولى ادارة المفاوضات فلا يبقى لرأي سمد باشا معه تأثير — فلماذا اشترط ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لا مجرد حب الرياسة فانه ليس فوق ما خولته إياه الامة من الزعامة فيها والرياسة لها غاية تطلب

واظهر حجة لبعض المدلين ، رضىها بعض المتدلين ، هي ان الوفد الرسمي الذي ترضى بريطانيا العظمى أن تتفق معه لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان فاذا جاز ان يرسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز ان يجعل سمد باشا هو الرئيس له اذ لا صلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة اخلاصه له وهو لا ينكرون على سمد باشا عدم زيارته للسلطان عقب هودته ، وهو يعلم أيضا ان الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سمد باشا — فاذا كان الامر كذلك فلا ينبغي لسمد باشا ان يوجه كل نفوذه في الامة الى منع ما اتفقت عليه الحكومتان بمحاولة اسقاط عدلي باشا والجنائه الى استئصال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة الى جزائه على عمله بمثله الذي ادى الى شق عصا الوحدة وخسارته بل خسارة البلاد ما كان من اجماع الامة على زعيم واحد وهو هو (سمد باشا) وكان يكفيه الايؤيده ولا يشاركه في المفاوضات ويقف له ولو فده الرسمي بالمرصاد فان جاء بالاستقلال التام الذي يرضاه هو والامة لم يكن عليه أدنى غشاضة في قبول ذلك وتوجيه نفوذ زعامته الى النهوض بأعباء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه كان حمبر الزاوية له ، وان وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان هونا له لا خصالا . وان جاء بحماية مقنعة او استقلال صوري مقيد بقبود الامبراطورية البريطانية ومغالل باطلاها فليحمل عليه بحمل الامة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه ، فاذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ

نكون باقين في موقفنا بل أقوى مما كنا بعد اعتراف انكسارنا لنا بما اعترفت به ،
واذا نفذ نكون قد ربحنا ما تركناه لنا من حقوقنا من حيث لم تنقيد الامة بالاعتراف
لها بشيء باثباتنا حينئذ ان الوفد الرسمي المفاوض لا يمثل الامة اذ لم تقره الامة
على ما عقده

والسديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بان عدلي لا يأتي الا بالحماية المقننة ،
وبأن السكوت او ترك المماضة يفضي الى نجاح الوزارة في اقصاء الثقة بها من الامة
بنفوذ الحكومة الممزج بالرجال والمال ثم الى التصديق على ما تتعاقد عليه مع الحكومة
البريطانية فاذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والاقرار له وكونه مبنيا على
تلك الثقة والتفويض فاذا فعل الامة الضميمة بعد ذلك — فهذه صفة حجب الفريقين
في جوهر الموضوع وموضع النزاع وما نحن لما هذا ذلك من المراء والجدل بناظرين
الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن — رجل عزيز النفس كريم النخبة مهذب الاخلاق
رفيع الطبع أبي مترفع في غير كبرياء ، مبالغ في حفظ كرامة نفسه ، مع المراعاة
لكرامة معاشره وجليسه ، واسع الحلم ، نزيه النفس واللسان ، قليل الكلام ، وهو
كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلطنة التركية في مصر بل هو البيت
الاول بعد بيت الامارة ممن تولوا الاحكام والمناصب العالية — وهو كبير في نفسه
كما أنه كبير في بيته ، حريص على حفظ شرفه — فهو بهذه الصفات جدير بمنصب
السفارة والوزارة وبرئاسة الوزراء ، وقد أوتي من العلم العمري ما يحتاج اليه المنصب
وقد يوجد بمصر من يقدر كبراء الافرنج حتى الانكليز منهم على احترامه مثله بل
هو قوي الشبه بكبراء الانكليز في ترفعه وآدابه وشماله

ولكنه لم يؤت من خلاقة اللسان في الخطابة ، ومن بلاغة القول في الكتابة ،
ومن الاقدام على مكافحة الخطوب ومصارعة الاخطار ما يؤهله لزعمة الامة أو
التأثير فيها والسبر بها في سبل الارتقاء الاجتماعي ، ولا لقيادتها في ميادين الجهاد
السياسي ، بل هو غير مستعد للتصدي لاحداث أدنى تأثير في الامة بنفسه ، وامه
لولا المناصب العالية التي تولاها — كادارة الارقاف العامة ومحافظة العاصمة

والوزارة — لما كان يعرفه الا القليل من طبقات الامة الوسطى دع الدنيا ، وهو لا يعرفهم بالأولى

سعد باشا زغلول — هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية بحري
السلالة — كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا —
طالب في حدائق العلم في الأزهر وكان من حسن الحظ ان اتصل في أثناء ذلك
بالاستاذ الامام وتلقى عنه وهاش منه زمانا فخرج به فهو استاذ الاول ومربيه هلى ماخاقي
مستعدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الارادة والشجاعة وصناعة المحبة
وحب الحق ، وادرك أيام موقف الشرق ومصلح مصر السيد جمال الدين الافغانى
وحضر بمضى أندية ومباريه ، ولما تولى الاستاذ الامام ادارة المطبوعات ورياسة
تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جعله محررا في القسم الادبي الاصلاحى
الذى زاده فيها فتمرن على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والادبية
والاقتصادية واطلع على جميع شؤون الحكومة ، فان ادارة المطبوعات كانت في
ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة هلى الحكومة تنتقد جميع
اعمالها في جميع فروعها — ، وفي أثناء ذلك حدثت الثورة العراقية — فهو قد نشأ
وترعرع وشب في حمر العلم والسياسة والانقلاب الفكرى والاجتماعى والسياسى
ثم اشتغل بالمحاماة والتزم فيها جانب الحق فكان لا يقبل الوكالة في دهورى
يرى ان صاحبها مبطل ، فبرع في الخطابة واقامة المحبة والاطلاع على القوانين والخبرة
بشؤون الناس وأخلاقهم ومعايشهم وحيلها ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء
الاهلى فاشهر بديقته في التحقيق واستقلاله في الرأي وعدله في الاحكام حتى شهد
له مستشارو الاستئناف من الاجانب والوطنيين كتابة بأنه رقى المحاماة وشرف القضاء
بعده واستقلاله. وهي شهادة لم يثابها فيما نعلم أحد من صنفه ، ثم صار وزيرا له عارف
ثم وذا برا للحقانية ثم وكيلامتهخبا للجمعية التشريعية

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفو الكريم والممتازين أهله فيه ، ولا نعرف
أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا بل قل ان يوجد له نذ يضارعه في
فرد من أفرادها — فهو بها أجدر افراد هذه الامة بزعامتها الاجتماعية والسياسية

الا أنه بقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهي تشمل سمة الصدر والحلم والمداواة والتبويه والحداد وان شئت قلت والبراعة في الافك والكذب الذي يجهل التأويلات الكثيرة والتعلق والبراعة في الاستمالة والتزلف عند الحاجة. وهو لئمة، ملكة القضاء على كل ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكلمنا فهو لا يبالى بمن خالفه فيما يعتقد ولا يحمل بعداونه له، كما يكن عظيما وقد كان الاستاذ الامام يقول ان سدا خلق ليكون قاضيا، ووصف سيرته في القضاء واستقصاءه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرمة على المدل، وخصومه يسمون هذه الملكة غلظة وكبرا أو يطلقون أمثال هذه السمات على بعض لوازمها. وقد زادوا في هذه الأيام في نعته انه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثريين. وهذا خلاف ما عرف فيه ونهه عنه، فاذا أردنا انصاف القائمين بهذا يحمل كلامهم على الصدق ولا سيما فيما ينقلونه من الوقائع المعينة فلا نرى جامعا يجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من الانصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة الفوازين الا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف النيات والافان مثل سعد لا يخفى عليه أن شعبه الذي يفخر بحق بارتقائه وأهليته لتولي أمور نفسه بنفسه في حكم دستوري لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مستبدا لا يجري على نظام الشورى ولا متكبرا لا يحترم آراء من معه وان هذان الخلقان لا يخفيان على أحد

على اننا قد سمعنا بآدانا وسمع الجماهير مثلنا خطبه في المحافل والمجامع العظيمة وقرأها أكثر من صمموها فهم يشهدون بأنه كان يبرز فيها كل عمل الى أعضاء الوفد ويذكرهم بمتى الادب والاحترام ويقدمهم احيانا على نفسه، وعلما انه زار من لم يزره ممن عادرا من أوربة قبله مناضبين له مع العلم بأنه كان أشد زواية عليه وصداقه، وفضله على نفسه في احدى خطاب المجامع الخافعة، ولم يكن هذا بمجاذب لذلك المفضول الوقت بل لم يزد الا حدة وضيقا، واعراضا وطمنا

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) اني أعرف بعض أعضاء الوفد المديني معرفة محبة ومودة، وأعرف بعضهم

معرفة مواجهة ومحاربة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا أحكم بصدق الوطنية إيمانهم على علم وخبر، وأحكم به الآخرين على قاعدتي أصل البراءة وحسن الظن، وقد سمعت ما قاله المختافون على رؤسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا - فرأيت أنهم قد اخطأوا في اجتراءهم، حتى على نسائهم جميع أقوالهم، فكيف إذا كان القول الوسط المقبول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور العامة والمصالح السياسية والمسائل الاجتماعية التي تختلف فيها الآراء والانظار، وهو أن يكون لكل فريق مخطئاً في بعض ما اختفوا فيه ومصيباً في بعض، فإن جاز عقلاً أن يكون أحدهما مصيباً في كل ما خالف فيه الآخر - فأني الفريقين هنا أجدر بأن يحكم له بالصواب؟ الفريق الذي يخطئه السواد الأعظم من الأمة بعد معرفة كل ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده الاثر قليل جداً أكثرهم من أصدقائه أفراداً أو من أتباع أصحاب المصيبة منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد الأعظم ويرمي مخالفه بأشنع التهم وينبزههم بأفظم الألقاب؟

أقول إن المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس نفر قليل جداً في مجموع الأمة مع العلم بأن الذين أيدوا الوزارة المدلية كثيرون جداً، فإن الذين أيدوا الوزارة لا يؤيد حبيبهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشايخين لها، بل أكثرهم يرى أن سعد باشا هو زعيم الأمة بحق وأنه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الأمة فيما يأتي به وفد الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، واثن كان المشاقون لسعد أول من أيد عدلي ويمتقد أهل الرأي أنه لولاهم لما كان ما كان - فإن المؤيدين له بعد أن أصر على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد إنما أيدوه أكثرهم بنفوذ الحكومة لا بنفوذ هؤلاء الأعضاء - فهم قد نزلوا بمشاققتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الأمة إلى أدنى ما كانوا عليه قبلها فإن كانوا تركوا سعداً لحفظ كرامتهم الشخصية التي تقلو عنه أنه لم يكن يطلبها حقها، ولأيد المصلحة العامة التي قالوا أنهم رأوها باستبداده غير أهل لها - فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام بخدمة المصلحة العامة أهجرت - فهذا هو وجه مخطئتي لاجتراءهم حتى على تقدير تسليم جميع أقوالهم، وإنما اكتب هذا لاجل التذكير وبيان وجه العبارة لمن يعتبر من

مختلفة أمنا بما كان من افلاط الزعماء والعلماء بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا السياسية التي لا تزال فيها اطفالا بالنسبة الى الامم التي طال عودهم بالتمرس بأعمالها والجهاد في مبادئها

يقولون ان العمل معه صار متعبا فان لم قل ان التبادر انه صلب خطره بعد المشاققة اذ كان متعبا قبلها قلنا ان الاخلاص في العمل للامة وللحرص على وحدتها لا يمكن ان يكون بهر جهاد شاق وصبر واحتمال واشار وقد قيل في المثل ان مع مالك الهوى ارشدت الحبل فعلى هذا لم يكن من المنطوق ان يقنع بعضهم بعضا بالامور والتظاهر على الرئيس - وهم منه - فيما يرونه منه بخلا بكرامة بعضهم أو الاستعداد بالامر دونهم ، كما تظاهروا عليه في الانتقاد الصريح في الجرائد والخروج من الوفد ، فان كانوا توهموا انه كان الممكن اسقاطه واستبدل غيره به قبل هجئته من أوربة وما قابلته به جميع طبقات الامة من أدنى البلاة الى أقصاها من الحفاة والفكر الذي كاد يكون من العبادة ، فوقع هذا التوهم بعد ذلك نكاه من أغرب الخطأ ولا سيما من هؤلاء الاذكياء العلماء بأخلاق الامم وسنن الاجتماع لقد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهناهم بهم في أول المقل أهدى نبلا منهم في المحافظة على زعامتهم ونفوذ جماعتهم في الدولة والامة ، فقد كان ينكر بعضهم على بعض فبقاؤون في الانكار ، ولكن لم يكن ذلك ليمدى انديتهم سولا ليقرب جماعتهم ، وبذلك كان لهم الفوز على جميع الاحزاب المناوئة لهم على قوتها ، والوفد المصري لم يكن له في الامة خصوم يمتد بهم ويخشي عليه منهم ، حتى كانوا هم الذين شقوا عصام بأيديهم ، وسنجد ألوقا من الماذلين لا على هذه الطريقة - ولا تناسى الى منصب القضاء فنقول هذه الرأفة - الرأفة في الحكم عليهم ، أولئك الذين يتممونهم بأنهم قد درا بذلك لخدمة أنفسهم ، وما نحن لهذه التهمة بشرحين ، لانا نكتب الوعظ والارشاد ، لا لانتخب الى الزعماء والتخرف للازمات .

مكانة الزعامة في الامة ومكان سمد منها

(١٦) ان اجتماع كافة السواد الامم من الامة على زعيم يمثلها ليس من الخلق الهبات ولا من المقاصد التي تنال بدمي الافراد او الجماعات ، الا بمصلحة الزمان

بوقائمه وأحداثه وإشعاره الامة بموقف الزعامة والحاجة اليها ، وأعداده لزعيم الكفو
 للهوض بها ، وتمثيل وحدتها فيما استمدت له وتوجهت اليه ، فاذا وفقت الامة لثقته
 بزعيم كفو للزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه في العمل ،
 ويقبلوا عثرته اذا هضر ، ويقوموا عوجه اذا زاغ وانحرف ، وان لا يشترطوا في المحافظة
 على زعابته الصحة ، فان الكمال المطابق لله وحده ، فبذلك يرجى نفعه ، ويؤمن
 بغير زخطاه وضعفه ، ولا يحل لهم ان يؤاخذوه على ما ينقون منه بخذله ولا بالظمن
 في كفاءته ، لما يقب ذلك من تنكث قوى الوحدة ، وصدع بناء الزعامة ، ورب
 تنكث يتنذر ابرامه ، ورب صدع لا يرجى انتقامه ،

وقد سبق القول بأن زعامة محمد كانت بالاكثريه الساحقة من السواد الاعظم ،
 ولم تكن اجماعا سالما من الشذوذ كما كان ينوهم ، لان اجماع الامة التام على رجل
 واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر ، وقد رأينا ان مظاهرات
 الخفاوة بقدم محمد كانت تمحجب عن الابصار ما على بعض الوجوه من وجوم الكتاب ،
 وأن مباحات المناف له كانت تشغل الآذان عما يتفات من الالسنه من هيمة إنكاره ،
 بل كان يتخلل تلك الحفلات ، ما يشير الى ما سيكون بعدها من الحملات ، وقد سممت
 في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها ، وشهدت احتفالا في أقامه اجبرانا وجهاء
 قصر القديمة صريح في أكبرهما بما أختصره وان كان من لباب الموضوع ،
 وذهبت الى الخطابة في هذا الاحتفال فأبقت لزهدي في الطهور على مثل هذه
 المناهج التي يتزاحم عليها طلاب الشهرة ، ورفعتي عن الكلام في السياسة في محافل
 أكثر شهرة من العامة ، وعجزني عن الاطراء ، الذي يألوه الجمهور في هذا
 المقام ، وكان من الخطباء فيه القمص ومرجيوس خطيب قسوس القبط المشهور
 ، وفي الصبح جيم الخطباء والكهنة الذين أخلصوا المدح والاطراء للرئيس محمد باشا بما
 جاء به من الزبج وأمشاج القول المتضمن لتوقع الخلاف بين محمد وعدي ووصف
 محمد بالناد والصلابة والاشارة الى علاج ما يتوقع فارناى ان تفندي فيه الامة المصرية
 شجرة (المنتبكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردنليات الذين لهم حق
 في الانتخاب يخبسون في حجرة بوضع لهم فيها قوت قليل ولا يسمع لهم بالخروج منها

لا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين

ولما صممت خطابه آذنت الذين كانوا يراجعونني في اقتراح القاء نبي في الحلقة .
بأنني قبلت قد عرفت فصممت المنبر وألقيت خطابا بينت فيه تحقق تكوين الزمان
للأمة المصرية بالمصنبة القومية ، وإن أتماد الكثرة ، إنما يحصل إذا مثلها جبهة واحدة ،
وهي بما يسمونه الزعامة والرياسة ، ومنى تكونت الأمة وشمرت بنفسها ، هذاها
هذا الشعور إلى الزعيم الذي يمثلها ، كما بينت الرأس في الجبين عند تمام تكوين أعضائها
وكم ينشأ في الأمة من رجال جديرين بالزعامة ولا تعرف الأمة قيمتهم ، لأنها
ليست أمة إلا بالصورة الظاهرة كما تسمى صورة الأسد في الورق أو الجدار أسدا .
وقد كان الأستاذ الامام يقول يا ويح الرجل الذي ليس له أمة ، ولا يحفل أن توجد
أمة رائدة لا يوجد فيها رجل بل رجال حقيقون بالزعامة فيها . وقد كان الأستاذ
الامام من الرجال الذين يحفل في الامم الراقية أمثالهم ، بل قال فيه الأستاذ الدكتور
برازن من أكبر علماء الانكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبيرة (كبرديج) :
انني لم أرى في الشرق ولا في الغرب مثله . ولم تكن الأمة قد تكونت في عهده نكوننا تعرف
به كنه قيمته ، وتعمل بأرشاده وزعامته ، وهذا تقليد الزعيم الكبير الذي تحفل به
اليوم قد كان أهلا لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة ولم تكن الأمة تعرف فيه ذلك على
شهرته ، لأنها لم تكن تعرف نفسها فتعرف زعيمها . ثم ذكرت من صفات سعدما انضمام
المقام ، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال ،

وهنا تلطفت في الإشارة إلى الرد على ما رماه به القمص مرجيوس من التعصب
والتعصب لرأيه ، وقلت ان الذي نهده منه بالاختيار الاستقلال في الرأي واحترام
الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في دلوه محاورات في مسائل علمية
واجتماعية كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارياح ، ويستترف بصحة رأيهم
اذا ظهر له انه الصواب ، وربما كنا منهم أو منهم في بعض الاحيان

واستطردت في الخطاب إلى الرد على من ينكرون فائدة هذه الاستقلالات
والمظاهرات بأنها هي الذريعة الوحيدة إلى جعل عقيدة الاستقلال شعورا عاما شاعرا
لقلوب جميع أفراد الأمة من جميع طبقاتها في زمن قصير ، ولك تربية لطلقاتها

ونابتها عليها ، فان حثاف الالوف الكثيرة من الرجال والنساء والاطفال في المهام
والشوارع والبيوت للاستقلال التام وللمصر الحرة وازعيمها المطالب باستقلالها وحريتها
والوفد العامل معه قد علم جميع الاميين من الطبقات الدنيا واشهرهم بما لم يكن يعلمه
ويشعر به الا اهل التعليم العالي والتربية الاجتماعية السياسية

انما وانتقلت من هذا الى بحث قلت انه اشبه بالدرس منه بالخطابة ، وهو ما يجب
على الامة من العمل للمحافظة على دوام وحدتها وتكاملها في سبيل المطالبة باستقلالها
وهو يجب للمحافظة على استقلال والنهوض باعبائه اذا ناله وأهم ذلك وأعلام ما يسمى بالمهالة
الاقتصادية وحفظ ثروة الامة ، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا فنلخص فيه
ما تقدم في ذلك الخطاب وطالما كررناه في المنار وفي بعض المقالات التي نشرناها في المؤيد
والجريدة ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (الى أي شيء أت يا مصر أخرج)
وجملة القول ان مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الامة في اول العهد بتكونها
السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي للحرية والاستقلال لها شأن عظيم في جوادها
فيجب ان يحرص على تقويتها لئلا ينهدع بناء الوحدة في أشد اوقات الحاجة اليه
ولا ينحني على أهل البصيرة ان تقوم هوج في الزعيم المؤثر به من الجواد الاعظم
ايبر من لبقائه واستبدال غيره به ، وان تأييد الوحدة به على ضوئ روج فيه ،
خبر من شق مصاعها بخذله والتفرق عنه

فان استطاع خصوم سعد استقاطه من مكانته ، باقاع الامة يهدم كفاءته فمن
ذال الذي يستطعم اقتابها بكفاءة زعيم آخر من بعده ، اذا فرضنا انه يوجد فيها
كثيرون من مثله ، ومثل كثير في الانام قليل ، ومن ذال الذي يستطيع في
كل وقت ان يحدث لها احداثا كالاحداث التي مهدت السبيل لزعامة سعد ، كخفلة
رقباء الشموب وحراسها ، ورعاة الام وسواسها ، وقطاع طارق الاستقلال والحرية
عليها ، تلك الخفلة التي اوقعت انكسار فيا سكرة الحرب أولا ونشوة الظفر آخرها
فكان من أثر السكرتين في رجالها مصر ما وقعوا فيه من الاغلاط الانجائية والسياسية
التي حيت كلمة الشعب مع حكومته أول مرة في تاريخ الاحتلال ، وقد أشرنا في هذا
المقال الى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على سعد

وزارة شمسى، وقد تم ذلك وكل في وزارة عدلى التي هي وزارة رشدي بغيرها في وقت آخر وترتيب آخر، إذا أولا هذه الوزارة لما أمكن للشعب أن يحتفل بهودة سعد إلى البلاد تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير - ولكن وأهفاه قد ضل في هذا المقام قول الشاعر: **أفانم شيء بغير نقصه** على أنه هذا التمام وما تلاء من النقص أيا، كنا في طور واحد من أطوار حياة هذا الشعب الاجتماعية وفي فصل من فصول تاريخه عيسى بأن ينده بهمة زقية أن يلدغ من حجر سمين، وخبرة نجمل بالفوز منه قلبه قوسين

جهاد سعد الأخير

بلا لا، علم سعد بأنها بما كان من التجربة الأخيرة والاختيار، أن الأمة التي اجتمعت كلمتها على طلب الحرية والاستقلال وحملته لسانها الناطق، وقاسم الخفق ولم يمكنها إعلان رأها وإظهار شعورها، إلا بموافقة الحكومة الوطنية ليا، وإن تأثير الحكم في أنفس هذا الشعب وما ورثه وترى عليه من الخضوع لم يند التاريخ تقديم لا يزال كله في أول نهضة قومية جديدة، وإن وافق أصول شرعها الإلهي (وأمرهم شورى بينهم) وأصول الحقوق المصرية التي بسمونها الديمقراطية الحديثة، وأمله لم يقدر هذا قدره، كما ينبغي إلا بعد الجواذب الأخيرة، إذ لم يكن يحاطر يال أحد أن يصد عنه نفوذ الوزارة الالوف الكثيرة، حتى من أولئك الذين أقاموا لأ كبر المحافل، رائق، للأديب، وأن يشاهروهم على ذلك أ كثر الجرائد، فلماذا وجه كل عنايته إلى تقوية روح شخصية الأمة والفكرة الديمقراطية فيها بحملاته الشديدة على الوزارة العديلة في خطبه البليغة، وبلاقاته واجتهاداته المختلفة على سلوكها فيما ساء، اغتصاب الثقة من الأمة.

فهو يمثل للأمة وزارة عدلى باشا منقبة مع الدولة البريطانية على جعل ساطانها (أي حكمها وسلطانها) على مصر شرعيا بمقدار معاهدة على أصول مشروع ملتر الذي رفضه هو الية يلنى فيها الحق الجاية ويقرر بمناه بصفة شرعية، بعد أن كن هدوانا تبطله الحقوق الأساسية والقوانين الدوية، وترشى في البلاد بضرب من الاستقلال في الإدارة بتعذر تنفيذه لما وضم في سبيله من الوثير والعتبات الكأداء، على

أنه عرضة للإفناء أو الاسترداد ، مادامت قوة الاحتلال العسكرية راسخة لاقدام في البلاد ، وثأريك بما أنشأوا فيها من مبادئ الطيران الحربية والتجارية ، لجمها ملتقى جميع قوى الامبراطورية البريطانية

وأقول إن من أقوى حججه له على أن الانكباب يريدون خداع مصر وارضاءها باستقلال صوري يحفظ سائر مستمراتها المستقلة تمثيلهم لشأن حادثة الاسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه اجناس مختلفون او احداثه يذل قليل من المال ، فقد هيجوا جاليات الاجانب والدول الأوروبية بها على المصريين وخوفهم منهم هل ارواحهم وأموالهم ، اذا لم تكن الجيوش البريطانية بمدافعها وطياراتها حامية لهم ، وانفذتها برقياتهم وجرائدهم اياها حجة بالغة على ان المصريين غير أهل للاستقلال بالادارة والحكم

حادثة الاسكندرية ، وما ادراك ما حادثة الاسكندرية ، هي الحادثة النافذة التي هضم شأنها غلاة الاستعمار بكيدهم وهبهم بالام والدول ، ولعبهم بها كادب الصبيان بالكرة ، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي الملل بأن تكون القاضية على حرية الامة المصرية بأمرها — وهي ان بعض السوقه والموام مروا في مظاهرة وطاية بعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يهتفون لمصطفى باشا كمال بسلطنة الوجدان الديني الذي لا يدع هددا من جريدة اسلامية في تونس خاليامن الاشارة بذكره ، والتمظيم لامره ، فأطلق عليهم الرصاص بعض اليونانيين فأصاب بعضهم وجرح ذلك الى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشبه بهم من الغربيين قتل به أفراد من الفريقين وجرح آخرون والمصابون من الوطنيين أكثر ، وقد استنكر ذلك واظهر الاسف لوقوعه جميع المصريين من جميع البلاد في جميع الجرائد ، وامر الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول وصية للامة بأن تبالغ في محاملة الاجانب وحسن معاملتهم ولا تمتدي عليهم وان هم اعتدوا عليها

لكن السياسة التي تستعمل كل منكر في سبيل نظامها جعلت هذه الحادثة برهانا قاطعا على بعض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الاجانب وتصيبهم هاجم ونزيمهم هم الدوائر لمفكروا بهم ، ولو كان المصريون متصيين هم

الاجانب وواقفين لهم ، اظهر أثر ذلك في كل بلد فيه اجانب ليس لهم من القوة
 بشر ما للاجانب في الاسكندرية التي تكاد تكون بلداً اجنبية ولا سيما في اثناء
 ثورة سنة ١٩١٩ على الانكياز انفسهم ، والمهجوم على رشاشاتهم ومدافعهم ، وقد
 كانت السلطة في تكبير من البلاد اقامة الامة في تلك الاثناء لا للحكومة الوطنية ولا
 للمحتلين — ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه العروة الواسعة
 التي ليس لهم مثلاً في بلادهم ولقد كانوا قبل الاحتلال مع حائر الاجانب اعظم
 كبراً وأقوى نفوذاً ، ولو كان المصريون كما ذكر لا يمكنهم ان يلقوا من النكابة
 باليونان بمقاطعة تجارتهم وزراعتهم مالا يلفه الاعتداء على اشخاصهم

... تحقق لكل مصري ان بعد سلوك الانكياز في تكبير هذه الحادثة دليلاً على
 نيتهم فيهم ، وهم يعلمون انه اذا كانت الاستقلال يتوقف في وجوده أو بقائه على
 استعانة وقوع مثل هذه الحادثة فلا مطمع لان هذا مما يمكن حدوثه واحده في كل آن ،
 ومن غرائب ما احدث هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بمبرصورها والاستفادة
 منها في كل زمن بحسبه ان حادثة الاسكندرية كانت في الزمن الذي تروي لنا
 برقيات انكازة وجرائدها أنباء الارلنديين (السين فين) اخدان المصريين في
 رفض العبودية البريطانية في تدبيرهم للباني التجارية وغيرها واغتيالهم لمن استطاعوا
 اغتياله من السالبيين لحرثهم ، ولم نسمع ان أحداً منهم اخرج بهذه الافاعيل العظيمة بمثل
 ما احدثوا على المصريين في حادثة تمتد بالنسبة اليها خثيلة ويكثر وقوع مثلها في كل أمة ،
 ولكن هل من هذا النهويل في الحادثة تكبير من مقلد اليونان وغيرهم من فضلاء لا ورويين
 وشهدوا حقاً بفساد المصريين واكرامهم للاجانب وحسن ما شربهم لهم ، ولو سكت
 هؤلاء او جروا في اباطيل تيار السياسة الكاذبة افرسوا في قلوب المصريين وسائر
 الشرقيين من بعض الاوروبيين وسوء الاعتقاد فيهم مالا يمكن ان يتلافى مستقبله
 الاحتلال العسكري للبلاد بل لا يريد الا اشتعلاً ، وهل يوجد بشر يحب الانانية
 يوم هذا ورمضان ١٩١٩

وجهة القول ان جهاد صمد باشا موجه لأن لقوية الامة واهدادهما الرد ما يتوقع
 من تقيد وفد الحكومة البلاد به بضمها الى الامبراطورية البريطانية بأي اسم من

الامم واني شكك من اشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين
الحكومتين ان تفقد مظاهرها من مظاهر القوة لاشية فيه من الحق وتستمر الامة على
جهادها له حتى تنال حريتها تامة كاملة باذن الله وقهرتها التي لا تلومها قوة ورحمة التي
لا تضيق حقبا الاعلى من فرط في حقه وترك الجهاد في سبيله فكان هو المضميم له
فتمخالفة لسنن الله في العمران

لهذا الذي شرعناه كنا نعتجب جدا المعجب من طلب سعد لرئاسة الوفد الرسمي
وتولي المفاوضة لانا نعتقد انه لا يخفى عليه ان الدولة البريطانية يستعجل ان تسمح
بحرية مصر واستقلالها التام بمجرد المفاوضة السياسية ونقول في انفسنا لم يريدنا ان يرضى
نفسه لا نزل واذا كان لا يرضى بحمل الحاية شرعية باسم آخر ؟ أم يظن ان الاتفاق
على تولية امر المفاوضة كان في جمل ذلك الحال السياسي ممكنا واقما ولما اعترض بعض
الكتاب كأمين بك الرافعي على دخوله في المفاوضة الرسمية كنا محلين لرأيهم اذا كان
نحسب رأينا الى ان صار شقة فالزعم الامة لان الزعامة الممثلة لوحدة فوق كل شيء في
هذا المقام . ولم نجد مخرجا من هذا المعجب والخيرة الا بما جاءتنا به الجرائد
الانكليزية من التصريح برفض سعد لمشروع ما تر برمته وعدم الرجاء بمقد اتفاق
معه يرضى بريطانيا المظالم من مظاهر لما من ذلك انه كان يخفي في نفسه شيئا وسم
اخفوه دائرة الجدل وبحال الشقاق لان نظامه يفسد الخطة التي كان يرى انه
لا بد منها وهي في أي الخطة — اما حل الحكومة بقوة ووحدة الامة على تقديره
نفسها بالمرسوم السلطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والامة كلمة واحدة لا يخشى
ان يفرق الدهاء الانكليزي لانه مراده من جمل مركزه في مصر شرعيا — واما جعل
الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لارتضاء الامة ويكون حجة عليها
ولو تحقق الشق الاول من خطه لكانت الامة المصرية وحكومتها وسلطانها كتلة واحدة
كلمتها واحدة ، واذا لم يتم فلابد الوفد الرسمي والوزارة بحيط الشق الثاني — فتميزت
معارضتها ، ولم يكن التصريح بذلك لاهضاء الوفد المنهتين مع هدلي باخا من قبل
ممكنا كالحلم مما خفي من التفصيل ، بل لم يكن من الممكن ايضا ان يصرح بصعد الامة
معتب هو دمه ان الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى انها لن نجد اليه سبيلا

الابوة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في اظهار حنا امام قواها
الكثيرة التي تعتمد عليها في سلب هذا الحق من الان هذا التصريح بنا في الخطة التي
استبطنها على كونه غير معقول — فان مناه دعوة الحكومة جبرا من اصلها الى
ادائها الى مقاومة الدولة البريطانية ، وهو تصريح لا يأتي من هائل

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سمد باشا وخطته بعد التروي والتحجيس ، ولعل
هذا قد خفي على الالف من الناس بضروب الجدل والمطاحن ، واكثر من ابد وفد
الوزارة الرسمي انما أيده في طلب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان الذي
هو جزء من المملكة المصرية لا يقبل الانفصال وكثير منهم يعتقدون أن مطلب
سمد وهدي واحد وان هدي اذا لم يوفق الى هذا المطلب فانه يقطع المفاوضة ويعود
بالوفد الرسمي ادراجه خلافا لما يعتقد السمديون كافة . فالاحتمالات في نتيجة سمي
الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة لكل منها عاقبة

الاحتمال الاول — عند الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال
مصر مع السودان استقلالاً دوايا تاما ، مطلقا من كل قيد يناهه مع مخالفة بين الدولتين
اساسها مبادلة المنافع كسائر المعاهدات الدولية ، فان وفق الوفد لهذا فان الامة تتلقاه
بالقبول والثناء وتكرمه بمثل ما كرمته به سمد باشا بل اهمام ويكون ذلك اجماعا
صحيحا من الامة — وان فرض أن شد سمد باشا عنها في ذلك وظل صارضا لهدلي
باشا فانها تنبذ ظهر با وتحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لها

في ادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
الاحتمال الثاني — أن يأس هدي باشا من الاستقلال التام المبين في الاحتمال
الاول او ما يقرب منه فيقطع المفاوضة ويعود بالوفد ادراجه — وعاقبة هذا انه يعود
وحدة الامة الى خبر مما كانت عليه وتتألف الجهاد السياسي في سبيل حريتها ،
ويتفق سمد وهدي ورشدي ثانية في ذلك ويكون الرجاء في النجاح ضلما ، فان
بد الله على الجماعة كما صبح في الحديث ويد الله لا تنقلب . وقد رأيت من المصنين
لفظن في هؤلاء الكبراء كلهم من كان يعتقد ان الخلاف بينهم صوري فوالحقوا

هنا لأجل الصراحة ، وبتوقع كثير من المعارفين بأخلاق عدلي باشا وطنيته ان
 ينظم الأمة وضعة بل يرجعون ذلك على نجاحه فيها
 الاحتمال الثالث — ان يصح رأي سمد ويعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي
 يقيد مصر وينظمها في تلك الامبراطورية البريطانية باسم من الامماء المعروفة
 والمختومة . وعاقبة هذا ان تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي
 أورشدي من عظمته ويكبر مرتب سمد بل تكون الأمة كلها معه الا من لا يذكر من طلاب
 الوظائف والنفق من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام
 قوة الأمة وقوة الحكومة المؤيدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق
 بالقوة ولا يخاف أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهما يفتلان ذلك ولكن قد
 يفتلان في حال الاحتمال الرابع المذهب بين هذا وبين الاول وهو : —
 (الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف انكثرة باستقلال سيامي
 فولي تام لمصر في داخلها وخارجها وحقوق في السودان لا تتبع مصر في الإدارة
 وأرباط الامبراطورية بماقده لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب . وأعظم
 الخبايا في مصر بأن تجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما
 سبق المنظم جميع الجرائد الى بيانه . ففي مثل هذه الحالة تجد الوزارة من الانصار ما تقاوم
 به السوداء الأعظم الذي يقوده سمد باشا ونسأل الله حسن العاقبة واتقاه هذه البلاد
 من كل مخنة انه صميم محب ما

السياسة ورجال الدين في مصر

لا يعلم رجال الاستعمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستعمرة بالفعل ، او بالقوة
 من سلطان الدين على الارواح ، وتأثيره في الارادة الباطنة على الاعمال ، فهم
 يثرون أدق العناية في كل شعب يظله سلطانهم بازهاق روح دين الشعب الذي
 على غير مذاهبهم أو نحو بلهذهن مذهبه اذا كان مخالفا لمذاهبهم ويثرون فيه دعاة
 مذاهبهم الديني ويؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، ومن مناهضتهم لدين الشعب
 وأنجاد رجاله عن افعال الحكومة ومناصبها ونعري جميل أصحاب الوظائف الشرعية

الشريعة ومنفرا عن الدين، وأما رجل زكي ميل للإصلاح يشغلونه بالوظيفة ورائها
ورجاء الترقى فيها عن عمل حر لا سهل مراقبته فيه وصده عنه - ولا يقبلون مثل
هذا إذا كان لهم مندوحة عنه - وأما رجل مشهور بصلاح أو علم ولكنه فقير جبان
حريص على رزقه، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة

كذلك يحولون بين المستمسكين بعروة الدين والفيرة طوبه وبين الترقى في
مناصب الحكومة إذا انتظموا في سلكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يكون أمر
مناخضة التعليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما أعمال وزارة المعارف
إلى أهل الدين المتعصبين له منهم، ولا يثقون إلا بمن يظهر لهم عدم الميلاة بوجهه
وإبرائهم فيما يعلم من مقاصدهم ونياتهم في ذلك

ومن الشواهد على ذلك أن مستر دنلوب الذي جعله ميطرا على وزارة
المعارف في معنم عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستانتي، وعلى
بطم عالم من الأزهر بأن يكون وزيرا بجانبه ورئيس إدارة أو قلم تحت سيطرته إلا
ومن الشواهد الجلية أيضا من مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخة التي أرسلت
مذجلة واحرقها بالنار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمنها المراقبة على الصحف
في كل مكان، وقد علمنا من الثقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة
لرغبة بعض المبشرين، وقد شكرونا الأمر إلى السر ونجت باشا إذ كان الحاكم العام
للسودان فإشكنا وهو هو المحدود من أوسع الانكباب صدرا وأبغهم هو يكم
وأكثرهم مداراة واستمالة للناس

وأكبر الشواهد عندنا على ذلك ما نقلت من قلم لورد كرومر في كتابه (عباس
الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته خيما
بأما كان من أكبر أسباب شهرة الانكباب الحسنة في الشرق كله، نقلت من قلبه
في هذا الكتاب ما شف عما كان منلويا عليه من التعصب الديني الذي كان يخفيه
بالرياء الفرسي الذي يوصف به البريطانيون واظهر للناس ان من أسول خياستهم
ظلم كل مسلم تربيته اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بأماذه عن مناصب الحكم
في بلاده وحصر هذه المذهب في انفرنجنين بأمرية الأوروبية الذين رعاهم اللورد

فله في كتابه (مصر الحديثة) بأقبح النعوت ونبرزهم بشر الاقارب. وهالك نصرته
منه في ذلك

قال اللورد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمناسبة الكلام على استقالة
وزارة رياض باشا الأخيرة ما ترجمته : « ان فشل تجربة رياض باشا تقضي دوسا هو
ان لا فائدة من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض
باشا . على ان التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكانت الحالة السياسية
تغيرت تغيرا حسنا الا انها لدوة الحظ فشلت فشلا تاما
« ولو اجربت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلا ثانيا فان من الواضح ان المسلم غير
المتخلق بأخلاق الاوروبيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام لذلك سيكون
المستقبل الوزاري للمصريين المنربين تربية اوروبية . فهذا قوله في رياض باشا الذي
لم ينزل الوزارة في هذا المصرا رجل مثله في عدله ورحمن ادارته واخلاصه وقد اتى
عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاديرة الخديوية) وفي احوال اخرى بما لم
يشن على غيره ، ولكن ذنبه هذه انه كان يراعي الشعور الاسلامي ويحافظ على كرامة
كرامة الاسلام

وقد ائذرت مجلة المقطف من تعريج اللورد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام
— ولم تذكره — بأنه كتب كتابه هذا قهرا ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر
في مصر وغيرها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقتها الميطرون البريطانيون للوظفين المصريين بالعمل
فصار يعرفها كل أحد ، وكان من تأثير ذلك مالا محل لشرحه هنا ، وانما فرضنا
ان تثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بمقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون
على شعائره وعباداته المحرصون على مجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة
بلادهم ولا سيما اذا نربوا في المأهدة الدينية كالازهر والتزموا زي علماء المسلمين
وخرضي من بيان هذه الحقيقة ان اذكر القائل عنها بأنها أقوى أسباب بحد
علماء الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وسياسة البلاد ، وكان
الانكليز يظنون انهم آمنوا بهذا من القيام بضرورة فورية للمطالبة بحقوقهم من الحكم في

بلادهم بدلا من الاجانب الذين افقوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلادهم ومصالحها ، وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسعد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حياته عدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نبره بقلب التعصب الديني على حسب عادتهم « رمتي بدائمنا وانلت » لانه قد اشتهر بالتساهل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي أدخل نطم الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بعمل لا نظير له في حكومة من حكومات أوربة نفسها دعم غيرها ، واقبض يعرفون ظاهره وباطنه ويستقدون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حفظهم منها حينئذ لم يبالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الانكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد بسعي الفين يترجون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهتمون غير اهوائهم وشهواتهم الشخصية فبالهم ما لم يكونوا يحسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشؤوا في المدارس الاوروية الترية سواء كانت بمصر او اوروبة وانتقلت من هؤلاء الى الازهرين وغيرهم من شبان المعاهد الدينية ، فكان هؤلاء الشبان ولقيل من الشيوخ تأثير يذكر في نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضغط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهرين وحائز طلاب المعاهد الدينية نظام خاص حضر على اهلها ان يشغلوا بالسياسة وفرض على المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وصمحت السياسة بما سمحت به من المظاهرات لوزارة المدلية ثم لسعد باشا زغلول على أمل اتفاقه معها في العمل كان لعلاء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

فقد ظهر في ميدان الوطنية السياسة الشيخ محمد نجيب الذي كان من أقوى أنصار الاحتلال في عهد اعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب افتاء الديار المصرية فخدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأي شيخ الازهر في ذلك المهد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم نجد بريطانية في أمبراطوريتها الهندية من رجال الدين كذبن الشيوخ
 نسين بها على حذف اسم الخليفة من الخطبة — رعا الأذان أكرها علماء الأزهر
 على اعانة الصليب الأحمر

واشرد المفتي الشيخ نجيب بإصدار تلك الفتوى الطويلة العريضة في تبخير
 البلشفية والتغريم منها حسب اقتراح السلطة المحتلة، وقد سبقت جريسة التبليس
 الانكليزية الى خيار العالم بالفتوى البغيضة وعرضوها قبل صدورها عدة طويلة.
 ولذلك قامت عليه قيادة الجرائد الوطنية ورد عليها الأزهريون وغيرهم
 ولما اشترك الأزهريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ نجيب
 حربا لهم حتى قبل انهم حددوه واستقطروه في مظاهراتهم وطمسوا فيه بخطهم واسمهم
 ما يكره في نفس الأزهر في اثناء تشييم جنازة الأستاذ الشيخ ابراهيم القاياتي
 رحمه الله تعالى

وأما في هذه الكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق
 الصوفية على الاحتفال بسعد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليها كثير من
 الشيوخ المدرسين في الأزهر فكانوا من أرفع أنصار سعد باشا صوتا
 ولما اشتد الخلاف بين سعد ووفده والوزارة المدلية مال الشيخ نجيب بأعوانه
 من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سعد أو الصلح به وسعد يرى
 تأييد الوزارة متعيا القطيعة له وللوفد بل للامة فن أبداها لا يبقى له حبل ولا خبط
 يصله به ، فن تم عد الشيخ خضما وهدم ما بناه في هذه المدة القصيرة من المنزلة
 الوطنية وكثر طعن السعديين فيه من حيث جار العدليون يكبرون مقامه ويلقبونه
 مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليدكم في السياسة كما يقلدون في الدين.
 ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جنى على نفسه جناية أدبية
 تؤثر في صيت مثله ومقامه ما لا تؤثر الجنايات القانونية، ذلك بأن الشيخ نجيبنا
 افترض نالم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نيز بعض الافرنج لها بلقب
 التعصب الديني من جراء ما سمى حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بعض المصريين
 للأجانب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم —

اقترع ذلك بنشر مقالة بليغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أحزاب الأمة وطبقاتها لما فيها من الحقائق المتجلية في أبهى ممرض من البلاغة والفصاحة يجمعها بين الجزالة وعلو الأسلوب والسهولة التي تناوّلها أفهام العامة . فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والاعتزان سواء كان مناطه الجنس والنسب أو الأمة أو الوطن أو الدين ، وأنه كغيره من الفرائز والملكات الانسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالتزامه والوقوف عند حده ، وطرفا إفراط وتفریط يمرض الضرر للأمة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منهما ، فالاعتدال في التعصب أن يكون تعاون الجماعة أو الأمة الذين تجمعهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفقون به شأنهم في الطوم والأعمال التي يرتقي بها البشر وتنافس فيها الامم — من غير تقصير فيما ينبغي لذلك بحول دون الغاية وهو التفریط ولا إسراف بحمل على ظلم الخارج من هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه مخالف وهو الافراط

وكل من نهجت له هذه الحقيقة من مرآة الشعب المصري يحزم بأنه لا يزال أقرب الى التفریط فيما ينبغي له من حفظ جامعته القومية والوطنية واعلاء شأنها بمساماة الشعوب العزيزة منه الى الافراط الحامل على العدوان على المحتفين وهضم حقوقهم كما يفعله جميع المستعمرين من الافرنج — فنشر المقالة في هذا الوقت كان مملا نافعا من وضع الشيء في محله في الوقت المناسب له

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد نجيب الناصر لما في الاهرام ولا هو بالذي بقدر على كتابة مثلها في أسلوبها ولا تحرير الحقيقة التي شرحت فيها ، بل هي من مقالات الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (المعروة الوثقى) التي أنشأها هو وأسنده . ووقف الشرق وحكم الاسلام السيد جمال الدين الافغانى (قدس الله روحهما) في باريس عقب احتلال الانكليز لمصر لمقاومة الاستقلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد ، وكان السيد هو المدير الديارى والأستاذ هو المحرر الاول لها . وقد نشرنا هذه المقالة في المار من زهاء عشرين سنة معزوة الى الأستاذ الامام ثم نشرناها جريدة المونيد قلاهن المار . ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تاريخ الاستاذ الامام الحاروي لاشهر منشأته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت
أعد اد العروة الوثقى بروتها في بيروت ونسخها تباع في مصر ، وبلغنا ان بعض الثبان
محفظونها من ظهر قلب ، ولا غرو فالمقالات الاجنبية في العروة الوثقى من
المحفوظات التي يستعان بها على طبع ملكات الانشاء العالي في النفس ، كما انها من
أفضل ما يوقظ الافكار ، ويبعث فيها روح المظة والاضبار ، ويغنيها لما يساور
هذه الامة من الفوائل والاعطار ، مع بيان عللها وأسبابها ، وطرق معالجتها والتفصي
منها ، وقد كان تحمل الشيخ بنحيت لهذه المقالة منها على ما ذكرنا من شهرتها أقرب
ما ينتقد عليه ، ويسدد سهام الادوم والتثريب اليه

نشرت المقالة في الاهرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسة والاقلام ،
وانبرت الجرائد اليومية لمواخذه الشيخ على هذه السرقة المفضوذة ، وطفقت الجرائد
الهزلية تخرع النكت للضحكة المبكية في هيمزته والرزابة عليه ، وقد كان مما قرن به
هذا الانتحال من الخذلان ان الشيخ بنحيتا حرف في المقالة بعض الجمل وغيب وقدم
وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي المحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في
جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكميا في جعل مواقة مانشره اليوم لا نشر بقلم
الاستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد الحواطر وقد اودعه المقالة بحروفها ،
مع التنبيه الى ما حرف الشيخ بنحيت منها ، بجمل الحرف مقابلا للاصل في جدواين
متوازيين ، ونشر محروس افندي عبده آخر الاستاذ الامام لايه المقالة في جريدة
الامة مقرونة بما يقتضيه المقام من الاستغراب والتقد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقاة
أن بعض الناس في دمنهور طفق يقرأ المقالة هندوصورها اليه في اليوم الذي نشرتها
فيه جريدة الاهرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وألق السمع الي لا تتم لك
قراءة ماشرهت فيه فاني أحفظه وأنتم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين ما في
الاهرام الا تلك الجمل القليلة التي شوه حسنها التحريف

ولو ان الشيخ بنحيتا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أشرفنا اليه آتفان
كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتحصب الديني الضار بحمله على ابتداء
المخالف في الدين لانه مخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

يقتل على طبعه فتدويه بفضل الاستاذ الامام باسمه - لكن خبره له وله مصلحة العامة - أما الاول فظاهر وأما الثاني فهو ان لم النام بصاحب المقالة ذي المكانة العالية المروفة التي بتضاعف ارتفاعها في الانفس عاما بعد عام يزدحم رغبة في قراءتها وتأملها والارتفاع بها ، ولأشك في ان قراءة النام للمقالة قد زاد بمد ان نشر في الجرائد ما نشر من أفكار انتحاليها على الشيخ نجيب وعزوها الى الاستاذ الامام ، وقد قلت لاصناذ شبر من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي ليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أمس للشيخ نجيب؟ قال رأيتها وقرأت اصلا من اولها ولم أنتهها ، ولم اضيق وقتي في قراءة ما يكتب الشيخ نجيب في التعصب والبحث في تعريفه بمثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حرق من المقالة بيان معنى التعصب لغة وعرفا فقدمه الشيخ عن موضعه فجعله في أول المقالة محرقا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة المروة الوثقى الشهيرة التي تعرفها - وذ كرت له تصرف الشيخ فيها قبل اذا أعود فاقراها -

ألا أن فعله الشيخ نجيب هذه من الغرامة بمكان وان كان أكثر ما يكتب أمثاله ليس الا نقلا لما كتب من قبلهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من النقات عنه انه قال ان المقالة له ، وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خنطوه يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فنشرها والمروة الوثقى غير معززة اليها ١١ وهذا تخلص عرض له في المجلس لم ير له مخرجا صوا ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تعبيده وما يخفف بهذا التقيد فوق ما منعه توقفه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم الصجب العجيب ، وهو ان الشيخ نجيبا قال في لاء من المنا ان فتواه في الباشقية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تطبيق قواعد الشريعة وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باناسم على زعيم الباشقية (لينين) الشهير ان يساعد على نشر الباشقية بسبب هذه الفتوى وفتوى أخرى لشيخ الاسلام في الاسفانة مختصرة في معانيها فاضطر (لينين) الى تغيير قواعدها وجماعها وافقة لاشريعة

هل هذا وكان الشيخ بخيت هو الشيخ احمد ابو خطوه هما المحررين لتلك المقالات
 الاصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من المروة الوثقى فاهتز لها العالم الاسلامي
 وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانيا العظمى اياها من دخول مصر والهند
 وفيرهما من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تذكر على من توجد يده سمعت شيخنا
 الشيخ حسينا الجسر يقول: ما كنا نشك في ان المروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى
 في العالم الاسلامي اذا طال امرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سلمان
 الكيلاني نقيب الاشراف ببغداد في ذلك العهد كان يقول كلما قرأ عددا من المروة
 الوثقى لعله لا يجيء المدد التالي له الا والانقلاب المنتظر قد وقع - او ما هذا معناه -
 هذا الروح القوي المؤثر المنجلي في تلك البلاغة المألية كان العالم يزعم ان مصدره
 اتصال كبر بائية السيد جمال الدين الافغاني بكبر بائية الشيخ محمد عبده نابغتي الشرق
 والاسلام في هذا العصر، ذلك اول اتصال الذي تألق برقه فأضاء طريق الهداة
 للشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبديه - ولكن الشيخ بخيت يقول اليوم لا افراد
 من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرح الشباب بما كان له
 ذلك التأثير في المروة الوثقى. ولكن ما باله قد زعم في مدة أربعين سنة فلم يظهر له
 أثر في خطبة مؤثرة، ولا في صحيفة من الصحف المنشورة؟ وما باله اليوم وقد طفق
 يبيد ما بدا، لم يحدث من التأثير الا التهمك والاذي؟ وما بال مقالة الشيخ الثانية،
 ليس فيها أدنى نسمة من ذلك الروح، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب؟
 نشر الشيخ مقالة ثانية في التمهيد انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الارزاق
 والغفيرة، ومن الامة المصرية أو لاسلامية بجماعتها أن سكنت لهم ولم يفاضلهم عنه
 أحد منها، افتتحها بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
 ولكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بحملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق
 لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احياء الغرلي في صفات النفس وما في
 اعتدائها من الفضائل، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط من
 "رذائل" وجمال ذلك مقدمة لتبني الاعتدال وجميع ما يزيحه من الفضائل عن المسلمين
 وثبات ضد هاهم ما كرهه من قوله لو ان المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا من

المعاصي والردائل ولا سيما التباغض والتمحاض وكل ما يسح ان يوصف به من خاصوا فيه بما خاصوا بما لا ينسج المقال لنقله ولا لنقله ، لا ان نقول انه ليس فيه من موضوع التعصب الا اثبات أفرط المسلمين فيه كغيره من الاخلاق والصفات وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المصيرين بالافراط والتعصب وزيادة لوفظناوا لملوا الشيخ حجة أو فتوى على عدم استحقاقهم للاستقلال ، وهو ينقض أو يناقض الفرض السامي الذي تراهي لنا انه نشر مقالة العروة الوثقى لاجله كما تقدم ١١١

هذا ما كان من أمر الشيخ بنحيت في تصديه وتصدد . « العامة السياسية مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من سر علماء الازهر ويثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحقاق عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الامة بأفكارهم واقدامهم وأعمالهم لأن هذا ما نراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غرو اذا ساءنا جمل الشيخ مضمرة في الافواه ، وان كان هو عقبه في سبيل الاسلاح الديني المدني الذي نسمي اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بنحيت لا يصلح للسياسة

وأما قرينه في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الدين بالوراثة ومشيخة الطرق التي هي وظيفه رسمية لتتاليد موروثة ، وانما كانت تربيقه وتعلمه مدينين لا دينيين ازهرين وهو محافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجهم بين العيشة المدنية كالمترنحين مع هذه المحافظة على الدين باداء الفرائض واجتناب المعاصي والردائل ، وهو كما تعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، ويتمنى لو يستطيع الى اصلاح حالهم سبيلا ، ثم انه يحب الاسلاح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو معتدل الفكر في ذلك على كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، وقلما تداكرنا معه في مسألة الاوكنا على اتفاق او انهيينا الى اتفاق ، فهو في مكانة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للرعاية الا أنه ينقصه من شروطها ما قلنا انه ينقص عدلي باننا فهو يشبه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيقية وفي الاحجام عن كل ما من شأنه ان ينير خصاما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تمرد الخطابة والكتابة والجدل

والحاجة ، وقد عجبنا من دخوله في هذه الممعة في خلاف ما يعرف من طباعه على انه تصدى أولا لامر منهق غديه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف فجعل احتفال العلماء به في دره الواسعة بل قصره الفخم ، ثم جاري الشيخ بخيتا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جاري الامير عزيز حسن ورشي ان يعقد في باحة قصره اجتماع عام برأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطب في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تتضمن الرد على الوزارة وتدعوة الى عدم الثقة بها — ترك الدار للمدعويين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل ظل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي أراه انه لا يمكن أن يمضي في ذلك ويثبت الا أن يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين المعارفين بحال العصر بشرط ان يسيروا بنظام مدون بحيث لا يعملون عملا الا بقرار مدون ، وأنا ممن برشحونه لهذه الرئاسة ان هو أقدم ، وارجح انه لا يفعل

تبجج البختيين وغروهم بلقب أئمة الدين

إذا اراد رجال الدين الاشتغال بسياسة أمتهم ومصالحها العامة فأحوج ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ الملل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على تحلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى القوائيد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا أن شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لا يقبل أن يخضع لشيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم والخضوع لهم في أقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان انتحلوا لا مسمهم القاب الاثمة أو جاد عنايتهم بها في وقت من الاوقات من ينفع بهم في مفاهرته على خصمه

أقول هذا لاني أراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اوده وأتمناه وقد

على سكرتير الوفد المصري فيما عزاه الى حريم من خطأ لا أرى ما انوحاه من
المائدة في نقد هذا المقال يتوقف على بيان الخلاف بين هؤلاء الشيوخ وبين
الوفد، وهذه المائدة بيان خطأ الكاتب فيما كتب كما خطأ في الباعث على هذه
الكتابة وهو ما علم من التمهيد آنفا

نشر هذا المقال في جريدة الاخبار بامضاء (عبد ربه مفتاح من علماء
الازهر) وقد وصف فيه الشيوخ الذين خطأهم ناموس الوفد (سكرتيره)
ورماهم بما ينافي الوطنية (كما يفهم من كلام الكاتب) بقوله انهم « أشرف
وأرق طائفة في الامة بل في العالم الاسلامي وانهم قادة الامة وامثاؤها على
وحي الله تعالى الذي به السعادة الابدية او شقاؤها السرمدي » (كذا)

ثم قال بعد هذا الوصف: أيها القوم ان لكل مقام مقالا، وان مقام
التكلم مع رجال الدين وفيهم مثل فضيلة الشيخ نجيت وصاحبة السيد البكري
شيخ مشايخ الصوفية وابن أبي بكر الصديق امين هذه الامة (؟) يجب الا
يكون كما تكتبون. رجال الدين في كل زمان ومكان هم أمناء الله على دينه
فصيبة كبيرة وفتنة عظيمة اذا رميناهم بالمروق من الوطنية من أجل انهم
خالفوا في الرأي شخصا مميذا

ثم قال « هبوا العلماء اخطأوا في هذا أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول
« اتقوا زلة العالم » ويقول « لحوم العلماء مسومة » فلماذا استمر أنتموها
فأكلتم منها حتى التخمة ؟ اهـ

أقول يا للمعجب من هذا المعجب والغرور والدعوى المريضة والجرأة على
رواية الحديث والاستدلال بكل ماجرى على الاسنة منه وان كان ضميما
من أين علم الاستاذ الكاتب ان هؤلاء الشيوخ الذين وقعوا مع الشيخ
نجيت على ما ارتآه في المسألة المصرية هم أشرف وأرق طائفة في الامة بل العالم
الاسلامي وهذا شيء لا يمكن ان يعمله الا الله تعالى وان أريد به ظاهر ما عليه
الناس من العلوم النافعة والانمال السالمة، دون السرائر التي عليها الممول في
الواقع، فهل طاف الاستاذ الكاتب العالم الاسلامي كله واختار جميع علمائه
وصلحاته واحاطت علما بدرجات علومهم وكنه أفعالهم وشرفهم في بلادهم ووسع
شيوخه الذين يرأسهم الشيخ نجيت في كافة ميزان وسائر أولئك العلماء والباحثين
كافة، سكت كلمة شريفة، قال كلمة أولئك

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى عنه ! أيجمل هذا كشيخة الطارق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسوين الى الصديق والى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها من الصحابة البر والفاجر ، وان مشيخة الطريق هي ما يمد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه : ايها الاستاذ اربع على ظلمك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك في هذه الالقاب والنعوت التي تكيلها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وحيه رتبة عالية لاتنال بشهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشريف من الامراء والصلوات ، أين آثار شيوذك في قيادة الامة التي نحلهم اياها من لدعوة الى كتاب الله وصلة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والالحاد والشبهات بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الفزالي في الفرق بين علماء السوء وعلماء الآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه العلوم الشرعية وآلاتها المربية كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشمراني في الميزان بحديث « العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان » الخ

ايه : ايها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سمعته ليه ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بخيت وأمثاله الذين فاضلتهم على جميع لامة والعالم الاسلامي فأديت الامة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من فواه الذين يتجرءون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل ما يسمعون منه من أم يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحظره وتزوير تركبه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثية ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه العسكري في الامثال والديلمي في حديث عمرو بن عوف بزيادة « وانتفروا فيئته » وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم وانتفروا فيئته ، وأبو نعيم في السنن وابن دى في الكامل وراويه الذي انفرد به هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد المري عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن مثير ليس (١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتبه رسالة في بيان الضعيف من

ما دبت الجامع الصغير

لثني . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب . وقال مطرف بن عبد الله المدني رأيته وكان كثير المصومة لم يكن احد من أصحابنا يأخذ عنه . وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطلال الخ . وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه اهـ . وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما اتخوف على أهلي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم » اهـ من تمييز الطيب من الخبيث وهو في مناه حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتاج به كما هو ظاهر

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحدا رواها حديثا بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتينا الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثا وأما ان يكون هو الواضع لهذا الحديث وهو موضوع بلا شك . ونسأل الله تعالى ان يصالح هذه الامة ويلهمها رشدًا ويقبها شر الفرور القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في البصرة كايوب بارة بالقرب من سواحل ايطالية

المعتصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى اصحاب هذه المجلة فلاما موتيا بماء المعتصم بالله . وكانت ولادته عند معالم الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشمس في ٢٥ من برج السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فساله تعالى أن يحياه حياة طويلة طيبة وينبئه نبأنا حسنا صالحا ويحمل له من اسمه أوفر نصيب ويكون قرعة عين لوالديه وآله وأمه ، وان يستجيب دعائنا عند مهاينا بأخيه الهام قبل ولاته بأربعة أصابع فيكون خلفا صالحا لذلك الفرط التقدم (الذي ظهر عليه في طفولته من امارات الذكاء والنجاة والفصاحة ما يند . فهوره من . مثله) فيكون خيرا . في ذلك كما وعد الصابر بن المهتسين ، وان يحملنا على ذلك من الشاكرين آمين

خواطر

الاستاذ الشيخ محمد الخضر

١ - ان كبرت ذللك فاصبح بملك ما لم تعلم ، واتسع خيالك فبات يلقي عليك
من الصور البديعة ما يلذه ذوقك ، فانت ما بين أستاذ يمحض نصيحته ، وتديم
لائل صحبه ،

٢ - يبهط الشجر ظلّه للمقبل ، ويقف بقناديل الكهر يا على سواه السبيل السبيل ،
أفجبر انت من البؤس وهو أحر من الامضاء ، وتولد سراج حكمة يهدي بعد
موتك الى المحجة البيضاء

٣ - حببت العلم ضلالا فزاديت الى الجهل ، وآخر يزعم التقوى بلها فكان
داهية الفجور ، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الارجاس ، لكان خبر أمة
أخرجت للناس

٤ - هذه الدنيا كالمعدة الزجاجية في لآلة المصورة ، تضم الرأس ، وطحى القدم ،
ترفع القدم الى مكان الرأس ، فزولوا الرجل بآثره ، الا ، يبدو لكم من مظاهره
٥ - يصنع الصانع الخلق ، وتصنع ما تجميل به النفوس في محافك العلى ، فان ظلت
تنهافت على صانع الخواتم والسلاسل ، فاعلم انها ما برحت لاهية عن هذه المحافل
٦ - سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت برع في فن المجاز فنهكم بمن أصبح
عبدا للهوى ، وسميت النفاق كياسة فقلت خان الفضيلة في اسمها أوحانه النظر في فهمها
٧ - كان لسان الدين ابن الحمليب جنة أدب تجري نحتها انهار المعارف فآتت
أكلاها ضممين ، ولكن نفست عليه السياسة بخار سام فحقتته ، وشبت نار الحسد
في اقلوب القارية فاحرقته

٨ - سرت والنور أملك فانطلق ظلك هل أنرك ، ثم وابته قفك فكان الظل
يسمى وانت على أثره ، وهكذا العقل يستقبل الحقيقة فينبه الخيال ، فاذا أدر عنها
انقلب الخيال الى امام ، وقاده في شهاب الباطل بفجر الجحيم

الى ثائق التار يخيت في المسألة العربية

٥

مذكرة الامبر فيصل في مؤثر الصلح

جاء في عدد جريدة الطان الذي صدر في ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩١٩
نحت عنوان (نشرة اليوم) ما ترجمته
(مطامع الحجاز)

من الأسف أن نضطر الى العودة الى البحث عن الحجاز . ان سكرتير الوفد
الحجازي قد رد على النشرة التي نشرتها الطان مساء يوم الخميس (أي ٦ الشهر)
بكتاب طلب اليها نشره فلا يسنا والحالة هذه الا تلبية طلبه
كتب اليها عوني عبد الهادي يقول ان جريدة الطان نسبت الى ملك الحجاز
مرامي توسع لم تدر في خلده البتة . ويرد سكرتير الوفد تكذيبه هذا بالتاكيدات
القطعية بقوله : ان الملك حسينا لم يفكر قط بجعل مكة عاصمة جميع البلاد
العربية التي عملت أخيرا من التير التركي فهو يفهم أحسن من أي شخص آخر
الاسباب التي لا يمكن للحجاز بسببها أن تتعرض للامور السياسية الخاصة بهذه
البلاد . فالمناقضة والابهام اذن والحالة هذه ليستا في الميل والرغبة في ضم
البلاد التي أظهرها ملك الحجاز بل هي بالاحرى في الشدة التي استعملتها بعض
الصحف ونسبت بها الى هذا الملك أفكارا ودعاوي لم تخطر على باله

ان ملك الحجاز لم يعلن الحرب على تركيا الا لتخليص اخوانه في الجنسية
الدين كانوا يقاسون ظلم الترك من النير الخيف الذي كان يثقل كاهلهم كما يتضح
من المنشورات التي أذاعها فيما بعد ، فهي لا يظهر منها انه بانضمامه الى الحلفاء
ضد تركيا التي ارتقت في أحضان ألمانيا وحلفائها يرمي الى سياسة التوسيع ، بل
صرح مرارا عديدة بأنه لا يرغب في ضم شبر أرض من البلاد العربية الى مملكته
سواء كان من سورية أو العراق . بل الفكر الذي يرمي اليه هو أن يرى كل
هذه البلاد التي مسها الضرر الشديد من جراء فظاعة الترك حرة مستقلة ، وهو
غير مرتبط بأية وثيقة كانت خصومية او صهرومية مع أية دولة كبرى ، ويرغب
في أن تترك الشعوب العربية حرة لتقرير مصيرها طبق لمبادئ الدكتور ولسون

(٥) تابع لما في الجزء الثالث

هذا ما قاله السكرتير حسين (عوني) عبد الهادي
على أن فرنسا وحدها تشتر بالرجبة في تأمين الحرية للشعوب العربية خصوصاً
منهم سكان سورية التي كانت تحميمهم سابقاً في الوقت الذي لم تكن حقوق الامم
رائجة فيه بعد. وجريدة الطان نفسها بتوجيهها الانظار الى الحجاز الذي يحاول
أن يوسع سلطته على سورية انما أرادت أن تدافع عن حرية العرب السوريين،
ثم ان سكرتير الوفد الحجازي يؤكد أن الحجاز لا يروم أن يضم اليه شبرا من
من البلاد العربية لا من سورية ولا من العراق !
وجوابنا على هذا

ان واجبات اللياقة والضيافة لا تسمح لنا أن نجيب على هذه التصريحات
بالاهجة التي وضعت فيها ومن حسن الحظ ان مندوبي الحجاز أنفسهم هم أخذوا
على أنفسهم الرد عليها فلنترك لهم الكلام بتحليل مستند حرره أنفسهم
ان هذا المستند الذي قد يمكننا طبعا نشره على علته اذا أرادوا قد نشر
بصنوان (مذكرة من الأمير فيصل) الذي هو ابن ملك الحجاز ورئيس المندوبين
الحجازيين الموجودين الآن في باريس وقد جعل تاريخها اول يناير سنة ١٩١٩
وقدمها الى الدول العظمى بمناسبة المؤتمر وهي بيان للمطالب الحجازية أفرغت في
قالب من الوسوسة والبلاغة يعودان بالمدح والثناء على الذي حررها، واتناصرة
والحق يقال أن نشر للجمهور بياناً واضحاً بدرجة هذا البيان وسيطلع كل
شخص ذي ذمة عليه بكل سهولة دون أن يحوجنا الى تفسير كل دقائقه

مذكرة فيصل لمؤتمر الصلح الاول

استهل الأمير فيصل مذكرة ببيان الاقسام المختلفة التي يدعوها آسيا
العربية فقسمها الى ستة أقسام ورتبها الترتيب الآتي (سورية والعراق والجزيرة
والحجاز ونجد والبحرين) وقال انها تختلف اختلافاً كثيراً بعضها عن بعض ويشعر
دعجها في دائرة حكومية واحدة ولذلك حاول أن يعين المصير الذي ينبغي أن
يكون لكل واحدة منها

ابتداً أولاً سورية فقال ما يأتي (اننا نعتقد أن سورية هذه المقاطعة
الصناعية الزراعية التي يقطن فيها عدد كبير من السكان من جنس ثابتة هي
بلاد متقدمة تقدماً كافياً من الناحية السياسية يمكنها من أن تقوم بأعباء
أمورها الداخلية ، ولذا نرى أن الاسانارة والمناورة الاسرية من غير

بمينا هذا لثمرنا القومي ونحن مستعدون لصرف ما يلزم من النفود في مقابل هذه المعاونة ولا يسمنا أن نسحق في مقابلها أي جزء كان من الحرية التي أحرزناها فلا بأنفسنا وبقوة سلاحنا اهـ

وعلى ذلك فان سورية بناء على مذكرة الامير فيصل ستسمح استقلالاً ذاتياً بما يتعلق بأمورها الداخلية ويدمج في خدمتها اخصائيون من الاجانب بدون أن يسمح لاية دولة أجنبية أن يكون لها أقل نفوذ في البلاد، فمن ياترى يقوم باعباء علائق سورية الخارجية؛ الجواب على ذلك أن الظواهر تدل بأن ملك الحجاز يقوم بهذه المهمة وناهيك بما جاء في المذكرة من عبارة (نمونا القومي) وعبارة (الحرية التي أحرزناها بأنفسنا) كأن الحجاز وسورية لا تكونان في نظر العالم سوى دولة وحكومة واحدة.

ثم انتقلت المذكرة من سورية الى العراق والجزيرة يعني الى جزئي مقاطعة بين النهرين وهنا أقرت النيابة الحجازية برنامجاً مخالفاً تمام المخالفة للاول، ثم انها قد طلبت أن تكون الحكومة عربية (بالمبدأ والروح) الا أنها لم ترفض تدخل دولة أجنبية فقد جاء في المذكرة (ان العالم يرغب في سرعة استثمار ما بين النهرين ولذلك نرى أن شكل الحكومة في هذه البلاد لا بد أن يكون مستندا الى الرجال والموارد المادية التي تقدمها دولة أجنبية عظمى) اهـ ان في هذا تنازلاً لبريطانيا العظمى التي حفظت لنفسها السهر على ما بين النهرين في الوقت الذي كانت تعترف فيه لفرنسا بحق السهر على سورية

ثم جاء بعد ذلك ذكر المقاطعات الثلاث الواقعة في نفس شبه جزيرة العرب وهي الحجاز واليمن الواقعتين على ساحل البحر الاحمر ونجد التي هي المنطقة الداخلية فلم يسلم الامير فيصل بمذكرته فتج باب المناقشة في مصير هذه البلاد، وبين بعد ذلك أن الحجاز ستبقى محكومة طبق الطرق المرفية وقال (اننا نقدر هذه الطرق تقديراً يفوق تقديراً أوروبية لها، ولذلك نطلب المحافظة على استقلالنا التام، وأما اليمن ونجد فالأرجح انهما لا تمرنان مسئلتهم على مؤتمر السلع وهما سيتناقشان في مسائلهما بعضهما مع بعض ويقومان بترتيب علائقهما مع الحجاز وغيره)

ان هذه اللهجة ترجعنا سنة الى الوراء اذ بخيل لسانها انه يسمح الهركولن بشكهم عن مصير كورلندة الروسية

بقيت مقاطعة فلسطين فقد قالت عنها المذكرة الحجازية ان الاكثرية
المعطى من أهالي هذه البلاد عربية وان العرب متفقون مبدئيا اتفاقا تاما
مع اليهود غير أن العرب لا يسمح أن يخطر وأ أن يأخذوا على أنفسهم
مسؤولية الاحتفاظ بالتوازن في خليط العناصر والاديان الذي كان على الدوام
في هذه المقاطعة الوحيدة يدفع العالم للمسا كل ، ان العرب يتمنون أن يعطى
مركز ممتاز في هذه المقاطعة لموكل عظيم في الوقت الذي تمنح البلاد فيه حكومة
محلية نيابية تقوم بانماء عمران البلاد من الوجهة المحلية (اهـ)

البرنامج الحجازي يقضي بتمريض دولة عظمى في كل من فلسطين
وماين النهرين وليس هناك حاجة لبيان أن في هذا تنازلا للمصالح الانكليزية .
ان هذه المطابقة لا تبرهن — كما كان قد صرح كاتب أسرار مندوبي الحجاز
— على أن ملك الحجاز غير مرتبط بأي نوع من الوثائق الخصوصية مع أية دولة
وقد اختتم الأمير فيصل مذكرته بقوله (انني بتشديد الاشارة الى الفروق
الموجودة في حالة بلادنا الاجتماعية لا أود ان أقول بأن هناك اختلافا حقيقيا
في المرامي والمصالح المادية والمعتقدات أو الاخلاق على وجه يجهل ارتباطنا
بمتذرا ، ان أهم عقبة يجب علينا تذليلها هو الجهل المحلي الذي تقع معظم مسؤوليته
على عاتق الحكومة التركية) اهـ فالمقصود اذا تشكيل حكومة واحدة ينبغي
اعداد أساسها بجمع شمل كل البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية القديمة
تحت زعامة ملك الحجاز الموجود في مكة ، ان الانسان اذا أمن النظر في هذه
الطلبات الرسمية تمكن من تقدير تكذيب ما أرسله اليها كاتم أسرار مندوبي
الحجاز حق قدره عند ما كتب اليها (انه لم يدر في خلد ملك الحجاز البتة أن
يجعل مكة عاصمة للبلاد العربية التي تملكت من النير التركي)

وعلى هذا فقد برح الخفاء وظهرت سياسة الحجاز التي كانت مفرغة في قوالب
المبادئ الويلسنية كما كانت سياسة الحدود الالمانية في مقاطعة كراينا وبلاد
البطريق كأنها مشروع لضم البلاد أو من قبيل وضع امبراطورية بدوية مكان
امبراطورية تركية

ان مذهب الوحدة العربية يخدم مطامع فئة قليلة من التفعيين العرب
والاوروبيين كما كان مذهب الوحدة الالمانية يخدم مطامع السلطة البروسية
المسكرة فاذا كان هناك رغبة في نشر السلام في الشرق فينبغي اجتناب الوقوع

في هذه المطالبات . ان الوحدة العربية اذا كانت ممكنة التحقيق فانها لا تكون بالفتح والسيطرة ، ولا بالجميات السرية أو المساعدات المالية المستترة . بل لا يمكن تأسيسها الا أن تجتمع فيما بعد الحكومات التي قد تكون تملت فيما بعد كيفية الحكم الذاتي وتكون أقبلت وأدركت بكل حرية منافعها المشتركة . ان كل سياسة أخرى تكون جائرة وحمياء من شأنها ان تثير في العالم الاسلامي حركات تقضي مصلحة حلفائنا البريطانيين العظمى ان يجتنبوها ، اه كلام الطان التي توغلت في الاستنباط لما لقومها من الطمع في استعمار سورية ، واندفعت هي وغيرها من الجرائد الفرنسية تحذرا لانكليز من تأسيس جامعة عربية تمتد الى افريقية وتسد سلطان الاسلام الذي تقبج هذه الجرائد بأن الحلفاء تركوه كالطير المقصوص الجناح من مملكة مراکش الى مملكة الاستانة !! وكانت في غنى عن تحذير الانكليز فهم أحذر من الفرنسيين وأدهى وانما يريدون السيطرة على جميع بلاد العرب ليحولوا دون تأسيس الجامعة العربية والفرنسيين يخافون عاقبة ذلك أكثر مما يخافون من ارتقاء عرب آسية ومصر ان يسري الى سائر عرب افريقية . فن حماة هذه الجرائد انها تنفر العرب من أمتها من غير فائدة تجنيها من ذلك فالانكليز يسفرون من نصائحها ويعملون ولا يقولون

(٦)

﴿ استسلام الحجاز لبريطانية العظمى ﴾

جاء في آخر مقالة افتتاحية من عدد ٢٤٠ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ما نصه
« وها مقلتنا الاغر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من تصريحات أم صحف العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته وافتدائه السياسي والحربي والمالي امام أهوال سنيننا هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وما تربده ثقة واعتمادا على معاشر العرب بقولها من بحث : سياستنا القديمة التي كانت ترمي الى تسديد تركية وضد أروها على اعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حريجول عمل السانسة العثمانية البالية الماسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحلون محل تركيا العرب أما سوام قلمطين الجديدة وأرمينية الجديدة)

« نرحب ونؤهل ونسهل بمن أنزلنا محل نقته، وتوسمنا بالاهلية لمصادفته، ولا ريب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، ولئن لم فليعمل الماملون الف الف أهلا وترحيبة وأضماها شكرا المحسن الظن، وأنا لا نجيبه بما قال أحد أشياخ جاهليتنا: أهمني صغير وحماني كبير، ولكن تقول ان العرب اليوم هم كالأشبال أو أفراخ الشياهير والبازي المحتاجة لصيانة آبائها.

« ومع هذا فستجدهم أبها الداعي المحسن الظن ان شاء الله تعالى من حيث تريد، وتراهم ببنائته بيت القصيد. فليكن بني يعرب ما أو تبتوه من طموح الإلتفات اليكم، وآمال أجل شحوب المالم فيكم، فانظروا ماذا تأصرون بعد ما وصفكم ذلك الشجب بما وصف، فأجيبوا داعي المكرمات، وحققوا في نهائيتكم التصورات، وكونوا خيرامة أحييت مندرس معالم سؤدد أسلافها للناس، ولا تهم أرفع واسمي من أن تذكر له نكبات التخاذل وموارد الأتماس، أو تسيثوا بقولنا الظن وعكس القصد. وأيم الله انه الحق، ونكرر ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بانامناش الحجازيين ولا شيء من الرياسة أو السيادة ان كانت في سوري أو في بني أو في حجازي ونحوه، ولا يهنا وزن الكمية الا تولى لكم لبلادكم كتنولي النجوب المحررة لبلادها. وان داء الشامى هو داء اليماني وان في شقاء الآخر شقاء للاول. وان ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خيرا أو عكسه. ومتى تقطنهم في ان أبسط دليل على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولا شيء مما اصاب اخوتهم من الضيم الذي سارت بأنواعه الركبان علمت أنهم ادركوا تلك الغاية الجليلة واغتسموا تلك الفرصة لتحليلهم بجلالها، وان بمنعم بدعة الجيش التي هم بها من مسمم من أنين المضطهدين من اخوانهم عار عظيم لا يفله الا دماهم وكان بفضل ما كان فلا تمقموا النتيجة ولا نهروا تلك الدماء الزكية والنفوس الالية « اه كلام القبله بنصه السقيم (٧)

﴿ كلام التيمس في اتفاق سنّي ١٩١٦ و ١٩١٧ ومذكرة فيصل ﴾
 جاء في عدد التيمس الاسبوعية الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من ضمن مقالة عنوانها (الوفود والصحافة — تحفظ شديد) ما ترجمته

اتفاقية سنة ١٩١٧

وهنا تظهر أيضا الاتفاقية السرية التي عقدت في أواخر فبراير سنة ١٩١٧ ممينة مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية وروسية في آسيا التركية، ان هذه الاتفاقية

اعترفت باحداث دولة عربية مستقلة أو بحلف من دول عربية وبعد تعيين منطقة نفوذ روسية اعترف بأن تأخذ فرنسا الساحل السوري وولاية اطله والاقليم الذي حده من الجنوب خط هنتاب — ماردين حتى الحدود الروسية المستقبلية، ومن الشمال خط يمتد من الأداغ الى قيصرية — اق داغ الى يلدز داغ فزاره طاجين غربوط، وأن يكون لبريطانية الجزء الجنوبي من العراق مع بغداد وفي سورية نفرا حيفا وهكا

و بحسب الاتفاق بين فرنسا وبريطانية المظني تكون بين المقاطعة التي بين الاقليمين الفرنسي والبريطاني دولة عربية مستقلة تمين فيها مناطق نفوذ وتكون الاسكندرونة ميناء حرة

أما الفرنسيون فيذهبون الى أن حقوقهم على سورية لا تستوفي ما لم تعتبر سورية كتلة واحدة وان هذه الحقوق ليست — كما أشير اليها بمزاح — مبنية على شهرة البعثة السورية التي بقي صداها يرن في الآذان الفرنسية بأعلى النغمة المظني « مسافر الى سورية » ليست مبنية على هذا فقط بل للفرنسيين أساس أمتن من ذلك ناشئ عن الموقف الخاص الذي اتحلته فرنسا الجمهورية عدوة الاكليروس بقولها انها حامية للمصالح الكاثوليكية في الشرق . وقد كانت فرنسا دائما تحمد نفسها على موقفها في سورية ، وكانت على حملاتها على الاكليروس تسمى لحفظ النفوذ الادبي الذي لها في تلك الاصقاع بما احدثته من الملاحج الدينية والخيرية والتهديبية ، وهناك عدد من الاسباب الاقتصادية الثابتة أيضا تهتم به فرنسا بالطبع ، وعامة التجارة السورية تكاد تكون في الايدي الفرنسية . وان رأس المال الفرنسي هو الذي بدأ بتجهيز تلك البلاد بالحك الحديدية والطرق — فسورية بالنسبة الى ليون ومرسيلية هي اشبه شي بنسبة افريقية الغربية الى لينفربول

مطالب الأمير فيصل في المؤتمر

« وفي الحقيقة ليس في مطالب فيصل ما يعارض مطامع الفرنسيين في سورية مباشرة — ففيسل يرغب في الاستقلال التام للمحجار وحده فقط ، وأما سائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن تركيا — وهو لاجل الحصول على هذه الغاية سل سيفه من غير ان يحصل على اي وعد من الحلفاء فانه لم تعط له وهو لا يمد ان أخذ فـ المحار

« وقد اشار بأن تقسم البلاد العربية الى سلسلة حكومات صغيرة مجتمعة بحسب المصالح الاقتصادية والمشيورية (نسبة الى المشائر) وان تدبر هذه الحكومات دولة من الدول المعظمة ، وكل دولة من هذه الدول الصغيرة تختار بحريتها الدولة المعظمة التي تقتضي حالتها ان تكون لها الوصاية على تلك البلاد »
« ويرغب فيحصل بأن تطلب كل البلاد العربية دولة واحدة للوصاية عليها ، وكذلك يرغب اشد الرغبة بان لا يرغم أي جماعة من العرب على وصاية لا يرضون بها »
« ولنفرض ان هذه الخطة طبقت فن الطبيعي ان تستثنى فلسطين ولبنان بالنظر الى المصالح القومية الخاصة ، وان نجاح هذه الفكرة وتطبيقها يتوقفان ولاشك على كيفية تحديد الدول العربية المتنوعة » اه كلام التيمس التي تتبجح جريدة القبلة باطرائها

(٨)

الفرض من محبة المستر تشرشل الى مصر وفلسطين
ومقابلته لوفد المراق

كان لاصحاب الالهام سبب طويل في الفرض من هذه الرحلة لوزير المستعمرات البريطانية حتى جاء البيان لذلك فيما نشره المقطم في العدد الذي صدر منه في ١٩ مارس سنة ١٩٢١ تحت عنوان (مهمة المستر تشرشل) وهذا نصه:
رد المستر لويد جورج على سؤال وجه اليه في مجلس النواب عن مهمة المستر تشرشل في مصر فقال « ان المستر تشرشل صافر الى مصر ومعه ستة اوسبعة من موظفي مصلحة الشرق الاوسط ومن القسم المالي في وزارة الحربية ومن وزارة الطيران . وانه لا يظن ان يجتمع بأحد من زعماء العرب ويتوقع ان يقضي بحو عشرة أيام في مصر وبعضة أيام في فلسطين ثم يعود الى لندن فيعرض اقتراحاته على الوزارة . وقد تباينة الحكومة ستعرض على المجلس

وارسل المستر تشرشل كتاباً الى السير جورج رنشي رئيس جمعية الاحرار في دندي قال فيه انه لا يبتغي ان يستمر في اتفاق الاموال الطائفة على الدراق العربي بل يجب انقاص النام من القوات هناك انقاصاً كبيراً جداً في الحال ومع ذلك

تتفي نفقات مختلف من عشرة ملايين الى احد عشر مليون جنيه في العام وهو أكثر كثيراً مما يحق لنا اتفاقه في تلك الجهة ولا سيما اذا ذكرنا عظم خصب املاكنا في غرب افريقية وشرقها والفرص السائحة لنا فيها لترقيتها لخير الامبراطورية بالنسبة الى الشرق الاوسط فاذا لم نوفق الى ايجاد مشروع أحسن وأرخص كثيراً من المشاريع التي امامنا الآن اضطررنا الى الجلاء عن العراق العربي ولكن الغمر والحزبي الذين يلحقان بنا من جراء هذا العمل يجب ان لا يقال شأنهما ولا يصغر أمرهما . فقد قبلنا الوصاية على تلك البلاد وتعهدنا ان ندخل فيها انظمة من الحكم تفوق الانظمة التي قوضنا أركانها ونفضاها كثيراً فاذا نكصنا بعد هذا على اعتابنا وارتددنا بالمر الى الساحل كان ذلك حادث لا يتفق مع نبالة القصد وحسن السعة التي نعرفنا عن بريطانيا العظمى . واني أوصل انه اذا انشأت حكومة عربية تؤيدها قوة عسكرية متوسطة يمكننا من القيام بما يجب علينا من غير ان نوفر هاتق الحزينة البريطانية بنفقات لا مسوغ لها . على ان اقدامنا على انشاء حكومة عربية في بغداد فتح علينا باباً لم نر مناصاً من ولوجه وهو معالجة المسألة العربية كما امن حيث علاقتها بالمصالح البريطانية . فاذا لم تدبر الشؤون العربية بطريقة تضمن استتباب السلام والسكينة بين قبائل العرب في هذه الوهلة حال ذلك دون سحب عدد كبير من جنودنا من العراق العربي واقام نفقاتنا وعاقبنا كثيراً

وتشرت التيم من تفرافاً لمكانها من مرسيليا قال فيه ان المستر تشرشل قبل ان يبحر منها قال : من أكبر افراض وجهتي ايجاد النظام بين انكلترا وفرنسا في الشرق وهو نظام عظيم الاهمية للفرقيين وسأدرس الحالة في العراق وآسيا الصغرى فانه يمين علينا ان نعيد السلام والنظام الى تضاريسها في تلك الجهات مما بلغت كلفتها ونقص المصروفات الطائلة التي تنفقها بريطانيا وفرنسا فيها ولا ينال هذا النرض المزدوج الا اذا نظمت الدوائن مساعيها ونفقاتها واني ذاهب الى مصر ومعهم على ابدالك هذا الفرض — انتهى

[النازح] أرين لنا الوزير بصراحته التي يقل مثابها في رجال قومه أن اضطرارهم الى ادارة أمور العراق بآلة حكومة وطبية لتخفيف النفقات أن يستعملوا بوضوح

الارهاق البريطاني في احناق ضائر البلاد العربية في الجزيرة المقدسة ، ولهذا نادوا
بالهطف على اوليائهم من شرفاء مكة ويقال ان من اغراضهم التي يسمي لها الملك
حين والامير اراكلك فيصل أن يمتد اتفاق بين امراء اليمن ويحمد بمجمل فيها
ملك الحجاز مثلاً لهم في السياسة الخارجية ليكون كل ما تتفق عليه مع انكلترا نقداً
عليهم . على ان الانكليز يرسلون اولئك الامراء باتفاقات معهم خاصة تضمن لكل
منهم استقلاله الاداري الداخلي في بلاده وتساعد عليها باعانة مالية سنوية بشروط
أهمها أن لا يمتد أي اتفاق مع دولة أخرى وان تكون انكلترا صاحبة الحق الاول
في جميع المنافع الاقتصادية في بلاده .

(٩)

آراء الامير فيصل في المسألة العربية والانتداب البريطاني

تلغراف خصومي للمقطم

لندن في ١١ فبراير الساعة ١٠ : ٧ ليلا

اتبع لي ان احادث الامير فيصلاً بلندن في المسألة العربية وارسلت اليكم
هذا التلغراف خلاصة اقواله لي وهي : —

« انني متفق تمام الاتفاق مع النمطة البريطانية الآخذة في الازدياد والقائلة
بأنه حان لبريطانيا ان تكف عن بذل ارواح جنودها وبذر أموالها في العراق ،
أما غرضي من رحلتي الى أوروبا فهو اقناع الحلفاء بأن الزمان آن لتنفيد الشروط
التي خصنا الحرب عليها . وليس هنالك أقل رغبة عندنا في الاضرار بالمصالح
البريطانية ولا التمسك مما قضى به الاتفاق علينا فانا على عكس ذلك نعتقد ان
محالفتنا مع بريطانيا المظني دائمة وزجوا ان نظل كذلك وعندنا ان بقاء هاهو
في مصلحة الفريقين »

« أما البلاد التي يشملها الاتفاق فقد حددت تخومها تحديداً صريحاً جلياً
فليس تمت مجال للخطأ والالتباس ونحن مستعدون لتأليف حكومة تستطيع
ان تدبر شؤون تلك البلاد على قواعد ترضي جميع الذين لهم شأن او مصلحة فيها »
« لقد أرسل الرئيس ولسن لجنة الى سورية للوقوف على آراء أهلها ورغبتهم
في شكل الحكم الذي يرومونه ولكن تقرير هذه اللجنة لم ينشر قط فاذابنهم نشره »

« ان البطء في انشاء حكومة تتوفر فيها أسباب الكفاءة آل طبعاً الى هياج الخواطر ولكن انتفاض العرب الاخير لا يدل على رغبتهم في قطع علاقاتهم ببريطانيا وانما وقع لان بريطانيا سارت عامين على غير هدى فوقع الالتباس ونشأ الخلاف وسوء التفاهم وخاف العرب ان تستمر حكومة الهند بلادهم » .
 « ان الذي يرويه العرب هو حكومة عربية تستمد النصائح والمساعدة البريطانية ومع اننا نمارض في ان نكون مسودين فلا نصر على الجلاء التام ولكننا نقول ان مصاريف كل حامية او ادارة ملكية من جانب بريطانيا يجب ان تدفع من أموالنا . ولم يختلف اثنان على هذا . أما الحكومة العربية التي يتولى امورها فتتضمن جميع المصالح السياسية والاقتصادية التي هي لبريطانيا المظنى . وكل فرض تحتاج اليه الحكومة العربية يكون مكفولاً بمرافق البلاد الطبيعية الفنية . نعم ان البلاد اليوم اشبه شيء بالقفار ولكن لطبراء الزراعيين يحمون على انها اخصب تربة في العالم اذا عني بفلاحتها وريها وزرعها . وهذا علاوة على ما فيها من الكنوز المعدنية فانها عظيمة جداً وفيها مجال عتسع للارتقاء والنمو ولا سيما منابع الزيت الكثيرة في انحاءها » .
 « ان البلاد تقتصر الى الاموال التي تفشلها من وهذه الفوضى والدمار التي ألغتها فيها سوء حكم الفزاة الترك ولكن هذه الاموال لا تضع سدى بل تشغل وتستثمر بربح كبير » .

« واذا فتح مجال العمل امام الحكومة العربية بالانصاف والمطف فانها توفر على الحلفاء بذل الرجال والمال في المستقبل علاوة على الذي بذلوه من الاثنين حتى الآن » .

(١٠)

حكومة شرق الأردن بين السر هـ رت صـ و ثيل والامير عبد الله

عمان في ١٨ ابريل - وصل المندوب السامي الى عمان أمس مصحوباً بالكوننل لورنس والمستر ديدز واللورد ادوارد هاي فجرى لاسر هـ رت صـ و ثيل استقبال ودي واحتمى به الامير عبد الله الذي كان مصحوباً بالمستر ابرهـ سون الممثل الأكبر لبريطانيا المظنى في جهة وادي الاردن وقد عين فيها حديثاً وقد قدمت أربع طائرات من فلسطين ونزلت بجوار المسكر في ميدان الطيران الألماني السابق .

واجتمع اليوم صياحا عدد كبير من قرى انهدو والدروز والمناولة وقاموا ببعض الامام
على ظهور خيولهم - - - - -

صاح في ١٨ ابريل - ألقى السير هربرت صموئيل امام مراد في الامير
عبدالله الخطاب التالي على الوف من رجال قبائل العرب وهو :

... اصعدني الحظ بأن قابلت في دار الحكومة بالقدس صاحب السمو الامير
عبدالله لما زار فلسطين هو والمستر تشرشل احد أعضاء الوزارة البريطانية .
والحكومة البريطانية تمبرفرصة التعاون مع الامير عبدالله في البلقاء (ماوراء
نهر الاردن) وتثق بصداقته وجس نيتة كل الثقة وتقدر الصداقة وحسن
الثقة اللتين امتعننا في هذه الحرب الضروس الطويلة حق فخرهما . وتذكر
لخدمات التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقدرها حقها وترغب
في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب توثق عمارة في أيام السلم .
كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البلقاء (ماوراء الاردن)

منذ شهر أغسطس الماضي وسيظلون يعملون كمستشارين للامير وموظفيه من
قبلي في انحاء البلاد المختلفة . وسيجد سموه في المستر ابرامسون كبير المندوبين
البريطانيين موظفاً ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين
بهم في طول هذه البقعة وعرضها رجال يعطفون على الشعب ويعملون الى آداب
اللغة العربية وسيتكفون من المساعدة على زيادة رفقة البلاد . وسيفرغ
قبضاري الجهد لتدبير كلما تحتاجون اليه من المروض وفتح اسواق فلسطين
للمواصلات بلادكم وتسهيل نقلها اليها . وسينظر بعين العناية في حاجة أهل البلاد
التي نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدن أو الفلاحين أو
قبائل العرب حبا في زيادة هوائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك
يجب ان تكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية .
ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كفاءة وأشد حولا مما كانت
الحال قبلا وتستخدم مع الجندرمة في توطيد سلطة الامير عبدالله والحكومة
الحماية ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبدالله فنقدم عند الضرورة طيارات
وستواها من الممونة الفنية لاغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب
النكينة في المقاطعات ويمكن أيضاً من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من
يمكر منهو الامن في الاراضي المجاورة غرباً وشمالاً .

والحكومة البريطانية مصممة على ان لاتصير البلقاء (ما وراء الاردن) مركزاً للمعاداة سواء كان لفلسطين او لسورية ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا للتصميم الى حين الفعل لستطيع الاعتماد على معونة الامير عبد الله . ومن بواعث الارتياح الشديد للحكومة جلالة الملك ان نجد نفسها متحالفة بحالفة معينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء (ما وراء الاردن) ووجودي بينكم اليوم ممثلاً لجلالة الملك لويد جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل منه في البلدان المجاورة او مما كان عليه في الازمان الفائرة

انها فاجاب الامير عبد الله بما يأتي : « اشكر سعادتك على خطابك الرفيق فأقول بالامالة من نفسي وبالنيابة عن الحاضرين اني واثق بأن الامة العربية ستبرهن على انها خليقة بتحقيق كل ما وضم فيها من الآمال بمساعدة حليفنا العظيم . واني اطلب من الله ان يحفظ الملك جورج والملك حسين ويطيل سماتهما » وقد قوبل الخطابان بالحماسة ثم عرض المندوب السامي الحرس من الفرسان الهنود وقدم اليه مشايخ القبائل وشاهد الامير عبد الله والسر هربوت صموئيل في المسائل ضرورياً من فروسية الجركس واقتلاع الفرسان الهنود للاوتاد - روز

انكلترة والعراق

جاء في تفراف خصوصي للمقطم من لندن في ٢٨ فبراير : ان الحكومة البريطانية ابلغت انه اذا عرضت رئاسة الحكومة في ولايات المراق الثلاث على الامير فيعمل فانه يرتاح الى المساعدة والمشورة المنصوص عليها بباب الانتداب في عهد جمعية الامم وليس ذلك فقط بل يرى نفسه انه لا يستطيع القيام بمهام هذا المنصب من غير معونة وهذه المعونة تكون عبارة عن خدمة عدد معين من الضباط العسكريين والضباط السياسيين وبعض الخبراء الفنيين للمعاونة في تنظيم قوات العسكرية المحلية والشاهد واثرا الحكومة الملكية وترقية الصناعات والاعمال

خلاصة من مجلة المستر تيرنر الى الفاها من امور الشرق الادنى في مجلس النواب يوم ١٤ يونيو عند عرضة ميزانية الشرق الادنى عن عددي الميزان المؤرخين ١٧ و ٢٣ يونيو ١٩٢١

قال الوزير : ان المؤتمر الذي عقده في القاهرة مع خبيرين من العراق وفلسطين

فرر وجوب التمهيل في انقاص الجنود في المراقى من ٢٣ أورطة الى ٢٣ على ان يصير الانقاص ١٢ أورطة في اكتوبر فوفروا بذلك نحو ٥ ملايين جنيه، وان ميزانية الجيش في المراقى وفلسطين لهذا العام ٢٧ مليون جنيه واذا نجحت تدابير الحكومة فانها لا تتجاوز في السنة القادمة ١٠ ملايين

وقال ان ميل الحكومة البريطانية الى حل مسائل الشرق بواسطة آل الشريف في المراقى وشرق الاردن يجب ان يرقب تأثيره في سواهم . وتكلم عن ابن سعود وقومه ووصفهما لسامية ، ثم قال ان الحكومة البريطانية . قررت ان تواصل دفع الاعانة لابن سعود (وهي تبلغ ٨٠ الف جنيه) وان الملك حسين اعرب عن استعداده لمفاوضة الامير ابن سعود .

ثم أعلن عزم الحكومة على انشاء دولة عربية في العراق يختار ملكها ، وقال ان الاءير فيصل لا غادر مكة الى بغداد فاذا وقع الاختيار عليه فانكلترا تؤيده وتقدازره وتسمى للتوفيق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين وتسهر على منع رجال الاحزاب الذين هاجروا الى شرقي الاردن من دخول سورية وقال الوزير : وليس في تعاوننا مع آل الشريف معارضة لمصالح فرنسية واننى على الامير عبد الله ثناء طيباً وقال انهم عهدوا اليه باعادة النظام وتمهيد بمنع الاعتداء على الفرنسيين ثم قال : اننا لا نريد اكراه المراقى على قبول ما لا يختاره اهد ، وعسى المراقيون ان يحسنوا الاختيار بحرية وحكمة بارشاد السربريس كوكس — قال — وهناك سياستان في معاملة الجنس العربي احدهما ابقاء العرب منقسمين وانشاء ادارة من اعيانهم تعتمد على الفيرة والتناحر والثانية انشاء دولة عربية حول بغداد الخ . قال وهذه هي السياسة التي تصلح دون سواها

وتكلم عن جعفر باشا العسكري في حرب طرابلس والدرينيل وانه انم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج وقال ان نفقات الجيش العربي تسدد من ايرادات المراقى قال : واذا نجح تدبيرنا فالدولة العربية وحاكها العربي تكون قائمة في بغداد قبل انقضاء السنة المالية

بلاغ المندوب السامي البريطاني في بغداد

من جريدة دجلة عدد ١١ المؤرخ ٣٠ شوال سنة ١٣٢٩ (٦) نور: ١٩٢١

لا شك في انه غير خاف على المأموم انه في يوم ١٦ يونيو (الموافق ٩ شوال)

اتبع الى بغداد بيان خطاب ألقاه جناب المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني يوم ١٤ يوليو الموافق (٧ شوال) وقد شرح فيه وزير الدولة لسامية الحالة السياسية في بلدان الشرق الأدنى ثم أعطى بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بهذه البلدان أن ماورد في ذلك الخطاب بشأن العراق قد صار نشره في الحال باذن مني بصفة كوني المندوب السامي في الجرائد الانكليزية والمريية في بغداد والبصرة وقد ظهر ان ما نشر قد أتى ببيان واضح من سياسة الحكومة البريطانية . على انه بعد نشر ذلك البلاغ قد عرض علي تكراراً بأن العموم يرفض جداً بتصريح مني بصفة كوني المندوب السامي ورئيس الحكومة العراقية المؤقتة أشرح فيه النقط المهمة كماوردت في الخطاب المذكور فبناءً على ذلك رأيت ان من الواجب علي أن أقوم بذلك فأقول : (١) مما يذكر انه بعد بداية الحرب العظمى قطعت اليهود مراراً لا هالي العراق وجلالة ملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أي مقاطعة من المقاطعات الممطرة الى السلطة التي كانت نابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تقصد المحافظة على هذه اليهود بحزم وثبات وتشهراتها تكون مقصورة في القيام بواجباتها بموجب هذه اليهود فيما لو أهملت تقديم المساعدة للعراق في هذا الدور الابتدائي من حياته وانها تتركه باهمال كذا فريسة للاضطراب وهدم النظام . وفي ذات الوقت ان بريطانيا العظمى غير مستعدة للاستمرار على حمل العبء المالي الثقيل والتبعة (المسؤولية) السياسية بمراقبة الادارة (ادارة المراق) لأمم الذي كان ضرورياً ريثما تعاد الامور الى أحوال السلم

ان الحكومة البريطانية كانت دائماً ولا تزال ترى ان أفضل طريقة للقيام بشؤونها وواجباتها هي مساعدة أهالي العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا فندشاً بذلك دولة هربية مصادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك نفسها فتري ان أفضل أنواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وزير (حاكم) مقبول لدى أهالي البلاد . على ان حكومة جلالة الملك ترفض في ان تبين بوضوح كما سبق فينت تكراراً بأن ليس لها من قصد أو رغبة ما في اكرام الشعب هي قبول وزير مامعين بل الامر بالعكس فانها ترغب في وجود الحرية التامة في الاختيار وبدء الرأي

ومع ذلك ان الحكومة البريطانية بصفة كونها الدولة التي تحمات مصاريق طائلة في العراق في أثناء السبع السنوات الاخيرة لا يمكن ان تقف موقف المديم الاكثر اثار امام هذه الحالة فلها الثقة بأن الشعب العراقي سيستعمل الحكمة والحريية معاً في اختياره لوازع وهنا أود أن أشير بإيجاز الى قدوم صاحب السمو الامير فيصل الى العراق فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك في هذا الصدد هو كما يأتي :

ان عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت الاواء العربي في صف الخلفاء أثناء الحرب التي لعبت دوراً ذا شأن في ربحها ، وان القضية التي من أجلها دخلت في صروف المحاربين كانت قضية حرية العرب يعني عين القضية التي قد تعهدت بريطانيا العظمى بمظاهرتها ونجاحها في العراق . فبناءً على ذلك هنـد ما سأل انصار عائلة الشريف في العراق عن موقف الحكومة البريطانية إزاء دعوتهـم للامير فيصل ليأتي العراق أجيبوا على ذلك بأن حكومة جلالة الملك لن تضم عشرة في سبيل ترشيح سمو الامير لعرش العراق واذا وقع عليه انتخاب الشعب ضلقت أيدي بريطانيا له ، فبناءً على ذلك ينما وزير الدولة (المستر تشرشل) يردد رغبته في ان يستعمل أهالي العراق الحريية في الاختيار يرى ان ليس هناك من سبب الامتناع من ان يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر ان الامير فيصل هو مرشح موافق لابل حقاً وأوفق مرشح في الميدان وترجوا ان يثال معاضدة أكثرية الشعب العراقي

واذا تم انتخاب الامير فيصل تمتد حكومة جلالة الملك انه يكون قد توصل بذلك الى حل ينطوي على أكبر الآمال في مستقبل صعيد مقبل البلاد

ان حكومة جلالة الملك تعلم أن قد بحث في حلول أخرى ممكنة منها (أولاً) تأسيس جمهورية و (ثانياً) عرض أمير تركي ، أما في ما يخص الاول فن رأي حكومة جلالة الملك ان درجة العراق من الرقي فبر موافقة قطياً لتأسيس جمهورية ، وأما فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لافساح المجال له

ومن المؤمل ان العبارات التي أوردت أهلاه تفسر بوضوح سياسة حكومة جلالة الملك وهي سياسة قد استحسنها بالاجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية حسب ما بينت في خطاب الماسنر ونستون تشرشل واني أوافق عليها كل الموافقة

باب المراسلة والمناظرة

فناء النار والرد على ابن القيم

٢

قسمنا الموضوع في الكلام على فنائها ثلاثة أقسام الأول في الآثار التي استشهد بها العلامة ابن القيم على فنائها الثاني على الآيات الثلاثة الثالث على مقتضى الصفات وبجمال النبل فيها أما الأول فقد تكلمنا عليه في النبذة الأولى وبيننا أن الآثار لا تصح عن عمر ولا عن روى عنه من الصحابة (رض) وقد أضحى لوضح لما كان حجة في هذه المسألة الكبرى الاحتجادية. وأما الكلام على الآيات الثلاث فمداره على تحقيق معنى الخلود المستثنى منه أولاً والمشيئة ثانياً والمقصود من الاستثناء ثالثاً وهل هذه الآيات من المحكم أو من المتشابه أما الخلود المذكور في هذه الآية (آية الانعام) وآية هود وجميع آيات القرآن فهو لا يعرف إلا من كتب الله وقد رأينا لسان العرب الذي هو أكبر قاموس وأعظم معجم عربي يقول: (الحاد) دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلد يخلد خلدًا وخلودًا بقي واقم ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها اه. ومما يدل على أنهم يستعملون الحاد مجازاً فيما لا يبقى أطول مدته قول صاحب اللسان: والخلد من الرجال الذي أصن ولم يشب كأنه مخلد لذلك يخلد يخلد خادًا وخرودًا أبطاً هذه الشيب كأنما خلق ليخلد قال والحوالد الآثافي في مواضعها والحوالد الحجارة والجبال والصخور أطول بقائها بعد دروس الاطلال اه. فانظر الى قوله فيمن أبطاً عنه الشيب (كأنما خلق ليخلد) وقوله (أطول بقائها) للآثافي والحجارة والجبال قائم شبهوها بما يبقى ولا يزول ونصروا فيها أطول البقاء ما يصح أن يطلق عليه لفظ الخلود الذي لم يوضع إلا لدوام البقاء كما ذكر معناه الأول أول المادة ومنه تعلم أن الفناء مناقض له كل التناقض لانه فناء البقاء الذي أخبر الله به وهذا ووهدا في سبعمائة آية من كتابه في الجنة والنار ففرق قومه بين الاخبار بدون دليل يصار اليه ويقوم حجة على خصمهم تقول لهم يا قوم هذا كما أن الله في كل من الجنة والنار قال الله «خالدين فيها أبداً» وخالدين فيها دون أبداء فبأي شيء فرقتهم بين الخلودين والابددين فلا تجد إلا

ذليلات واهية وكلاما طويلا ضرره اكثر من نفعه كأنهم لم يجدوا غير الخلاف صناعة ولا سوى الكلام بضاعة حتى اضطر ان يجاريهم من لم يكن منهم ابن قيم الجوزية وحسبنا الله ونعم الوكيل

واما الابد فقال في اللسان في مادة ابد: والابد الدائم والتأييد التخليد وأبد بالمكان يأبد بالكسر أبودا أقام به ولم يبرحه اهـ . فعلى هذا لا يستدل بما اصطلح عليه الناس (كالمصريين) في التأيد اذ جعلوا له مدة محدودة ولم ينزل القرآن بانهم ولا مرة باصطلاح ولا حرف بخالف اصل اللفظة التي نزل بها كلام الحكيم الخبير : فاصبر لقوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخلدون . كل نفس ذائقة الموت) فانظر كيف قابل الخلد بالموت الذي هو القناء وتأمل معناه تجده كما قال صاحب اللسان انه دوام البقاء فكانه يقول لرسوله وما جعلنا لبشر من قبلك دوام البقاء أفئن مت فهم الباقون . كل نفس ذائقة الموت الخ وهذه الجملة الثانية مؤكدة لمعنى ما قبلها فففر الله لنا ولهم وهدانا واياهم سواء السبيل واذا قد عرفنا ^(١) معنى الخلود الوارد في الآية وانه هو الذي به علمنا دوام بقاء المؤمنين في الجنة كما علمنا به دوام الكافرين في النار وانه هو الاول في الافاظ الدالة على معنى البقاء والابد ببدء في الترتيب ولا يبرف في اللفظ أدل على البقاء منها في المخلوقات على ما اظن وأما ما ذكر في الاساس من مثل قولهم : رزقك الله عمرا طويلا لا يابى بيد الامداد فهو مبني على التوسع وتصوير ما لا يكون في حيز الكائن على حد قول الشاعر : ونخافك النطف التي لم تخلق ^(٢) ومثل هذا كثير في قولهم ^(٣) ولكننا نسائلهم في أصل وضم الخلود والابد وقد عرفت معانيها عن اللسان فيما تقدم ^(٤) على ان الله تعالى اخبر بكل لفظ مفيد

(١) المنار : ليس في بقية الكلام جواب لقوله واذا قد عرفنا

(٢) المصراع من بيت للمتنبي وهو

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

واسناد الخوف الى النطف فيه من المجاز العقلي (٣) جعل عبارة الاساس من المجاز وهي فيه من الحقيقة ومزية الاساس على سائر كتب اللغة التفرقة بين الحقيقة والمجاز

(٤) المنار : ما نقله عن اللسان في تفسيرها لا يدل على معنى البقاء الذي

الدوام والبقاء عن كذا الدارين وكلا الفريقين فقال لهم فيها دار الخلد وقال هذاب مقبم
 اذا عرفنا ما تقدم أمكننا أن نظرفي الاستثناء المذكور في آية الانعام جاعلين
 نصب أعيننا ماورد في آيات الله تعالى من وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين
 وكذلك الاحاديث الصحيحة المصروفة بخروج عصاة المؤمنين من النار. أما الآيات
 المصروفة بدخول الكافرين النار فهي كثيرة وعلى كثرتها محكمة لاناسخ فيها ولا
 منسوخ ولا متشابه (١) ولا يصح أن نؤول كل هذه الآيات ونركب كل صعب
 وذلول حتى نجعلها كلها من باب الرعد الذي ليس وراءه شيء لتنظيمها في سلك آية
 وجد فيها ذوو الشبه ما يوافق أهواءهم ويشبطون به هم فيهم ويشغلون به الافهام
 وكمنى الاسلام بهم ونفذت فينا سهامهم حتى باختلافنا في كتابنا كما اختلفوا في
 كتابهم وكان ذلك قدرا مقدورا قل تعالى (وبوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد
 استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبقنا
 اجالا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان يريك حكيم عليهم)
 قلتمى خالدين فيها يا أهل النار (٢) (وهم من مر ذكرهم) الا ما شاء الله من هذا
 الخلد (٣) أن يخرجهم من داره (٤) لانه حكيم لا يتخذ الا الكافر الذي اخبر عنه في
 كثير من آياته عليهم بمن يخرج من أهل الايمان الموحدين . فالآية قد جمعت
 وعدا ووعدا وكثيرا ما يذكر الله في آياته أحدهما بعد الآخر على حد قوله تعالى
 (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
 حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين . والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات الخ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ا) وكقوله تعالى (فخلف
 من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من

لانه نهاية له فان المقيم في دار لا يخرج منها كالمالك لداره ليس بياق هذا البقاء
 لاهو ولا داره بل كانوا يلقون هذا على من شأنه المكث وعدم التحول كما
 يتحول البدوي والذي يقيم في الدور المستأجرة . وانما البقاء الذي لانهاية له
 اصطلاح شرعي لا لغوي فلهذا كان هذا المعنى ممرورا عند عرب الجاهلية
 (١) لا معنى لنفي النسخ لانه حاس بالاحكام

قاب وآمن وعمل صالحاً فأرسلناك بدخاون الحجة ولا يظهرون شيئاً) فما يخبر سبحانه
 بوعيد وانذار ألا ويستقبله بوعيد وبشارة (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي
 الذين أحسنوا بالحسنى) فلما أنذر قومك في هذه الآية بالخلود في النار على
 استناع بعضهم ببعض وموالاة بعضهم بعضاً وكان بعض المؤمنين الذين أمروا
 ببعض الذنوب ولحقهم من الوصف شيء يحزنهم ذلك حتى يؤديهم الى اليأس
 لا جرم استثنى الله تبشيراً لهم وإخباراً بحكمته وعلمه وعدله في آية واحدة ولا يبعد
 هذا بهم فقد ورد أن بعض الصحابة لما سمع قراءته تعالى (الذين آمنوا ولم يلجسوا
 ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قالوا وأينما لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم ذلك الشرك وقرأ (أن الشرك لظلم عظيم) فلولا أن فسرناها لهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالآية الاخرى لبسوا وقنطوا ومثل ذلك ما جرى عند نزول
 قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الخ ثم أنزل الله لهم
 (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) الخ

إذا تقرر هذا وعلم أن الانذار في آية الانعام بالخلود شديد وأن السكوت عليه
 قصور لو كان في كلام الناس لحد معيياً فكيف بأبلغ الكلام الذي أنزل رحمة
 العالمين. فهل بعد هذا يستنكر ذو فهم وأمل في كلام الله أن يجمع بين وعد ووعيد
 ونذارة وبشارة في آية واحدة، على أن النذارة بالخلود لمن يستحقونه كما أشار بذلك
 الحكماء الذين يفهمون وأن البشارة لمن يستحقون (٢) ممن عرفنا خبرهم في
 القرآن والاحاديث والله أعلم بهم وبما أقرروا وجزاء ما كانوا يقتربون : هذا ما
 أنهى لي الآية مع استحضاري الآيات الاخرى والاحاديث ولم يشف غلبي ما رأيته
 من وقف المتوقف وتأربل التأول، وهذا هو وجه الاستثناء لامة قولنا من انه يأتي على
 ما في القرآن حاش لله أن يكون خبر واحد يهدم بناء أخبار أدعت على العلم والحكمة
 حتى لو كان مجرداً عما أشرنا اليه من وجوه البلاغة والاعجاز ولأن قوله ليوافقها
 لكن أسهل من أن تؤولها كلها

ومن الصبر أنه قد حضر هندي أخ في الله من أهل العلم وتجاوزنا في الموضوع
 فكان هرقاتنا وأنا بقائنا فما زال يؤول كل آية جئت بها دالة على البقاء بحذق

وبراعة على طريفة الازهر بين « حتى جئت له بآية الاعراف (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الآية فوجم قلت ماذا ؟ أجب فقال انظر ، ثم بعد هنيهة قال لربالته ما قال : نعم هو كما قال الله تعالى ما دامت النار لا يدخلون الجنة ولكنها تنفى . قلت ثم ما ذا بعد ما تنفى أي دخلون الجنة وتنزل الاستحالة بفناء النار ؟ فضحك من تأويله فلينظر الناصح لنفسه البصير بكلام ربه واجعل الرحمة في محلها كما اخبر الله بها عن نفسه وينظر الى المشيئة بسبب الحكمة ولا ينظر الى صفة دون صفة بين عشاء . واذ قد ألمنا الى ذكر شيء من وجوه الاستثناء فلنتكلم على المشيئة المستثناة وإن كانت هي أحق بالكلام قبل الاستثناء لذكرها أول الفصل ثانياً

اخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة أن مشيئته موافقة لحكمته وأنه لا يشاء شيئاً ولا ظلاً قال تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً)^(١) فهذه الآية تدل

(١) فسر بعضهم الرحمة هنا بالجنة وبعضهم بالتوفيق لما تستحق به والمعنى أنه يدخل المؤمنين المتقين في جنته وأعد للظالمين لا تقسم بالكفر وكبائر المعاصي عذاباً أليماً إذا ماتوا على ذلك الظلم ولم يتوبوا منه . وليس فيها ما ذكر من معنى الحصر في ان رحمته لا يدخل فيها الا الذين لم يتصفوا بالظلم المقابل للعدل . وإنما معناها أن ما أعد للظالمين من حيث هم ظالمون هو العذاب الاليم ان ماتوا على ظلمهم ولم ينلهم الغفر وما كل ما أعد لقوم ينالهم كلهم والوحيد بأعداد العذاب دون الوعيد بوقوعه كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين) وقد روي تخصيص تمدي الحدود هنا بمخالفة أحكام الموارد المذكورة قبله وأهل السنة مجمعون على جواز الغفر عن المعاصي بذلك وبغيره والظالم بغير الشرك بالله وهم يؤلون هذه الآية الجارمة بخلود المعاصي في النار والعذاب المهين كما يؤل القائلون بانتهاء عذاب الكفار الآيات الواردة فيهم . وغرضنا هنا بيان أن الحصر الذي قال الكاتب أنه لا مجال لاشتراك فيه غير صحيح وقد ذكر الله تعالى أن ممن أوردتهم الكتاب من المصطفين من عباده من هو ظالم لنفسه فالظالم كالفسق والاجرام يطلق في القرآن على الكفر تارة وعلى المعاصي أخرى . وآية الفتح التي جمعها الكتاب مثل هذه الآية وردت في تعديل =

دلالة صريحة لا مجال للشك فيها على أنه لا يدخل في رحمة إلا غير الظالمين وإنما الذي عرفنا أنه لا يشاء إلاهم قوله والظالمين أعد لهم عذابا بالغا فالتاس قسمان ظالم وعادل والدار داران جنة ونار فلما ذكر الظالمين وما أعد لهم عرفنا أن القسم الذي شاء ادخاله في رحمة ضد هم وهم المؤمنون أو المستطون أو كما تسميهم أفلا يصح أن ننزل المشيئة المذكورة في آية الانعام وهو د على هذا التقسيم الظاهر وأن الله لا يشاء فناء النار الذي يهدم كل زجر ويعبد في القرآن ويطعم كل ذي كفر وبتان وجبار عنيد وشيطان ومثل هذه الآية قوله تعالى (لبدخل الله في رحمة من يشاء) فهل بظن عاقل أن معنى هذا بدخل الله كافرا الجنة أو مؤمنا بنيا النار (؟) أم أنه لا يفعل إلا ما اقتضت حكمته التامة : وأن مشيئته في هذه الآية وفي أمثالها مقيدة بمثل آية (هل أتى هل الإنسان حين من الدهر) وغيرها مما سنذكره قال تعالى (ومن بين الله فماله من مكرم أن الله يفعل ما يشاء) فالنظر إلى قوله تعالى عقب الآية أفليس قوله ههنا (أن الله يفعل ما يشاء) كقوله عقب آية هود (أن ربك فعال لما يريد) التي كاد يشبهها علينا ابن القيم رحمه الله بقوله « ولم نعلم ما يريد بهم » أي الذين شقوا قال وأما الذين سعدوا فقال فيهم « عطاء غير مجزوذ » فبالله ألا فتأملوا أيها المنصفون فوالله لقد أخطأ ابن القيم أن كان يعتقد أن قوله تعالى (أن ربك فعال لما يريد) فيها المانع أو إشارة إلى فناء النار ومن يفهم هذا الفهم أو يجوز به بعد أن سمع ما أوردناه وما سنورده قال تعالى (أن الله بدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار أن الله يفعل ما يريد) ماذا يقول الفنايون في هذه الآية أيضا يقولون لا ندري ما ذا يريد الله بأهل الجنة كما قالوا في آية هود والافا الفرق بين الحويين فليخبرونا ولهم الشواب (١) فقد علم كل من له أدنى تأمل في القرآن أن كـف أيدي المؤمنين عن القتال يوم فتح مكة وفسرت الرحمة فيها بالاسلام.

(١) أن التفرق عنهم جلي وأن كان لا بدل على فناء النار — وابن القيم لا يقول به — وهو أن الخبر الاول جاء عقب الخبر بادخال المؤمنين الصالحين الجنة بغير استثناء والثاني جاء في كون الذين شقوا في جهنم خالدين فيها إلا ما شاء الرب تعالى وهذا الاستثناء مبهم فقالوا لا نعلم ما يريد به وبهم ، ومنهم من كان لهم في القرآن أعلى التأمل لا أدناه وأن جاز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم

ارادة الله تعالى ومشيئته قد علمت في أهل الجنة وأهل النار وأن كلا قد قضى عليه بالخلود في داره التي خلق لها وصحى لها صعبها وظهرت تلك المشيئة في القرية بين بأجل مظهرها . قري أهل النار لا يندون ، صم بكم عني فهم لا يعقلون ، وأهل الجنة موقنون مهيئون (وتمت كلمة ربك لأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويفضل الله الظالمين ويفضل الله ما يشاء) ألم يبين الله لنا مشيئته هنا أيضا بالمؤمنين والظالمين ؟ ألم يكن ختامها هنا كختمها في سورة هود ؟ هل يفهم منها هذا إلا كما يفهم من تلك ؟ وأن المنفى لا اعتراض على فضل الله لانه هو الحكمة التامة والعدل الاعلى وأنه لا مكره له ولا اراد لما قضاه أم يقال ما قرره الفذائيون الذين نظروا لآية واحدة وتركوا سائر الآيات فقالوا : أما الذين سعدوا فأخبرنا الله أن عطاءهم غير مجذوذ وأما الذين شقوا فلم يبين لنا ماذا يريد بهم . والحق انه بين وبين كما سمعت وعلمت :

وأما الكلام في آية النبا فلا دليل فيها لهم وآخرها يرد عليهم اذ يقول الله تعالى (فذوقوا فإن تزيدكم الا عذابا) ولن تفيد الاستقبال حتى احتج بها الزمخشري على نفي الرؤية (رؤية الله في الجنة) في قوله تعالى اوصي (لن تراني) و فرق بين الخبرين فان هذا نفي الرؤية في الدنيا وأما الثاني فنفي في الآخرة وقوله تعالى آخر السورة (ويقول الكافر باليتني كنت ترابا) دليل على ان الكافر كان يود لو كان ترابا ولا يعذب خالدا . ولا يقال نمذيه ذلك كاف لرؤيته العذاب فحسب دون الخلود لانه لو كان يعلم ان النار تنق من الآن كما يقولون لظل على أملته ورجائه في رحمة الله (١) كما فهم ابن القيم من حديث لو يعلم الكافر بسمعة رحمة الله ما يشئ ولو يعلم المؤمن بأليم عذاب الله أو نحو ذلك لتهبط وقوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) لا يدل على انقطاعها كما قدمنا فانما المقصود التهويل وان الاحقاب قد تأتي متتابعة ولا تنأى . أرايت لو كنت هذا في الدنيا خالدين أما كذا تقول . مضت علينا أحقاب ونمد الزمن وهو باق كما يمكن أن نمد شيئا لا ينحصر بالالوف والملايين رأسى نمد من

(١) يرد على الكتاب ما تقدم هو عن عمر من نمذيه لو كان شجرة نمد

الحساب كالديثليون وكما فرغت الفصول أعدناها من الاول عدا ولم يفرغ الممدود
 من يستنكر ذلك؟ وهل هذا الا من باب قوله تعالى في أهل النار (خالدين فيه)
 ما دامت السموات والارض) والقرض الخلود الذي لانهاية له لان الخاطئين يجهلون
 هذه الارض والسموات والمجهول اوله وآخره كالذي لا أول له ولا نهاية فلذلك والله
 أعلم صور لنا الخلود لنعلم عظمه بالنسبة لبقاء الدنيا وعمرنا القصير فيها فاما المؤمن
 فيفرح بنصيبه الخالد في الجنة وأما المذائق فيحزن حزنا شديدا وتنقص عليه حياته
 اذا سمع هذا الوحيد الشديد. فالاول تملوهمه ويتحجم الشدائد بقلب ملوثة الصبر
 والامل والسرور. وذلك يجاهد ليدب عنه هذه الزواجر ويفر منها فرار الحر
 المستنفر وهي في أثره حتى يثقل في هوة المذاب السحيق وبئس المصير
 وبعد فاما أن تكون هذه الآيات متشابهة أو محكمة. فان كانت متشابهة فقد
 كان على الفزائيين أن يقولوا آمنا عملا بقوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا
 به كل من عند ربنا) وما كان لهم أن يكثروا الكلام ويطلبوا الخصام ويقفوا
 ما ليس لهم به علم من صفات الله وامائه ويتحكموا في حكمته ومشيئته بملهم القاصر^(١)
 وأن الله اسما وصفات لا يعلمها للآن أحد كما ورد في حديث (واسألك بكل اسم
 هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
 به في علم الغيب عندك الخ. وحديث الشافعية اذا يعلم الله تعالى رسوله محمدا بحمده
 بها. ولا ريب أن المحامد تكون على امماء تقتضيها وتستحقها والله اعلم أفما كان الاول
 بهم أن يسكتوا بعد أن يقولوا آمنا به الخ. وان كانت محكمة فالامر ظاهر ولا داعي
 للخلاف والجدال والقول على الله بلا علم ولنا اسوة بالصحابة الذين كانوا يسألون عما به ينهم
 فيقولون يا رسول الله ما أفضل الاعمال. وداني على عمل اذا عملته دخلت الجنة الى غير ذلك
 ولعل في هذا الآن كفاية وله بقية

عبد الظاهر محمد

(١) يرد على هذا أن ابن القيم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى ان ربك
 حكيم عليم) وجعله نهاية الاقدام في السير في هذا المقام وهو ذو العلم الواسع
 بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام مدي « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ — ١٩ السنبلة (ص ٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

القياس في المرية

و للامانة العلامة الشيخ محمد الحضر

الحمد لله الذي جعل المرية أشرف لسان ، وأنزل كتابه المحكم في أساليبها
الجليل ، والصلاة والسلام على من بهر البلفاء بلهجته البارعة ، وهلى آله وصحبه
العاملين على منوال حكيمته الرائعة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لمعلم المرية
امر على احكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع ويأذن الآخر
في القياس عليها دون ان يذكروا الاساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى
التمسك بمثل هذه الاقوال من التقليد الذي لا ترواح اليه النفس ولا سيما حين
اذكر ان كثيراً من أصحاب هذه الاقوال قد تلقوا المرية من كتب يمكننا
الاستقاء منها ، فأخذت ألقت نظري الى الاصول المالية التي يراعونها في احكام
السماع والقياس حتى ظفرت بقواعد وقفت على تفريق منها في صريح كلامهم
وانتزعت شذورا أخرى من موارد احكام جزئية تقصبت آثارها في ابواب شتى
ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالعة بعض الكتب المرية كفتني اللبيب
محضر ضائقة من اذ كياه الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس
على تلك الاصول التي لم تدخل بمدني سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا
الجد منهم جميعاً وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالعة فطاولتهم على
ما اقترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه
وتحرر موافقه واحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام مريباً فصيحا الا اذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ،
أما صحة مفرداته فهي النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير ان تغير بتقص
أو زيادة أو ابدال أو قلب في هيئة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما
استقامة تأليفها فبالتطابق على أسلوب نسجت عليه المرب في مخاطباتها . ولا
تتحقق هذه المطابقة الا برعاية احكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال
والحذف والذكر

وهل تتوقف في اطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضمها الخاص ونظمها

الوارد بحيث لا نستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نطق بها العرب ، او أبى واضع اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الحكم بأشياءها في حياة مبانيها ونسق تركيبها ونسوى بينهما في الأحكام اذا أعوزنا السماع ؛ هذا موضع تشعبت فيه انظار الباحثين في المربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من مأخذ اللغة غلا بمضيقهم في التعلق به واتسم في مجاله الى ما يخرج بالكلام عن صبغته المربية ، وضيق آخرون الغاية الى حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكلام وتصرفاتها وقد انتبه المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يقي على اللغة شعارها ويبسط في نطاقها بمقدار ما يتسوغه ذوق آكل الشيع والقيصوم ولا تجمد طالما مفردا او أهل بلد اطردها في هذه المادة ولم يحيدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال ، بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة وبمحرره مخالفه تارة أخرى ، وذلك شأن العلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات المقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليعبر بها الانسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في سميره من المطاني ، ومن البين جلليا ان المعاني تبلغ في الكثرة الى ان تضيق عنها دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع سوى ان وضع لبعض المعاني الفاظا عينها كالسماء والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ الكلام في قوالبها فتدخل في زسرة ما هو عربي فصيح ولولا هذه المقاييس لكانت اللغة تضيق على المتكلم بها من مفحص قنطرة لينغم في قبضة المي والفهاهة ، ويكثر من الاشارات التي تخرج به عن حسن الصمت والرصانة ، ويرتكب التشايب محاولا بها تقرب المرام من فهم المتخاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة

ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظا يختص به كأن نخرج الى ان منشئ اللغة هو مبدع الخليفة لكان المخرج الذي تقع فيه اللغة ان تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها ، ونسجر النفوس البسقة عن حمل ما فيه كفايتها فالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من النطق

بآلاف من الكلم والبراكيد دون ان تقرر سمعه أو يحتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان اللفاظ المرادفة تنفي عن القياس في الحكم المفردة لو صرفها الواضح الى المعاني التي لم يعين لها اسماء . فنقول ان للترادفات مجالا فسيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة ، فلا يصح ان تكون العربية عارية منها . ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والاصناف المشتقة وجموع التكسير فضلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نشأت من لغات متعددة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على صحة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح ، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل ، ودخلت الفاء خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط

وبضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فيراد منه أحد معان ثلاثة (أحدها) ان نمد الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالحرف فتمديه الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف ونجمه من مدلولاته كالنبيذ فتمده فيما يشاؤله اسم الخمر حيث كان يخمر القمل ويستره ، وهذا النوع من القياس هو الذي يعنيه المحققون من الاسويين بقولهم لا تثبت اللفظة بالقياس (ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغة التصغير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والنكرة المقصودة في النداء

(ثالثها) اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخم المركب المزجي قياسا على الاسماء المنتهية بتاء التأنيث ، واجاز ان مالا حذف المائد المحرور في السلة اذا تميز حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية ، والمعنيان الاخيران هما موقع النظر ومجال البحث في هذه المقالات وآتت للفرق بينهما التمييز عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

المنازل : ج ٨ م ٢٢ القياس في العربية - القياس الاصلى - ما يقاس عليه ٦٠٥

والكلم أحوال في نفسها ، وأحوال من جهة ما يقرن بها ، فيتوجه النظر في القياس الى الاحوال المارسة لها من حيث مبادئها الثمردة كاشتقاقها ووساها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض ، وترجع احوال النظم الى الاتصال والاتصال والتقديم والتأخير والحذف والتذكر والصل والأعراب والبناء والاستعمال فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلى والقياس التمثيلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلى

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لغات شتى ، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يبرأ مثل اختلافها في بعض أحوال الكلم من حركة وسكون او عراب وبناء أو اعمال واحمال أو ترتيب حروفها أو ابدال بعضها من بعض أو زيادة والحذف

تفاوت هذه اللغات بالجودة وقساحة اللمجة ، وجميعها بما يصح القياس عليه ، قال ابن جني في الخصائص : اللغات على اختلافها كلها حجة والسائق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخلى ، وقال أبو حيان في شرح التسهيل : كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه وقال البديوي في شرح التمهيد المشهور في كلام العرب ماء ملع ولكن قولاً مائة مالح لا يمد خطاً وانما هو لغة قليلة . ومن اعتمادهم على هذا الاصل كان الصحيح عندم جواز القياس في تقديم عامل كم الخبرية عليها لانه لغة حكاهما الا حفر عن بعض العرب

ويستمد في تقرير الاحكام اللغوية على أقوال الجاهلية كأمريه القيس زهير ، والحضر من كسان وليد ، والاسلاميين كالثورزدق وجريروذي الرمة ، أما المحدثون ويدخل في زمرةهم بشار بن برد وأبو نواس وأبو تمام فلا يصول في الاستشهاد على اوضاع الكلم واحوالها التركيبية على شيء من منشأهم أو نظوماتهم ، ولهذا ترى ان تحوي يومه - - - - - واللمحة واللمحة حيث بقوا فيما يخالف القواعد الملهمة ، واذا كان تخلف الذي لم يلائقه عبارتهم من مواقع الخلاف أقام لهم المنبر بأنهم قد يسر كلامهم على المنهج الصحيح

ثم اذا هنر على مثل صنيعهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسمه الا ان يقضي فيه بالشذوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل وقال الزنجشري في كشفه بعد ان استشهد بشعر لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء المرية فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشهاب بسامع المقلد فقال في شرح الدرة « اجمل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة المرية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتاج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخريجها على حمل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : —

واذا زعت عن الغواية فليكر شك ذلك النزاع لا للناس
والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو النزوع
وهذا أبو تمام يقول : —

لعدله في دمتين تقادما محوتين لزيب وصماد
والصواب تقادمتا

وهذا المتنبي يقول : —

فان يك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق
ومن لا يعتمد في تقرير احكام اللفظي على استعمال الحديث يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلام الى استعمال أحد أهل العلم غير سديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « الانموذج لحن » بأن الزنجشري سمى كتاباً له بالانموذج ، والنووي عبر به في المنهاج عند قوله « انموذج المتماثل » وهو رد غير مبني على أصول المرية اذ لا حاجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزنجشري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكم من امام في المرية ينطق أو يؤلف بمباراة تخالف مذهبه الصريح ، أفلم يشترط ان هنام في كتاب المصنف لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهأنا بائع » ووقف صاحب القاموس في هذه الهذوة بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

ما شرطه ابن هشام من الاخبار عنه باسم اشارة ولم يقم على ما شرط فقال في خطبة كتاب القاموس «وها أنا أقول»

ويؤكد لك عدم صحة الاحتجاج بما يستعمله علماء العربية ان صاحب القاموس صرح بأن كلمة بمض لا تدخلها اللام وهو يعلم كما نقل عقب هذا الحكم ان سيبويه والاخفش قد استعملوها في كتابيهما

ونحنج بالكتاب الحكيم ونصل بالقياس على ظواهره ما طابقت مقتضى البلاغة، ولا تتبع سبيل الدين يحدون به الى جانب التأويل اتصافاً لما سبق الى ظنونهم وتقرر في مذاهبيهم من أحكام فقهية أو عربية، قال الفخر الرازي في تفسيره: اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول لجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى. وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن فاذا استشهدوا في تقريره بيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فانهم اذا جملوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته فلا نجمعوا ورود القرآن دليلاً على صحته كان أولى، وقال ابن حزم في كتاب الفصل: ولا عجب أعجب ممن ان وجد لامرئ القيس أو زهير أو جرير أو الحطيثة أو الطرماح أو لاعرابي اسدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر او نثر جملة في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا جملة حجة وجمل يدبره عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في حالته عما أوقفه الله عليه

ومن أمثلة ما اشار اليه ابن حزم انه ورد الفصل بين المصدر المضاف وفاعله المضاف اليه بالمفعول به في قوله تعالى (قتل أولادهم شركائهم) كما قرأ ابن عامر بنصب أولادهم وخفض شركائهم ففضى عليها الرنخشري بالخطأ وقال الذي حمل ابن عامر على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، وذهب السكاكي في مفتاحه الى تلقي القراءة بالتسليم وفاقاً لمن يقول ان القرآت السبع متواترة ولكنه تأول الآية على تقدير مضاف اليه يتصل بقوله «قتل» ومضاف عند قوله «شركائهم» والمقدر في الموضعين من نوع المنطوق به فيكون سبك الآية بعد التصريح بالمقدر «قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم» ثم قال وهذا وان كان فيه نوع من البعد فتخطئة النقات والفصحاء البعد

والذي نعتده في مثل هذا ان نتلقى القراءة المتواترة بالقبول ولا نحمل

الآية مالا تطبيقه بلاغتها من اعياء هذه التقادير وتمسها كما صنع السكاكي بل نبقها على ظاهرها ولا نسلم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولا سيما بعد ان اورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة

ولا اخال أحدا يقول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفصل فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد معمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملاءمة الطبع بل مداره على ما يجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فما نجد في الكلام الفصيح نعلم انه لا يكدر من مشرب الفصاحة المرية ولا يشلم من سور البلاغة فتبلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلم لا يرجع فيه الى الذوق وانه طائد الى ما يسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيرا، ففي اللسان الالماني مثلا يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بجمل كثيرة، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضمون القطعة الاولى في صدر الكلام ويلتقون الاخرى في نهايته فيتنق ان يكون بين القطعتين كلمات فوق المشرة، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه. فلاحرج على اللغة ان تبسح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولا سيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه بجميدة كالمفعول به

وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتمدا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنمحل بموجبها الى ان يثبت انه نقل بالمعنى، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في آيات متعددة فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا فجاز الفراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب، ومنه الاكثر بدعوى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفت اليه الضرورة، فاستدل ابن مالك على جوازه في حال العمة بما روى الامام البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام « من يقيم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه عنه في الاحتجاج بالقرآن واذا

وجد - يعني الباحث في العربية - رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل به مثل ذلك - يعني الصرف عن وجهه والتعريف عن موضعه -
لقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه تمكة اعلم بسمه
قومه واقصح فيها فكيف بعد ان اختصه الله بالنبوة واجتباها للمواساة بينه
وبين خلقه ؟ اه وكلام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجمهور
اذ لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحبه وانما لم يأخذوا به في العربية
لما عرفت من احتمال روايته بالمعنى
والحق ان الاحاديث التي تعددت أسانيدھا ولم يختلف لعظمي يبعد فيها
احتمال الرواية بالمعنى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على الشاذ

الحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يمارضه
قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتبون في اطراده بالشاهد الواحد ولا يشترطون
له السماع القاطن ، ومن هذا قولهم شئني في النسب الى شئوة فقد اكتمى
بها سيئوبه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فموله على الاطلاق فعلي ، ولم
تقع اليهم من شواهد غير هذه الكلمة المفردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا ينبغي فيه المثال النادر قطعاً ، وقد
حاذ الاخفش عن قصد هذا السبيل حين سمع قولهم . هداوي في جمع هدية
فجعله مقبياً في كل ما كان لامة ياء والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة
الناذة عن السماع والقياس اذ المسموع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء
بجائزاً فيقال هدايا وهدايا وهدايا وسرايا ودنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع مصادماً له كما ورد تصغير فعل
التمجب في قولهم : ما اميلحه وما احيسنه . فهذا ورد على خلاف القياس اذ
التصغير من خصائص الاءاء ولم تضرب فيه الافعال بهم ، وصيغة التمجب
من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب
لم بدلوا على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه السيفة أعني
اميلحه واحبسه غلظة للمسموع

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر من سما مريخاً مريخة

« عسى الغور ابث ما » وقوله « ان عسيت صائما »

وهذا مطابق للقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، ويخالف للجماع اذا المعروف في خبر عسى بحيث مضافا مقرونا بان أو مجردا منها .
وهذان القسمان أعني ماخالف القياس فقط أو السماع دون القياس مما جعل الخلاف بين علماء المربية الكوفيون يمتدون بما ورد من ذلك على سبيل النادرة ويعملون بالقياس عليه . قال صاحب الافصح : عادة الكوفيين اذا شهدوا لفظا في شعر أو نادر كلام جعلوه بابا أو فصلا ، والبصريون يمتنعون من القياس على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحا به خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة كان مالك لا يكلف نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المطرد بل يصنفه بالشذوذ أو انه خرج عن الضرورة ، والى هذه الطريقة أوما ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت انفاذ أو الكلام المحفوظ بادنى اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل هذا كتأويل ضفة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن تأييد هذا المذهب ذكرنا في شروط افضل التفضيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن افعول نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر

جارية في درعها الفضفاض ابيض من اخت بنو ابيض

انزله الكوفيون منزلة المقيس عليه ، وتأوله البصريون على انه من « ابيض فلانا » اذا غلبه وفائقه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاه الى قسم المسوحات الشاذة

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عليها بالشذوذ ولا يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكبها بعض البصريين ما يكاد الناظر - لتصفاتها وبمدها من نظم اللفظ - يقطع بانها لم تقع في فم الشاعر ولا جاءت حول فريحتة

ومن الاقوال الشاذة ما لا نجد للتأويل فيه مدخلا ، ومن شواهد ان البصريين يمتنعون ان تجمع الضفة التي لا تقبل تاء التانيث جمع مذكر سالم نحو اسود واحمر ، واجازه الكوفيون تمسكا بقول الشاعر

فا وجدت نساء بني عيم جلائل اسودين واحمرينا

ولا يتخلص البصريون من هذا الشاهد الا بطرحه الى النادر الذي لا يقوم عليه القياس

والتأويل إنما يقتضيه البصريون اذا كان الحرف المخالف للمعروف في
البيان واردا عن فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة ، واما اذا ثبت انه
لغة قبيلة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره ، ولهذا أبطل ابن هشام
تأويلات أبي علي الفارسي وابي فزارق قولهم « ليس الطبيب الا الملك » برفع
الملك لان أبا حنيفة أثبت ان رفع خبر ليس الواقع بمند « الا » لغة
ميم . والتحقيق ان الشاذ على قسرين

أحدهما أن يكون الكلام العرب سائرا على سنة معرفة ووضع عام ففهم
الكلمة أو الكلمتان من لا يعرف بالفصاحة وهي تخالف المعروف في الأسلوب
فهذا لا يقيس عليه قطعا ، بل الكلمة ونحوها لا تنقض بها القاعدة التي يجري
عليها التصحاح في عامة مخاطباتهم ولو قبلت عن فصيح اذ يجوز ان تكون صدرت
منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللفظ ، فان السنة التصحاح قد تقع في
مزيد الخطأ وتطوع لهم في فهمها الى تغير الكلمة عن وضعها المألوف لظن ونحوه
فانهم لم يأتوا في الكلام الفصيح وتبعه في انه لم يعبد عن خطأ أو
تلاعب في أوضاع اللفظ مثل آيات الكتاب الحكيم والاحاديث التي تعددت
اثنائدها ، فهذا يصح لنا ان نضبه بمكان القياس ونسج على مثاله وان اياه
البصريون والكوفيون ، فلا ينبغي ان نؤكده بلفظ « اجمعين » منفردة عن
لفظ « كل » وان منعه اكثرهم لوروده في قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين —
وان جهنم لموعدهم اجمعين — لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين)

في بيان القياس فيما يقتقر الى التأويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى الا بتأويله ،
ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسمه
القياس ، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه لمتا وحالا انه مقصور على
السباع ، ومع انهم يؤولون ماورد منه على تقدير مضاف أو تخريجه على مجاز . وقالوا
ان اسم الزمان لا يخبر به عن الذات ، وأولوا نحو قولهم (الليلة الهلال) على
تقدير لفظ طلوع مضاف الى الهلال . والحق ان المنع من القياس في مثل هذا
مشرط بما اذا لم يقصد المتكلم الى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب
ابن مالك ، اما اذا نوى اسم معنى يضيئه الى ما بعده واستقام به المراد فانه

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقريئة تشير اليه
ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرأني » وليس بمنكر من
القول متى علم المتكلم بان القرابة مصدر وعود الى اطلاقه على ضرب من المجاز
أو التقدير ، ويدخل في هذا العدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن المصير »
بالخطأ مع ان اسناد الفعل الى زمانه على وجه المجاز ليس بمزبور ، وإنما يحكم عليه
بالخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويضاف كل هذا
قول ابن قتيبة في أدب الكاتب « الملة يذهب الناس الى انها الخبزة » فيقولون :
اطمننا ملة . وذلك غلط إنما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس
يمتنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء »
اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة « والصحيح ما عرفته
من ان التخطئة في مثل هذا أو التصويب مما يرجع فيه الى حال المخاطب اذ الذي
يطلق الملة على نفس الرغيف ويظهر لك من قريئة حاله أو صريح مقالة انه اطلقها
عن اعتقاد انها موضوعه له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو
احتملت عبارة وجوها في التأويل متعددة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « تجوع الحرة ولا تأكل نديها » بانه خطأ ،
وقال : الصواب بنديها . فقال ابن السيد أما ما يذهب اليه العامة من ان المعنى
لا تأكل لحم نديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي
اجر أو تمن نديها أو على المبالغة بجمل أكلها لاجر نديها بمكان أكل الشدين
اتسمها . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم بحري
هنا لولا ان العبارة مثل ، فمن قصد بها ضرب المثل على ما ورد فقد اخطأ من
جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحا

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أوضاع كلامهم
وأما علماء اللسان يتتبعون موارد ويترفعون احواله فإذا وقعوا على حال في
مفردات الالفاظ أو مركباتها قد عمل العرب بها على وجه منضبط وكتبوا منها
قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة ما لم ينقل من نظائرها
فمن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

ما يكتفي لتركيب القاعدة فيميز القياس ، ولا يبلغ الآخر بتتبعه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقيساً وقد يتساوى الفريقان فيما عرفت من الشواهد ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع ، وهذا كاختلافهم في فعل الممثل المين فيظهر من كلام سيبويه أن جمعه على أفعال مطرد ، وذهب ابن مالك في التسهيل إلى أنه غير مقيس ، ويرجع خلافهما إلى أن ما ورد من نحو مال وأموال وغال وأخوال وحال وأحوال وناب وأنياب وباب وأبواب هل بلغ مقداراً يكتفي لأن جملة مطرداً أم لا ؟ ومن هذا القليل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو المشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جملة مقيساً أمّا هو تماوت أنظارهم في أن ما سمع - : هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه أو أنه لا ينهض به حتى يجملة مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً إلى ما يقف لهم من الأحوال التي تعارض السماع ، قال كوفيون الذين يكتفون في بعض الأقيسة بالشاهد الواحد قالوا : إن صيغة المبالغة فعال ومنفعال وفعل لا تعمل عمل اسم الفاعل ، واخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاخذ بظاهرها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبهه بالعمل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تحرز الوزن الذي قرب اسم الفاعل من أصله الذي هو المضارع ، وألحقها البصريون بمغزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذروا به الكوفيون إذ قالوا في جوابهم : إن المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الأبنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ ، فتقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تماوت .

تعارض السماع والقياس

إذا تتبعنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقرائها قاعدة ، ثم وقفت إليها أمثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الأمثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟ هذا النوع تعددت صوره وتشتت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلحق

عليك ما زاه صفوة آرائهم وخلاصة بحثهم
 للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاصول أربعة أقسام (أحدها)
 كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطباتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة
 ولو مرة مثل استحوذ واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية
 بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستعاذ . وهذا القسم يجب استمهاله على ما سمع
 من العرب ولا تنقض به القاعدة ولا يقاس عليه غيره .

(ثانيها) ما يجيء مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطباتهم وورد على وفق القاعدة
 في أمثلة قليلة كإيراد اسم الفاعل من أبتل على وزن فاعل فقالوا «مكان باقل»
 وقياسه «مبقل» وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفعل
 التفضيل من الخير والشر «خير وشر» وقياسه «أخير وأشر» وقد نطقوا به
 في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك العمل فيه على الوجهين بيد ان الوجه
 الأكثر في السماع أرجح لانك تتكلم بلهجة قوم رجموه ولأنه مألوف عند
 المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع

وما يرد في القراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب
 فيما يظهر كقراءة «مماش» بالهمزة نعطيه حكم هذا القسم فنستعمل بما يش
 منهوزة وغير منهوزة ولا نقيس على المبهوزة غيرها مما كان على وزن منقلة
 (ثالثها) ما لم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شعر
 أو تر نادر مخالفة للقاعدة مثل ما حكى من قولهم «فرس مقوود ورجل مموود
 من مرضه» فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا
 (رابعها) أمثلة كثيرة تجيء على خلاف ما وضموره قاعدة ، وهذا يحتمل ثلاثة
 انظار (أحدها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقراء
 ناقص جدا (ثانيها) الاعتداد بها واجراؤها فيما لم يسم فقط ثم الاقتصار فيما خالفها
 على ما ورد به السماع (ثالثها) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا
 بحيث يكون اللفظ ذا وجهين ، وهما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة
 ومن مواقع هذه الافكار مصادر الفعل الثلاثي ، قال أحد النحاة : انما
 يعتمد فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها
 كثيرة الاتفاض . وذهب سيبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم يسم
 كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان نقيس مع وجود السماع . وأجاز النحاة

القياس عليها ولو فيما ورد السماع على خلافها
ومقتضى مذهب الفراء حيث أجاز القياس في فواحد كثيرة الانتقام
وهي مصادر الثلاثي ولو فيما ورد السمع بخلافها أن يجيز القياس فيما ورد به السمع
بخالفاً للتواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل بأخرى ، فيصح على هذا
أخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وإن كان المسموع أخيب ، وتصغير
ليلة على ليلة كما قال المتنبي « ليلتنا المنوطة بالتنادي »

وإن كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب التاج أن
هذه الطريقة أعني طريقة الفراء تجري في مصادر ما فوق الثلاثي أيضاً حيث قال
هذه قول صاحب القاموس « التبيان ويفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف
الأعلى رأي من يجيز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومنمول وأفعل تفضيل واسم
مكان وزمان وآلة عند ما يريد إنشاء قواعد لها أن يستقر في جميع آحادها فإنه يتمذر
عليه الوصول إلى هذه الغاية نظراً إلى سعة اللغة وانتشارها إلى ما لا يمكن
الإحاطة به ، وانما يتبع من جزئياتها إلى أن يأتي على مقدار بعيد نلتاً قوياً وثقة
بأن اللغة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا يبلغه استقراؤه يكون
قاصداً لأجرائه في الكلام على ما يطابق هذه القاعدة ، فيصح لنا أن نعمل على
شاكلتها في كل لفظ يتفق دون أن نتوقف على سماع

وهاهنا اشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب المربية ، وهو أن واضح
القاعدة إذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها ويكفيه أن ينقص جملة منها فإنه
يصرح في بعض الأفعال والمصادر - مثل ويح وويل ونم وبش وعش وليس
ويذر - بأنها لا تتصرف ولا يصح أن يشتق منها اسم فاعل أو اسم منمول أو
أفعل تفضيل ؟ وأي فرق بينها وبين ما لم يبلغه استقراؤه من المصادر والأفعال
فيمسوخ لنا أن نأخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا أن نأخذ مثل ذلك من ويل
ونم وما شاكلهما من المصادر والأفعال التي يصفونها بالجمود ؟

وجواب هذا أن الأفعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق
جاءت على ضربين (أحدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير أن

يتصرفوا فيه مثل ويل وويج ونم وبش وما يماثلها ، وعدم تصريحهم لها مع كثرة زرددها في محاوراتهم ومخاطباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها لمن تصرف فيها فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركها ، والناطق بما يقصون الى اهلها ناسج على غير منوالهم وناطق بغير لهجتهم

(ثانيها) ما لا يكثر في مخاطباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من وروده بقاء واحدة انهم قصدوا الى ترك تصريحه : وهذا هو الذي يعمل به على طبق القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضعين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلم على فعل او مصدر من هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملاً في العربية الفصحى . قال ابو عمان المازني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب الا ترى انك لم تسم انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سميت بعضها فقت عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر الوارد ان على وزن اسم المفعول - : هذا كله من كلام العرب ولم يسم منهم ولكنك سميت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في امثلة كثيرة فانما تأخذ فيها بمذهب القياس ، ولهذا ترى سيبويه يصرح باطراد ما كان على وزن فعال من أسماء الافعال كزال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسموع فلا يقال قوام وقماد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم يقلها العرب ، وقد عرفت ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أبرزت فيه العرب امثلة كثيرة على وجه منتظم لا يقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في المقدار الذي سمى من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسموع فيها لا يكتفي في الدلالة على قصدهم لاطرادها

وجرى الشيخان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على عكس هذه المسألة فذهب سيبويه الى انها غير مقبسة مع اعترافه بكثرة موارد ها ، ورأى المبرد ان المقدار الوارد من امثلة هذه الصيغة يكتفي لجعلها قياساً فيقال عنده لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب الفاكة فكاه ولصاحب الشمر شمار : وقرول صاحب القاموس ويقال لصاحب الخبر خبري لا حبار مطابق لمذهب سيبويه

(يتبع)

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخامسة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعاقبة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخرتين وفاء بالوعد
(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية الميل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بل هي المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب الاحدية وما توله منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها نبه العرب كغيرهم الى المعافقة على جنسيتهم وكان السوريون اسبق العرب الى التنبه والبحث في ذلك من حيث ان لهموطنا خاصا له حدود ومصالح خاصة فلا تشاركهم فيها الاقطار العربية الاخرى وأهله مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين محمدين ومسيحيين ، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تماون الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي - البلاد في غير لبنان - من الاولين كما أن أكثر رغبة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محرركات الحرب، وثلاثة قبلها وواحد بعدها، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة . أما المحرك الاول فهو الدستور الذي نال لآمال بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين المال والنحل ، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان خابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الاتحاديين للعرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية لئلا تطور اذية وأكراه سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحور لفتهم وجميع ميولاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب ، ونلا هذا المحرك الثالث وهو حرب البلقان التي انكسرت فيها الدولة انكسارا حرك المطلبم الاوربية المستمدة لثوب في البلاد العربية لاستمرارها وعلى اثر ذلك تألف حزب الامر كزية في مصر و سورية الاستعمارية في بيروت من المسلمين والنصارى ، وباتفاق الحزبين مع بعض شباب السوريين المستغنيين (المدارج : ج ٨) (٧٨) (الجلد الثاني والمثرون)

بطلب المسلم في أوربة تكون المؤتمر السوري وجعلت رئاسة ادارته لحزب
اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأماها وأعمها

وأما الحرب فقد كانت بولاياتها ومصائبها محركا للناسيا ووطنيا للتعاطف
والتراحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجريد
السورية في جميع الاقطار

وأما الهرك الأخير وهو الاحتلال فقد كان يجب ان يكون - بعد تلك
المحركات الممهدة او المؤسسة - هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للاساس
والقواعد وراجعا بهؤلاء السوريين المساكين الى شر مما كانوا عليه قبل تلك
التطورات أو المحركات الدافعات لكل فريق الى السعي للاتفاق مع الآخر
وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذا في هذا اليوم الذي كان
مظهرا لفقد التربية الوطنية والقومية وتخليب التعصب الديني على كل مأسواه
حتى كانه - او لانه - قد صار غريزة او ملكة راسخة لا يزول الا بمجهود طويل
يتعرض فيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بان الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذبا
فقد سبق الامير فيصل بجنوده ورجاله الى احتلال البلاد باسم الحكومة العربية
ورفع على مهاد الحكومة في مدنها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد
سبقوا الى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلاه الاحتلال المختلط المناس تحت قيادة
الانكليز فاقسمة المنشئة فاقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل اولا خضع لهم
الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت
المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستقود البلاد من
انترك (١) قد تغلغل في البلاد بسمي الدولة البريطانية فكان محيي رجال فيصل
واستيلاؤهم على مصالح الحكومة منتظرا وعده الاهالي أمرا متفقا عليه بين
الحلفاء ومنهم ملك العرب - فتلقاه النصارى كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وهنا ظهر تقصير المسلمين وجهابهم بالسياسة وعلبائهم الاجتماع اذ شكروا
الحكومة السورية المؤقتة اولا والحكومة العربية ثانيا من انفسهم ولم يطلبوا
كبراء النصارى في الجاه والعلم الى التشاور والاشتراك في تأليفها، وقد بحثت
في هذه المسألة في بيروت وغيرها فاعترف لي بعض من ذانرت فيها من المسلمين
بالتقصير وانه لم يكن سوء نية اذ لم يكن عن تشاور بين المسلمين أنفسهم حتى
يقال انهم استأثروا بالاصمال وتعبدوا ان يكونوا وحدهم بحكام البلاد، بل كانت

أعمال في ذلك فردية فكل من يلزم في وظيفة ليس إليها وإنما كان حين
مجيء إلى ذلك من أفراد المسلمين لما سبق لهم من التصدي لحكومة الحكومة
انعلم في المدارس العثمانية الرسمية لأجل ذلك ، وقيل كان النصارى يتسددون
لك ويستمدون له أو يدخلون مدارس الدولة التي هي الوسيلة إليه . ولو كان
للمسلمين حزب سياسي منظم لما قاته أن يغتنم هذه الفرصة لأنغام ما تأسس في
مع التطورات العربية من أسباب الاتفاق ودواعيه . نعم أنه كان في البلاد
حية سياسية صرية لها علاقة وارتباط بالأمير فيصل ولكن أكثر أفرادها
الخبان الذين لم ترتق بهم السياسة إلى مثل هذا المنكر

لم تكن تستقر الحكومة العربية العيصالية بالاحتلال العربي حتى تبينها
احتلال المختلط من الانكليز والفرنسيين الذي قسم سورية الشمالية إلى
الفرنسيين ، وغربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها
ترياسة القيادة الانكليزية المحتلة معها ، وشرقية داخلية احتلتها الجند
بري باسم حكومة الحجاز وإن كان الجند نفسه مختلطاً والمنظم منه مؤلفاً من
توريين والمراقبين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رئاسة قيادة
بريطانية أيضاً . وكان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سني ١٩١٦
١٩١١ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في إدارة المنطقة الغربية على صناعاتها من
ساري ولا سيما الموارد منهم فأكثرت من الموظفين من هؤلاء فكانت أكثرهم
جدة لمثل عددهم من المسلمين لأن أكثر أعمال الحكومة كانت بأيديهم من
الترك ورأى النصارى أن الدولة قد دالت لهم فربوا بذلك وسروا به ولم
كن المسلمين يدعهم في تلك الأيام القليلة التي صار أمر الحكومة إليهم
فأعرضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقرل والقتل واعتزوا عليهم
لوا غتوا كغيرهم لم يفعل المسلمون شيئاً منه في دولتهم التي تعد بالأيام لا بالشهور
بالسنيين ، ونسوا كل ما كان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم
الحرب المامة حتى رضوا أن يكون لهم نصف الأعضاء في مجالس الحكومة
بحية وغير المستحبة وذلك فوق ما تقتضيه النسبة العددية الباطلة التي تجري
جميع الدول الراقية وما كان من عظمهم عارهم واستهانهم في زمن
ب . وقد اشتهر ما وضموه من الاناضيل في ذم المسلمين وأهانتهم وانشدوا
الشوارع والأسواق في بيروت في يوم عيد الفصح . ولولا أن الخصم

المسلمون بالصبر والحلم لو قمت يومئذ مفلة فاضحة تمد سبة لسورية ما بقي الدهر على ان المسلمين لم يكونوا قد يثروا من سعي فيصل الى استقلال جيم سورية وجعل حكومتها عربية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم بعض كهراه الضباط الانكليز على الميحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ولطيل فيه لئلا يمد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شعروا في هذه الحالة بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسمي. ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية - حيث يقل المسيحيون - ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم يجتهدون في استمالة النصارى واشراهم في كل عمل ويودون اعطاءهم فوق ما يريدون بحسب النسبة المدددة وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة الصبغة الاسلامية من الحكومة ارضاء لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة السورية العامة المتحدة فانما اذكر هذا وذاك لا لتسجيل الذنب الاكبر على النصارى وتصغير ذنب المسلمين او تبرئهم بل لاثبت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بامضاء (السيد) دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة، واجتناب كل ما ينفر من الغاية المقصودة فنظر لها تأثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم يظهر لها في النصارى الا اثر ضئيف في بعض شبان المدرسة الامريكانية الجامعة وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولكن لم يستجب الدعوة منهم احد، ولو لا ان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتعصبون من القوم والذين يخدمون سياسة التفرقة ما خذ للرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا، وقد نقل اليانا ان الاستعداد للاتفاق يقوى بميل الزمان عاما بعام. حقق الله الآمال

التربية المالية مع التعليم المصري

لقد نام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف وانقل، الموقظات التي تصخ الاسماع تتوالى من حولهم كالمصواع وقد ضرب على آذانهم فهم لا يسمعون، ولما بعثوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل فصار على غير ما يمهدون، رأوا التربين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعرون أولئك الأغنياء ومن حيث لا يشعرون ،
 صاروا في أمرهم لا يدرون ما يصنعون

ماذا يعملون ؟ ولماذا لا يدرون ؟ وكيف يحذر بهذا الجهل المسلمون ؟ القرآن
 صبح بهم من فوقهم ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وشواهد
 هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن أعينهم وشماثلهم

صفات النفس التي يتوقف تغيير أحوال الأمم بتغييرها هي ما يثبت على
 الأعمال ، من علوم وأخلاق ، وهما يكتسبان بالتعليم والتربية كما ورد في
 حديث « العلم بالتعلم والحلم بالتحلم » فأما العلوم النظرية والفنون العملية ،
 الصناعات آتية ، ترتقي بارتقاء العمران ، وليس لها دين ولا وطن ، بل يتبع فيها
 سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الأخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد
 بها حياة الأمم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الأمم في المقومات والشخصيات
 لمية والقومية ، وتراعى فيها الفرائض القومية والوراثة الجنسية ، فهناك الناس معادن
 كعادن الذهب والفضة « هم كذلك في أفرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم »
 فالقوم يمرض لهم القوة والضعف ، والمز والدل ، كما يمرض للممدن الصقل
 والصداء ، والتربية والتعليم للأفراد والأقوام كالصقال للممدن الذي يظهر روحه
 الفطري ويزينه ويمظم الانتفاع به ، ولا يقصد به تبديل جنسه ونوعه بتحويله
 إلى نوع آخر - فلماذا لم يجار المسلمون الغربيين في أساليب التربية المالية والتعليم
 المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس
 التي أسسها الأفرنج فيها المدرسة الانجيلية الأمريكية والكليّة اليسوعية ،
 فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة فرآنية أو مدرسة محمدية ؟ على أن صائر
 المدارس التي أسسها الأفرنج وتلاميذهم من الصغارى الوطنيين دينية التربية
 ومنسوبة إلى البطارقة والتديسين من رجال دينهم ، وبألت التربية الدينية فيها
 كانت مسيحية خالصة من شوائب الأهواء السياسية . كلا : ان كل شعب من
 شعوب الأفرنج قد بث في مدارسها التي أنشأها في الشرق دعوة سياسية تفتح
 فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية
 وقد كان هذا خفيا عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس
 ولكن صار معروفا للعوام كالخواص . اذ ظهر تأثيره بما تجدد من الشقاق
 والشقاق ، بعد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ما أشرنا اليه في الفصل

الاول من هذه النبة

علم مسلمو بيروت من ضرر مدارس الافرنج في هذه الايام فوقفوا ما كانوا
يعلمون وناميت بها وقد حلها زوال الحكم العثماني من البلاد على التمدد في
اجسادهم من يتعلم فيها من اولاد المسلمين على ما كان دورهم في النهضة المصرية
وحضور وعظها وملاستها - فاقترحت ذلك باتقاء جمعية خطيب دعوت فيها الى
تأسيس مدرسة كلية اسلامية ، ثم رغبنا الى محمد بك الداعوق الذي كان رئيس
البلدية ان يدعو كبار الاجنيال الذين يرجون تعليمهم في هذه المدرسة لا يبعد دعوتهم
الى الاكثاب لهذا العمل فلبى بالارتياح ، ولما انظم عقدهم اقيمت فيهم خطابا
بما يقتضيه المقام من الكلام الذي يرجى ان يقع موقعه للاقتناع من القول ،
والثاني من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكثاب فدخله الاكثرون
وأرجأ الاقلون ، ولكن كان ما كتبوه من المبالغ غير لائق بهذا المصروع العظيم
ولا يلائم على الرجاء في النجاح فآلمني ذلك وحفزني الى القاء خطاب آخر كان
شديدا بقدر شدة تألمي وتوبيخ عموري حتى قال لي شديقي احمد مختار بهم
بعد أيام انه لا يوجد احد يقبل منه هذه المهجة الشديدة لعمرك ولكن كان من
تأثير الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكتتبين ما كانوا كتبوه من التبرع
ثم اتفنا لجنة من كبار الوجهاء اهل الغيرة كانت تطرف على من لم يحضر ذلك
الاجتماع في مكاتبتهم ومخازن تجارتهم لاتمام الاكثاب ، وافرادها عمر بك
الداعوق وابو علي سليم علي سلام افندي واحمد مختار بك بهم ومحمد افندي
الفاخوري ورشيد افندي اللاذقي ورشيد رضا كاتب هذا . وقد بلغ الاكثاب
بالمبالغ الحميدة بضمنه الاغنياء من الجنيحات مع اكتاب سنوي ، آخر وقد شافرت
الى الشام قبل انقضاء الاكثاب فوقف سيره ولكن العمل لم يقف فقد اتاعوا
ارضنا وارضنا بجوار الخرش باسم هذه المدرسة ستبنى قريبا ان شاء الله تعالى
هذا ما انتهى اليه العمل والاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبطل
به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء حياة اجتماعية جديدة يرجى ان
تضي وتزداد بالعمل وقد كنا معشر الساعين اليه غير مغرورين بغيرنا وجماعتنا
استعدادنا ولذلك اتفقنا على انه لا يرجى نجاحه وثباته الا اذا عهد به الى جمعية
للمقاصد الخيرية الاسلامية التي ستكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات
الوطنية قريبا نوط العمل بالجمعية ، وسعيها الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

التي كانت معطلة فتم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله النفع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المستكبرون ، وكرهه لهم ومنهم الكارهون ، وكتبوا في جرائدهم أننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية ، لا مدارس دينية ، فالدين هو الذي فرق كلمتنا ، واغرى المداوة والبغضاء بيننا ، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا إسلامية ولا وطنية فإذا رضيتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فإنا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أموالكم وأولادنا مع أولادكم ، ولكننا نقول إن الدين لم يكن هو المفرق والمغري بالمداوة بأصوله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الأجنبية له وإثارة التربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون ، وفي نصوص القرآن والانجيل ، ما يهدي إلى سلوك هذه السبيل ، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى مرور مئة سنة من تاريخه

فهلما تنشئ مدرسة وطنية جامعة ونجمل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة ، فإن التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين ، وفي كل من الدينين الإسلامي والمسيحي فضائل كافية ، وهي في الأكثر متفقة أو متقاربة . فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله ، ومحبة وطنه والتعاون على ترقيته ، على قاعدة المنار الذهبية (نتعاون على ما نشترك فيه ، ويمذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جميع مصالحه الاقتصادية والسياسية ومشاركون في اللغة فنشعاون على ترقية ذلك بجميع فروعه ولما اختلفت الآبي الدين ومذاهبه فيعرف كل منا الآخر فيه وليعلم الأفراد المارقون من الدين من الغريقين أنه ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يجاورها هي مهددة ومنبت الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - أولئك العظام الذين بقدر ذكركم مثبات الملايين في الشرق والغرب ولا يمدون أحدا من الفلاسفة ولا من الملوك والفاطحين مسالوياً ولا مدانيلاً لا أحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم لا أولي ولا أولياتهم المخلصين . بهذا قامت الحجة لنا عليهم والمخلص في الدعوة إلى المصلحة العامة لا تدحض له حجة لأن الله تعالى هو المؤيد له (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

سورية عربية بيتاً^(١)

أولاً وآخر

لحام الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان
« في البيان »

قبل ان انجلي الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عرباً ولم تكن نسم فيها
سرياني وعبراني الا من قبيل الماديات (الآثار المتبقية). وكثيراً ممن برزوا لنا
الآن بالحلة السريانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ، وذلك لان مقصد
مثل هؤلاء كان اخراج الترك حتى يحل محلهم احدى الدول الاجنبية. فلما خرج
الترك وجاءت محلهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتنفي كل من
يريد ان يفتي البلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه الفئة القليلة من اهل
سورية نفمة لم تكن مبهودة من قبل وهي اتنا نحن سريان يون غير عرب وان
لفتنا هي السريانية وانما غلب علينا الانسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا
فيه طبعة خاصة تشر بكوننا سريانا وباليتمهم قصروا دعواهم على هذا
القول فكنا نوافقهم على كون هذه الفئة القليلة هي سريان ولكن طمعوا الى
دموى اعرض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب
الناحسين تلم اهلها اللسان العربي وهذا غاية مافي الامر

تكررت اقاويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب
قلما يخفون بها لخروجها من التاريخ وامامها في التحكم وكونها غلطاً او مغالطة
فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه
ومن هذا القبيل رسالة طالعناها آخراً تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا
المنشودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وانه
لا ينبغي ان يشغل هذا القول على العرب اذ ليس فيه مساس بكرامتهم وكما لا
يفض العرب ان يقول: ان الرئيس ليسوا عرباً. الانكاي ليسوا عرباً. الايطاليون
ليسوا عرباً. فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عرباً وانما هم سريان. توفرت
على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والاثنولوجية الخ والاعتراف بالحق
أولى. الى غير هذا من الاقاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كصحاً كما طوي
(١) نقل من مددي جريدة الانكار البرازيلية المؤرخين ٦ ر ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١

هو عن مناظر حدث عنها . الا انه لما كان جاء من باب التاريخ والحقائق العلمية وكان من الفضلاء المستقرين لا خبر والاثراء المزمعين بالسير والنظار - كما يظهر من كتاباته - أحببنا ان نخوض معه عباب هذا البحث متوخين فيه لوجهة العلمية المصرفة معتمدين على التاريخ - لكن التاريخ المحقق المأمور لا الخيل ولا الخن - لان الحقائق لا تكون بالظنون بل بالادلة وبعد ذلك نترك بمقارى المذهب ناشد الضالة التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكم على سب الاكثرية من أهل سورية أهو عربي أم سرياني .

نقول : أولاً - ان العرب والسريان (والسريانيون) هم جميعاً من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الاثبات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبعد ذلك . فالساميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون - وكانوا من سورية أي الفينيقيون واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين فلق باقتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط .

ثانياً - الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء قسمان الشماليون وهم همدان ، والجنوبيون وهم قحطان والعرب البائدة وعرب المهر وأهل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم السامون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم اليتخري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم الصوماليون والجبوت من جنس واحد

فالسريانيون اذاً هم والعرب من فروع شجرة واحدة متداية الانحاض يدل على ذلك تقارب ما بين لغتي الفريقين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من القبه ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو انخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . فنسبة السريان الى العرب ليست أبداً من قبيل نسبة الفرنسيين ولا الانكليز ولا شعب من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة ابناء عموم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسي والاطالي أو الاسبانيولي من تجمعهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

فالنتيجة ان اكثر المستشرقين الاوروبيين لا يرون في اكثر الامم السامية (المنار : ج ٨) (٧٩) (العهد الثاني والمنشورون)

الا بطونا من العرب . وان السريانيين هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد المالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهول . كما انه في اواسط آسيا يوجد الايرانيون والطورانيون وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسبا والحال ان معنى الايرانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب مكثروا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكن السهول في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم يتسموا سريانا الا فيما بعد سماهم بذلك اليونان وادعاه الكاتب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل واشور - ولهذا هو يقتصر بمدنيتهم - هذا فيه مافيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خاطئ حضرة جهلا أو تجاهلا لغرض في النفس

رابعا - ذهب الاستاذ « سبرنغر » الالماني في كتابه « حياة وتعاليم محمد » صلعم وكتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . وعمن ذهب الى ذلك من فحول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « اجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « اجرومية اللسان السامية » وهو المدرس بكلية كبرديج . ثم الملامة ماكس مول قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية باسمها فيكون السوريون بحكم الضرورة عربا في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الافوام السامية هو من افريقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونموا وتقرمت عجزاتهم ومنها خرجوا الى سائر الاقطار . ومن اصحاب هذا القول روبرت صيت الانكليزي وبارنون الامريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون مرجع السوريين الى المريية

خامسا - في عهد المائلة المصرية السادسة أنفذ قائد فرسان من مصر لارتباد اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر للفلسطينيين ولا للسريانيين هذا في كتاب العلامة الهولندي تيل وان كثير

من المؤرخين البعثيين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب . ثم ان
المصريين الاقدمين حاربوا جيلا اسمهم الناسو في جهات سيناء و جنوب سوريا
وهنا الجبل كان مريّا

سادسا - الفينيقيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر
هيرودوتس ان قسما من الفينيقيين جاءوا الى جهة خليج فارس كما ان العلامة
الانكليزي بينت اجري حفرات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها
كروا فينيقيين من هناك وان قسما آخر من الفينيقيين جاءوا من سواحل
البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالتين فهم عرب من نفس جزيرة العرب . وبعد ان
ثبت كون الفينيقيين مريّا لا يبقى محل لتزاح في مريّة القسم الاعظم من
أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يجلها العرب في تاريخ المدينة قبل
الاسلام فضلا عما بعده

سابعا - الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة ومملكة
ومدينة ضخمة تدل عليها آثارهم وابوابهم وكانت لهم جرش وسجد و طرس
و وادي موسى (بئر) واذ لم يكن من صنمهم سوى وادي موسى لا يسمون
من الجبال يونانا (أرمين) لكنى فكيف وهناك جرش وما فيها وقدموا الي
كانت مروس المشرق ، ومن الانباط الحوريون الذين يقال لهم العنقة كانوا
جنوبي نهر الاردن

ثامنا - عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد عنصران
أحد هما الخيت في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والصوريون الكنعانيون
في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملك صادق الملك المرحوم الذي كان نبي ابراهيم
يبدأ النبي الاعلى وأدى اليه ابراهيم المشرق وان العلامة هيرودوتس في كتاب
الخصريات الآرية في القرن التاسع عشر : يذهب الى ان ملك صادق كان
مريّا . فليظهر الانسان في أي دور كان العرب ملوكا ودولته في سورية
تاسيسها تنق المؤرخون على صكونها أساسا للمدن القديمة هو العيلة
والتجارة وكل الآثار تنبئ عن ان كانت مراسم الديانة في سورية أتت من
جنوبي جزيرة العرب . وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين وحي
بمانية بحثة والفينيقيون سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا
هنا ومن اطلع على كتب ولهاوردن الألماني وروبرت سيبث الإنكليزي

المؤرخين البعثيين في الامور الدينية ر ان أكثر هذه المسماة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الالماني كافي هارون يوردتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانها كانت سبب صمادة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراء العرب على الديار السورية وأوطنها وتمكنوا وتشعبوا فيها .

عاشرا - وجد الضجاجة من عرب اليمن في حوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحقاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستائة سنة جاء القائد نعمان العربي من الشام يستشفى من البرص عند الشيخ تلميذ ايليا . ثم كان بنو سليج وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الفساسنة وهم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستائة سنة - فيما أتذكر - الى ان ظهر الاسلام . فأتت ترى تماقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكيمصادق الى الانباط والمالقة والفينيقيين الى الضجاجة الى الفساسنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركت ملايين من الدراري في ارض سورية .

حادي عشر - كان الغالب على سورية المنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفن سيل المهاجرة من كل حدب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . ومما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراء البادية . وليس ورود العرب على سورية وايطانهم سورية هما من قبيل الحدس والتخمين وان ذلك عقلا لا بد ان يكون هكذا بل مثان الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويعرفون انفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التوار ومنهم من انقلبت به أسباب العلم من معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من صحنته ثاني عشر - اما كون أهل سورية أسله والذن الفتح العربي فتريد عليه دليلا واحدا زبد تاريخا أو نصا مبينا أو قرينة قاضية لا يكفي في ذلك مجرد الظن لان الظن لا يفي من الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لا يؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى او يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بقي منهم هناك بعد جلاء الحكومة المربية من تلك البقاع ، لا يفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيراً من العائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك تنصر عشرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ما حملهم فردينا بد وازابلانم ديوان التفتيش الشهير بعد هاتم فيليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالذي عز عليه دينه جلا والذي عز عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستطيع مؤرخ ان يقول ان اكثر سكان اسبانيا أصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان اكثر أهل سورية أسلموا عند الفتح العربي لا صحة لها ، والصحيح ان الامة الفاتحة غلبت ونمت كما هو شأن جميع الامم الغالبة وان الامم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الامم المغلوبة على امرها ودخل في سورية اقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستمروا وصاروا عرباً منهم الاتراك ومنهم من المغول ومنهم من الاكراد ومنهم من الشركس ومنهم مغاربة دخلوا في أيام الفاطميين وغير ذلك ففاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب المتعددة ثالث عشر - ينبغي لمثل هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ المربية ما كان منها على منازل الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقنقشندي والمقرزي وعلى تواريخ الحروب الملية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التاريخ والادب بعض المجلات والمصادر وعلى اخبار القيسية والبنية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لا يكفي هذا وحده حتى يقترن بالتنقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة قبيلة وقرية قرية عما يظنون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجهل الذي نشأ والعلم الذي طمسها اللذان جملا أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجهل بتاريخ العرب وبأنسابهم والاعتصار على رواية واحدة هما اللذان أدنا الى القول الجديد « ان السوريين سريان » ان العرب هي الامة الوحيدة التي يستوي عاميها وخاصيها

في معرفة نسبه ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها أصولهم وما على المرتاب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من أهلها من أصلهم ليلس الحقيقة لمساً

رابع عشر - ان كثيراً من نصارى سورية هم من أصل عربي غساسنة وغيرهم. منهم من بقي ببحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعلبك وزحلة وجبل لبنان. ولا يلزم مني الا ان أن العرض لاسماء هذه البلدان التي تعرف أنفسهم. ولعلنا نذكر ذلك مرة أخرى. وان طائفة الدروز هم من قبائل لحم وجذام وبتون أخرى جاءت آباؤهم أيام الفتح الى مرة النعمان ثم أسكنهم الخلفاء الباسيون جنوبي لبنان وان أكثر طائفة الشيعة هم من طائفة من عرب الحيرة جاءوا الى الشام وزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل طائفة أو بلاد بشارة ولست ادعي اني على شيء من الأحاطة بأنساب عرب سورية فان ذلك بحر زاهر لا ساحل له لكن المعروف منه عندنا هو مما تضييق عنه هذه المجالة. وبالاختصار فالسواد الأعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المنتسبة من الاسلام هم عرب ثم مستعمرون من أم غير سامية. وان قسماً عظيماً من نصارى سورية هم عرب صراح لا جدال فيهم وان يزا الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى الميريانية بطوناً كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من أهل التحقيق، وسواء اراد بعض السريان أن يفصلوا أنفسهم عن العرب بعد أن استعمروا منذ دهور أو لم يريدوا فان الأكثرية الطائفة في سورية هي للعرب الحقيقيين. انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التغلبيون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة

عبد الله بن الزبير مسلمين؟ هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع العرب في العراق ضد المعجم مسلمة؟ هل ينكر ان بني الخازن وبني حبيش وآل شهاب وآل أبي اللعج من نصارى لبنان - وهم من عليّة طوائف لبنان - غير نصارى، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن: هل هي عربية أم أعجمية؟ وكتبه صالح مخلص رضا

ترجمة فقيد العلم والاصلاح

أحمد فوزي مهران

بقلم شقيقه محمد بسيوني مهران في (جاوه)

حضرة العلامة المفضال ، ذي الفضل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاخر متعني الله والمسلمين بوجوده الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني اكتب اليكم اليوم ويدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والمهوم مسدلة على القلوب لما رزئنا بل رزئت به سببي كلها من فقد شقيقنا العزيز احمد فوزي مهران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيراً . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله مخلصاً قوي الايمان ، قائماً بالواجبات ، منزهاً عن الفواحش والمنكرات صادقاً في الجدل والمزل ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعياً في مصلحة الامة ، محباً للعمل ، متواضعاً ناصحاً أميناً ، صابراً حليماً ، عزيز النفس ، مكرماً محبوباً من أقاربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فله ما أعطى وله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله نصير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولا بلغ ست سنوات من عمره عليه والدنا الشيخ محمد مهران مهراج امام قاضي سبيل فراهة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولندية ليتعلم فيها الكتابة الملاوية ومبادئ الحساب وأنا يومئذ في مكة المكرمة اطلب العلم فيها فتفاق رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أتم دروسه فيها لم يلبث أن طلبته الحكومة معلماً في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ فوتت رغبته في تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية . وكنت أنا منذ سنتين ونصف جئت من مصر من مكة المكرمة فقلت له : ان أدركت أن تتعلم اللغة العربية وعلومها

والعلوم الدينية والدينية (المصرية) فاذعبت الى مصر وأنا اذهب مملك فاتفق رأينا وطلبنا من الوالد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستطع مخالفتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صفي الدين بمرادنا فسر ذلك الخبر وقال له : انا نرجو ان يكون ولدك نبراسا لبلادنا . وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيه رحمه الله وأحمد سمود وسمد علي من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذا كرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة وزلنا في بيت مصلح الامة العالم العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فانا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل لجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحصيل ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أرجو فيه مارجونه الا بعد قراءة المنار فاني اشتركت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محطة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرننا في منزله الشريف ولما دخلنا وسلمنا عليه قابلنا بحفاوة واکرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مشوانا وضيافتنا ولم تنتقل من بيته الا بعد أيام — جزاه الله عنا خير الجزاء — وكان أول ما سألتني عن أحوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من الخطا طنا في الامور الدينية والدينية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدينية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر

وكنا نود لو نقرأ على السيد وتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أفرائنا وتعليمنا من الاصلاح الديني والديني الصام ومع ذلك لم تقفنا ارشاداته وافاداته وذلك قبل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها وفتحها فقد كنت أنا والفقيه رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدرسة ولم نجرم والله الحمد ما كنا نوده وتنصنا وكنت أنا والفقيه رحمه الله نتعلم في الازهر الشريف ويأخذ كل منا معلما خصوصا بأجرة وبغير أجرة .

وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشغل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف وينشئ باللغة

العربية ثم أسست مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروضة بحجة مصر القديمة وكان
 ناظرها ومديرها الملامه صاحب المنار ودخلت أنا والفقيه رحمه الله تعالى في
 هذه المدرسة المباركة بعد امتحاناتنا فيما اشترطته في طلابها من العلوم التي تعلموها
 وكان الفقيه رحمه الله تعالى يجاري طلبه المدرسة المصريين الذين طلبوا
 العلم في الأزهر ثم ثمانين سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق
 لسانه بالتكلم باللغة العربية انطلاق السنة المصريين . وفي سنة ١٣٣١ هـ هاجر
 الى وطننا محبوس والفقيه لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويشغل بالمطالعات
 والمذكرات والمكتابات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ مهنيين خصوصيين لم
 يفارقهما حتى صافر الى سببس أول سنة ١٣٣٥ هـ ، وكان قصده التوجه أولاً
 الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على إذن
 الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الايام أيام الحرب الاوربية الهائلة
 التي كانت الانكاز تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متعباً بالاشتغال بالسياسة
 لما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الى الذي فيه ذكر أخبار الحرب ،
 وكان لا يكتب الى الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيه رحمه الله تعالى الى سببس أحبه مولانا السلطان واراد
 رفعة في انشاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدينية
 كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيه بتأليف نظام مدرسة مرغوب وجودها
 في سببس فألف رحمه الله نظاماً بموجب الامر السلطاني مقتبساً من نظام مدرسة
 دار الدعوة والارشاد

وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٦ هـ تأسست في سببس والحمد لله مدرسة
 عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأستاذ
 أساندها فقيدها المرحوم المأشرف عليه فكان الاقبال على هذه المدرسة أطال الله
 صمرها عظيماً من أهل البلد فأدخلوا فيها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من
 طلبة مدرستي الحكومة وانتظموا في سلك تلاميذها ، ومن يوم تأسست
 المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشغل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد
 سنة ١٣٣٨ الموافق ١ مارس سنة ١٩٢٠ هـ رحمه الله استأذن مولانا السلطان
 في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في
 المدينة المنورة

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى
صنعا فوره فالى مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها نزيف
شديد من فم فذهب مسرعا الى طبيب الحكومة الحجازية ونحسه ثم فحص
ومالجه طبيب جاوي أرسلته الحكومة الهولندية الى مكة وقال له : ان هذا
الداء هو السل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه . وبعد أن أدى رحمه
الله فريضة الحج سافر الى سببس ولم يتمكن السفر الى المدينة المنورة طبعا
وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله الى وطنه وهو لم يزل
مريضا نحيفا وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سببس) لاجل
التداوي عند طبيب الحكومة الهولندية . فقال له الطبيب الهولندي انك
لا بد ان تصالح في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعالجك هنا وفي ٣ صفر ١٣٣٩
سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في
بوفر وكان لا ينقل الى هذا المستشفى الا من قدمت صحته . وفي ٨ رجب
١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى واجما من بتاوي الى سببس فمررتا عبرورا عظيميا
لانا لما انه قد شفي شفاء تاما اذ لم نرفيه الا سحالا قليلا ، وفي يوم ١٦ شعبان
سنة ١٣٣٩ طوده نزيف الدم وازداد مرضا ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية
ونصف صربية الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرجت روحه الطاهرة بعد ان
نطق بالشهادتين فحصلت الضجة والجزع والحزن من أقاربه خاصة ومن الناس عامة
فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أدبيا ، وخطيبا وسطيا ، وهاهنا قليلا ، وكان له في
العلوم العربية نصيب وكذا في العلوم الرياضية والمصرية والدينية ، وتدل
على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محررا بمجريدة الاتحاد
الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنار من يوم
عرف العربية وكان آخر قراءته له الجزء الثاني من المجلد الثاني والشرين وله
مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر ، ومن أثر اجتهاده وحسن طريقته في التعليم
أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو
والصرف فهما مكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة المباركة ومن
الكتابة باللغة العربية هل انهم لم يكونوا يعرفون شيئا من اللغة العربية
قبل دخولهم المدرسة - ولذلك لما وصل الفقيه رحمه الله من سفره غنى كل

من تلاميذ المدرسة ذكورا واناثا ان يعود اليها مملا ولكن : ما كل ما يتمنى
المرء يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته تعالى نافذة وليس لنا الا
الرضا والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بعد وفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريباً فانه
ليس فيها معلمون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا
بها والمسلمون بخلاء ضعفاء في الاحوال المالية .

هنا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو
حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما
تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

سبب برنو القرية محرراً في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ يوني ١٩٢١
كتب

محمد بسيوني صمران

تقریظ المطبوعات^(١)

(كتاب تنوير البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد
طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكمة العربية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق الشام
(نفي من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يفترض لما يريد اذا حته فرصة سانحة
فيبدى فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد منهم
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يحب
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع
(١) كتب تقریظ هذا الكتاب وترجمة الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والنقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين ولزومه والبدع والابتدعة الخ أعماله وآثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتائب والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في انتقاد العلم وكتبه الخ

استنارته دفائن اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدفائن ولا ما استناره منها وبعثه من مرقدته ، فهل كان كتاب المختص من جهة ما أحياء ؟ عنايته بأحياء التاريخ . هذه النبعة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه سوى ما ملخصه « عن فقيدها بأحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاوته ودرساته وانعام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعها » وما عدا ذلك فكلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياء من التاريخ ولا ما نشره منه سميه وراء التوفيق بين الدين والعلم والعمران . هذا الموضوع استغرق ما يزيد

على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أين مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والعمران ومحتاجته المحافظين على القديم وارشاد الطالبين وتعليم الجاهلين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وسامة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراساتها قد درست ، وان غليفتة وهي الدعاية الى اصلاح العام (؟) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعظة الغافلين وتربية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

منها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته ووجه المستشرقين وحبهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جميل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفضل لها

ولكنني أخذ عليه - مملا بقوله فيل الحاشية ص ١٤٢ هـ ومن وجد غلطا في بعض ما عزوته لافقيد فليتنفصل علي بتصحيح غلطي « الخ وبصد الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولا - ان الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصحب جدا أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتشتبا بين أطوائه وفي تناياه هل انها لا تكون صورة صحيحة للفقيد

ثانيا - نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومريدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا انه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فأننا نعلم انه أقام شهورا عدة نزلا عند بعض السوريين في السويد وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين هم تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدريسه ؟

ثالثا - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير انه « تعلم كثيرا من الخطوط الكوفي والمشجر والبراني وغيرهم (١) ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونبشها من طام الدثور الى عالم الظهور »

رابعا - لم يذكر ما كان من مهل الفقيد في التوفيق بين العلم والدين الخ غير انه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئا منه في حياته وانه تبادل الآراء مع المستشرقين وانه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره مازدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردناه كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفاضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالفقيد بعد ان قرأتها عليه اذ قال لي : انها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته ومونه ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومفتي المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الفتي المبداني فحضر عليه علوم العربية

والفقه الخ وهو استاذ الوعيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مشاركة حسنة في جميع العلوم العربية وعنى بقراءة الخطوط العربية وخاصة الكوفي منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة من بعض ضباط الجند اللبناني حتى لم يعد غريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظة جيدة وذاكرة حسنة لا يفتى عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو فائدة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سفطه (محفظته) وجوابه وكان حريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستورد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن في بارحة الله تعالى
 حياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قمي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض الوجه رت البزة غير ممتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ماتسيه أعراب الشام شبر ويسمى في مصر ققطانا وفي الشام قنباراً أو غنباراً فوقه جبة أو جبتان ويتعم بمائة من الألباني وكان كثيراً ما يلبس الثوب مرة واحدة فلا يخلعه حتى يبلى ولا يدع الشمسية (المظلة) شيئاً ولا شتاء ويضع على عينيه مناظر لتقريب البعيد فإذا اراد القراءة في كتاب رفعها ، وكانت له جيوب في جيبه كالخروج

وكان حديد المزاج ضيق المطن ضيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان يحس من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاج مر جلسائه ومباشطة . وكان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسهاب فيما كان عليه مما صوره فيها من الخب والخل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو يخلص شخصاً أو ليروج مشروفاً خيراً من شره ، ولولا انه كان يجاهر بذهمه في أكثر مجالسه ويفخر به ويمبر عنه بالدسائس الطاهرية لما استحسنوا ذكره وقد علمنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان لا يفتاح لا للانتقاد

وكانت عيشته عيشة الزهاد مم الحرج على الوقت وكانت يقضي طامة ليله في المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينتقم بنوره وحرارته مما فتكان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يبد طبعه بحكم وضعها فوق المصباح

معلقة ويتدرج لضعفه ساعات يتماهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما تعفن وجهها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد المشاء ويطالم في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى العصر وكان ولو ط بالبخان والشاي والقهوة جميعا مفرطاً في كل منها ولم يكن حريصاً على المال كان خلقه التعفف والكرم مع الحاجة لا يميل الى الطعم ولا الهدنة فوقع اشتد به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع معظم كتبه من احمد باشا تيمور وكان ثمنه من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايم (أصدار القرش) يمدها ذلك ، وقلما يصدر عن مجلسه وارد بفائدة علمية لأنه لم يكن يذكر بين الناس شيئاً من وسائل العلم لا مفيداً ولا مناظراً ولا مذكراً ولا سائلاً ولا عجيباً وإذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دله على المظان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي بدهاء

وربما أوجز الى بعض جلسائه ليوسط بالأمر يريده وكان اذا استرسل بالمباشرة انقطع فيكثر من الحركات ويغرب بالضعف حتى يخرج عن وقار الشيخ وكان متعلباً في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم فاضل أطال عشرة الشيخ طاهر انهم اختلفوا في كلمة لفوية فكان الشيخ طاهر على رأي تبين بعد المراجعة انه كان مخطئاً فيه ولم يرجع الى الصواب مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، القوائد الجسم في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المساجة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهرة الوسطى ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المساجات المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووقعت على طبعه وهديت بتصحيفه بأذنه ، وكتاب توجيه النظر في الأصول طبعه له الخانجي بمصر وكتاب التمرير الى اصول التفرير ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن تباتة وأمنية الالهي ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتفسير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم زها وكان هو

المحرر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وكانت يودعها نبذاً من مقتطفاته العلمية ومن كنيشاته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوء بكنائسه وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر ، وله كتاب « تقوم المجلة السلفية » وإن لم يصدر بالمعنى

علمه وعمله

لم يشتهر التقدير وأعرفه بعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم غاية ما عرف به أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتّاب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف الثغور أو التهرست وأنموذج لم يحص ما أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيل كثير مما يجب نشره ويجب طباعته ولكنه كان يبخل على الوراقين بأرشادهم إليها إذ يرى أنهم لا يستمعون ما ينالونه من الرجح بطبعها . وكانت له مبرة فنية في صرفها على الكوفي أرخده إليها مقابلة أي القرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب مريض الخطوط للآباء اليسوعيين وله العلم بالحروف العربية وما نشر من مؤلفاته إذا دل على صحة اطلاع فانه لا يبدل تحريره ولا يبدل ولا على على تفقه في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية الثمانية في سورية فكان فيها مثالا للنشاط والدأب والنصيحة ومن عمله أنه سعى لدى مدحت باشا الوزير العثماني الإداري الشهير عند ما كان والياً على سورية بإصدار أمره بجمع الكتب العلمية المخطوطة المتوفرة في المدارس الملكية والمساجد بدمشق فكانت مكتبة منيدة وجميع من البيوت ما أمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختص ، وفي أيام عبد الرؤوف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جمعها إلى المكتبة الظاهرية . ثم جعل مفتشاً على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف ، وقد عين في آخر أيامه عضواً في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وقام في المكتبة الظاهرية . وكانت الحكومة عازمة على درس قبر الإمام ابن تيمية لوقوفه في حديقة خارج مدينة دمشق فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الإمام محفوظاً بحبه وعنايته وأعلن أن هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبتعزوني أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الحج

١٣١٥

بين المملكة من يشاء ومن يوتى الملك
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى « و.نارا » كدار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ — ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢ أكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الخلفاء

«لنا هذه المقالة من الجزءين ٩ و ١٠ من المجلد الاول من مجلة المنار التورانية العربية»

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان اعلاه للدكتور انباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية للكتابة البيئية الآتية «ماقالى بدانام» فأحببنا تلخيص ماحواه هذا الكتاب المهم لقراء المنبر ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية. قال الدكتور انباطو : « لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن ان تكون واحدة في كل الجهات والاقليم وانها تختلف طبعا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستمر بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمائهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من الجهات الخارجية والاقسام الداخلية، فان الاسلام من حيث جوهريه لم يتبدل للمدينة التي تولدت منه من الصبغة المالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للرفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأهم سبيل للتمارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل الملأء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكري مايسمونه بالانحلال منم (التحصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة ترمد الله من التقضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسرارها في زي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في صلبها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالاً واسماً لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامع والكرم الانساني وما صفتان ما وجدتا في قرم أو مدينة الا ونهضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم بلوغ تلك المرتبة المالية المساعدة

أمة أوروبية لا تحفى تحت كلمات الرقي والتهديب والحرية والأخوة التي تنشرها على
الوئهاية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية
اذن فلا خوف مما يسمونه بالبالاسلام الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها
أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون ، وما الحوادث
المسربة للبالاسلام الا حركات فكرية عادية لا خوف منها بل ربما أفادت
المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه القاية الشريفة ، ولذا لم يعد هناك
موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي ،
ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان
ينفي أو يفقر الممالك التي لها علاقة به

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستثمارية التي تسلكها
الدول الأوروبية بمستمعواتها فابدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن
« ان سياسة فرنسا بالممالك التابعة لها وان قالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن
غيرها من حرية الادارة والتسامح المكري الا انها تنمقر الى فكرة ادارية واسعة
بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال المظيمة التي قامت بها هناك »
ثم قال « انه يجب ان تركز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظمات الاسلام
معرفة دقيقة » ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد
التي تستند اليها فاقى في هذا البحث المبرع بافكار دلت على تضلعه من الفقه
الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال « ان القرآن الشريف واعمال الخلفاء الراشدين
هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها ،
وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان
يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لا سبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا
كاهم لا كما يراد ان يكونوا . والصسوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا
الطريق انما هي التميز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتفسير والتطور
والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة ، لان هذا الدين له خاصية أساسية
يجب ان لا تغفل عنها ابدا وهي ملائمة لكل الظروف بدون خروج عن
حدوده الاسلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقليم والاخلاق . ومن الغلط ان
ننقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي كواعدمويدة تقضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدينة الحديثة - ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة المالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملائمة لجميع الضروب والاجناس مما اختلفت منازلها والوانها، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحث على حكومة الخلافة اليوم الفاء كل ما قيل أو قرر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهمال أو مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسليخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلا ترقى به للحياة والمدينة المصرية .

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال : « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشباع النبي الكريم (صلم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال : « لا يمكن ان تحمل مسألة الخلافة حلا اوروبيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانها لا يجوز لاروبة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكرامهم على ذلك بوجه من الوجوه ، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة المالية عن كل سلطة مسيحية - وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تمامي انحولت عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلف الدكتور انبساط الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقيق أن سياسة التناخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان التروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباعد والمداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم - كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين ولاحقة تطامع الملة والمدار والالتزام قائلا : ان انتباههم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدنية العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة المديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف الاجتماعية المخرجة المعاطة بها الى الآن فاذا انجدنا هؤلاء المفكرين وايدنا رغائبهم فانا نجد منهم ائمن مساعدة سياسية وله تقدر الدكتور السباطر انه يجب للحصول على ذلك ان نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقه عصريه وان تفتح لهم ابواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعام السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لقائدهم ولقائده الامم الاروية المشرفة عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبة المسيحية ان واجبا يقضي عليها باضائة العالم الاسلامي بنور المدنية والعرفان اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين اشياها متفانين في مصلحتنا بالوسائل التي استعملتها اروبة الى الآن كالتجنيد الجبري وبت الدعوة بالصور والنشرات واستخدام أعوان لا هم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الدم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلامية لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالفضيحة لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها، وهنا اضع القاعدة الاساسية لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان نسم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان تسمح اروبة للمسلمين بان يعملوا لمصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا المدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب يتيقنه المسكين الموارم وبحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور السباطر في الحق والمصلحة المشتركة التي لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشره والنهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلمية فان لم يقبلها المستعمر

الروم فسيندمون غدا

عن القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المزمع الخامس بمجلة الهجرة الأول

هي نخبة من علماء الأفرنج بالبحث في أسباب رقي الإسلام وعلى الخطاطة ودونوا ذلك الكتب الضخمة واستفرغوا الجهود والجملة وانفقوا الاوقات الطامسة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في العصر المتقدم وسرعة انتشار الدين الخفيف في اطراف المعمورة انما بفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين وزاخرة غرضه وسمو مبادئه قد جلبت اليه اقواما دخلوا فيه أفواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا، فاصبحوا بمنمته اخوانا، وعلى تأييد أخوانه ولحمية بيضته انصارا وأخذانا

امتدوا بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم جبل السداد وأتارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يسرون في شريك الأم في هذا النور العظيم ويعملون على ايقاظ الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهيم وشهد التاريخ وذات الانباء وأجمعت كلمة المؤرخين الخصمين على انهم كانوا في تلك الاثناء رائد هم الصدق والاخلاص، وفائد هم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق بيني الانسان، اما الصفات التي ساد بها فحدث ما شئت من نبات وجلد وبقين في التجاح وصبر على السراء والضراء، وشكر في حالي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الى عزم يقدر الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتناظر على المصالح واعتصام بمجبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذ طبعت في نفوس وهم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أهم أرجاء العالم في ذلك التاريخ على اذ اولئك العلماء الذين اشرنا اليهم في مطالع هذا الفصل قد نظروا ايضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفنت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطبقتوا على ان ذلك نتيجة

لازمة تؤول اليها كل امة أخذت الى الترف ومالت الى الراحة وجبرت في اعقاب
الغفوات وأهملت الاخذ بأسباب الحزم وتقاومت عن مجاراة الامم الراقية في
طببات العمل، فمنهم من يمزو الفضل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون
انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير
من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علماءهم . والى القارئ الكريم
مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا اليه من بعد الفور في المباحث
العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية
حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور
وارسال الحبال على الفوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى اليه قلة
التثبت واصمال الروية في فهم اسرار هذا الدين
« رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته
بنفسه واعتماده عليها وما كان توكله على الله بأقل صدقا، لكن كان يكتنفه حدود
معقولة ولم يتمد قط الى ذلك التماهي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا
القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله
الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا
لم نثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على ما يشعر بمخلع أشرف المدارك
الانسانية (الارادة) وتمثيلها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الاضلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب
عليها الكسل وناتت بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار، وحكمتها في نفسها تفعل
ما تشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن هوائد
الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لاعقيدة وعلى كل حال
فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على
غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه
وافتيقاره لخالفه ووجوب الخضوع له والركون لعليائه ولكن ليس ثم ما يذم
ببند أهل قوة وأشرف، وهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجمع صوني

الى اصواتها ونقول : ان هذا ادين لدين يحمل لافضل رغم معتقد الجمهور «
وقال غستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « مر تطور المادة »
في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :-

« القرآن لم يأمر الناس بترك السعي والعمل أو الانسلاخ من خوض غمرات التنافس
الحيو في هذا الموضوع لم يأت بأكثر مما في الكتب السالفة « التوراة » مثلا
يعترف نخبة من الفلاسفة ان مجرى الاور لا يهتد به تبديل ، ونظام الخليفة
يبدى مبدعة لا يعتره تغيير ، فقد قال لوتر : « تنقح الديانة المسيحية تنفق » معظم
آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre arditre » وهذه
الآيات لا أعني لها عدد ابل هي الكتاب بأجمعه . وهذه عقيدة القضاء والقدر
مفصلة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة
دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يسكون في وقوعها فهذا
« أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول أن يثاقف
هذا الامر فطلق يقدم النذور وأنواع القربات للآلهة بدون جدوى الى ان
ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل أباه كما هو مشهور . قالني العربي
(صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشئ ، عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة
من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لا بلاص » و « بنيدر » :
ان علما (الله) يكتنفه في طرفه عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على
اتساعها وثباعد اطرافها وبحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبرها
وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شئ ، وان يكون علم المستقبل لديه
كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديون بعض فلاسفة
العصر هي نوع من العبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة
لمكافحة النوائب والمضاضات . وقد كان العرب هاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم
ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شئ من ارتقايتهم ولا من انحطاطهم اه
(المنار) ان ما شرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة
الجبر التي اتبعنا بها حتى من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان
لها ذلك التأثير حبه كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سري
الى اهل من قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

صواب	خطأ	عدد	صواب	خطأ	عدد
المفوضه	المفوضه	١٠	بأسه تعالى	بأسنا	٨
في المروه	والمروه	١٦	ولو شاءت	ولو شاء	٥
كان	وكان	١	حجة	حج	٧
وفرضها	وفرضتها	٤	ابن	بن	٢٥
الاتصال	أول اتصال	١١			٢٥٠٣
بجيتا	بجيت	١٢	هذا	هذه	٨
منه	فيه	١٣	بأنها	إنها	٢٨
التصب	والتصب	٤	ارادتها رعد	ادارتها رعد	٢٧
فقطروا لها	فقطروا	٤	نجاوزما	نجاوزه	٥٥٠٧
مقالة الشيخ	الشيخ	٥	التي	التي	١٧
اعتزالا	اعتزال	١٠	من الخائب	مدار الخائب	١٧
تجلي	تجلي	٢٠	بجاذب	بجاذب	٢٢
جزء من	تجلي	٢٢	نقلوا	نقلوا	٢١
كأنها . ولا	جزء من	١	تتسامى	تتسامى	٢٠
أخطأ	كأنها	٣	الرأفة	الرأفة	١٣
اتقوا	اتقوا	١٧	وافقت	وافق	١٣
فيهما	فيهما	١٢		له	١٥
والشمس	الشمس	١٨	وماقنين	وماقنين	١٥
السبيل	السبيل	٦	مطعم فيه	مطعم	١١
الرمضاء	الامضاء	٧	إذا	وإذا	٩
اختلافا	خلافا	٢٢	اذ	اذا	١
ثمينا	ثمينا	١	ذكي	زكي	١١
صغيرا	صغير	٤	لم يبق	لم يكن	٢١
حادتا	حادث	٩	من القيام	من القيام	٢٥
انلرم أن	أن يستم جفر	٢٥	اخبار	اخبار	٦
الارهاى	الارهاى	١			٥
اتفاقات	اتفاق	٣			٥

بحث لغوي^(١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولاً أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجم اليه الفاظها . وقد وفقني الله الى تهديد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاءوس اللغة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بظاهرها الحقيقية ، والذي حملني على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة مخفورة على جذوران مهبد الدير البحري في طيبة الغربية وازاء لقصر من الغرب يدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فاثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية العين (الجنوبية) ومنها العين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره . ولما نموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اعناء الحنو او اللويين توجهوا الى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها ، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل الذوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبنوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المصرية أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا صراه بنص النقوش المذكورة آنفاً وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لكنها لانخرجها عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في القعيدة الفارسية لانخرجها من كونها فارسية . وانا أخالف هذا القول بخالفة كلية لما سأذكره بعد

(١) للعالم الاثرى الحق احمد بك كال نقلا عن المقتطف (ج ٣ م ٥٩)

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتوح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها انا اذا اخالته في ذلك مبيننا انها عربية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) اكواب و اباريق — من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية. ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاغنياء و اكواب جمع كوب وردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبور وبالعبدية كب وبالقبطية كاب وكابي وكبيبي وهي مشتقة من مادة قاب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قاب الماء شربه أو شرب كل ماء الاثاء ويقال انا قواب وقواني : كثير الاخذ للماء. ورجل مقاب : كثير الشرب. كما يقال كاب يكوب كابا شرب بالكوب. فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية

أما اباريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش بامر احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دنقلة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب و اباريق وكأس من زمين) أي من ماء طاهر. والكأس وردت أيضا في المصرية والعربية بهذا اللفظ وورد أيضا في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكأس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء (٢) اب — وردت هذه الكلمة في تقوش ممبد دنذرة وعلى جدران مدينة أبو كمارت في قرطاس ارس. وفي القاموس المحيط الاب الكلا والمرهى او ما أنبت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى — قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريرية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسري وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لمسيره وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية أيضا ظري يظري : جرى الماء وبطنه لم يتمالك لنا. ملطها لغة في سرى بقلب الظاء سيننا لقرب الخرج فهي قريبة منها في المعنى لقرينة الجريان وعلى كل حال فادة الكلمة عربية ومصرية وليست بأعجمية كما قال المنصورون (٤) — هيت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السيرية او

المورانية أو المبرانية والحقيقة أنها من هيت ه صاح به ودعاه وهيت لك
وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ودأرت في العربية والمصرية
أيضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي أسرع واقبل على كذا. وعليه فهي عربية
محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس - قال الشيخ رحمه الله الرس البر أعجمية. مع أنها وردت في
القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة أنها البر المطوبة بالحجارة وبها كانت
لبقية من عمود كذبوا نبيهم ورسوه في برأي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والدفن
ودفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ما تلحقها
تاء التانيث ومضاهي البر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء
ان يدفنوا موتاهم في آبار ينحوتها في الجبال والسهول فهي عربية ومصرية بحنة
(٦) قط - قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله: أي كتابنا بالقبطية. وجاء في القاموس
للفيروز آبادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمه قطوط. والقطاط أي
الخراط وهو من مادة قط أي قطع عامة وعرضا أو قطع شيئا صلبا كالحقنة
وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط أو الخطاط (راجع
مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع
النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الحفر لأن قط وخط مضاعفان في المصرية
واحد وهي الكتابة بالحفر أي رسم الشيء بالقطع أو الخراط. فالمصرية آثار
حقيقة المعنى في الكلمتين وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان
يرسم الكتاب النصوص بالمداد الأحمر على الجدران في الممايد أو المقابر أو نحوها
ومنى أنهما أنى القطاط فيعلمها بقلم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل
الآن في النقش على الاحجار، هذا هو المعنى الأصلي لقط وخط فالقطاط لغة
في الخطاط أي النقار أو النحت أو النفاث وقد يطلق عليه الآن في عرف العامة
ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع ويسدون تبايع العسكر من الصناع كالغضاب
والبيطار (قاموس المحيط) وكالمنجات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع
مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من المعجمة

(٧) بم - في قوله تعالى (٢٠: ٧٨) قال
الشيخ رحمه الله مضاهي البحر بالسريانية أو المبرانية أو القبطية - وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية

(٨) — بحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن بحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجع انها بالحشية . والحال انه فعل منصرف من حار بمعنى رجع ونقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار بحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومما فيها في قرطاس سليبر وقرطاس السطاسي وقرطاس هرس وفي الدنكيلر وفي مدحة النيل لما سبرو

(٩) سينين - في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو

جبل بالشام ويقال له ايضا (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معناها بالحشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا وانان وانين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ما أبدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عربيان بلا نزاع

(١٠) قيوم - في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة

٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لا ينام بالمريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لا يند له من اسمائه عر وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياماً . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصهيفة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تركيباً مترجياً فصار صفة يراد بها الموجد لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عريقة الاصل في كلتا اللغتين

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر
فطرية كالسكواك وبعض النبات والحيوان أو مرافق حيوية ووسائل حربية
كالرحى والجفنة والرمح والحسام ، ولصفاء قرائعهم وسلامة أذواقهم أضافوا
إلى هذه الحقائق ما يخطر على ضائرتهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي
لا تنالها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضاء والغضب ونسجوا منها على
مثال التخيل صور بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القريبة فحذرهم
في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم التفتيح من
المعاني الفاضلة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البداهة ، فمن وقعت له على معنى
رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
فقد نفقته قريحته عفوا وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت
أمثال هذا التخييل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ
المعاني إلى ازعاج الفكر وحنه على استخراجها من مفاصلها العميقة كما يفعل
المولدون لظفروا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخييل كسائر الملكات والصنائع
انما تترقى شيئا فشيئا وتتكامل يوما فيوما ، فتطلع زهير بن أبي سلمى مثلا على
تخيلات لا تنظر بها في أشعار من يتقدموه بأمد بعيد ، فالمهد الذي يعبث فيه
هذا الشاعر من معنى ان من لم يحب إلى الأمل الصغير يقع تحت وطأة الأمر
الخطير بقوله

ومن يمس أطراف الزجاج فانه يطبع العوالي ركبت كل لخدم
لا يصح ان يكون من أوائل المصور التي ظهر فيها التخييل الشعري فان
هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقلبوا في
سبيلها أطوارا ويقضون في السير اليها أحقابا ، كما ان ابن سفيان الأندلسي لو نشأ
في البيشة والصمر الذين نشأ فهما زهير لم يسئل عليه ان يصفهم اشيلة الذين

يصمد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله
 شق النسيم عليه جيب فيضه فانساب من شطيه يطلب ثاره
 فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزوا فضم من الحياء ازاره
 ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب
 الامثال الرائمة وصاغ التشايب الرائقة والاستعارات الفائقة والكنايات
 اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من
 الاقوال الطائفة بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي
 قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وترويقهم
 الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن
 الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه الممهودة وبقيروا
 أساليبه تغييرا يحس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدالله بن الدمينه أو عمر
 ابن أبي ربيعة أو جميل أو كثيرا شاعر جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبتة
 وابطل دعواه باقامة الحجة من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة
 ينكشف بها جليا أنهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ،
 ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي
 تيقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة
 من تشايبه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة
 في قوالبهم مرسومة على خططهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو العتاهية
 وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر
 الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تمقل ، فلما ادعى مدح
 ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفالك ان تتلو عليه نبذة من
 شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به
 أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو يحمض انك قد فتننت به أهل المراق
 أعني قوله يصف الجر

موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
 وجاء بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت هري المدنية ونجحت لهم الحضارة في أجل مظاهرها فكانوا أكثر
ممن تقدمهم تقنيا في صناعة التشبيه والاستعارة وما يلحق بهما من تصرفات
الخيال كالتورية والمقابلة وحسن التغلص من غرض الى آخر، وهذا لا يمنك
من ان تقضي للسابقين بأنهم أقوى عارضة وأدري بصناعة الشعر من ناحية
سبك الالفاظ ومثانة بنائها

وبعد ان غني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلكوا في البحث عن
أسرار طريقتا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويجري
وراء الفكر كالمسحوق له في تصوير تلك المعاني الفاضلة كما تراه في مثل قصيدة
ابن سينا في النفس المفتحة بقوله

هبطت اليك من المحل الارقم ورقاء ذات تمرز وتمسم
وقصيدة الممرى المفتحة بقوله

غير مجد لي ملي واعتقادي نوح بك ولا زعم شاد
وقول أبي بكر بن الطويل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في طين الى أجل فانحاز علوا وخلي الطين للكفن
ياشد ما افترقا من بعد ما اجتمعا أظنها هدة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيا لها صفقة تمت على غبن
وفي هذه الصنفه خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى
الشيخ محي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المنزع الفلسفي ان الشعراء عند ما اتعت دائرة العلوم
الاسلامية ونقلت العلوم النظرية الى المربية مد بمضهم يده الى قضايا هذه
العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخيالية كقول أبي تمام

خرقاء يلعب بالمقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء
قول حيمس يمس

لا تضم من عظم قدر وان كنت المشار اليه بالتنظيم
ولم الحمر بالمقول رمى الخ ر بتنجيها وبالتحرير

وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخط
وكذلك كانوا يقتسمون من سائر العلوم والمصائب حصة راق لكنه

التأخرين أن يحملوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم متى
ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم
لو لم يكن افقوا نأثر ميسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر
ومن تقصى أثر الشعر العربي ولا حظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ
في نفسه قوة تساعد على الفصل في بعض الايات أو القصائد التي يتنازع الرواة
في نسبتها الى قائلها ، فالقصيدة التي جاء في أثنائها

قالت لطيف خيال زارني ومضي بالله منه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من فلما وقلت قف عن زلال الماء لم يرد
يعزوها بعضهم الى الوليد بن يزيد ومن لاحظ أن القصيدة جمعت فنونا
من الخيال لا يفحص عنها ويحتملها في نظم واحد الا شاعر نفا أيام دخل التصنع
في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى أن
تكون كما قيل لأبي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حمدان
المتوفى سنة ٤٢٨

ترقى التخيل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي
جر الى استعارات مكروهة وتشاويه سمجة ايضا فقد اقتنعم ابو تمام والمتنبي
ومن بعدهم في هذا الغرض مساوى لم يرتكبها الجاهلية ، فالعربي الصحيح —
وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل
قول ابي نواس

بح صوت المال بما منك يشكو ويصبح
أو قوله

ما لرجل المال أضحت تشكي منك الكلالا

وتماهى الشعر ما بين تخيل فطري وتخييل فلسفي وتخييل علمي الى هذه الاعصر
وان كان النوع الاول هو الغالب في النظام والمألوف في التخاطب لان التخييلين
الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخييل
الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور

والضرب الفلسفي لا يمد في الحقيقة تطورا في نفس التخييل وانما هو
تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وسين
كونية على طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نعرض له الجزء الثامن من ٦١٦

ومن الأصول التي يراعونها في الكف عن القياس وعدم الأخذ بالأمثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب ما يوقع في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجر الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الأفعال المزيدة لأن الصيغة لا تسع إلا الحروف الأصلية وإذا سقطت الحروف الزائدة صحت على السامع معانيها الخاصة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيم بعض المعاني وتخلو العبارة عن الفائدة المطلوبة ، فما ذهب إليه الأخفش والمبرد من راحة اشتقاق أفعل التفضيل من جيم المزيد غير مستقيم وإنما أجاز سيبويه اشتقاقه مما جاء على وزن أفعل خاصة اعتماداً على أن ما روى من شواهد قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائفاً . ودخل ابن عصفور إلى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيبويه ولكنه شرط أن تكون همزة لغير النقل نحو أظلم الليل وأقمر المكان لأن أفعل الذي تكون همزة لغير النقل (يعني التعدية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وإن كان أقرب إلى الأصول لم يقبله الشاطبي بدهوى أن الإجماع قد انتقد على ثلاثة مذاهب . والإجماع لا يخرق ولو في الأحكام اللفظية !

ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لأن صوغهما منه يتردى إلى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الأفعال اللازمة لصيغة المجهول نحو غني وزهي وهزل وارعد وأنمي ونم واهل ونحي إذ لا يرض عند إيرادها في إحدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا الصدد اشتقاق فمیل بمعنى مفعول نحو قتل وجرح وصريع فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فنصروا القياس فيما ورد منه فمیل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فمیل فتألوا هليم وسميع . وأباحوه فيما عدا ذلك ، وقد تخلصوا بهذا التفصيل من المحذور الذي تمناه الذاهبون إلى منع القياس بإطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

فأصل الاحتراز عن الابس والاسهام في اللفظة مكين . بيد انه لا يخلو
كسائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء الممثلة المين نحو
مختار ومنقاد والفعل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في
وصف الفاعل والمفعول ويعمل في فهم ما يراد منها على قرينة حال أو مقال .
ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطراد
تفسر له بحال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى ينهض
دليل السمع بجوازه . فاذا وقع النزاع على اشتقاق يحصل منه احتمال بخلاف
المراد فالأصل بيد المانع حتى يقيم الجيز الشواهد الكافية للقياس .
ومما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جملة قياسا
مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي ناظرا عن سيبويه
ان باب « فملته » الذي تضم فيه المين للمغالبة مسموع بكثرة ولا يصح
القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما نطقوا بها الوجه في
استغناء بعض الفاظ تشابها قاعدة فيحرجون بالمنع من اجرائها على القاعدة .
استغناء عنها بصيغة أو جملة تعد مسد الحاجة اليها . كما قال سيبويه في الكتاب
لا تقول (العرب) في قال يقل « ما أقيه » استغناء عنه بنحو « ما أكثر
قائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المغالبة -
بطله انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير سديد وانما المدار على قلة ما ورد منه
وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في
وضع القواعد صح جملة قياسا مطردا . وليس غنى اللفظة بما تملكه من صيغة
أو صيغ تقيد معنى خاصا بمانع من ان يضم اليها طريق آخر يزيد لها سعة على
سمتها . فترا دق المفردات والصيغ على غرض واحد في اللفظة ليس بمعزى
وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقيه » بمثل ما « أكثر
قائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اجمال العرب للصيغة الاولى ، وقد
تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام العرب
ما يدل على اهم نطقوا به على وفقها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم
بكثرة فنقتفي فيه أثرهم ولا نخرج في تصرفه عن الوجه المنقول عنهم وبين
ما لا يكون كثيرا شائما فيسوغ لنا ان نصرفه وننطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص أن العرب استغنت عن تصريفها بصيغ أخرى ، وجعلوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نفاها من القسم الاول وهو مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في الالفاظ الدائرة في الخطابات بكثرة هذا وجهها المسموع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يمد في غرائب اللغة العربية . فان في غيرها من اللغات الأخرى كاللغة الألمانية ومبادر تتصرف على وجوه تخالف القواعد المروفة ، ويعصرح علماءهم بوجوب التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويمدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللغة وارتكب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما شذ عن القاعدة الى أن ركبه من حروف غير حروف الوصف الاصل ، على نسق ما يقول علماء لغتنا ان الخلد - وهو الفار الاعشى - يجمع على مناجد أو مناجذ وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افمالا وأوصافا فقالوا قميص ونجورب ونحجر واستنسر البقات واستنوق الجمل . وقالوا أحنك الشاتين أو البميرين وفلان آبل الناس أي أشدهم تأثقا في رعي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لا تكفي لفتح باب القياس فوقهوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من ينزع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القطب الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القصة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لفة من قولهم خمس وسبع وأمثالهما ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يهلك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بجمل مثل هذا مقيلا الا عبد اللطيف البغدادي فإنه اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنويح المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصرف بمثل هذا للافراد فيصنع كل على انفراد من أسماء الاجناس وأشباهاها ما يبدو له من أفعال وأوصاف يفضي الى القاء الجمل مركبة من الفاظ لا يأنفها انماصبون أو يتماضى عليهم فهم ما يقصد منها . واللغات الأجنبية يجرى فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضعها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعة تاليفه المسمى بالصاحبي ان اللغة قد قررارها فلا تعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلقنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصحابه من النظر في العلوم الشريفة مالا يخفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تقدمهم . وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها . اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في ملك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات ينقلونها من معانيها اللغوية ويضمونها بازاء معان خاصة ، بيد انه يفرق بين الوضع العربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا . والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم من الولد أو يحدثونه من الضيمات والقرى . فان العصر ما برحت تكشف لنا من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تدسع وتسمى بالالفاظ التي تجري على السنة الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشاء . وليس من الممكن ان نصرف السنتنا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندججت في متاع البيت والتصقت بما يتخذه الناس من الملابس ويمتطون به من المراكب ويرتفقون به من وسائل الحياة .

ومما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني الموضوعة في قالب لغة اجنبية وتلفظ بها على علائها من غير تهذيب وسبك يؤلف بينها وبين ما هو عربي اصيل .

فالمرية توسم صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سمة وغنى بما ملكته من المواد الغزيرة والتصاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء لاي معنى خرج الى حيز الوجود .

وانما يستقيم هذا العمل اذا نهضت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة فريضة ون أو يشعرون الدماغي الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا الاسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق فاقته فتتسرب اليه قطع من لغة اخرى

انتباه الشرق^(١)

السرب وطبش سهم المستعمرين . - سودية وفلسطين . اليمن وعمان . الاناضول
ومما حدة . يهر . ازريجان والافغان . شمال الرقية

لا جرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقدته ، ويهب من ثباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت نباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت مخالبه في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المبالغة ، ولا تحمل المراء ، بحيث شمرت أوروبا شعورا تاما بأن شرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمخضت بحوادث لم تكن في حسابها ، وربما تله انقلابات كان يجوز ان يستأكل فصاها القرون والاحقاب فوجبات الحرب في توليدها بيض سنين فكان الظاهر الذي ظن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بمخذا فيرها ويؤمنهم على رؤسها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطاتهم الملتفة من قوى الامم الاخرى وفاتحة انتشار اسلاكهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصادق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بفتنة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزننا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلق الجو للدولة المستعمرة تاتي بجرانها على من تشاء وتهضم حق من تشاء وتظن الاجرار قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخذعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احدهما بالآخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل السرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين برائن أولئك الخلايين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم قوائم

مطابقاً طبق ينقسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لا يسار للجزور وينقصي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يع من صنعتهم الخلابه ومهنته الكذب والرياء ان يجابوا أولاً بالالفاظ التي قد جاب بها من قبيل : استقلال وتحرير ، وترقية ، وتنمية ، وسيطرة وقتية ، ووصاية أبوية ، وارشاد الى وقت بلوغ الاشده . وغير ذلك من الخزعلات التي لا ينجعل أمثالهم من ان يجعلوها شباكاً للصيد وخطاطيف القبض فان لم تنفع هذه الالفاظ ولم تنجح هذه الصناوين الضخمة في اخفاء المرام وتهوين المصاب فيكون الجواب صريحاً بريحه بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة واليران المحترقة ويقال ان ذلك انما هو موت لاجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدنية وهمجية لاجل الانسانية (!!!) ولكن ساء في هذه النبوة فألمهم وكذب خالهم ورأوا من العرب ما لم يكن يخطر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد انفصالها عن الامة التركية أشد تقوراً من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل ، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وظن الحلفاء الغالبون ان البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لفتحت الحروب في الشرق الأدنى والوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات ممن نكثوا بالوعود وخفروا المهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يعد لها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعوت على البعوت وتلف الرخوف على الرخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ ألف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لا تفوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الا بغضاً وعدواناً وسخيمة وشنائعاً الى ان يثبت من تدوخ المراق بالسيف وبعد ان كانت لا تثير مطالب اهل المراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير معنت (١) عادت هي تستصرخ الملك فيصل وذويه الى اهل المراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترا النيابة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاماً ويلتجزونه باناً مطلقاً ولا يرضخون للانكليز الا من بعض مسائل

اقتصادية لا غير مع ان المراق قبل الحرب المدة لم يكن بحسب احد انه يطوي
على مثل هذه القوة ولا انه يقتضي لتدوينه اكثر من توابير محدودات،
وليكن الحرب العامة أضاعت كل حجاب وأنت من ظهر الضيق بما كان يظن من
الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد
خفوق العلم الفرنسي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من
١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من الصباكرو لم تكسب من وراء ذلك سوى
زيادة الاحقاد والاحن والقاح العداوات والنقن وكون من كان يناوبها قبل
الاحتلال قد ازداد برأيه يقيناً وبمذهبه استبصاراً ومن كان يعزل اليها قبل ان
خبرها من قريب وقاربها تحت المصل قد تحول عنها تحولاً فات فيه اعداءها
الإصليين وانفتحت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسمي به الى
ناحية وطنه، فاللبناني ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية،
والفلسطيني ينادي باستقلال فلسطين، وليس من كل هؤلاء من يرضى بسيطرة فعلية
لفرنسا ولا انكترا أو لغيرها بل غاية ما هناك عدة مأمورين من باعة الدم ونجار
الضباط وعدة صحف من قبيل الربابات المعروفة عند البدو ووزمورا الأهراس يعرف
عليها المازف لمن شاء ولمن يبض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات، هؤلاء
لا يزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنطقون بكلمة « ارشاد » وعبارات
مموهة وجل من خرفة من قبيل « الاخذ باليد في مشترك الحياة » ومن طائفة
« تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات
الفارغة المخالفة للواقع وتشدقهم يدوم مادامت يد فرنسا في حلقهم وما دام
سينها مملو لا أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ ملياراً أي
أربع على مجموع ثروتها المصومية بكثير (لان مجموع ما تملكه فرنسا لا يزيد على
٢٨٠ ملياراً) من ان تعجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال
سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك
تحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا خونة لا وطنانهم فهم اولي بأن يخونوها
هي وان لا يصدقوها القول ولا يتخلوا لها النصيحة وان يقلبوا لها ظهر الجبن
عند اول غرة لاثمة . وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدر وان
يؤثروا شيئاً في تحويل مجرى الاحوال العامة اذ لا بد لاهل سورية من نيل
استقلالهم التام الناجز المحقق بالفعل العالي عن المماثلة المرتقم من المفاصلة ولا

بدل لفرلسا من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (السوفياليت) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بمهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكلترة في المراق بل الى اقل منها على حين يكرن ما تركته من الحق في قلوب العرب مثلاً دون كل امتزاج مانما من كل هوادة بين الفريقين .

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكلترة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الامم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطناً قومياً لليهود وفقاً لتصرّحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافياً للفت في اعضاء الفلسطينيين والنقل من مخروب هزائمهم بحيث يستنيمون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة غدهم وتقصّات شرائط انتقامهم فرأت من هذه الجهة أيضاً لها بامراً وحملت من حماية اليهود أمراً اداً وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين والعماليق وكالمصريين من قبل لن يفتأوا ناصبين للانكليز العداوة حتى يقطعوا عن سياسة الاتجار بالامم ويضعوا خطر اللب بالمهود والمواثيق ويعرفوا ان الامة العربية هي كلها من وزراء الفلسطينيين لا تدع بلادهم محالاً للاطماع ولسان حاطا يقول : « ودون عدواني كلا جداغ »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكلترا ان الاحاطة ببيعرهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلاً بنزولهم على حكم الانكليز وصرم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ما ظنت . وبعد ان كان اليمانيون تحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى اربعين أو خمسين طابوراً بصورة دائمة اتقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام المصاكر وشدوا روابط تابعيتهم للدولة والخليفة عن ذي قبل ورفضوا ان يسموا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تمقد في باريس ولندرة ولم يكتفوا بالمراقبة في منطقة عدن ومنع الانكليز من الخطو الى الامام قدماً واحداً حتى حصروهم في مرسى الحديد الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديد بما اجهضهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا وزواحا

وكانت انكثرة راسلت حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه الاستقلال ،
الذي اعلقت بأحاييل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يفتّر كفيده ، وأجابها
بأنه لا يبرح عثمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن
حضرة ووتها الى عسرها . ولن يقبل ان يطا الانكاثر شبراً واحداً من أرض
اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يعرفون سواه ،
ولما كان قد عجم الانكاثر عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذروا
من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفر من خشية سرعة التكذيب
وازدىاد الخطب ، ولكن حضرة الامام خاطب السلطان محمد وحيد الدين الى
الاستانة وأكده استمساكه بمرور خلافته وبقاء جميع المجانيين من شافعية
وزيدية في حوزة طاعته وقربا نطلع القراء على صورة كتاب حديث المهد
قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد
الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا
يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محله في مناخة
منبثاً بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١)
مما جاءت فيما بعد تفرقات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث
تلك النواحي . مازاد على ما جاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكاثر انهم يحملون أمير مسقط على
تجريدتهم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الأمير وحدهوه في مسقط
وما زالوا في الثورة حتى اقلعت انكثرة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم
وطاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكثرة ان تتعرض لهم بأدبي سوء
ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية ضيوفهم

اما مصر فانتنا سنفرد لثورتها ونهضتها مقالا مخصوصاً ، ولكن نقول
هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب وامام
جهة الترك فكانت فرنسا تظن انها تبتزهم ولاية اطنة الحسينة وانهم يتتابع
هروبهم ومخيمهم لاسيما هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بلغوا حد الاشقاء
ولم يبق عندهم رفق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسا
لكيليكية خسارتها اثمائة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والخروج منها

بعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك ستر ،
وانكسها اسلمت قوماً ظنتهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا
افذ من ريش القنفذ. وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت
الايام وكرت الليالي فعدلت معهم عن المخاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو
ينوه بمعامد الترك وحسن عهدهم ومحافظتهم على أصول الحرب وانه لولا هم
لكان الان من الغارين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل
نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) ثم كوز الالمات لم
يتوقفوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اذن اكثر المتحاربين لم
يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وحدهم) امسك الاتراك عن
ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغرافها .
نعم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه
الاولية عند ما تقرر اخلاء كليكية ولكنه نسبها طول تلك المدة التي كان يذبح
فيها اترك اطنه وصرعش وعينتاب في مجبوحة او طائهم املا بالاستيلاء على تلك
الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند جرحه في
الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش
العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيين من
جهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات
كلا بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا يخالف لقوانين
الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليمان فون سندرل باشا قائد القو
المثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بفتة الى
مستشفى فايث انا انفاذ هذا الامر قائلا : يكفي انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن
نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكار
اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بدلا
السياسة ويفعلونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها

ثم ان الانكابر رتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدر في خلدكم ان
هناك امة تهض من العدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عز
وعنجهية فظفروا وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسيتم مواعيدكم باستقلا
الشموب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الظف

بمظهر آخر واحتقرتم بهذا القلب انفسكم فاسمعوا لنا نحن أيضا بان نحتقركم
وبان لا نخضع لمقررات مؤتمركم وبان نعامل مراكزكم المادي الناهض كما نعامل
مراكزكم الادبي الساقط وان كنتم ممتددين على ضعفنا وتجريدنا من سلاحنا
واحتلال ماصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا
حداً وان لمعجزتنا امداد وان لنا سلاحاً من عزائنا ويرد يقيننا وجلالة حقوقنا
ومنفعة موافقنا وسمة اراضيها ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا
على البلاء وبياتنا على اللأواء وان لنا من جيم الشعوب الشرقية عضداً ومن
العالم الاسلامي ردهاً ومن طبقات العملة والاشتراكيين في جيم الدنيا حامياً
ولصيراً ومن لبنين وحزبه مؤنساً وسميراً بهذا كانت تتجاذب ضائر الاتراك
وتتراسل جوائش صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على الفدر
بهم فقيض الله لهم من مصطفى كمال من جسم هذه الافكار افعالا وألبس
هاتيك الخوارج من العمل رداء فاشعروا الا وفي الاناضول شعب يقول
لبريطانيا المظنى قني فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبليغي السماء
طولا واننا لقوم زبدان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي نحمّلوننا
عليه هو محو لوجودنا ولسنا له بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه
ولا الموت الذي تهددوننا به أمر في افواهنا من الصلح الذي تعدوننا به لافرق
بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما معناه ان معاهدة
سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلاً ولا تمديلاً ومنع الوفد
التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الحصار اولا وثانياً ورماتهم بالجيش
اليوناني تمطده الجنود الانكليزيه ودوارع بريطانيا المظنى وفتح لليونان
خزائن انكلترا لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازمير في آسيا
وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان ينمئوا له الاتراك وبأخذونهم اخذ
عزيز مقتدر وبحت اصوات الهنود المجوس فضلاً عن المسلمين في مطالبة انكلترا
بالصاف تركية وتناوبت ثوراتهم فكانوا كانوا يزيدون نار انكلترا على الترك
اجمعاً وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فنزيلوس بانه يصدق قوة
مصطفى كمال في ١٥ يوماً قضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاتراك
يدافعون وقوة حكومة انقره هي الى الامام لا الى الورااء وجيش مصطفى
كمال وان أعوزة كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعهم بعد قلة وجاهته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك يحاربون في
الاناضول سنين طويلا تنفتح اثناها على انكثرة فتن مقطعة الآجال ومحز
زول الجبال فصاد لويد جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التوقيع
منها بمدان كانت عنده آية لا تنسخ وعقدا لا يفسخ ولما رأت فرنسا وايطالية
مارأتا من ثبات الاتراك وصعوبة مراسيمهم وكأنتا تظنان ان تبسط اليونان في
الاناضول لا ينفعهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١)
للانكثير على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقفت منذ نهاية الحرب وقفة المذنب المعتدل البصير بالمواقف
في جانب العالم الاسلامي كله نصحتا انكثرة بالمدول عن هذا العناد والرجوع الى
مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويد جورج بقبول مندوبي انقرة في
جنب مندوبي الاستانة مع انه كان ينعتهم من قبل بالمصاة ويعلم بان يستحيل
بان يجلس في مؤتمر الى عمالة اشقياء فأجلسه مصطفي كمال بسيفه الى جانب
« اشقيائه » واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة
تركية عاد لويد جورج الى عناده واني بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة
تعتبر جوهرها فردا فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها
ولم يلبث ان رأى الخلف مع اليونان فيما كان اسلف من المبادئ نجاحا
للكبرياء البريطاني فعاد يسر غور قسطنطين سرا عما اذا كانت يقدر على
استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بني تحت النزاع فأجابه
قسطنطين بان الامة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضا نجيحا كافلة اخداد حمرة
الاناضول بشرط ان تمدها انكثرة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار
وزحفت جيوش اليونان بقضها وتضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت
اقبوت قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الاتراك الى الورا
لا يريدون ان يصلوهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام
ذلك خورا وعجزا ودلخوا الى الترك طامعين في الفلبة واحتلال اسكي شهر
فكانت هناك الواقعة الكبرى التي استمرت بعد حرب استمرت اسبوعا من
هزيمة اليونان الشنعاء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء
قتلهم وثقالات جرحاهم وسقط اخو الملك قسطنطين (٢) وبعض القواد الكبار
(١) الجلاوز الشرطي والجمع جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

في حملة القتلى وعاد اليونان يستمرخون دول الحلفاء ويستمدونهم على التزل
وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فإيطاليا تفرح بفشل
اليونان فرح الترك أنفسهم وفراسا لو كانت قادرة على الامداد لما اخات
كيليكييا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكثرة لولم يحسها الاعياء
لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاخلاء فارس
فكيف تقدر ان تبقي خزايتها مفتوحة لحكومة أثينا ودوارعها مرصدة
لحماية الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان
وطاشقند والباشكرد وامارتي بخاري وخيوة وكيف هبت كل من هذه
الحكومات الى ترتيب أمورها وتأثيل استقلالها بعد ان كان الروس أودوا
بقوميتها واحنوا على عصبيتها لرأت الشرق قد ركب جناحي نعامة في طلب
استقلاله واستئناف مجده وطمع غبار الدل عن أقوامه وهاهي فارس التي كان
الروس والانكليز قد تقاسموها خطتين وتشطروها منطقة تين ولم تجسر ان
تقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكثرة الرحيل
التام عن أرضها وأعلنت الغاء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت
بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بانها نالت منها الاعتراف التام باستقلال
إيران وزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت
ومصارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع
ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تجيب داعيها الى الحرب وشن الغارة على الهند لم
تخمد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فعبت جيوشها
واخترقت ثغور الهند ونهضت ممها قبائل شمالي الهند المشهورة ببأسها ونجدها
كالوزير والمسمودي وغيرهما فحدثت انكثرة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف
مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش
الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يمهلون شبرا حتى يناوشوها شهرا فاما
أمير الافغان فقد رضي بمهادنة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان
بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل
في الامور الخارجية ايضا فاجابه انكثرة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاء المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والعدة واعادت روسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط ثمانيين والمان ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بخدمته واثناه تحريري هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغانستان لديها والاستضافة بمعارف الالمان والارتفاق بصنائعهم كما ان عند امير الافغان معملا للسلاح أسسه منذ سنين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته : وقد بلغنا ايضا ان في كل من امارتي بخاري وخيوه عددا من ضباط الاتراك الثمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم .

واذا هطفت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في الصلة والعرف والدين والفرض معدود من المشرق تجد ان اهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدوا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان اهالي تونس نهضوا بطلب حكومة تمثيلية معها ما طلت فرنسا فلن تقدر على منم ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الأقصى الذي ظن الفرنسي انه بعد الحرب العامة يستلم الى بأس فرنسا الظافرة فقد ثار ثورة لم يقم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوتي يطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على امره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عشارها وهبت الى الاخذ بثارها وان امام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه ما تم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقم وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يمود كما بدا ويكري كما أرمي (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا)

الحمر

لغو الحمر . مؤاخذه الطعام . اغترار الحمر الجسدية . اضرارها العقلية . اضرارها الاجتماعية . اضرارها الاقتصادية . اضرارها الادبية

يكفي المسلمون الحرة « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسماها عند العرب « الاثم » قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تفعل بالمقول

وقد حرمها بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لخوائفها ومضارها . ومنهم عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ، ويضحك علي من هو أدنى مني .

ثم جاء الاسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحذر على شاربيها وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فإذا تفعل بالحمر ؟ فقال « اهريقوها » فكانت شوارع المدينة كجاري السيل مما أريق فيها من الحرة

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار الامراض وقتل الوقت واضاعة المال بتبنيها حتى سنت الولايات المتحدة الاميركية قانوناً في اول سنة ١٩٢٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان مخزوناً لديها الى خارج بلادها حتى خربت كنفه - وهي أقرب البلاد اليها - من فشو هذه السموم في بلادها فحرمت استيراد الخمر من الخارج الا الى حد محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوا فظيماً . وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمر يسمى « أبنت » فحرمه غير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيها بعد في جميع الأمم الغربية وناهيك بمجمعات مقاومة المسكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تنزعج أي ازواج لهذا الخطب الجلل

قال قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شريعة الاسلام يتدارسها قضاتهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من الامر . فأقول : (ان صمم منك الهوى ارشدت لاهل) لو ازال الفدرة على الدن

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلكوا اليه كل طريق

هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لأئحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟ ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الأستاذ فلان مكبر؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ريبه من أقصد الناس أخلاقاً؟ ألم يشاهدوا من أمامهم وعن إيمانهم وعن ضمائرهم من مفككات روابط الاخوة ومفعدات الاخلاق بسبب الحر وغيرها من الموبقات ما لو ألقى على جبل رأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب كيف نسي رجال الدين في بلدة (اورنبورغ) - فيما أتذكر - ان طلبوا

من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم اقفال الحمامات في نهار رمضان - أيام الحكومة القيصرية - فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة

(بطرسبرج) وان يلقي القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤتي به الى الامام فان انتهى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين.

كذلك صدر الامر باقفال الحمامات أيام عيد رمضان وقتئذ يطلب علماء الدين

وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق

ويرسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيضا

حاة أو ماخوور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي

يحظر ذلك دع عن مطالبهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب؟

قد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يعلمون ان مكانتهم الدينية توجب عليهم

ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى

لاخضر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ

وقد ذمها كل عاقل حتى من كان ولو لها بها وهانحن اولاء نذكر أهم اضرارها: -

اضرار الحر الجسدية

(١) منها الجمول والهبوط اللذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب

ويهبان بالسكر فيتناول شيئاً من الحر فينهض به من حمولة ويرفع من هبوطه

الجسدي والمصبي ولسان حاله ينشد قول أبي نواس (وداوني بالتي كانت هم

الدهاء) ولكنه لا يلبث ان يعود فيتولاه الجمول والانحطاط ثانية بحكم رد القطر

بمحكم ان يعمد المذنبين قال من نفسه ان أول كأس شر

انما كانت لينزيل بها هما عراه وكل ما شر به بمدها كان لينزيل به ما اسأرت الكاس الاولى من الهموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء . فأقتل ما أهلك ما شفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القائل

وكأس شربت على لذة . وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضاً مهلكة وادواء ممضلة (منها) الصل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان ستين في المئة من أموات أبناء المشرقيين من المسلمين ، وكأأمراض الكبد والرئتين والكلىتين . وقد قال أحد الأطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكرى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والمضلات الدموية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكر يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر العقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعاودة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالانقلابات من كل قيد من قيود الوفاق والحكمة . وما أحسن ما أجاب به مجنون دماء سلطان الذي شرب الخمر ليشر بها معه فقال : « انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لا كون مثل من »

بل هو مجنون . قال ابن الوردي :

واهبج الخمر ان كنت فتى . كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها الذهول المصبي والنوبات الهستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النسل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيراً ما يصابون بالمقم ومن يلد منهم فانما يلد نسلاً ضعيفاً دميماً أو أبلاً ممتورها وقد تبدأ النساء

ان اقراض الامم المتوحشة سيكون بفنك الاشربة الروحية بهم
(٢) ومنها فساد التربية المصرية لان السكر لا يلتفت الى تربية اولاده واذا
وكل امر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً
في بلاد كهذه البلاد التي يقصد بتربية ناشئتها الى تربية خاصة تمسخ الامة مسخاً
ونحملها بين فلاحين جاهلة ولاهي متعلمة ونحملها اوزاراً من زينة الاوربيين
وازيائهم تكون هي الداهية بمحضاتهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاختراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكر
لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكر من ارباب المصانع فسد نظام
مصنعه وان كان من اصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من
اهل الثراء الذين لا يعرف السكر منهم موضع أرضه ولا ماذا اصلح فيها الزراع
أو أفسدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئاً أو بكل ذلك الى مدير
العمل والكتاب والجاني، وكثيراً ما ترى امثال هؤلاء من غفلة اولئك الذين
اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروتهم الا ما تعودوه من السكر الذي يلجسهم
الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسيماهم نرى امثال هؤلاء وهم على
ما وصفنا

(٤) ومنها ايقاع المداوة والبعضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة
مما يفك روابطها ويفت في عضدها ويحمل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع
الاخوان وتفرق الزوجان وانفرد عقد الاخوان وعق الوالدان واهمل امر
الولدان بسبب بنت الحان ٤٤

اضرار الخمر الاقتصادية

حقاً ان داء مصر في المسكرات لدوي اذ ان معدل ما يشربه المصري يزيد
على ضعف ما يشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الخمر ما يشربه ويتجربه
في الخارج ولكن مصر لا تصدر خمر خارج حدودها ولا تنتج ما يستهلكه اهلهما
فضرر الخمر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يثرى الخمر
في مصر بسرعة، فمن اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتنسرب
اموال الامة الى البلاد الاجنبية بسبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريم والانتاج
فحسب ولكنه تعدى الى رقعة الارض فكم من المزارع - والتفائيش -

والضياع - والمزب - والاباعد نحوالت الى الخارب والقوادين من انه يومان ،
(٢) ان المقدرا ان تحريم الخمر في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون
جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائلها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر
تحريم المكورات لاهل مصر؟ انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر
ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر اكثر من اربع جنيهات في السنة وان
أوضح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح
فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضاً لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة
تضاف الى رأس مال الامة

(٢) اتقاص رأس المال ، والتماذي في استهلاك رأس المال هو الاتعاطار
الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة تظهر أثرها في مصر ظهوراً بيئياً . نعم
اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال الثابتة الى الاجانب فلا ترى
الاسباب واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته - اذ قد انرى سكيراً
غير مقاصر - فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من
هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين
(٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسربه الى الخارج
البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

- (١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكر لا قيمة له
بين أهله وولده وحشمه وجيرانه
- (٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالي الشراب وذلك مما يذهب
بالاحترام الشخصي ويخل بالمسكنة الادبية.
- (٣) و٤ - ذهاب الحياء والسد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولاحياء لمن
لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلالة القلوب ونور الروح وههنا المذبح ما
لم أرد بهذه العبارة أن أضيف الى المسار بحثاً أهمله فقد أنسى المنار على
المهلكات - ومنها الخمر - من أول شأنه وأبعد ما أذكره ما في الجلد الرابع
في ص ٨٨١ - ٨٩٠ وفي ص ٨٩٢ وأفره . في الجرد الثاني من التفسير
صالح مخلص رضا

شذرات أدبية

١ - آداب المكاتب

أو العامة والخاصة

كان محمد بن حازم الشاعر جار سميد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فتهجاه
لامر كان بينهما فبلغ سميد هجومه فاغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله
فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعث اليه عشرة آلاف درهم ونحوها
نياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه ذو الادب بحمله ظرفه على نعمت
الشيء بغير هيئة ، وتبعته قدرته على وصفه بغير حليته ، ولم يكن ما ضاع من
هوائك في جاريا الا هذا المجري . وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلعتك ما لا
غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك ، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتداوون
فيما نحت أيدينا ، وقد بعثت اليك بما جملته وان قل ، استفتاحا لما بعده وان جل .
فرد ابن حازم حميمه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل المهب اذ غمر الفرزدق بالندى والدثر
فبعثت بالاموال ترغبني كلا ورب الشفع والوتر
لا أقبل النماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ - آداب المباشرة

اني ليهجري الصديق تجنبيا فأريه أن طهره أسبابا
وأخاف ان عاتبه أخرجه فأرى له ترك المتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متغافل يدعو الحال من الامور صوابا

(٥) جميعا شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) سميد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان ، يدعي أنه من أولاد ملوك
الفرس له من الكتب انصاف المعجم من العرب ويعرف بالتسوية ، ودبوان رسائل
ودبوان شعر صغير وهو شاعر أديب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته
جيد المرفة حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سميد وشعره ارجع الى
أهلك لما كان منه شوه

أوليته مني السكوت وربما كان السكوت من الجواب جواباً
الناشي* الأصغر (١)

٣ - التقويم العجيب

لح كوكبا وأبدعنا والتفت ربما فأن عداك أسماهما لم تمدك السبا
وجه أهر وجيد زانه جيد وقامه تخجل الخطى تقويما
يامن نجل عن التشبيه صورته أنت مثلت روح الحسن نجيبا
لو شاهدتك النصارى في مبادئها ممثلا ربمت فيك الاقانيا
حبوبي (٢)

٤ - ومنه في وصف من

رنا ظبيا وقنى عندليباً ولاح شقائقا ومضى قضيبا
بعض الشمراء في عصر الثعالي (٣)

٥ - ومنه

بدت قرأ ومالت خوط باز وقاحت عنبراً ورت خزالا
المتنبى (٤)

٦ - ومن الابداع في هذا

وميض بالحاظ الميون كانما هززن سبوقاً وأستلن خناجرا
تصدى لي يوما بمنمرج اللوى فقادرن قلبي بالتصير فادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومن غصوناً والتفتن جاذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرا
الزاهي (٥)

٧ - الانحياز الى المدوهداوة

إذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

(١) هو أبو الحسن إعل بن عبد الله بن وصيف المروفي بالناشي* الأصغر الشاعر
المشهور وهو من الشمراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٩
(٢) محمد سميد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل النيسابوري الثعالي صاحب اليتيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) أحمد بن
الحسين المتنبى قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلف
البغدادي المروفي بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

فلا تسألن عما لديه فانه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا
صمصمة بن ناجية

واحد مسمم فقال

٨ - اذا صافى صديق من تماذى فقد عاداك واتقطم الرجاء

٩ - رثاء بردوب

كان محمد بن عبد الملك برذون اشهب لم ير مثله فراهة وحسنا فسمى صاع
الى المعتصم ووصف له فراهته فبعت المعتصم اليه فأحده منه فقال ابن عبد
الملك برثيه

كيف المزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب
ومنها قالان اذكمت اذاتك كلها ودعا الميرون اليك لون ممعج
واختير من سر الحدائد خيراها لك خالصا ومن الحلي الاغرب
وغدوت طنان الحديد كانا في كل عضو منك صنع يضرب
وكأن مرجك اذعلاك غمامة وكأنا تحت القمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلاله وغدا المدور وصدره يتلهب
ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبالي من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ - توافق الخاطرين ، بين الشاعرين

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة الى هشام بن عبد الملك الاموي
وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فحملت الناقة تقلتفت فضر بها
الفرزدق وقال :-

الام تلتف بين وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى رزني الرصافة بترشيحي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال : الآن يأتي جرير فأشده مدين البيتين فيقول :

تلتفت انها سمعت ابن قين الى الكيرين والفأس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها كنزك في المواسم كل عام

جاء جرير والفرزدق بشحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأشده
البيتين الاولين فأشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد

قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (ينظر)

باب انتقاد المنار

رد جريدة القبلة

على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتعلقين لامراء مكة في جريدة الاهرام يؤخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعم الثقة عن اتخذه هو وأمثاله زعماء العرب مشايعة للسياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح اكبر دولة اسلامية يمتاز بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها والثار الملك الانكليز قلب الاسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمار سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب ان ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آله بيده... ولوصح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جنابة ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدافع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فصرفوا جنابة أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتتها المنار شيئاً .

ثم اتنا اطلعنا على العدد ١٠٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بانشاءه الغريب فرأيناها كما كتب اليها بعض من اطلع عليها قلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربية اذ قال: «وجدناها بمكان صحيح من السفاهة يكفي في الرد عليها نشرها» فرأينا ان ننشرها ونرد عليها وان كان رأي صاحب هذه المنارة صحيحاً لأن سائر جريدة القبلة مغرور

مفتون بكل ما يكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار « وهذا نصها :

أعجبي أم عربي ٢١

تحقق لدينا في هذا الاسبوع — احتدام غيظ وغضب وعداوة وبنضاء مولانا . . . ومصباح ظلامنا . . . رشيد رضا — على سيدنا مولانا المنقذ وأنجاله مما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغرم من كثرته بالتنديد المعلوم الشكل والمالعية !

وعليه فلا يسعنا أن تأتي بشيء في الموضوع الا بياناً بأن الروابط التي يزمها حضرته تجعلنا نسترحم مواطن مدارك ارشادات كلالته المفوض والصريح : . . . ولا نظن أن عظم جريرة . . . سيدنا المنقذ وأنجاله في نظره — ينسبه : « والكاظمين الغيظ والعاقين عن الناس » أقله ان المظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواه بتلك الفضائل . . . والجلال . . . — تأتي شهادتها المبادأة بأبسط من ذلك التبريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجاب فضلا عن تزعم أنك من عندهم وهذا لا نشك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجاياء والمزاياء . . .

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الامة الاوحد . . . وهاديا الفرد الابد . . .) أولا : أهو عربي أم أعجبي ؟ . . . واذا كان الاول فليسلم وثاقه الى الفخيزة التي يريد أن ينتمي اليها . . . وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره . . . وتترادف كبرياء

عظامته ... لدينا ليس الا

ولا بأس أن نشفع طالبنا هذا بقولنا: ان نجابة شعور ذلك الدساور
تقضي علينا أيضا بأن نكتفي من البحث في الموضوع بما أوردناه أحد قرائنا
الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل المدة الماتية المتضمن
الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله :

(يعرض الاستاذ بأمرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له :
عساه ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الناجمة باخراجهم « بقدره الباري »
للجنرال ليمان فرن سندر و ما ادرالك ما سندر من سورية ويطبقها
على نتائج مواقف حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو.
ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن ينكر هذا وهو القائل بأنه كان الأمر
الناهي في دمشق بولي من يشاء ويعزل من يشاء من الوزراء ويقرب
من يشاء ويبعد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هاتين النتيجةين اللتين جعنا
فأوهنا القضية من مبدأها الى منتهاها بمد تطبيقها ومقايستها على ما ذكر
— تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدنا الشيخ رشيد بقوله :
(الحقائق الجلية في تاريخ القضية المربية) : عنوان مقالة تنديده بإسنادنا
فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم
لسندر و ألمانيته ، وادخال مولانا الاستاذ وميأته كما ذكر لغورو
وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريقتنا وحوادثها ، أو هل يقتضي
بحث أي مؤرخ فيها ، ربنا لاتضلنا بمد اذ هديتنا

لاندري وأبيكم كيف فات على تلك المقامة وكبرياها بأن الكثير حتى

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك المظامة والانانية لهذا العداء والبغضاء ومصادرتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقنا غورو وجعلهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتمريض والنيل من أشبالنا^(١) وسرانا هو فصل من تلك النصول وبقرة من تلك الحقول... فليتأمل!! أما بحثه عن عدائنا للترك فقد أجاب عنه طلبنا في عدد (١٢٥٠٤) من امرنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلالة ملك الحجاز «بجيب تصحيحك الأخير» «بمداوة» الاتحاديين التي أدت الى محاربتهم وهذه أدت لمحاربة الاتراك لكون الامة التركية كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن بالإمكان سوى ذلك فهل لاسيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت المداوة لا تؤدي الى الخصومة والخصومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب العامة؟ وما حمل جلالة ملك الحجاز لمناوئتهم الا ما كان يسمعه عن ظلم جمال وقته خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التعريض ضد الاتحاديين بمد عودتكم من الاستانة وما كان يذكره في الجرائد العربية طلاب الاصلاح في سورية. فقل ما فعل ولكن الظروف الاخيرة عاكسة وتخلي عنه حلقاؤه بمد ان داسوا حقوق الشعوب الضعيفة ولم يراعوا عهودا ووعدا فالقوة القاهرة القاهرة اليوم لا تمنع امة بأمرها من المطالبة بحقوقها المشروع والذود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا أيضا : انه يمز عينا أن

(١) ليتأمل القاري، كلة أشبالنا ومن قالها

أنانية تلك المنظمة والكبرياء تنقض اليوم ما قلته بالأمس فان منارنا ...
ومظهر نخارنا ... كما أنه موجود لدينا - ضروري انه موجود أيضاً لدى
كثير من قرائه فانه مشتمل على الفارات الشمواء التي شها مولانا على
الترك بما هو معلوم .

و مع ذلك فلا بد أن هناك دواعي ... وأسبابها ... لهذا التخليط
والتخبط والتفريط لا تدركها الا أنانية تلك المنظمة والكبرياء ... غير أننا
والحالة هذه نلتصق احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه
الآن : أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ والله يهدي من يشاء الى
الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتأملين والمدققين - الى ما نقله البرقيات
الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكمالين على اخلاء انقرة وانتقالهم
الى قيصريه - ليطبقوا هذا النبا على اسمعجال الشيخ رشيد بضر به المثل يوم
في مباحثه التنديدية بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن
(ان صح تركهم لآنقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك
يامولانا لدمشق ، اه كلام جريدة القبلة بنصفه السقيم وعسلطتها المعروفة
(المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخلل الشرعي والاخري
والسياسي لشغلنا قراء المنار زمناً طويلاً بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار
عليها فنكتفي اذاً بما نراه مفيداً من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئاً من « الحقائق الجلية » التي
أثبتناها في مقالنا التاريخي فحصره الانكار والرد علينا بما أورد في مقالته يتضمن
الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لتعبيره الذي رد علينا في الاهرام ، فما أورد به
ينحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

اما المسألتان اللتان جادت بهما فريضة سائس القبلة وقلما يصدر مثلها الا عن ذلك الفكر الغريب ، والدماع المخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة : أعجبي ام عربي !

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه بأخراجنا من الامة العربية والحق نسبنا بالاماجم والظاهر انهم يعني بهم الترك الذين انكروا عليه عداوته لهم ومحاربتهم اياهم تولى الانكليز ولنا في هذه المسألة ابجاث :

(١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فأكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اترك لانهم يناركون صاحب المنار في رأيه وشهوره في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقد علمنا بالخبر وخبر النقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكومتهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يثقون بأنه لا يفشي لحاكمهم المطلق (٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا

من المشاركين لهم في نسبهم فاما القول فيمن ينتصر لقوم باللسان، والسيف والسنان، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ اليس هو الاولى بأن يحد منهم ان لم يكن بالنسب فيقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم)

(٣) بعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من عنصرهم » اي العرب صأله سؤال تعجيز : « هو عربي ام عجمي ؟ » (قال) « وان كان الاول فليسلس وثنائه الى الفخيدة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها : فيا ليت شعري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يعتدوا بعربية احد الا اذا جاءهم بوتائق سلسلة الى الفخذ او الفخيدة التي ينتمون اليها او يريدون الانتماء اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والمراق وامثالها كصر والمغرب الأدنى والافصى ؟

(٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطمئن في نسبنا طمئنا بليفا بأخراجنا من الامة العربية بأسرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطمن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحة. والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية. ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ماهو مشهور فيها من ان بعض كبراء أمراءها... قد ثبت بطلان نسبة في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن أمه - وهي مملوكة بالطريقة المعروفة اليوم وهي غير شرعية غالبا - دخلت بيت أبيه وهي حامل به ووضعت قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك. فقلنا لكنه يدعي النسب العلوي وحكم الشرع أن الناس مأمورون على أنسابهم وان الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكرونه ، فأين هذا الألب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاة بالشرع والدين ؟

(٥) يقول سائس القبلة متعكبا كما دته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة ليتضاعف قدره... وتترادف كبرياء عظمت... لديه أي بالتفضيذة الحقبية التي يريد الانماء اليها. وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وهم اهل قريته (القلمون) ماعد الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرافه ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال: سيد شريف من القلمون - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب «السيد» عند اهل العلم والادب والوجاهة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يفتخر يوما من الايام بنسبه لا قولا ولا كتابة (٥) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يجدوا لهم منفرا يتكبرون به على الناس الا الانماء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بعجر والنسب، فأبوه لأخوه حمزة والعباس رضي الله عنهما. وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (٥) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي

نظمناها كسائر شعرنا في الهداة زمن طلب العلم

مطلقات لحول الشعر قاصرة فيها كمقصورة الشهم الدريدي
تطوى قصائدهم طي السجل اذا ما ساجلت شعر كندي وعبيدي
برئت من فصحاء الهاشمية ان تنشر ومن لسن النسل الحسيني
والجواب ان هذا نثر بالفصاحة لم يقصد به الفخر بالنسب بل تم مقصد من الفخر الأسلوب ، على اننا نستنفر الله منه ومن مثله في قصيدة الجاذبية

ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغيره من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان فمجدته فلما خرج لم يجد مناخاً فزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بآبائها، الناس رتجلان يرتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر واثق وجعلناكم شعوباً - الى قوله - خبير) والا حاديث في هذا الباب كثيرة

لعمري ان صاحب المنار لا يعد شرف النسب سبباً للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سبباً واحداً وهو شعور المتكبر بهانة يحاول اخفائها بتكليف اظهار نفسه كبيراً، على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يحفل بأن يكون من المظاه في نظر سائس القبلة بعد أن علم من حاله ومن المظاه في نظره ما علم. الكبر غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد المرقا (ص) وصاحب المنار بمحمد الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطلب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرحم الية. ولم يجمله كن لا يتجراً أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه حرف بعض آيات القرآن لفظاً ومعنى وكذب على الرسول فيما عراه اليه من الموضوعات وقد أرشدنا بعض محرري القبلة الى تنبيهه فلم يتجروا بعد ان جربوا النصيح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء (٩) لو صدق سائس جريدة القبلة ومحاميه الدكتور سليم في زعمهما أن صاحب المنار قد اقتصر بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أبعد عن الصواب وأحق بالنقد من جريدة القبلة وسائسها بما نشر فيها من الفضر والتبجح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبدالاً ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة. مثل سائس القبلة هذا القول نفراً للعرب الذين انتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله « فان على مثل هذا ينساق المتنافسون، والمثله فليعمل العلماء لونه » فجعل قول التيمس بالمسكاة التي خص بها كتاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بصيغة الحصر فقال مشيراً الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعم المقيم والامن الدائم

من المذاب (ان هذا هو الفوز العظيم) لمثل هذا فليعمل العالمون (بخالف
سائس القبة كتاب الله تعالى وجعل رضاه الانكليز المستنيط من اشراكهم للعرب
أو الحجاز مع اليهود والصيونييين والارمن في ارض ملك الدولة العثمانية هو الفوز
العظيم الذي يجب أن يصل له العاملون دون سواء كما يعمل المؤمنون المتقون
لنيل رضاه الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله
بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ما هو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ما قاله ملك الحجاز
نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره صرارا في جريدة القبة
افتخارا وتبجيحا به لحبائه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به
المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى باخلاصه واخلاص اولاده الذين لا تغيرهم الطوارئ
والاهواء « لبريطانية العظمى وطلابها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه
بالخروج على دولته وقتالها معها أو تعيين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة
اليه — وبعد أن صرح بانه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من
دونها — قال ما نصه « ولو قرر المؤتمر المذكور اضمام مقرراتنا وكان ذلك من
غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه
القيب على قولي هذا » اه بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويخزي
لخلق يحمل الصبودية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان
الله ونعيمه في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا
فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة
من تأليف انكثرة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والحفاظة عليها
في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تصد بأي شكل حتى
الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه
الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه
« مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال
التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخليتها وحماية
حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال المظلة البريطانية » كما
اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود والصيونييين وسورية للفرنسيين كما

لو قرر انه مؤتمر الساج على هذا بدون وساطة «المظمة البريطانية» وقبله يكون
مطروداً من رحمة الله تعالى كما يبرهنه الله ومن المعلوم أن «المظمة البريطانية»
لم تنفذ تلك المقررات التي جعل تعديلها سبباً موجباً لخروجه مع أولاده من
الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم المظمة البريطانية، وهي لا تختار لهم
الا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها.

شهادة سائس الحجاز بالكاليين

والمسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من
صاحب المنار «ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأنقرة
أم القسطنطينية؟» وفقى على هذا السؤال بذكر ما نقلته البرقيات من عزم السكاليين
على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتنويمهم ونفسيهم على
زعهاء الحجاز يعني أنهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وطالما
أظهرت جريدة القبلة الشهادة بهم. وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه
الشهادة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الهلال
كسروره من قبل بفتح القدس وبغداد ودهشق الا بعد ان نصر الله السكاليين
على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مذهبهم مدحورين، وليعلم سائس القبلة أن
العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريق القسطنطينية
وأنقرة، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد
ما تفشهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة، وهم يعلمون أنه لا
خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال
الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في
سبيل انتقاذ بلادهم كما وسلمان خايفتهم من السيطرة الأجنبية التي يفتخر سائس
القبلة وحكومته الحجازية بالخنوع لها طوعاً واختياراً بمثل ما نقلناه عنها آنفاً.
نعم ان الاستانة خدعت أولاً بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد السكاليين
هصاة ولم يكن ذلك تميلاً للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم
ان يكونوا آلات لاولئك الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت الى رشدها
وعرفت للسكاليين فضلهم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب أنقرة. اليس
صاحب المنار صادقاً في حكمة بان زعماء أنقرة سجدوا لأمتهم الاسلامية لانفسهم
التركي وحده الفصل والهمز وزعماء الحجاز سجدوا على انفسهم وأعوانهم.....؟

هل اخراج الترك من سورية مفخرة للبحار

وأما المسألة الثانية فالأولى منها نقلتها جريدة القبلة عن نصير عامر في ان زعماء
الحجاز هم الذين أجرجوا القائد الألماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية
من سورية الخ وجوابنا عنها على فرض التسليم أننا نمدحها من أعظم المنكبات التي أصابت
العرب والإسلام بشؤونهم بملهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الإسلامية التي
جملت لأهلها من الحقوق في الدولة مثلاً للترك فيها ليحل محلهم فيها الإنكليز
واليهود والصيونيون والفرنسيين وحالة أهل البلاد منهم مروفة. ولكن سائس
القبلة ودكتوراه من طائفة الدروز ومن أيده كرياض أفندي الصالح من طائفة أهل
السنة من المسلمين يفضلون أخذ الأفرنج للأرض المقدسة والأرض المباركة
(سورية) على سلطان الترك عليها وبخالفهم في ذلك العالم الإسلامي كله والسواد
الأعظم من أهل سورية حتى النصاري الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال
البلاد، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو رويير دوكيه فاموس
الجنرال غورو أخبرني رجل من أشهر انصاركم وأعلمهم بحال البلاد انه لو خير
أهل لبنان حتى الموارنة منهم بينكم وبين الترك لفضل الترك عليكم ثمانون في
المئة من أنصاركم الموارنة فما القول بغيرهم؟ فقال اتنا نعلم شيئاً من هذا ولكن
دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة، لا يتشاءم فيه سائسها
من انتصار الكاليين على اليونان وينبه الإنكليز الى ما فيه من الخطر على سورية
ويعرض حكومته لتلافي هذا الخطر، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة
لقرة - وكنا في مدينة جنيف بسويسرة - اظهر رياض أفندي الصالح السرور
وعلاه بأن انتصار الترك ربما يقضي الى زحفهم على سورية، قلت وهل تفضل
الفرنسيين على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيين واليونان، وتفضيله
للإنكليز بالأولى، نعم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال، ولو أن سورية نالت
الاستقلال بما يفتخرون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في
الفخر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعمامهم المبني على
الفساد من أول يوم

من سلم دمشق لفرنسة ؟

هذا وان من الجلي البين أن تبجح سائس جريدة القبلة بقلاوا قراراً باخراج

العثمانيين من سورية هو نصر صريح بانهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيين الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنام ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبلة الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنصو على إقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طبيعة الممارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساً له وبعد ذلك؛ وهو لم يستطع قبول انذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه الا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها الى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان اكبر ممثل للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكاً باسم الامة فاذا كان سائس القبلة ينكر هذا او يماري فيه فانتنا ننشر نصوص البرقيات التي أرسلها الملك فيصل الى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للمؤتمر بأنه قرر خيانتته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها، اليس من غرائب شؤون البشر ان يقول المملون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت موافقته الى تسليم البلاد الى الجنرال غورو!! ثم يملون ذلك بزعمهم تهكاً أنه ادعى انه كان هو الأمر الناهي في دمشق بولي من يشاء ويعزل من يشاء او هل يمكن ان يصل احد الى سفة نفسه بمثل هذا الا بخذلان من الله!

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة من نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتضاه سائس القبلة - ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بمداولة الاتحاديين فأفضت المداولة الى قتال الترك لان امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين - فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار انما ذهب الى الحجاز حاجاً بعد خروج أمير مكة عن الدولة وقتاله اياها واستماتته عليها بالدولة البريطانية التي ابدته بأساطيلها وبيدهم الجيوش المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بمكة والمناطق وفي تلك الاثناء نصحناله بما اشرنا الى بعضه في بعض المقالات تحت اشراف المراقبة الثقيلة على المنار وصرحنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهم التحذير من عداء الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يحصر عداوته في خطة الاتحاديين الطورانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحنا بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد عني واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استغربنا اقرار سائس القبلة ما ذكر من سحق نصيره والحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لنا واثمهم (١) الا كذا وكذا. فقل كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاة انكسرة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية، أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنبيات الانكليزية؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مفيدة ونصرا لجمعية علماء الاستانة والاحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وفتن بالمصيبة الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان انتصارا لها. وقد علمت في اوروبا ان السواد الاعظم في الاستانة والاناضول صار خصما لاولئك الغلاة واتهموا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب. ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك المصيبة الجاهلية التي انكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

(تنبيه) افترى الدكتور طليم علينا ما شايتمه عليه جريدة القبلة من زعمه اننا كننا نحرض على الترك وان ذلك كان من اسباب خروج امراء الحجاز عليهم وغرضهما من ذلك معروف جلي. والا فليأتونا بنس من المنار يؤيد زعمهما. كما افترى علينا الدكتور طليم باننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب. والصواب اننا كنا في اول العهد بالشورة غير مطلعين على دخائليها واسبابها فظننا انه يمكننا ان نوقفها عند حد ما يسميه المناطقة قضية مانعة الخلو وهو اما ان تنفع واما ألا تضر ويدلنا ما استطعنا من النصح في هذه السبيل، وقد راينا كلام الرجل في مكة وان صرح في حفلة مني العامة

جهرًا بأنه لم يمبرأحد عن رايه من غير تواضع قبل خطبتنا في تلك الحفلة. ونحن نذيل هذا الرد بنس بلاغ حكومة الحجاز الرسمي بمنع المنار من الحجاز الذي منعنا المرافقة من نشره في ايام الحرب. وهذا نصه منقولاً عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

«ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ : مجلد ١٩ ، الصادر في محرونية محبر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بمن قدم اليها من ابناء العرب والتعامل عليهم لاتعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحط والنيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشار اليهم اجل وارفع من ان تنسبهم شائبة مما رميهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لا ذنب لهم في حياة الشيخ المعروفة الا الضمائم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا — وهي لم يعض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الغيظ والغضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك المظم الذي توجه الى راجمته انظار الافاضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الخطة نذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان ممالك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح للخلق (٢) نقول بمناسبة هذه المباراة ان من الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفعة قدره وحملة قدرها والله الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دعوى كون كلامنا كان من اسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناشئة عن الأغراض الإنسانية التي تأبأها شيم قوميتنا وشهامة
امتنا ، فتلافيا لضرر ما صدر من حضرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب
امام الامم والشموب لاسباب في الآونة الحاضرة ، ودورنا لما ينطوي تحت التماذي
في ذلك من المساوي ، المغيرة لشعار عنصرنا الشريف قد تقرر من دخول تلك
المجلة الى الممالك الهاشمية (١) . وقد ابلغ ذلك لمدير عموم دوائر البرق والبريد
ومديري الجمارك في النفوس . وهذا اول وآخر جواب تعدد الحكومة
ليكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل » اه

تقرير المطبوعات (*)

مجلة علمية صراية اخلاقية بحرر ما نخبه من افضل الكتاب مطبوعاتها ٢٤٤ قطع
الفجر المنار تصدر في الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا
واذ لزمها (بنوع اقلية عدد ٢٥٠ بنوع اوقية الاشتراك بها شرق فرنسا) وكن الاشتراك
بواسطة مكتبة المنار بدمر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة مضمنا بالمقالات النافعة
والنبذة المفيدة مما برهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا
الجزء ان المجلة فتحت باب الانتقاد والتقرير وتقدم المؤلفات الحديثة وانها عازمت
على نشرها في

بني الملكة من يشاء ومن يوت الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيبتغون أحسن أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام موى وكنارا ككنار الطريق —

٢٩ صفر ١٣٤٠ - ٧ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ١٣١ أكتوبر سنة ١٩٢١

فتاوى المنار

فصننا هذا الباب لاجابة أسئلة الشاكرين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرسل الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبتنا غير مشترك لكل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

في أسئلة من جاوه

(س ١٥ - ١٧) من صحبس بالامضاء المبهم في ذيله

تتعلق بالربا في القراض المالية والقروض النحاسية وصندوق التوفير

حضرة مولاي الاستاذ العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر زاده الله فضلا وكرما . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كلفني عدد من المقلد ان ارفع الى حضرتكم اسئلة آتية ارجو من فضلكم الجواب عنها وهي :

- (١) اعطى رجل رجلا آخر ديناً قدره عشر رويات هولندية من فضة وشرط عليه أن يدفع له خمس عشرة روية من القراض المالية الهولندية، قال عالم من العلماء الجاويين (الملاويين) المدرسين في مكة المكرمة : هذا جائز فان بيع القراض المالية بالرويات الفضية مع زيادة احدهما على الآخر جائز وليس في ذلك ربا . بخلاف ما اذا بيع قراض من هذه القراض بخمسة مع زيادة فانه لا يجوز كبيع الدرهم بالدرهمين ، فهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٢) عندنا فلوس نحاسية هولندية تساوي مئتين منها روية واحدة هولندية فهل يجوز لنا أن نبيع روية من هذه الرويات بمئة وعشرين من هذه القروش أم لا ؟ قال العالم الجاوي : انه يجوز وعليه يقاس بيع القراض المالية بالرويات مع زيادة احدهما على الآخر وهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٣) يوجد عندنا ما يسمى « فوستر بنك » Posts parbank وضعته

الحكومة الهولندية لا يدع أن أحد من الناس يريد توفير ماله والتفويض به لا يقبل أكثر من ألفين وخمسين رويية يودع فيه . وكل من أودع ماله فيه نحو سنة زاده عليه زيادة وله أن يسترد منه ما شاء ومتى شاء — فهل يجوز لنا أن نودع ماله فيه ونأخذ الزيادة أم يجوز لنا إيداع ماله فيه فقط ويحرم علينا أخذ الزيادة ؟ وهذه الزيادة ليست بكثيرة وإنما هي نحو اثنتين أو ثلاث في المئة هذه هي الأسئلة المرجو من علمكم الجواب عنها جواباً شافياً ولكم منا الشكر والثناء الجليل ، ومن الله الأجر الجزيل . (سائلون)

خميس تحريراً ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

جواب المنار

قد سبق لنا فتاوى في هذه المسائل وأمثالها منها فتوى في الاوراق المالية المسماة بالانواط أو (بنك توت) وبحث الزكاة والربا فيها (ص ٥١ م ٥) وفتوى في بيع الدين بالنقد والاوراق المالية وهل هي تقرد أم لا (٥٣٨ م ٩) وفتوى في صندوق التوفير (ص ٧١٧ م ٦ و ٢٨ م ٧) وغير ذلك . ومذهب المنار في أمثال هذه المسائل المدنية أن يرأى فيها أس الشارع وحكمة التشريع والقواعد العامة ولا سيما القلبي منها كالتيسر ودفع الخرج والمنع ونفي الضرر والضرار وجلب المصالح ودفع المناسد ، فجميع هذه الدلائل تقف في الوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الاول وتكتفي في الجواب الاجمالي هنا الاحالة على ما تقدم

حكم الانواط في البيع والدين

(المسألة الاولى) استدانة عشر روبيات هولندية من الفضة بخمس عشرة رويية من القراطيس المالية الهولندية . هذه القراطيس سندات أو حوالات من الحكومة الهولندية بدين عليها لحاملها من الروبيات الفضية . فهي ليست عروض تجارية لها قيمة ذاتية وإنما هي حرم النقد الربوي وان لم تكن فضية لان حاملها يأخذها ما يقيم من نقد البلد . فيمكن الدائن في الواقعة المذكورة عنها قال للمدين خذ هؤلاء عشر الروبيات بشرط أن تعطيني بها حوالة على فلان الذي مالي اروي خمس عشرة . فهل يصح أن يقال في مثل هذه الصورة ان الدائن اشترى من المدين ورقة عشر روبيات من الفضة لثبته وان الورق غير

ربوي فلا يشترط أن يباع مثلاً مثل ولا يبدأ بيد لا اختلاف الجنس، ما أظن أن ذلك المدرس الجاوي يقول بجواز هذا فإذا صدق ظني فيماذا يفرق بين الصورتين؟ قد يقول هذه القراطيس المالية الدولية قد تنقص قيمتها بالنقد النقضي والذهبي مما التزم بها من رويات أو قروض أو جنهات فتباع بما دري كما هو واقع اليوم في القراطيس (الأنواط) النموية والالمانية والفرنسية وغيرها فمنها ما يباع بنصف القيمة وما يباع بخمسها أو سبعمها أو أدنى من ذلك أو أكثر فهذا صارت من قبيل عروض التجارة - ونقول إن هذا النقص في قيمة الأنواط لا يكون من الحكومة التي أصدرتها في بلادها وإنما يمرض في التعامل بين الأجانب وشبهه أن الثقة المالية بالدول تقوى وتضعف أحياناً كالثقة بالأفراد بما يرضى لها من المعجز عن دفع كل ما عليها من الدين حينئذ يرضى من يده سند أو حوالة على مثل هذه الدولة أن يبيعه بما دون القيمة المرقومة في السند أو الحوالة إذا لم يكن يستطيع معاملة هذه الدولة بها أو انتظار عودة الثقة المالية التي تمكنها من الوفاء بما ألزمت به من دفع هذه القيمة وتحمل الناس على تداول قراطيسها (أنواطها) بقيمتها كاملة، ومثل هذه الحالة لا تصدق على مثل الحكومة الهولندية في بلادها ومستعمراتها فإن قراطيسها المالية لا تنقص عن القيمة المرقومة فيها من الرويات الفضية، فإذا أخذ الدائن من المدين في النازلة المسؤل عنها قراطيساً بخمسة عشرة روية فإنه يمكنه أن يأخذ من الحكومة هذا المبلغ من الفضة أو يدفعه لأي مصلحة من مصالحها بهذه القيمة فإذا كان عليه دين للحكومة فباته منه خزينتها وإذا دفعه لمصلحة البريد أو مصلحة الجمارك أو صندوق التوفير فأنها لا تفرق بينه وبين الفضة البتة، وإنما قد يفرق بينهما في البلاد الأجنبية التي لا تتعامل قراطيس هذه الدولة ولا فضتها بحسب الأحوال التي أشرنا إليها آنفاً

وإذا سلم أن هذه القراطيس من قبيل عروض التجارة امتنع فيها الربا في جميع مذاهب الفقهاء لأنها ليست من النقد ولا من أصول الأقوات التي ورد بها النص ولا مما ألحق بها قياساً فتعمد ربوية عند أهل الحديث وفقهاء ولا من المكيلات ولا من الموزونات فتعمد ربوية عند أهل الرأي، فكيف منزع زيادة أحد الموضين فيها بجماع كبير الذهب بالذهب والفضة بالفضة أو البر بالبر فظهر بهذا أن رأي ذلك المدرس على كونه غير مطابق للواقع يؤدي إلى

إباحة الربا الذي لا شك فيه حتى في دار الاسلام بين أهله ويذهب بمحكمة الشرع في تحريمه وهو تعاطف الناس وزراعتهم وتعاونهم في اوقات العسرة كما أنه يتوصل به الى منع الزكاة أيضاً

بيع الفلوس النحاسية بالفضة

وأما المسألة الثانية وهي مسألة الفلوس النحاسية فقول العالم الجاوي فيها هو من مذهب الشافعية الذي يتقلده مسلمو جاوه فهو مصيب فيه ولكنه مخطئ في قياس القراطين المالية عليه لانها سندات أو حوالات بنقد ربوي، ولو كانت هذه الفلوس عمدة في النقد لجل لها حكم الذهب والفضة بالقياس الجلي أو فحوى النص، وليست كذلك بل جعلت لاجل ضبط كسورها والتعامل بها قليل ومحصور ما تضر به كل دولة منها في بلادها فلو نقل الى بلاد اخرى لا يتعامل به ولا يباع بقيمة النقد ولا بقيمة معدنه لو كان آنية بخلاف نقود الفضة فانها تباع في كل قطر لا يتعامل أهلها بها بقيمة معدنه. وما قلناه في هذه الفلوس هو المتعين في القوت الغالب اذا لم يكن من الاقوات التي ورد بها النص

صناديق التوفير والفرق بين دار الاسلام وغيرها

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة صندوق التوفير فهي عامة في جميع الممالك الاوربية وما على نسقها من البلاد كصر، وقد أجازته جماعة من علماء المذاهب الازهريين وأفتى به مفتي الديار المصرية بعد تطبيق استغلال مصلحة البريد المصرية للاموال الموفرة فيه على بعض احكام الشركات الشرعية كما بيناه في المنار

فراجعوا ذلك في المجلدين السادس والسابع

ونزيدكم على ذلك أن علماء الازهر نظروا في ذلك وأقروا ما أقروه فيه إطلب أمير البلاد بناء على اعتبارهم أنها بحسب حالها الشرعية دار اسلام، وكان ذلك قبل الحرب الاخيرة ووضعت مصر تحت الحماية الاجنبية التي لا يمترون بها بمصلحة عشر عاماً، وبلاد جاوه ليست دار اسلام ولا تجري فيها المعاملات المالية على الشريعة الاسلامية فلا يجب على المسلم فيها أن ياتزم في هذه المعاملات مع الحكومة الهولندية أو الشركات الهولندية أو الافراد أحكام شريعته في الربا وعقود البيع والاجارة والقروض وغيرها بل يحل له أن يأخذ من أموالهم ما تبيحه له شرائعهم وقوانينهم وما كان يتراض منه ومنهم دون ما كان بخيانة

ثم ان الربا انما يتحقق في عرف الفقهاء بالعقد الذي يشترط فيه من يعطي المال أن يأخذ عليه ربها مميّنا ، فمن أقرض رجلا مالا بغير عقد ولا شرط فردّه إليه وزاده من غير اشتراط زيادة كان ذلك حلالا ، وقد ثبت في الحديث الصحيح استعجاب ذلك كما بين في محله من صحيح البخاري وغيره ، وحديث: كل قرض جر منفعة فهو ربا غير صحيح كما بينا ذلك من قبل .

فعلم بهذا أن لأجبا وبين وامثالهم عدة وجوه لوضع شيء من أموالهم في صندوق التوفير الذي وضعتهم حكومتهم وأخذ الربح منها . ومثله وضع المال في مصارفهم المالية وأخذ الربح منها كما يفعل مسلمو الصين . ومما يثبت المعجب من حال كثير من المسلمين أنهم قد اختاروا لا تقسمهم بلبسهم الدين مقلوبا كالنرو أن يقترضوا المال من الاوربيين بالربا ولا يقرضوهم ويودعوا أموالهم في مصارفهم (البنوك) ليستفروها ولا يستطيعون لا تقسمهم ان يشاركوهم في شيء من ربحها . وممن هذا أنهم يفهمون من دينهم أنه اباح لهم ان يتلقوا ثروتهم ويمطروها للاجانب حتى الفاتحين منهم لبلادهم باسم الفتح والاستعمار او باسم آخر وحرّم عليهم أن ينتقموا بشيء منهم ولو كان رضاهم وبعض ثمرة ما أعطوهم من المال . وأعجب من هذا أن منهم من يشكو من شرع دينه ويزعم انه لا ينطبق على مصلحة الامة في هذا المصّر وان تركه الى شرائع تلك الامة اتقم لهم ! وانما الامر بهذا ذلك فقاعدة الشرع الاسلامي أنه لا أحرام الا ما كان ضارا ومنه اضاعه المال ، ولو عرف المسلمون حقيقة شرعهم والتزموا أحكامه لكانوا أغنى الامة وأعزها ولما اضاعوا ملكهم وملكهم ، وانما اضاهاهم بجهلهم وترك العمل به ، والذنب الاكبر في هذا على علمائهم الجامدين ، وحكامهم الجامعين او المارقين .

هذا وان على المسلمين أن يراعوا في غير دار الاسلام أحكام دينهم وحكمه فيما بينهم حتى في المعاملات فلا يباح للومر منهم أن يقسو على المحتاج اذا اقترض منه فيستغل ضرورته أو حاجته بما تبيح له قوانين البلاد من الربا . والفرق بين هذا وبين ربح صندوق التوفير والمصارف المالية عظيم جدا فان الربا انما حرم في دار الاسلام لضرره كما علله تعالى بقوله (وان تبتم فلكنه رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وليس في أخذ الربح من صندوق التوفير والمصارف ظلم لاحد ولا قسوة على محتاج حتى في دار الاسلام . وقد فصلنا القول في الربا هذا في تفسير آية آل عمران فيه فليراجع

بحث لغوي

في براءة القرآن الشريف عن بعض الالفاظ الاعجمية
تمة مقالة احمد بك كمال

(١١) زبر الكتاب — اي كتبه وزاد في مفردات الراغب كتابة غليظة
والزبر الكتاب جمه زبور والزبور الكتاب بمعنى المزبور اي المكتوب جمه
زبر (بضمين) وغلب على مزامير داود النبي والملك

والتزيرة الخط والكتابة مصدر زبر قال الاصمعي سمعت أعرابياً يقول انا
احرف زبرتي اي خطي وكتابتي، والمزير القلم، وبما ان مادة زبر وذبر وسفر كلها
واحدة بمعنى كتب قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية ايضا فلا
حاجة لاخراجها من العربية وانتسابها الى المعجمة بدون مسوغ لغوي .

(١٢) سفر الكتاب — كتبه والسافر الكتاب جمه سفرة (بفتحين
ككتبة) يقال والسفرة الكرام اي الكتبة والسفر الكتاب الكبير وقيل هو
جزء من اجزاء التوراة ، تقول (١) حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة
مدارسة الاسفار

(١٣) زبر الكتاب ذبراً كتبه ونقله — وقرأه قراءة حقيقة وقيل
سريرة ومنه ما احسن ما يذبر الكتاب أي يقرأه ولا يتمكن فيه والشيء علمه
وفقه فيه وذبر الكتاب تدبيراً قبل ذبره والذابر المتقن للعلم والذبر الكتاب
جمه ذبار كقوله « على عرصات كالذبار نواطق » (٢) وثوب مذبذب منمنم يمانية —
والكلمة مصرية قديمة دونها ارمان في مفرداته المصرية (الصحيفة ١٤) وتقرأ
سبر والسين تقلب ذالا وزايا والباء فاء فيقال ذبر وذبر وسفر وهذا القلب
والابدال له اصول متبعة في اللغتين المصرية والعربية والسبب فيه تمدد القبائل
ولهجاتها فاللغة المصرية وهي الاسل للغة العربية (٣) شاملة لالفاظ مختلفة اللهجة
باختلاف لهجات القبائل

(١٤) سبط جمعها أسباط — ولد الولد ومن اليهود كالقبيلة من العرب

(١) هذا من سجمات أساس البلاغة (٢) الصواب « على عرصات كالذبار
النواطق » والبيت لذي الرمة وأوله أقول لنفسي وإيماءً عند مشرف (٣) هذا
رأي الكاتب والصواب عندنا المكس فالمصرية هي الاصل كما بينا ذلك من قبل

وفي القرآن الشريف (وقطعناهم اثني عشرة اسباطاً) (١) اي امة وجماعة وقد يستعمل لقبيلة من العرب . والسبط كلمة مصرية قديمة وجدت مذكورة في نصائح شجاع حنب حيث قال ما تعريية : —

« ان المنذور لله الساكن ساوياً ليس للاسباط فيه يد »

ومعنى ذلك ان الرجل النقي لله الساكن في موطن لا يجمل للاسباط يداً اليه اي سبباً لاذيته كما انها ذكرت في كتاب المولى وعلى جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به في العربية فهي اذن عربية لوجودها في المصرية ايضاً وقد خصصت في المصرية باشارات مؤيدة لمعناها اي رسم بعدها رجل وامرأة مصعوبان بعلامة الجمع مما يثبت معنى الكلمة فهي اذن عربية لا جمالية

(١٥) يصهر — في قوله تعالى : (٢) يصهر به ما في بطونهم (الحج — ٢٢ : ٢٠) أي يضيغ بلسان اهل المغرب وقد بينا ان اهل المغرب هم (اعناء التحفرو) وان لغتهم لغة الاعناء وهي اصل اللغة العربية فالكلمة اذن عربية وقد وردت في القاموس المحيط من مادة صهر يقال صهرته الشمس أي صهرته بالحاء بمعنى طبخته وصهر الشيء أذابه فأنصهر فهو صهر والصهر بالفتح الحار (١) والاذابة كالاصطهار الخ : وقد وردت هذه المادة في المصرية بهذا المعنى فهي اذن عربية (١٦) مجوس — في قوله تعالى : (والنصارى والمجوس) كلمة اعجمية فارسية تدل في الاصل على قبيلة من ميديا يظهر انها كانت على دين تلك البلاد ثم التي كانت تعبد النار فاشتهرت هذه الديانة بعدئذ باسم مجوس ثم اطلق اسم المجوس على كهنة الديانة المجوسية واطلقه من بعدهم العرب على الديانة المزدية وكان للمجوس مدن خاصة لهم منها اکتبان وهي مدينة في نهاية حدود الفرس هذا وان اصحاب الاسكندر ادركوا المجوس وهم بوظائف كهنوتية — ومن المحتمل أن تكون مجوس من اصل طوراني دخلت في كلدة وعلى كل حال فهي اسم علم لا يتغير ذكر في القرآن الشريف بلفظه فتأمل

(١٧) بيع — بيع مفرداً ييمة ذكرت في قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع . الحج — ٢٢ : ٢٠) قال الشيخ رحمه الله البيعة فارسية مصرية اف . أما البيعة فهي من بايعه مبايعة اذا شرط معه على شيء

(١) البصر الساريم (اسباطاً اثماً) فأمما بدل من اسباطاً (٢) ضبطت في المقتطف :

يصهروا في بطونهم) وهو غلط فاحش

(المنار : ج ١٠) (٩٥) (المجلد الثاني والعشرون)

أو اتفق معه على امر أو سلم له في امر أو اعترف له بالرياسة والولاية فليجدا
بجمل الاعتراف بأداء الفرائض الدينية من عبادة وصلاة فهي كالمسجد أو الجامع
من حيث أداء الصلوات فيها . وقد ذكرت في المصرية بيها وذلك في ورق
إبوت (١١١) المؤشر عليها بحدود ١٠٢٢١ وهي المحفوظة في متحف انكتر
وغيرها الأريون بالجباة ولكني اصرفها الى معنى المصبد كما يفهم من سياق
الكلام في الورقة المذكورة
احمد كمال

القياس في العربية

المقالة الثانية في قياس التمثيل

ذكرت فيما صاف أنني اريد بقياس التمثيل الحاق نوع من الكلم بنوع آخر
في حكم . وهو ما يمتنع بمض النحاة في قولهم : ان اللغة لا تثبت بالقياس
ياخذ النحاة بقياس التمثيل لاثبات اصل الحكم ، وكثيراً ما يرجعون
اليه في تأييد المذهب بعد بناءه على السماع . وهذا ابو حيان الذي هو أشد
النحاة وقوفاً عند حد السماع وأصرعهم الى محاربة من يقول على هذا الفن من
القياس قد ينظر اليه في بعض الاحيان كما قال : ان الناصب لا اذا فعل شرط
قياساً على سائر ادوات الشرط . وقال في سياق الكلام على الجملة المنفية حين
تقع حالاً - والمنفية بان - لا أخفقه من كلام العرب والقياس يقتضي جواز
نحو جاء زيد ان يدري كيف الطريق ، قياساً على وقوعه خبراً في حديث هبة
ان يدري كم صلى

ويدور البحث في هذا المطلب على تحقيق المقتضي للقياس ثم شروط صحته

المقتضي للقياس

يقيس النحاة بمض أنواع الكلم على بعض اذا انعقد بينهما شبه في المعنى
أو في اللفظ أو في العمل أو اشتراك في الالة التي يقع في ظنهم أن الحكم قائم عليهم
والعلل التي يقول الباحثون في المربية ان العرب راعوها وبنيت عليهم
احكام الفاظها ترجم الى قسمين (احدهما) ما يقرب مأخذه ويتلقاه النظر بانقبوا
كما وجهوا تمريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين وعللوا
حذف احد الحرفين المتماثلين بطلب الخفة

(ثانيهما) ما يكون من قبيل الفرضيات التي لا تستقيم ان تردها على قائلها كما انك لا تضعها بمحل العلم او الظن القريب منه . وهذا كما قالوا في وجه بناء قبل وبعد اذا قطعا عن الاضافة لفظا « انها شابهت الحرف في احتياجها الى معنى المحذوف فاذا قلت ان العلة عند ذكر المضاف اليه ثابتة فلماذا لم يرتبط بها أثرها وهو حكم البناء ؟ قالوا ظهور الاضافة التي هي من خواص الاسماء بعدها عن شبه الحرف فعادت الى اصلها الذي هو الاحراب . فان قلت ما بالهم بنوا « اي » الموصولة فيما اذا اضافوها في اللفظ وحذفوا صدر صلتها ؟ اجابوك بانهم انزلوا المضاف اليه منزلة صدر العلة فصار في حكم المقطوع عن الاضافة . ولا يملك بعد هذا الا ان تنقض ثوبك من غبار هذه المجادلة وتنفصل عنها وليس في يدك اثارة من علم . وقد ذكر ابو حيان تماثيلهم لاختصاص ضمير المتكلم بالضم وضمير المخاطب بالفتح وضمير الخطاب بالكسر ثم قال هذه التماثيل لا يحتاج اليها لانها تحليل وضميات ، والوضعيات لا تعمل .
والذي بني عليه البحث في هذا الباب ما كان من قبيل القسم الاول اذ هو الذي تستقيم معه الاقيسة الصحيحة

شروط صحة القياس

اذا تتبعنا ما يتشبه به القادحون في مسائل هذا الضرب من القياس رأينا دور على ثلاثة وجوه (أحدها) بيان الفرق بين المقيس والمقيس عليه (ثانيها) الاختلاف في حكم المقيس عليه (ثالثها) مخالفة حكم المقيس عليه للاصول . فالقياس مع الفارق كما أجاز بعضهم تقديم الفعل المنفي بلن قائلنا ان لن اضرب نفي لسا ضرب فكما جاز زيدا سا ضرب جاز زيدا لن اضرب . وما كان من المنكرين لهذا القياس سوى أن تعرضوا للتفريق بين السين ولن بأن حرف النفي يقتضي الصدارة في الجملة التي يدخلها وذلك معنى يمتاز به دون حرف التنفيس والقياس على المختلف فيه كما ألحق الكوفيون فعل التمجيب بفعل التفضيل في جواز بناءه من لوني البياض والسواد . وقد رده البصريون بأنه قياس على مختلف فيه اذ لم لا يوافقون على صوغ اسم التفضيل من الالوان وكأنهم نكحوا في هذا المبحث معنى القياس الفقهي ، وقد ذهب فريق من الأصوليين الى صحة القياس على المختلف فيه لانه - وان لم يكن دليلا مسلما عند الخالف -

يصلح أن يكون مستنداً لمن يتقرر عنده حكم الأصل بحجة راجحة والقياس على ما خالف القياس كما قال الكسائي لا يقتصر في الظروف الواردة أسماء أفعال نحو عليك واليك على ما ورد في الرواية بل يجوز أن يقاس عليها غيرها مما لم يرد به سماع . وطعن البصريون في هذا المذهب بأن تلك الظروف وقعت موقع الأسماء على خلاف أصلها ، وما جاء على خلاف الأصول لا يصح القياس عليه بحال . وأجاز ابن مالك هم جم بالواو والنون . مع اعترافه بأنه لم يسمع فقال أبو حيان إن إجازته لذلك إنما هو بالقياس على أب وينبغي أن يمتنع لأن جم أب وارد على وجه الشذوذ فلا يصح القياس عليه والتحقيق أن الأصول التي يجيء الحكم على خلافها تتفاوت في القوة والضعف فالأصل الذي يمنع من الزيادة — وهو أن اللفاظ إنما وضعت لأفادة المعاني — أقوى من الأصل الذي يمنع من تقديم المصنوع على العامل ولهذا كانت مخالفة المرب لقانون تقديم العامل أكثر من مخالفتهم لقانون المنع من الزيادة ، فيترجح امتناع زيادة كان في صدر الكلام أو آخره قياساً على زيادتها في الوسط ، وليس من البعيد جواز تقديم الخبر في باب زال النسخة قياساً على تقديم المصنوع الثابت على خلاف القياس

المقالة الثالثة في المباحث المشتركة

القياس في الاتصال

خصت المرب بعض الأدوات بالدخول على أنواع من الحكم لا تتجاوزها مثل الأسماء تختص بحروف الجر والنداء ، والمضارع يختص بنحو لم وكي ، وأبقت بعضها دائراً بين نوعين نحو هل وهمزة الاستفهام يوصلان بالأسماء والأفعال ، وإن ولو الشرطيتين يدخلان على الأفعال الماضية والمستقبلية . فإذا وردت كلمة من أمثال هذه الأدوات مقرونة بنوع خاص من الحكم فليس لنا أن نخرج به عن دائرة السماع ، ومثال هذا لما الحينية أنما جاءت موصولة بالفعل الماضي فلا يسوغ لنا أن نلصق بها فعلاً مضارعاً كما صنم ابن أبي حجة في قوله والنبت يضبطها بشكل مرب لما يزيد الطير في التلحين وإذا دارت الكلمة في كلام المرب بصورة المضارع ولم تأت في الرواية موصولة بأل المعرفة فقل فليس لنا أن نصلبها عن الإضافة ونصلبها بأداة التمرين

مثل لفظ كل وبعض وغير

فان قال قائل أن هذا الحجر يقتضي أن لا تدخل ال على اسم الا اذا سمع
اتصالها به في الصحيح من كلام العرب . ومن المنعذر أن يتبع واضع القاعدة
جميع الأسماء المربية ليتحقق هل نطقوا بها مقرونة بال أم لا . فالجواب ان لا
ندعي أن هذه الكلمات لم يستثنها النحاة الا بعد أن أتوا على جميع المفردات
مفرداً مفرداً ، وانما جاء استثنائها من جهة انها دائرة على السنة الفصحاه بكثرة
حتى لا تكاد تمر بقصيدة أو خطبة أو محاضرة دون أن يعترضك شيء منها ،
فقدم استعمالها موصولة بأداة التعريف مم ايرادهم لها في جل مخاطباتهم دليل
على أنهم التزموا قطعها عن هذه الاداة ، ولا يسوغ لنا إلحاق الكلمة بأشباهها
من شهد الاستعمال بدم اجرائها على القاعدة

وعلى هذا التحرير يجري القول في الأسماء التي قصروها على حالة دلالاتها
التي قال صاحب اصلاح المنطق وغيره انها لا تشمل الا في سياق النفي وهي
احد وعرب وديار واخوانها . وينتظم في هذا الصدد الأسماء المختصة بالاضافة
الى المضمرات كوحده ولبي ودوالي وسندي

وصفوة المقال ان الكلمة اذا وردت مقرونة بلفظ معين أو نوع خاص
فلا بد من النظر في حال استعمالها فان كثرت دورانها في اقوال الفصحاه وغيرهم
ولم يمدلوا عن وصلها بذلك اللفظ المميز أو النوع الخاص وقفنا عند استعمالهم ،
ولا يسعنا الخروج عن حالتها في الرواية . واذا لم تكن شائعة في فنون الخطاب
فانه يسوغ لنا أن نتصرف فيها فنقررنا بغير ذلك اللفظ وتعدى بها مكان الرواية
حيث لم يقيم الدليل وهو كثرة تقلبها في السنتهم على قصد اختصاصها بهذا الاقتران
ومن أمثلة هذا انه ورد اتصال هاء التنبيه بالضمير المخبر عنه باسم اشارة
فراى ابن هشام ان الأمثلة الواردة بهذا الأسلوب قد بلغت في الكثرة الى أن
يؤخذ منها التزامهم في خبر الضمير ان يكون اسم اشارة فوجب في خبر الضمير
المقرون بحرف التنبيه أن يكون اسم اشارة اتباعاً للاستعمال

ويدخل في هذا القبيل قولهم « ليس غير » قال ابن هشام ان غير المبنية
على الضم انما تستعمل متصلة باليس وقولهم « لا غير لحن » . ومن عد هذا
الاستعمال في جملة الصحيح فقد ظهر في كلام العرب بما يشهد بصحته وهو
قول الشاعر

جواباً به تعتبر اعتماداً قوياً لمن عمل اسلفت لا غير نسال
واذا وردت الكلمة متعة بنوع من الاسماء وروداً لا يحيط به استقصاء
صح أن يكون اتصالها بذلك النوع مقبلاً ، كناه التأنيت فتصل باسم الفاعل
واسم المفعول والصفة المشبهة والمنسوب على وجه القياس ، ولم يبلغ اتصالها
بالاسماء الجامدة هذا المبلغ فوقوا فيها عند حد السماع كظني وظنية وامري
وامرأة . فلا تقول انشاء في مؤنت انسان الا اذا قل اليك له في شاهد
صحيح ، كما نعلم القة للمؤنت من القروود ولا يقال في مذكرها التي حيث لم
يقتروا على نقل يشهد بصحة استعمالها

ولهذا الاصل انكر الصغدي قولهم للظبية غزالة مع ورود غزال للمذكر
لانه لم يثبت عنده برواية ، وما خالفه النمامي في ذلك الا بعد وقوفه على
شواهد من كلام العرب تقتضي صحة استعمالها

القياس في الترتيب

اذا كانت احدى الكلمتين تابعة للآخرى من جهة المعنى فالناسب الطبيعي
يقتضي ان تذكر عقبها في التلطف ، ومن ثم قرروا في اصولهم أن التبعوع يتقدم
على السابغ ، والمستثنى منه يتقدم على المستثنى ، والمميز يتقدم على التمييز
وصاحب الحال يتقدم على نفس الحال

فن أباح تقديم الكلمة التابعة دائماً تقبل دعواه متى كانت مصحوبة بدليل ،
فالكوقيون مثلاً أجازوا تقديم المظروف على المماطوف عليه والكسائي والمبرد
سواء تقديم التمييز على عامه ، والقراء والاختص ذهبوا الى صحة تقديم الحال
على عاملها الطرف أو الجار والمجرور ، وابن برهان وابن كيسان أباحا تقديم الحال
على صاحبها المجرور بحرف ، وما أجازوا هذه القضايا التي يحكم الاصل بمنها الا
باستنادهم الى شواهد وأوها كافية في تقرير ما ذهبوا اليه

ومن فروع هذا الاصل أن لا يتقدم الضمير على معاده ويستثنى من ذلك
مواضع ، بعضها عقدوا عليه الاتفاق كضمير الشأن ، ومنها ما اختلفوا فيه
كالضمير المائد على المفعول به ، والاصل في عمل الاختلاف بيد من لا يجيز
عوده على المتأخر عنه في نظم العبارة الى أن يقيم الخالف شاهده الصحيح
أجاز الاختص وأبو الفتح عود الضمير المتصل بفاعل مقدم الى مفعول

تأخر وأقاما على ذلك شواهد مثل قول حسان
ولو أن مجدداً أخذ الدهر صاحباً من الناس أبقي نجده الدهر مطمناً
ومنعه الجمهور في حال السعة وجملوا تلك الشواهد على الشذوذ أو الضرورة
ومنزعمهم في عدم قبول هذه الشواهد أنها جاءت على خلاف الأصل ، وما يرد
على خلاف الأصل لا يحمل مقياساً إلا حيث تكثر شواهد حتى تدل على قصد
المرب لا طراد

ومما يتناوله الأصل الموماً إليه أن المستثنى أخرج من المستثنى منه ثم
نسب الحكم إلى بقية الأفراد فكان المستثنى في الظاهر مخرجاً من الحكم أيضاً
ومرتبة المخرج متأخرة عن رتبة المخرج منه فكان موقع المستثنى بعد اللفظ
بالحكم والمستثنى منه ، ولكن كثر في الاستعمال تقديمه على المستثنى منه نحو
جاءني الأزيداً القوم ، أو على الحكم فقط نحو القوم الأزيداً أخوتك فبقيت
مسألة تقدمه عليهما مما على أصل المنع ، وقد جوزها الكوفيون قياساً ،
والحق أن مخالفة الأصل بكل واحد من أسريه على أفراد لا تدل على جواز
مخالفته بالأصوين كليهما في تركيب واحد

يتفاوت ارتباط بعض الكلم ببعض من جهة المعنى في القوة والضعف ،
وهذا التفاوت له مدخل في باب القياس ، ألا ترى ابن جني كيف أجاز تقديم
المفعول معه على صاحبه ومنع تقديم الممطوف على الممطوف عليه ، والامثلة
الشاذة الواردة في تقديم المفعول معه ليست بأكثر من الامثلة الواردة في
تقديم الممطوف ولكنه يرى أن تبعية الممطوف للممطوف عليه أشد من
تبعية المفعول معه لمصاحبه

القياس في الفصل

الأصل في الالفاظ المربوط بعضها ببعض من جهة المعنى أن لا يلقى بينها
بفواصل ، وقد خالفوا هذا الأصل في مواضع شتى حتى عد بعضها في فنون
البلاغة كالفصل بين مفعولي رأيت في مثل قول الشاعر

ويعتحن الدنيا امتحان مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك طانيا

أو بين النمت والمنموت كما قال تعالى « وانه لقسيم لو تعدون عظيم »
ويجب النظر في قوة الارتباط وضممه في هذا المقام أيضاً فيمكن من الشواهد

الواردة في الفصل بين ما ضعف ارتباطها ما لا يكفي في الفصل بين ما كانت
الارتباط بينهما قويا ، ولهذا تلقوا ما يعموه من الفصل بين التابع والمتبوع
بالقياس واختلفوا فيما ورد من الفصل بين المضاف والمضاف اليه فأجاز بعضهم
الفصل بينهما بالقسم والتلخيص والمفعول على وجه القياس ومنعه آخرون بدعوى
أن الفصل الوارد في السماع محمول على الشذوذ أو الضرورة ، ولا منشأ لهذا
الاختلاف وعدم اكتفائهم بما وصل اليهم من الشواهد فيما أحسب الاعتقاد
بأن كلمتي المضاف والمضاف اليه قد بلغت في شدة ارتباطهما إلى أن صار
بمنزلة الكلمة الواحدة وربما اكتفوا بمقدار هذه الشواهد في الفصل بين التاب
والتبوع لأن الارتباط بينهما لا ينتهي إلى هذه الدرجة وبذلك على رعايتهم
لعدة الارتباط أنهم أطبقوا على من الفصل بين الموصول الحرفي وصلته من
كان الموصول تاملا مثل «ان» واختلفوا حيث يكون الموصول غير تامل مثل
«ما» فأجاز كثير منهم الفصل بينها وبين صلتها ، وذلك لأن الموصول العام
أشد اتصالا بصلته من غير العامل إذ الأول طالب للصلة من جهة المعنى والعلة
وأما الثاني فطلبه لها من جهة واحدة وهو الموصولية

القياس في الحذف

من الجلي أن حذف أحد أجزاء الجملة يغير أسلوبها ويحدث فيها حياة جديدة
والحفاظة على الأسلوب العربي تقتضي أن لا يلفظ الانسان بعبارة إلا أن
يتمجيء مطابقة للهيئة العربية . وهذا الأصل هو الذي يتمسك به من لا يج
حذف لفظة حيث لم يثبت عنده دليل يمتد به ، كما من الجمهور حذف الفاء
والبصريون حذف الموصول ، وابن مالكون حذف أحد مفعولي ظننت
ولو مع قيام القرينة على المحذوف

قد يقال أن العرب أكثر ما حذف ما تقوم عليه القرينة كالمضاف والمضافة
اليه والمبتدأ والخبر والمفعول به والمملوف والمملوف عليه والحال والتميم
وفعل الشرط وجوابه ، وباستقراء هذه المواضع يتقرر أصل يمكن الطراد
وهو صحة الحذف لدليل . والجواب أن ورود السماع بالحذف في باب كالتع
أو المنعوت إنما يسوغ القياس في ذلك الباب خاصة إذ قصارى ما ندل عليه
شواهد أن الحذف هنالك لا يخالف الأسلوب ، وإجازة الكسائي لحذف

الفاعل ، والكوفيين لحذف الموصول ، والجمهور لحذف أحد مفعولي فذنت
أما اعتمدوا فيها على شواهد مبسطة في كتب الفروع

وإذا وضعت الفاظ للدلالة على غرض وانتظمت في منهج وجمع في أحدها
حذف بعض متعلقاته فهل يجري الحذف في متعلقات ما يشاركه في المعنى على
طريقة قياس التمثيل ؟ ومثال هذا أنه ثبت حذف صدر الصلة مع أي الموصولة
في نحو قولك « زارني أيهم أكتب » فوقف أكثر النحاة عند هذا الموضع
واستضمنوا حذفه مع غير أي من الموصولات ، ولم يستضمنه ابن مالك .
فالقائل بمنع القياس ناظر إلى أن حذف متعلق الكلمة وهو صدر الصلة جرى
على غير أصل فلا نتجاوز فيه حد السماع حتى نلحق به ما يشارك تلك الكلمة
في مساقها ونحذف متعلقة . والقائل بجواز اللاحق ناظر إلى أن اتحاد الكلمتين
في المعنى يجعلهما في حال الكلمة الواحدة فثبت لأحدهما من الأحكام يصح
إعطائه للآخرى حيث أن الأسلوب مصحفاً متماثل

وإذا ورد السماع بحذف حرف في موضع من التركيب على سبيل الأمثلة
فهل يقاس عليه ما برأده من الحروف فيسوغ حذفه ولو لم ترد به الرواية ؟ هذا
من مواقع اختلافهم أيضاً ومن أمثلته أنهم أجازوا حذف (لا) النافية في جواب
القسم كما ورد في قوله تعالى « تالله تفتئ تذكر يوسف » وقول الشاعر
آليت حب المراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

واختلفوا في حذف (ما) النافية في نحو هذا التركيب . ومن أبي حذفها قد
يتسك بأن لا وضعت للدلالة على السلب ، وحذفها يؤم إرادة الإثبات الذي
هو ضد مدلولها فكان ذكرها على ما يقتضيه وضما ضربة لازب ولكنهم حذفوها
في جواب القسم لكثرة استعمالها ، ولا يصح إلحاق لفظ (ما) بها وإن كانت
مرادفة لها في المعنى لأنها لا تشاركها في الوجه الذي اقتضى المدول بها عن
القياس وهو كثرة الاستعمال

ولا ترى طائفة منهم الكافيحي الوقوف في الأساليب على ما ورد عن العرب
فأجازوا لك أن تقول في الدرس علي والمسجد خالد . ونحو كان تالياً الخطبة بكر
والقصيدة محمود . وهذا ما يعبر عنه النحاة بمسألة الملف على مفعولي عاملين
مختلفين ، ثم قال الشيخ الكافيحي عقب هذا أن جرئيات الكلام إذا أفادت
المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لا يحتاج إلى النقل والسماع والالزام

توقف تراكيب المعاني في تصانيفهم على ذلك

وهذه المباراة مطابقة المعنان ولا بد من رد حجاجها فنقول ان أراد الكافي جري بقوله « أفادت المعنى على وجه الاستقامة » انها أوصلت المعنى الى ذهن المخاطب كاملاً ، فهذا لا يكفي في صحة الكلام عند علماء العربية قطعاً فان من التراكيب ما يؤدي المعنى وافياً ويكون المتكلم قد خالف فيه بعض القواعد المجمع عليها . وان قصد بوجه الاستقامة المطابقة لصحة الاسلوب العربية فهذا هو محل النزاع بينه وبين من لا يجوز أمثال ذينك التركيبين حيث ان المانم يراها غير مطابقين للاسلوب الصحيح ، فلا محيص للكافي جري وغيره من اقامة دليل على الصحة اما سمع يوثق به أو قياس تمثيل لا يتطرق اليه قاذح

القياس في موقع الأعراب

اذا وردت الكلمة بمكان من الأعراب لم يسم استعملها في غيره فأصولهم تقتضي أنها انما تطرد فيما سمعت ولا يقاس عليه غيره من المواقع ، ومن هذا تخصيصهم قل ولومان وورمان بالنداء ، وقط وعوض بالترفية أو الجر بمن ومن فروع هذا قول ابن الحاجب وسند الدين التفتازاني أن لفظة كل اذا اضيفت الى الضمير لم تستعمل في كلامهم الا تؤكداً فيمتنع ايرادها مفعولاً به أو فاعلاً . ومن أجاز ايرادها مفعولاً به كان هشام اعتمد على ما وقع في يده من الشواهد التي منها قول الشاعر

« فيصدر عنها كلها وعو ناعل »

ومما يجري على هذا الاصل قولهم ان كافة وقاطبة وطرا لا تخرج عن الحالية وعن ابن هشام في أوهام الزمخشري تخرج قوله تعالى « وما ارسلناك الا كافة للناس » على أن كافة نعت لمصدر محذوف ، والتقدير رسالة كافة . ومن نازع في اختصاصها بالحالية يستشهد بمثل قول عمر بن الخطاب « قد جمات لآل بني كاهلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام منائي مشقال ذهباً » وحاول الشهاب الخفاجي هدم هذا الاصل فقال في شرح لدرقة ان كافة ورد عن العرب بمعنى جميع لكنهم استعملوه منكرأً ، فسواء في الناس خاصة ، ومقتضى الوضوح أنه لا يترمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميع ممرفاً ومنكرأً بوجوه الأعراب وفي الناس وغيرهم لانا لو اقتصرنا في اللفاظ على ما استعملته العرب العاربة

والمستعربة حجبنا الواسع وعسر التسليم بالعربية على من بعديهم . وهذا الرأي لا يؤخذ به على الإطلاق ويستضاء به في كل حال فإنه لا يطابق ما قاله أساتيد العربية من أن معرفة الوضع غير كافية ما لم ينضم اليه العلم بحال الاستعمال . قال ابن خلدون في المقدمة ليس معرفة الوضع الأول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك ، وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في نظمته ونثره هذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو شر من اللحن في الاعراب والجنس

ولو اقتدينا بالشهاب وسرنا على أثر مقالته التي لم يرسم لها حداً لعمدنا الى مثل قطع وقبل وعند وأخرجناها عن الظرفية الى الابتداء أو الفاعلية ولا أحسبه يرضى للغة هذه الفوضى فيفصم نظامها وهو يريد توسيع نطاقها والتحقيق في هذا المطلب أن ما يصلح أن نجريه على القاعدة في الاعراب نوعان (أحدهما) ما يدور على السنة الفصحاء وغيرهم ويجري في خطاباتهم بحالة خاصة من الاعراب مثل عند وقبل وبعد وقاطبة وطرا ، وهذا هو الذي نقف فيه عند السماع فإن كثرة دورانه في مجاري كلامهم نظماً ونثراً وتقلبه في أصاليهم بحالة مخصوصة يشمر بقصدهم الى تخصيصه بتلك الحالة الاعرابية وما كان ينبغي لنا في هذا القسم الا ان نتحرى الطريقة المألوفة في استعماله

ثانيهما ما لا يتردد في أغلب خطاباتهم وإنما يرد نادراً أو كثيراً ولكن لم يصل الى مبلغ يدل على قصدهم الى قصره على الحالة التي جاءت بها الرواية وهذا هو الذي يسوغ لنا ان نخرج به عن حالته الواردة ونستعمله في المواضع التي يساعد عليها الوضع ، فلزم نسمع لفظ الضرغام أو اللوذعي أو الفيصل مثلاً الا فاعلاً أو مفعولاً كان لنا ابراده في تراكيب من عندنا مضافاً اليه أو مبتدأ أو خبراً . فيتضح بهذا التفصيل مذهب الجمهور ووجه مأخذه ويمكنك ان تقضى به على مقالة الشهاب حيث اباح خروج كافة عن الحالية بمجرد النظر الى حال الوضع فإن هذه الكلمة من القسم الاول قطعاً فيجب على القائل بسعة استعمالها فاعلاً أو مفعولاً متلازمة شاعداً على ذلك ولا يكنيه التمسك بانها

من الخرافات الى الحقيقة*

- ١ -

مقدمة

سيدي قاذفة المسلمين !

دعاني الى ترجمة الكتاب المسمى (من الخرافات الى الحقيقة) الذي ألفه
من قبل (م . شمس الدين) باللغة التركية ! داعيان مستقلان
(١) قلة الاشغال

(٢) الالم الذي يستولي علي حينها أرى حالة امة محمد (ص) كأنها تدين
بدين غير الاسلام .

أما قلة الاشغال : فانه منذ زالت الحكومة الاسلامية من هذه البلاد
(فلسطين) نزلت الوظائف السياسية والادارية من يدنا معشر الشبية (١) المتعلمين
من المسلمين الى النصارى ثم الى اليهود . وبقينا بغير اعمال ، فاشتغل بعضنا بالتجارة
وبعضنا بغيرها واشتغل هذا الماخر بالترجمة والتأليف - هذا هو الداعي الاول .
وأما حالة المسلمين وما تحدثه من الآلام فاني لا أتصور مسلماً يرى الهوة
السحيقة التي يتدحرج فيها المسلمون ويسمع أنين هذه الكتلة البشرية ويسمع
السكوت على ما يرى ويسمع . بل لابد أن يتفجر في دماغه الذي هو ممكن
لصوت ذلك الانين طوفان آلام يدفعه الى عمل شيء ينقم به هذه الامة .
ان المسلمين الذين قضوا وقتاً طويلاً وهم يحكمون في العالم فيطاعون ،
ويسودون الامم ادارة وعلماء واقتصاداً فيتبعون ، هم الآن ذليلون مهانون ،
يثنون تحت ضربات حكامهم الغرباء ولنا ولغة وديننا .

ان العالم الاسلامي الذي كان يطر على المسكوة مهابة وشرفاً قد انحنى

(*) مترجم الكتاب حسني بك عبد الهادي من بيوتات نابلس الشهيرة
وقد خص به مجلة المنار فنحن ننشره شاكرين غيرته واهمته مع اصلاح للترجمة
لا يغير المعنى بل يحليه

(١) الشبية بوزن فسيحة هم شباب والشبية مصدر شب الفلام اذا صار ضالها

وازوى وغاب عن الابصار ، ان المسلمين الذين كان العالم يترطربا أو اضطرابا من صوته أمسوا اليوم مسودين مسوقين اسراء .

ان المدن الاسلامية التي كانت مرايا للرفي والحضارة بات اليوم يمشى فيها . والمسلمون الذين كانوا يبارزون القوى الطبيعية أصبحوا اليوم يخافون من ظلمهم . واخذوا يتدحرجون في مهاوي الاوهام . بل أقول ان ديار الاسلام أمست مقابر ، والمسلمون فيها جناز . ولابد لهذا السقوط العام من مؤثر عام . ان هذا المرض المستولي على مسلمي آسيا وأوربة وافريقية والافيانوسية يبدي لناظر أعراضاً متشابهة وهذا ما حمل العقلاء على أن يقولوا ان منشأ المرض شيء واحد ما دامت الامة المسودة التي تن تحت عوامل السيادة الاجنبية هي امة واحدة — امة محمد صلى الله عليه وسلم

عجبا ما ذاك العامل الذي رفع امة عيسى وهبط بامة محمد ؟ ما ذلك الدرج الذي صعدت عليه امة عيسى حتى استوت على عرش الحكم ؟ وما ذلك الدرك التي تحدرت فيه امة محمد حتى وصلت الى هذا المكان السحيق مكان المستبعد الخانع ، مكان المسود التاب ، مكان الاسير الخاضع ؟

ان الرابطة التي تربط ثلاثمائة مليون ونيفا من المسلمين هي (الدين) وبهذه الرابطة ملك المسلمون — اسراء اليوم سادة الامس — أقاليم مختلفة . ثم عفت سلطنتهم في تلك الاقاليم شيئا فشيئا حتى انحصرت اليوم في الاناضول . الا يوجد اليوم اقليم غير الاناضول لا يدين وبخضع لهؤلاء الفرنجة بل ليس قرانينه بدون استشارتهم وينفذها بنجوة من سيطرتهم ؟ (١)

لا اسراء في ان الدين الاسلامي قد كان هو السبب لتعالي المسلمين . فهل يمكن أن يكون سبب الرقي والصحود ، هو بعينه سبب التدهور والسقوط ؟ لا لا (٢) بل الدين الذي كان سببا لتعالي المسلمين هو غير الدين الذي هبط بهم

(١) المنار ان جزيرة العرب وبلاد الافغان لا تدينان لاجني عنهما ولكن يموزها من العلوم والفنون والصناعات ما تحفظ بها قوتها من الطامعين فيهما ، وينمي ثروتها فتقنيهما عن الاجانب . ويموزها زعماء عقلاء يجمعون الكلمة ، وقد بدأ الافغان فتى يبدأ العرب ، الذين فضحوا أنفسهم بين الامم ؟

(٢) المنار قد سبقنا الى مثل هذا السؤال وجوابه في المتصورة الرشيدة

ثم في المنار ، وهذه آيات من المتصورة في ذلك =

اليوم الى العبودية والذل . نعم ان ينهض — على الاشتراك في الاسم — فرقا جلياً وبونا بعيداً :

كان المسلمون يحترمون الحقائق ، وأما نحن فأسرى الخرافات .
كان المسلمون اصحاب عقائد مستندة الى العلم والنور وأما عقائدنا اليوم فبنية على البدع والالوهام

ان هذا الكتاب لم يكتب ولم يجمع (ولم يترجم) الا لاراءة الفرق بين أجدادنا وبيننا ولأجل تصوير منشأ الخرافات الحاضرة

لا يسع عاقلاً مسلماً يرى العالم الاسلامي يتدحرج في مهاوي الهلاك الا أن يسعى لانقاذه ، وأول ما يخطر على باله هدم الخرافات واقامة الحقائق محلها . وهذا لا يكون الا باحياء قواعد الدين الحقيقية التي رفعت المسلمين في القرون الاولى الى سماء المجد . لان الخرافات لا تحيي بل تذلل ثم تميت .

المسلمون اليوم أذلاء ، لا جيش ، لا أسطول ، لا طيارات ، لا معامل صناعة ، لا مصارف مالية ، لا سكك حديدية ، لا علم ولا اختراع ، لا سفراء ولا قناصل ، وجملة القول انهم مجردون من كل ما يرفع النفس ويكون مدعاة الافتخار . لماذا ؟ لانهم غارقون في بحر من الخرافات .

ربما كان هذا الكتاب سبباً لغضب الكثيرين الذين يصطادون في الماء المكر . ولكن المسلم الذي يرى الدين في تهلكة والامة على شفير القبر ، لا يتقدر أن يسكت ومن سكت فهو أسفط من مسببي هذا السقوط .
فهذا هو السبب الثاني الذي دعاني الى ترجمة الكتاب .

لكننا أبكي لمجد أمة

ووطن ذل فماد حوضه

وملة حكيمة رحيمة

وقال فيها الاخسرون انها

فكيف كانت علة السعادة الـ

أما صلبنا الملك والحكمة والـ

الم توحيد انما تفرقت

فكيف عدتم وانتم اخوة

لما تركتم هديها من العدى

الح

وستكون مطالعتنا مؤيدة بآيات شريفة وبأحاديث منيفة منه له من
الجامع الصغير

ان من سنن الاجتماع التي لا تقبل ولا تتغير ان الامم التي تزلزل
سماء الاقبال الى حضيض الادبار ترى جميع حركات الامم الحاكمة و... انماها
حسنة ممتدة .

مثال ذلك ان العالم المسيحي اليوم يجلس على عرش الساطة والعالم الاسلامي
يجلس على الارض تحت كرمي ذلك الحاكم . وكل ما يخرج من ملك الهلال يدخل
في ملك الصليب ، والمسلمون لاهون يظن الجاهلون قصير والنظر منهم ان سبب
سقوطهم هو (الدين) والقصد من تأليف هذا الكتاب اعادة هذا العالم الباطل .
لان الاسلام من اسباب الرفعة والملاء ، لا السقوط والاستخذاء ، واما سبب
اغلال مسلمي اليوم فهو خلط الاسلام النقي الصافي بخرافات الاوان
فاذا رجع المسلمون الى (الدين الحق) كما هو فانه ينفخ فيهم روح حياة جديدة
وينجسون من الاحتضار الواقع . وهذا لا يمكن الا بترك الخرافات والتمسك
بالحقائق ، وهو موضوع هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ٢٢ فصلا (١)

(١) المستوى الفكري والاجتماعي في المحيط الذي ظهر الاسلام فيه

(٢) الطور الاول للاسلام

(٣) الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها

(٤) المؤثرات التي زلزلت الوحدة الاسلامية

(٥) تغلب روح الفرس على روح الاسلام

(٦) كيف طرأ الفساد على الاسلام ومن أحدث ذلك

(٧) الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وحزب القرامطة

(٨) عصاة الدراويش الفوضويين الخشاشين

(٩) عبدة الامام علي

(١٠) مذهب الاسماعيلية

(١) المنار : ان القرامطة والخشاشين والاسماعيلية والدروزة والنصيرية
والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافض في مذاهبهما
الى بث دعوتهم فتقسيم الكتاب غير ظاهر لنا الآن

- (١١) الدروز والنصيرية
 - (١٢) الباطنية : الروافض والصوفية والبكتاشية
 - (١٣) اخوة المسلمين تحتاج لرفع النفور المذهبي
 - (١٤) الاحاديث الموضوعة
 - (١٥) كتب المواعظ
 - (١٦) عبادة الاموات
 - (١٧) الاعتقادات الباطلة
 - (١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
 - (١٩) اساس الاسلام الاول النظر التحلي
 - (٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
 - (٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
 - (٢٢) النتيجة
- هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفاً لحق
المرض ومحتوياً على العلاج النافع وبالله المستعان
- نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

-٧-

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل ما يعلم يكتب في مثل هذا الو
لان الزمن الذي يلد التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان ال
في السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يقع التمارض فيها فيرجع كل ناظر
المتعارضات باجتهاده

قد اشترطت علينا السلطة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى -
شروطاً ثقيلة اشرنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص ٢٨٤ م ٢١) خلا
أن نتحاشى احداث تهيب سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالشرط واک
من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول ما نرى أنه الحق

في بلادهم النصيح للناس بما يجب عليهم من الامانة والاشارة والعلم والاقتصاد ،
أما أهل البلاد فقد كان التباين بين المسلمين والنصارى منهم في السواحل
بالفأ أشده فالنصارى كانوا يرون أن ملك البلاد صاب من المسلمين وصار لهم
بقوة فرنسية وحمايتها والمسلمون ييكون أسي وحزناً على الدولة العثمانية ويملقون
أما لهم بالامير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة
بريطانية العظمى ، فلهذا كانوا في منتهى النفور من الفرنسيين وكان من هؤلاء
من يتوعد اليهم ويجهدهم في استمالة زعمائهم واصحاب المسكاة منهم فلا يزيد ذلك
الا نفوراً منهم ومبالغة في التعاق فيحصل فيضطرهم ذلك الى حصر ثقتهم بالنصارى
ومن يتقرب اليهم ويتعاق لهم من طلاب المنفعة من المسلمين وان كانوا لا نفوذ
لهم ولا تأثير في أهل ملتهم . وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة
ما أخطأ فيه كل من المسلمين والنصارى في هذا الامر وما كان يجب على كل
منهم من السعي الى الاتفاق والائحاد على مصالحة الوطن المشتركة وما سمينا
اليه فولا وعملاً وكتابة في هذه السبيل وقد كان هذا السعي كله بعد اضطرار
السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت ولي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت
عازماً على أن اقيم فيهما عشرة ايام فقط

ذلك بانني عقب المامي بيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكاة
معموية فتأخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى
بيروت عرض لي تصدي السلطة الاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجتماعي في
بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكرو

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم - ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩) شرطي يروني
وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القوم مدير السامي (موسيو جورج بيكرو) فهو مستعد
لمقابلتك بين الساعة التاسعة صباحاً والظهر في الدار التي كانت لوالدي فوعدت
بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فشككت معه من الساعة الحادية عشرة
الى ما بعد الظهر فاحتفى بي وتلطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل
(المسألة الاولى) ما ينكره المسلمون من السلطة الفرنسية . سألتني عن عهدي
برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم ؟ فقلت له ان المسلمين على كونهم
لم ينسوا ما انتابهم في آخر زمن الترك من الرزايا والمصائب ييكون عليهم وان
(١١١ - ١٠٠) (٩٧) (المجلد الثاني، والمشرون)

لم تحبف دعوهم من الاءاءهم لاهم في هذا الوقت سفي في ديمهم
فاجاب بأنه وقع من رجالهم اغلاط كثيرة تكبرونها ولاكنهم سيتلافونها،
وأنه على ما ينويه من المساواة بين جميع الوظائف والمثل في الوظائف وغيرها
سيجتهد في مراعاة شعور المسلمين الديني بصفة وعناية تامة ، وذكرت له أن أم
بمايهم المسلمين (كمايهم غيرهم أيضا) جهن نسيم باللقمة العربية وجعلها هي الرسمية
وعدم تعرض السلطة للاوقاف والتعليم الديني فوعده بذلك وعدا مؤكدا ، وانما
ذكرت له هذا لانسجم منه مايقوله فيه لا لاقتراح شيء عليه .

(المسألة الثانية) ما يترون عمله في المنطقة الشرقية ، سألته هل تظل على حالها ؟
فقال لا بد من توحيد الادارة في البلاد كلها ومن وجود المستشارين الفرنسيين
في الداخل كالساحل الا أن الاحتلال العسكري يبقى في الساحل فحسب . قالت
وهل يكون لسورية كلها حاكم واحد كالامير فيصل أم تجمل قسمين لكل منهما
اميراو حاكم وطني عام ؟ قال لا بد من قسمه البلاد الى عدة ولايات او مقاطعات ،
ولا يعلم الآن كيف يكون ذلك لانه يتوقف على ما يكون عليه الصلح مع الترك
لان البلاد لا تزال لهم (بلاد المدو المحتلة)

هذا ما قاله وهو اعلم بتعرض حكومتنا على انهم قسموا البلاد قبل الصلح
مع الدولة فجعلوها بضع دول اكبرها واشدها ما سموه (لبنان الكبير)

(المسألة الثالثة) المقابلة والتنظيم بين الفرنسيين والانكليز والسياسة الحاضرة

وما ينتظر من التحول والانتقال فيها . وقد اختلفا فيها ما لم تطل فيما قبلها

قال هو ان الفرنسيين ارق طباعا وانفذ مباشرة من الانكليز فهم يحترمون

الشرقيين وغيرهم ويقابلون أهل القبل والملكة بما هم أهل له من الحفاوة

والاكرام وأما الانكليز فتكبرون يزدون بأفكار الناس — أو ما هذا . مناه

قلت ان لطف الفرنسيين وحسن معاملتهم وقرتهم من الشرقيين في ذلك

مشهور كشهرة الانكليز بالجفوة والازكية العجب بانفسهم واننا قد اختبرناهم

في مصر فأنه ينالهم كما يقال عنهم الا أن آدابهم غاية في معاشرة من يرضون معاشرة

ولقاء من يودون لقاءه ، ولكن ما جرت عليه من الترفيع والمعجب والاثرة ،

والطمع ومحاولة الانتزاع بالسيادة سببة في ان جميع الامم والشعوب وبثابها

عليهم . وذكرت عليهم في بلاد العرب والاسلام وما يتصدون من

مد ظل سلطنتهم (امم اطوريهم) من غير الانريقي من افريقية والغربي

من أسية إلى حدود الصين وسيادة سائر البحار وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوربة عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا أتوقع مجيء يوم ترون فيه من مصلحتكم مخالفة الالمات على الانكليز - فوافقتني على رأيي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الحلفاء انه محال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكري التي أرسلتها الى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كتبت لاعظم رجال الانكليز لاني أعتقد وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وانه سيفضي الى عداوة الامم لهم والخلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم الى مخالفتهم الخطر الألماني المهدد للفريقين السابقين تعاديهما في بطون التاريخ وقد تجددت بينهما عداوة حسد المعضوم حقه في هذه المخالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضعافاً ولم يرو غليل مطامعه، أعني عداوة اللاتين للانكليز. وقد مرحت بهذا في مذكري لتوماس البريطاني التي نوهت بذكرها في مقالة (الحقائق الجلية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قسمة تراث الاسلام لانه لم يمت والاعتناء باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا زال الايام تصديقاً بأحد ما كتبت في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبت لهم فيما قبلها، ولكن جمهور كرزون على سياسة الطمع القديمة والتمسك الديني والجنسي الذي ينادي فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تنهض من الكف من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستعداد أقول أنني لم أكن أسأل اقناع مسيو جورج بكون رأيي لاجل عملي يرجى أن يأتي منه كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها هو وسديقه السير مارك سايكس بين الدولتين وكانت الجنود البريطانية تخرج بشنارها وسلاطها من سورية الشمالية كلها وتتركها للجيش الفرنسي بعد تنازلهم وقهرهم في سبيل تنفيذها ظهر أثره في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قال بعض دعاة السياسة انها تقضت تقضاً ومنهم

موسيو كلينصور رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرنسة يومئذ تريد أن تتخذ اتفاق الأحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسيلة جعلها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب للحكومة الولايات المتحدة وبحمل الأمير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لانكلترا وحدها فان لم يمكن فلها ثم للحكومة الولايات المتحدة الأمريكية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الأكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الأمريكي بالاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ أكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوماً طلبت في اثناها من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الى اذ كنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت امره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبتني اياها باعادته الى كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير أوقاف الولاية في بيروت فأرسلت الذهاب الى بيروت لاتمام هذا الامر الذي جرى لي فيه من العبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق ان يفرده فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تعرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (١٢٨ أكتوبر) أخذت ورقة للسفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلاً وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقبل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر — وهذا لم يكن من قبل — وكان من التسهيل غير المنتظر أن الشرط وقفت على الجواز اذ عرضته عليها من تبرع لذلك من ممارفنا ومعارفهم ولا أدرة أكان في ذلك دخل متوخي أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزوراء مع متاع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطة ففتحوا جميع صناديقهم

الاسماء وعلمة الورق ومعرفة النورمة و... في الزيادة وفشوا على ذلك
تدقيقاً دقيقاً لم يفعل فيه طيات الشياطين ولا جروها ثم فاشوا جيوباً وأحسد
شرطي جميع الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المكس (البحرك) فذهبنا
واعيد المتاع الى حيث كان وطبقوا هناك يسطرون في الاوراق نظراً دقيقاً
وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بجهلهم وغباوتهم ان فيه أضراراً سياسية
ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند السلطة الفرنسية وهو فهرس وعلمته للأجرة
الثامن من تفسير القرآن راعيتهم أرقامه فظنوا فيها الظنون على أنني أخبرت الباحث
فيه بأنه فهرس لكتابات في التفسير ... فقال يمكن أن يكون كتب في أثناءه
شيء سياسي (!!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرطي في الذهاب الى دار بسبي الشيع
حسن العقدي لاجل المشاء وصلاني المشاءين وتغير النياب فأني وقال ان
رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم الى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء
ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرطي (او فوهش) اسمه احسان
على ما أتذكر وقال ان لبنان بك أرسله بالنيابة عنه ليأخذني الى دار الحكومة في
المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس المؤقت)
فاستأذنته بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبنا الى المدينة فترجم فوفدوني
في حجرة من حجرة الشرطة نوافذها مكسرة الزجاج وكان فيها مناجيح صغير
فيه قليل من زيت البترول فقد فانسفاً ولم نجد من في الحجرة من الشرطة غيره
وكان الماء مقطوعاً عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق ... استجبنا
فكان التخلف فيها متعذراً على أهنا كما كان اليوم متعذراً لأن هواء الليل في
طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يملؤه النسيم فيكون بارداً جداً فيكون
هواء النهار حاراً بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من هذا الخريف

ثم جاءنا الشرطة بدانوس كانوا يتنقلون من حجرة الى أخرى ثم قالوا ان
الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الدانوس وأخذوا مني طلبة الى حجرة
وتركوه له فيها وقد يلعب بعد ذلك في سائر حجرة... ثم قالوا ان
بعض المقربين اليه من الوجهاء دعوا به إلى توقيف في حجرة... ثم قالوا ان
اليوم وأندروه هاداً في هذا الرجل مودوه الى النهار وعينهم لما في ذلك ثم
ان بشوروا وهم جاءوا الى دار الحكومة لاجل حجرة... وتكون حجرة كبيرة

وقد ظل الحاكم مع ترجمانه يشاران في الاوراق في الساعة ٣٠ دقيقة ثم ما لبثي وبلغني ترجمانه عنه ما يأتي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس المصري يتعقبك ولما نزلت الى البحر أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشغل بالسياسة وفيها ما يدل أيضا على انك رجل مهم غير هادي (١) فأنا لا أريد أن أوقفك عمارا إذ كنت تريد السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الاداري ليري رأيه فيها.

قلت أحسنت صنعا فرجالكم في بيروت أجدر بمعرفتي وانصافي منك واني لا أشر مما تدل عليه الاوراق. قال انك لم ترني لاهرفك .

ثم قال الترجمان الشرطي (أو القومسيرون) الذي صاحبني خذ هذه الاوراق (وكانت قد وضعت في ظرفين كبيرين ختمتا بالشمع الاحمر ولا يزالان عندي) وهذا المذنب وأعطوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى دار الحكومة فيها ويجب أن تفهموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بغاية الادب لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكمون فيه ويهينونه . وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صاحبت الحاكم وزات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركت عربة وركب معي نسبي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم آدم وهم لم يبقا في دار الحكومة منذ جاء معي وركب معنا شرطي يحمل الورق وفصدا لبناء فأتينا لبنان في الطريق عائدا منها فأعطاه الشرطي رقعة الحاكم له فأرجعت الى دار الحكومة ولم يرض أن يسافر في البحر وأمر حنا بأن يستأجر لي عربة من مالي ويرسلني في البحر وكان يتكلم بغلظة وخشونة وعظمة الحاكم القاهر المستبد ، ووكل الى حنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأجرتها ٤٥٠ قرشا مصريا صاحبها كما زعموا وليس لي أن أعارض أو أشرعني الذي يحمل الورق فأوصاه حنا بما يأتي :

إذا صادفت في الطريق أحدا يريد أخذ الاوراق منك فأعطه الرصاص (١) كان في تلك الاوراق فوائين وقرارات لبعض الجمعيات ومكتوبات من بعض المشهورين في سورية والشرق من لبنان والغرب حتى مرأش فيها امرهم

وإذا أراد أحد أخذ الشيخ منك فأطلق الرصاص على رجل الشيخ (أو قال رجله) وعلى من يحاول أخذه

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح إلى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لثلاث يكون أحد من الأهالي علم بأمرنا وكذبوا بين الأشجار ليأخذوني عنوة وهو يجهل أن مثلي لو كان جانيا لترفع عن الحرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في أوراقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضغطها على المسلمين شديدا في ذلك الوقت مقاومة لفكرة التربية والتعاق بفصل ولو عاقبته لما زاده عقابها إلا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي أرسل معي كان مسلما فلم يكن يحتاجا إلى التوسية بالتأديب معي بل كان من أولياء بيتنا ويتمنى لو يكون في خدمتي طول عمره وكان إرساله معي مما أثار عجبه وعجبي فكيف وقد أوصي بتلك التوسية المحقاء التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتعصبون من أوشاب اللبنانيين الذين يعتقدون أن فرقة حكمتهم في أشرف المسلمين وعلمائهم - به هامتهم - تقربا إلى يسوع المسيح والرسل والقديسين فكانوا حجة على فرقة بأنها أما ظالمة سيئة الإدارة وأما متعصبة سيئة النية، وسببا لشدة نفور المسلمين واستيائهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرا على وطنهم بإلقاء البغضاء والتفريق بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم تماما في هذه الرحلة ومن بقية هذا الفصل منها، على أن هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث أنه قوى فيهم نزعة الجنسية العربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعوانها ولا يحبون أن تحسن الإدارة لثلاث عيال إليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنان اصطفاهم الفرنسيين من بيوتات لبنان المعروفة أو من الأفراد الذين تربوا تربية ترفع من خسة المنبت وورثة السوء لما كانوا يعاملون مثلي بهذه المعاملة وإن أسروا بها أمرا بل كانوا يصفون للاجنبي الذي يأمرهم به بتسل ما تسع لحاكم طرابلس المصري من حمله على خروجه من داره ليلا ليتلافى بنفسه ما كان أسره . فأما أبناء البيوتات فاهم وورثوا الأدب الشرقي في احترام الأسر الشريفة والعشائر المحترمة . وأما أبناء التربية الحسنة فيعرفون قيمة العلم والأدب ويحترمونهم بالطبع فيعرفون أنفسهم معهم

عن سوء الادب

وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا اليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاسدقاء ودار أحدنا معنا اليها وانتظار آخرون ما يعود به من الخبر ليبنوا على ما يقيم لنا ما يجب أن يعمل لتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لقيت فيها لدى الباب الشيخ عبد الكريم اليافي نقيب أشرف بيروت من أصدقائنا الاولين (١) وهو موال لسلطة الفرنسية فنألتني بعد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبرها كم بيروت أو نائبه يخبري مقرونا بالثبته والتزكية والضمان غير الرسمي، فرضي بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينصقوني فيها بشرط أن لا أعمل أمهلا سياسية مضادا لهم فيها

تقرير لعمدوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقرير لامعتمد الفرنسي بدأته بالتذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجملته في الحديث معه يوم لقائه من اضطهاد المسلمين بما لم كن أعلمه يومئذ لقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار الذنوب للسياسة مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسا قد سرخوا بانهم يريدون احياءا للجنسية العربية ولفنها ومدنيها ... ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسي على الانكاز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب ووقيت على ذلك باعلامه بأنني كنت في مصر أنتقد سياسة الانكاز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبمدها مذكرات في مخطئة سياستهم في المسألتين العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم -ستر لويج جورج- وأندرتة فيها بمداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علت

(١) لآل اليافي مودة لآل بيتنا منذ قرن ويزف على عهد أشهرم الشيخ

مهر اليافي الناصر الادب صاحب الديوان المعروف فقي ديوانه بعض القصائد التي مدح بها سيد والدهي السيد الشيخ محمد الكبير وله فيه قصائد اخرى ومنها تاريخ داره في القامون وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدة وبيت الناريح بل كل من قد حابها أرش يراها خير داره سنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية بأمراء العرب وزعمائهم وجميعياتهم، بل عثروا على رسالة تمد تحريفا للعرب على الجانب وقيل لهم أنني أنا الذي طبعتها ووزعتها - ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مطبعة ولا أهانوني بقول ولا عمل ولم يقابلوني أحد من كبار وجاهلهم إلا بالاحترام اللائق - فأين هذا مما عاملتني به السلطة الفرنسية في طرابلس؟

فذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي إلى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الانكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وبأفني في الهند ان جواسيسهم كانت تتبعني كما فعلت وتفعل جواسيس قرينة بطرابلس وبيروت ولكن لم يتمرض أحد لحريتي الشخصية ولا فتحوا صناديقي ولا ففتشوا أوراقتي، وختمت هذه المسألة بقولي له «وليس هذا بكثير على حرية الانكليز التي قسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تفضيلهم على جميع الشعوب الاوربية في الحرب ومعرفة أقدار الناس»

قلت بل كان الغريب ما عاملني به أحمد جمال باشا الاتحادي الشهير في بغداد - وكان يومئذ جمال بك - اذ ألمت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهدا بالظمن في الاتحاديين والتنفير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الآستانة تنشر بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش اني أقصد المراق لاجل تأليب العرب واثارتهم على الدولة - ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام قضية مسلمة بل سأل تقيي السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (رئيس وزارة بغداد لهذا المهد) وبعض كبار العلماء عني فبالفوا في الثناء (وكان هو يعرف عني شيئا وكتب الي قبل سفري ذلك) فأكرمني وزارني ودماني إلى طمانه - فأين هذه المعاملة من أقصى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيين لي في بلدي وأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون ولا يخل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسية الخ

وختمت المذكورة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتمجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرنسا وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن الترك أعداء وأرحم وأبعد عن التعصب وأحسن إدارة من الفرنسيين، فصاروا يسألون عن سبب سوء صيت الترك وحسن صيت الدول الاوربية الخ

اعتذار المتدوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المتدوب (القومسيير) السامي فلم ألبث أن دعيت الى مقريه الرسمي (القومسييرة) وكانت ذلك في ٨ نوفمبر (فقابلني فيها) (مسيو رودييكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو المترجم بيني وبين المتدوب عند تلاقينا منذ شهر فرحب بي أجمل الترحيب وبلغني شدة أسف المتدوب السامي لوقوع الحادثة وانه كان يود لو يلقاني ليعتذر لي بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام باسمه الى تحويل الى دوسنطارية وانه كلفه الاعتذار باسمه وأن يخبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويعاقب الميئين وانه سيمزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلفه أن يخبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة للقيام بكل ما أطلبه من التعويضات المالية والادبية - وكرر علي ذلك قائلا مهما تطلب من التعويض يؤد بكل لوتياح .

قلت اني لا أطلب تعويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما معاقبة الميئين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم تهمة تسد امامة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم ابدي بل ذلك مما يرفع مقامي في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا أن حاكم طرابلس أمرك منده اوراقا وقفنا قائما اطلبها لسمي في انجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا فأنا أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتستغل باصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا المقرر ... نريد انشاء مجمع لقوي وان تكون أنت العضو الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى باصلاحها أو ادارتها ونريد أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لها على الوجه المرضي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أشق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتعادية فيها (وذكر أكثرها وأطال في استمالي والثناء علي بلسنته وبشاشته)

فشكرت له هذه المنابة والثناء واعتذرت عن الانتقال من مصر الى سورية

بما لا حاجة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

أكابر وجهاء المسلمين الممارسين لتأليفهم وسماح ما ينكرون على السلطة الفرنسية وما ينقمون منها فكان أشد ما ذكر له مما نقموا وأنكروا حادثتنا هذه، تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء مفتي الولاية الشيخ مصطفى نجما والشيخ أحمد عباس وأيدهما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالمرحوم أحمد مختار بيهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن فحمل ذلك الحاكم علي ان يطلبني ليسمع تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حددته لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقا وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغت من مصادر مختلفة فأحب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فأخصتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتحقيق ومماقية المسيئين فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكتم علي بالنفي من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاسي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ؟ وأنا لا أهتمني عقاب احد بزل ولا غيره لاجلي ، فان هذه الاساءة رفعت من قدرتي في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقها ماعدا الاوراق الرسمية المنتمية بالوقف — ولخصت له خبرها — فأنا لا اطلب الا استرجاعها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء علي وجهه وكتب امراً بالفناء حكم النفي معتذراً عنه واما اوراق الوقف فرعدت بان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس وبحث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بان البوليس فعل ما تقتضيه وظيفته الا اساءة المعاملة ، واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسي في شيء — وقد صدق في هذا — وبلغني انه وبخ لبنان ومآحه حفا وهددها . وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية بسوء اختيار المومنين ، تقع في المشكلات وتنازع خلافها على نفسه ، ثم انورد الى طرابلس في ١٢ من الشهر المذكور وعنده علي ان ازالة ذلك ليس بخطاب السهل ولا سهل لبيان ذلك هنا لاننا لا نذكر لبنان ما وراء التحسين لادارة ولا نذكر حاكمها في تاريخية

تعلق مسلي الساحل فيفصل وتأثيره

قد كان استغرابي لا غترار المسلمين بالانكليز وفيصل عظيمًا جدًا ولا سيما بعد تنفيذ الانكليز لمعاهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسا، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخلفتي اياهم في ذلك واعلامهم بما لم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وطمع الانكليز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية، ولجزيرة بانيها لن تمود الى منازعتها فيها وانزعاجها منها لتمطينا اياها، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيها جويلها من البلاد، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكلية مع فرنسا في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستاناً أو داراً منها لرجل كان مساعداً له فأني الرجلين أولى بمخضاب اصحاب النسيعة؟ الذي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ داراً واحدة أو بستاناً منه ولولاه لم يأخذ شيئاً؟ وهل يليق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتعادي وتتنازع في تفضيل احده الفاضلين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المقتضوب؟

ثقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مزلاً أو مزبلاً لما كانوا يمنون به أنفسهم ويسلون به همومهم وزاد ثقله على تلك الاسماع ووقعه في تلك القلوب ان كان ممن يوثق بعلمه، ولا يتهم في اخلاصه وحسن قصده، وأنه لا سبيل الى نقضه أو رده، فمنهم من كان يقول وكيف العمل، واذا لم يعمل لنا فيصل ووالده فمن؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والصداقة أن اكتم هذا لئلا يئس الراجون، ويشمت المخالفون،

ذلك بأن أعرض امراضنا الاجتماعية أننا تعودنا التواكل بيننا، والانكال على غيرنا، ولا تزال الاحزاب والجماعات السياسية في سن الطفولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الأديان والمذاهب، واذا كان النصراني معتزلاً بالفرنسي لم ير المسلمون بدا من الاعتزاز بالامير فيصل وبأنصاره الانكليز، وكنت أرى هذا التناظر ضاراً في الحال، وسيء العاقبة في المستقبل. وأن الأولى بالفرقتين ان يتركوه ويرجموا الى أنفسهم فيعطوها حقها ولا يمتنوها ويحملوا

جل اعتمادهم أو كراهة على غيرهم ، وأن يعمروا حق وشرعهم ، وأنه يستحيل أن يعمروا ويمتروا به ما زادوا من متطرفين متمارين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الأجانب ، وكنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق بفصل — وإن كان له مالا انكر من الباعث الطبيعي — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، وتغورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسي على اتخاذهم عدواً مبيناً وتوطين أنفسهم على مقاومة نفوذهم في البلاد السورية وفي أوربة مماً ، وإنما كان يمتاز بفصل على وجهاء الوطن السوري في السعي السياسي لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالقبول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بمصهم بالولا ، وبمضهم بالمداء ، وأن لا يحمل أنصاره من المسلمين ما كانوا يظهرون من التعلق به والاحتفال بقدومه وزواجه اغاظة للنصارى المعتزين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يفتخر المسلمون به ويتكلموا عليه ، وأن لا يخاف النصارى منه ، فصرحت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصلاً لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد إذا كانوا متفقين على القيام بشؤون بلادهم لأنه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بها وجندها على جعل سورية تابعة لها إذا هو ولي أمارتها بل يكون هو تابعاً لها حتى إذا فرض أن عادت بلاده الأصلية أو حاربتها لا يسعه إلا مجاراتها والاستقالة من أمارتها والخروج منها ، وضربت لذلك مثلاً ملك البلاد الرومانية إذا اضطر إلى قتال أبناء جنسه النسي وهم الألمان اتباعاً لإرادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لخصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم يعلم أن الأمر كذلك ، بل كانوا يظنون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وإن ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالبابا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بتخطئهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المسلمون بما كتبت في هذا المثال وسرهم عدم اعتقاد النصارى له ولو جرفوا على هذه الخيلة قولاً وكتابة وكنوا عن ذلك المسلك الذي الكره في شأنه لوقت الممارسة له من الفرنسي وأعوانهم عند حد ولم تنه إلى ما انتهت إليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين اليأس شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يسم فظل السواد الاعظم من النصارى يعتقد الى اليوم ان فيصلاً كان يريد جعل سورية تابعة للعجّاز وانه كان قادراً على ذلك لو تم له الاستواء عليها ، وكل من الامرين خطأ . ولم أكن أريد بهذه الخطة تأييد فيصل لذاته أو مشايمة لحزبه وأكثرهم من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أقصد أن لا يتعادي أهل وطني بسببه وان أدلهم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجلة القول انني كنت أتحري في كل ما كنت أقوله وأكتبه النصح لجيم أهل وطني مع المحافظة على ما أؤتمني اياه السلطة البريطانية بمصر وجملته شرطاً في الاذن لي بالسفر وان كان ظلاً واعتداء على حريتي الشخصية في بلادي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم أكن أتشيع لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متعاملاً على واحدة منهم تحيزاً لخصيتها ، ولا مهيجاً على السلطة الاحتلالية ،
الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربة

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لأهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جيم ما قلته في فرنسة وانكلترة والحجاز هو الحق وان جيم ما اقترحته هو المصلحة ، وان لم يتذكروا أقوالي ، فمن لم يكن ظهراً له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فسيظهر له عن قريب فيعلم السوريون وهم ضئيل غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجم السكك ، وان النموب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول أوربة وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الأدنى على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو انتقادهم من ساطة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمارضها وان انسف الدين وأهله في اليم نسفاً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية حامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن بنيان القاعدة الأساسية للسياسة الاوربية في الشرق - أعني قاعدة التنازع بين الهلال والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الاقوياء في الاناضول وصرحت بان لهم الحق في الاستقلال التام واستعادة ما أخذ الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تنجلي لهم عن جميع كايكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفع صوتها

وأما ما ذكرناه في سبيل إعادة المودة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ،
 وإذا رأيت أن هذا من مصلحتها لم يصدها عن تنفيذ حماة المسيحيين في تلك
 البلاد ، ولا قاعدة ما أخذ الصليب من الهلال لا يسود الى الهلال
 وإن الدولة البريطانية ترجع المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصبغة
 المسيحية الرسمية والملك الحامي للايمان وواضحة قاعدة الصليب والهلال التي
 ملأت الدنيا عنفا وتثريبا على فرصة لاتفاقها مع مصطفي كمال باشا ناسخة
 للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقا عليها وتاركة حماة الاقليات
 المسيحية في كايكية فانها قد كانت سبقت الى خطبة مودة النكاليين فلم تغفر بها ،
 وضخت الارمن الذين دفعتهم الى عداوة دولتهم ، وتركتم يذوقون جزاء
 ثوراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل ان تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اترفت به
 من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تعيد سلطان اليهود القومي الى مدينة المسيح
 (عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه
 حتى من شعبها نفسه الا بفضل الجنيه عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وإن كل
 ما يشكو منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تفوذ أمرائه لانه مهد
 الاسلام ولحسابهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانية
 العظمى وإنما الحجاز معبد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس
 به قوة جندية ولا مالية يفتح بها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربت ، هي أو غيرها .
 ومن هذه الدولة مهتمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في
 بلادهم واحترام سلطة الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسا إذا
 هي عجزت عن إقناعها مع ايطالية ثانية بالانفاق . ما على الاجهاز على هذا الاستقلال
 وأما أمراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لا بناء الوطن السوري فيهم
 وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لأنهم لا حول
 لهم ولا قوة بأنفسهم وإنما هم مدخرون لخدمة بريطانية العظمى ينال كل منهم
 من الحظوة عندها بتقدير خدمته لها وتكون نفوذها في بلاده وصائر البلاد
 العربية كدأهم في جميع البلاد التي مدوا اليها أيدي مطامعهم .
 فلما كان فيصل أكثر موثاقا لهم جعلوه ملكا مستعمرة العراق الجديدة
 وكم لديهم من السلاطين والأمراء والالقب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي
 هي أوسع من العراق استقلالا ، وتفوذهم فيها أنصف وإن لم يسم انتدابا ،

ولو واتاهم أخوه الأمير عبدالله من قبل لسبقه إلى ملك العراق ، ولتة إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لأنه بغير ملك ، لم يقبل ما دونه في شرق الأردن ، وباليث ... وباليث ، ليت وهل يتفع شيئاً ليت ، ليت شبابا بيع فاشترت ... قضى أن يثوب أهل سورية عامة إلى رشدهم من قرأت ويضلوا عنهم ما لحقهم من عار التعصب وعدم الوطنية لو يتحدوا اتحاداً يضطر الأجنبي إلى احترامهم والرغبة في صداقتهم بدلاً من الاستبعاد ، ولا يأتى المليون حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لاسلطان غيرها عليها وأما ضمن ذلك لمن شاء بما يقنعه ان شاء الله ...

نصيحتي للفرنسيين بتغيير سياستهم في سورية

قلت انني قد اضطرت بسبب حادثة طرابلس لأطالة المكث في بيروت واشتغلت بمسألة الوقفة بعد أن كنت وكنت من يقوم بذلك ، وفي أثناء هذه المدة جئتني بعض معارف في بموسيو (مترجم لوي) وهو بحسن الفريية وكان قد زارني بمصر فكانت مما ذكره لي أنه ييلفهم عني غلو عظيم في اشتدة المعارضة والمقاومة لهم ولكنهم لا يأخذون الكلام على علته بل يتزودون ويحققون إلى أن يقفوا على الحقيقة . فقلت له إن عندي قاعدة أخرى تطبق على عليها وهي أن الرجل من لا يقول قولاً يحتاج إلى إنكاره وانني أعبدك وعداً مؤكداً بشر في بانك لو سألني عن كل ما نقل اليكم عني لصدقتك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عداه لتعلموا مقدار غش جواسيسكم ، والا فاني أخبرك اجمالاً بسيرتي في البلاد . انني لست قائماً بدعوة إلى مقاومةكم ولا إلى تأييد أنفسكم ولكنني من رجال الاستقلال ومعارض السلطة الأجنبية ومشهور بهذا . فأنا أصرح برأيي ومثري إذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقدكم باكثر مما أنتقد به الانكليز والشريف حسين والشريف فيصل ، وانني معتقد أن محاولتكم استثمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استثماركم لها خير لها لما كنت لي أن أصرح بهذا الاعتقاد المخالف لما يعلم كل الناس من مثري وثباتي عليه إذ يكون التصريح مظنة ريبة في كونه اعتقاداً عرضي . قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقسام سورية والعراق بينهم وبين الانكليز هم لهم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الاسلامي لها وكونهم في

هذه القسمة أعظم من لبن حلتائهم بصفر حصتهم. ونشر التصرف في أهلها وما يتوقع من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره، وإن الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالاً صحيحاً وجعلها صديقة لهم وحينئذ يفتخرون منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الأمة العربية كلها ويأمنون ضرر عداوتها وجعلها آلة بأيدي الإنكار. وذكرت له أنني نصحت للانكليز بمثل هذه النصيحة (١) فمنهم الفرور والطمع والتعصب الديني من الاصفاء. ولخصت له معنى مذكرتي لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المنار غير مرة. فأعجبه كلامي واقترح علي أن يكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يترجمها إلى باريس فأمتنعت عن الكتابة وقلت له بلغه أنت ذلك بعد هذا ذهبت إلى دمشق لإجابة طلب الأمير فيصل ثم عدت إلى بيروت في أول مارس سنة ١٩٢٠ لإقناع وجهاء بيروت المنتخبين للمؤتمر السوري بالذهاب إلى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التاريخية التي تعلن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسيه لوي) يقول فيه بعد رسوم الخطاب «إن سمادة الجنرال غورو قد عين لكم ٥ آذار الساعة ٦ أفركي مساء ميعاد استقبالكم في السراي»... وكان هذا الطلب بسبب مخالفتي إياه بموضوع حديثنا لا يطلب مني ولا علم بجئت في الموعد فبلغت أن موسيو مرسيه الذي سترجم بيني وبين الجنرال قد ذهب إلى قنصل أميركة في عمل رسمي أبطأ فيه فانتظارناه متوقعين مجيئه في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فتلقانا أمين سره (السكرتير موسيو روير دوكيه) وبلغنا بعد التحية أن ميعاد الجنرال ذهب بخطه (موسيو مرسيه) فهو يعتذر عنه باسمه ويحل محله فيما طلبني لأجله إذا كان لدي سعة في الوقت. قلت ليس لدي مانع من البحث. وإنما ذكرت هذه القصة ولم أخلص حديثي منه بدونه للاعلام بأن الجنرال نفسه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لفرنسة من استعمارها باسم الانتداب وقد يتمعّب كثيرون من من نتيجة ما أقصه من حديثنا وبيرون فيه دليلاً على تقدير السوريين في السعي المقبول لدى الرئيس باسمهم، وإن رضاهم باستقلال سورية ممكن (لها بقية)

(١) النصيح يقابل المنر والحمداع ولا يتضمن استملاء من الناصح

باب المراسلة والمناظرة

انتشار علم السنة ومدرسة الدعوة والارشاد

محلة مسير (عربية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله احمد (بن) احمد سلامة الى حضرة صاحب الفضيلة الامام الوارث
لعلوم المرسلين، الباذل جهده في ابلاغ دين الله هيم السالين ولم يدخر وسعا
في السعي وراء تحقيق اصلاح حال المسلمين، السيد محمد رشيد رضا الحسيني
بلغه الله، ما يتمناه ونتمناه لهذه الامة المحمدية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وعلى كل من والكم في ذات الله. وبعد فانا محمد
الله اليكم الذي ايدكم بروح منه ووفقكم للقيام بتحرير مزار الدين، حتى بلغ صوت
الحق منه آذان القريين والبعيدين، فأحيا الله به هنا وهناك نفوس المستعدين،
وأقام به الحجة على المتخلفين والمعارضين، ممن سموا بالعلماء والمتعلمين، ولقد فطن
كثير من اخواننا في هذه الايام الى أن حال المأهدين الدينية الحاضرة في هذا
القطر لا تغني أولادهم من التربية الحق شيئا، ولا تجديهم نفعا، ان لم تكن ضارة
ومفسدة لاستمدادهم، ومما يشهد لذلك الفطرة الوديع في نفوسهم، فعمدوا من
أجل ذلك الى توليهم بأنفسهم بحفظ ما دون أمانيات الاسلام بهد تمام حفظ
القرآن بدلا من مقرر التمهيد التي وضعها المأخرون حتى بلغ أن بعض التلاميذ
من بلدنا الآن يحفظون مرقى الآف حديث من بلوغ المرام وشروحه وبعضهم
يحفظ طائفة من المأخوذ من المأخوذ الى نبيه أفهامهم وتوجيه أذهانهم
الى ما أودع الله في كتابه من التوحيد وأقام من الآيات البينات عليه
وأحكام العبادات وأسرارها المثبتة له في النصوص وقد تبيننا بالبحث أن كثيرا
من العلماء في كل مهة قد ولوا دحورهم شعار السنة تاركين التقاليد جانبا بعد
أن علموا من حقيقته بالليل وهم يشكرون من المكوي مما عليه المأهدين
أن هذا كله وان كان شرا من لا يشك في ذلك ولا يروي غايلا من الاصلاح
العلم الذي يجب له دعوة الدعوة والارشاد من قبل وكاتب أول هذه
الحجة القائمة على دعوة الدعوة والارشاد من قبل، طالبين فأجاب دعوتهم
فبين من الناس من الله في كل دعوة الى الحق، وليس نجد لسنة الله تبديلا. غير

أن هؤلاء الطالبين على قلوبهم وقصر مدة شغل المدرسة قد أفادوا الناس فائدة
كبرى لا يستهان بها فقد سمع نداءهم والحمد لله على اختلاف جهاتهم وتناني
ديارهم جماعات هم الآن متعارفون متزاورون ولقد وعدتم حفظكم الله تعالى
المرّة بعد المرة أو فهم من كلامكم في المنار هذا الوعد باعادة مدرسة الدعوة
والارشاد فكان ما فهمناه من هذا الوعد طمأنينة تقوسنا على مستقبل أولادنا
ولكن طال المهمل على هذا وأيامه من آجالهم وآجالنا فتى يا صاحب الفضيلة يكون
يوم تحقيقه؟ ولقد يغلب على ظننا أن اهل هذه البلاد ما علموا ولا شعروا
بفائدة هذه المدرسة الا بعد وقوف عملها وتعرف اخبار الثلاثة أو الاربعة
الذين أخرجتهم هذه المدرسة كالاستاذ الشيخ ابي زيد والشيخ عبد الظاهر
وبعد أن عقد الحق صلة بينهم وبين كثير من المستمدين من العلماء والمتعلمين ،
فإن صبح رأينا هذا قوي الامل في تنبيه هذا الم شروع من فترته ، وأقالته من
عثرته ، فنناشدك الله والدين ، والميثاق المأخوذ على المرسلين ، والوارثين ان تقوهوا
انتم ومن تبكم باحسان وتؤذوا في الناس الامراء وغير الامراء ، من اهل الخير
والثراء ، بوجوب إحياء هذا الم شروع الذي لا غنى للمسلمين في جميع اقطار
الارض عنه ، وإن في ذلك لنصراً لدين الله وقد وعد الله ووعده الحق بنصر
من ينصره ، وإن في هذا الجهاد في الله وقد وعد الله المجاهدين فيه ان يهديهم
السبيل وأن يكون لهم معهم ، وإن هذا لا يفاء بعهده ولقد وعد الله الموفين
بعهده الا يفاء بعهدهم ولنا نعلمك بشيء أنت تجرله نعوذ بالله . أو نذكرك بما
غاب عنك نستغفر الله ، وإنما هي نفثة المصدور وتروح الحرون لما عابيه المسامون ،
وإن كان لدى فضيلتكم ما يبشر بتحقيق الامل قريباً فتفضلوا به علينا انا بكم
الله وجزاكم عن المسلمين خير الجزاء ، ويسلم عليكم وعلى من تبكم باحسان تهديكم
العارف لكم حقه الشاعدي فضلكم شيخنا الاستاذ الشيخ سيد مصطفى الشرف

٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩
كاتبه سيدكم الخامس
احمد احمد سلامة

(المنار) نحمد الله تعالى على توفيق المسلمين لاجلاء علم السنة وحفظ الحديث
والتمقه فيه حتى في القرى الصغيرة ، ونسلم على أحياء الكتاب النور ، واستاذ
المصطفى لا فاضة نور السنة في ذلك المنجور
أما مدرسة الدعوة والارشاد فهي كما قال أخواننا الشاعدي أوائل الوسائل لكل

اصلاح اسلامي بحسب ما وصل اليه اجتهادنا ووافقنا عليه ارفعى من عمره من عقلاء المسلمين واهل الرأي فيهم في الاقطار المختلفة حتى انهم قد وافقوا بعض كبراء الدولة العثمانية من رجال جميع الاتحاد والائتلاف على تصديقهم مصنفين بما كان يرجى للدولة وللإسلام من هذه المدرسة لو احببت الدولة ان تأسسها في الآستانة وآسفين لعدم التوفيق لذلك

واما إعادة المدرسة فاني عازم عليه ساع له ولو بأن استأجر مكانا من مالي واعيد فيه تلك الدروس التي كنت اتقها واكف بعض الفضلاء من اخواني مساعدتي على ذلك بدروس اخرى ولوليلاء وان اجعل فيها قسما اسميه دار الحديث للمساعدة على حفظ السنة والاستعانة بها على مداينة القرآن . أنتظر بذلك الميسرة المرجوة ولست يئس من إعادة الحكومة المصرية لاعادة المدرسة من أوقاف المسلمين الخيرية ولا سيما اذا زالت السيطرة الأجنبية عنها او ضعفت ولعل لو طلبت ذلك في هذه السنة لاجبت ولكنني رأيت البلاد كلها في شغل مشاغل بقضية البلاد السياسية عن كل شيء ولنكل شيء عاجل لا يمدوه وخيمرف اهل الغيرة الاسلامية بمد ذلك قدر هذه المدرسة فيساعدونها من كل قطر ولا سيما الهند ونجد وليس الشيخ عبد الظاهر والشيخ محمد ابو زيد الذي كاف اصلاح مدارس جمعية الاصلاح والارشاد في جاوه هما اللذان قد أخرجنا من المدرسة وعنيا بالدعوة الى الاصلاح والارشاد مع اثنين آخرين كما قلتم بل نشر خلاصتها الاصلاح في أقطار مختلفة وقد نشر في الجزء التاسع من المنار ترجمة واحد منهم من اهل جاوه توفي فيها بقلم أخيه وكلاهما من تلاميذها . وانني أنشر هنا جملا من مکتوبات بعض طلابها من مسلمي الهند

﴿ كتاب من تلميذين من تلاميذ المدرسة بنصه ﴾

وذلك عقب سفرهما من مصر منذ سنين

استاذنا ومرشدنا السيد الامام حجة الدين ونفر الاسلام حفظه الله بعد أداء واجبات التحية والاحترام وسلمنا بحمد الله الى وطننا العزيز واسكننا لم نفرح كل الفرح لاننا من الاسف لم نوفق لتقبيل يديكم عند مغادرتنا مصر وذلك ليس الاثبات التي أحاطت بنا ذلك الحين وأقلقت بالنا واضطرتنا أن نسافر عن ذلك المكان

وبعد وصولنا الى الهند بقينا في بلدنا وقدرنا أعمالنا على الموائع في الاجتماعات الدينية لنستريح حيناً من وعناء السفر — وما نحن (أولاء) تلاميذكم الثلاثة قد اجتمعنا لنخرج الى ميدان العمل ونسير على طريقكم المثل التي اقتبسناها من دروسكم ومحاضراتكم الثمينة في مدة قيامنا بـ مدرستكم الفراء . وقد شرعنا في ترجمة بعض الكتب والمقالات النافعة ونحن مسمون على أن لا نشتغل إلا في الأعمال العملية الحرة فأردنا أن تفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية على طريقة العملية (١) ونصدر أيضاً مجلة عربية غير الهندية ... الخ

ولم تنس وصيتكم الأخيرة بجمع الكتب الأثرية القديمة وقد عرضنا هذه الفكرة على المولى عبد الحى مدير مدرسة ندوة العلماء فاستحسنها ووعدها بالمساعدة — دتم

الخاضعان

محمد عثمان — عبدالله بخدايار —

﴿ كتاب من تلميذ آخر من تلاميذ المدرسة بنفسه ﴾

هو الآن محرر جريدة (بيخام) أي البلاغ في كلكتة

استاذي ومرشدي حجة الاسلام فخر المسلمين السيد الامام متعنا الله بطول بقائكم ؛ بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فاني قد كنت كتبت الى جنابكم المالي كتابين بعد مفادرتي من الحجاز (٢) وامامها وصلا اليكم . ثم سكت طول هذه المدة لا لغلظة بل لاسباب لا تخفى على احد ، وكيف ارتكب جرم الغفلة والذهول أو نال عقل ولم أعرف شيئاً الا منكم ، قد هت مصر وأنا في غياهب من الجهل فاقبست من نوركم فصرت بصيراً والحمد لله والمنة لكم ؛

واكبر شكر يستطيع التلميذ والمريد أن يشكر به استاذه هو أن يحذو حذوه في الخير ويحوي طريقته وينشر آراءه ويهدي امته بالهداية التي اهتدى بها ، واني لا مولاي ما برحت أسير على هذه الخطوة منذ تقولي الى الهند فزالتي اكتب المقالات العملية والدينية في اكبر الجرائد الهندية ومجلاتها ، وألقي الخطب في المجالس العامة ، وبحمد الله يكون لها اكبر وقع عند الخاص والعام لان تلك الافكار ، غريبة عنهم ؛ مكبا في مالملة علم الحديث (٣) وقد قرأت

(١) الوجه أن يقال الطريقة العملية (٢) الصواب حذف من لان

غادر كفارق يعمى بنفسه لا بمن (٣) يريد ؛ وما زلت مكبا على مطالعة علم الحديث فمصنف الاسم المفرد على الجملة الفعلية

الانتقاد على المنار

نطلب في أول جزء من كل مجلد من قراء المنار إتحافنا بما يروونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو مخالفة المصلحة العامة التي تتوخاها في خدمتنا، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين إلى ما لم نقدره من النقد الشفوي أو غير الموجهة إلى المنار

فنقول الآن في خاتمة هذا المجلد أننا قد نشرنا كل ما كتب إلينا من النقد كالرد على ما نقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والخلود فيها ومناه ولم يهمل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب إليه. وأما النوع الآخر من النقد فليس له ينالنا إلا ما قاله بعض السوويين أو نشره في بعض الجرائد ولم يرسلوه إلى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجلية في المسألة المربية) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسناها الجاهير في الاقطار الإسلامية المختلفة حتى أن محرر جريدة (بينام) الهندية الإسلامية التي تصدر في (كلكتة) كتب إلينا بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها « الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

انتقد ساطع بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مطلق على ما جرى لانه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل إلى الجنرال غورو في أثناء المناوشة بينهما في أمر الانذار المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك سابقة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط الخزية ليدفعوا لاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمنعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم قبولنا ما قالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود معلومة لا تخفى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا رجون ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيما طلبه من فيصل تأييد حكومة موالية لفرنسة. وقد تناقشنا في المسألتين ورغبت إليه أن يكتب انتقاده كتابة لا بين حقه من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فاني لا أكتب لغرض ولا هوى بل لبيان الحق وخدمة الأمة فاذا ظهر لي ان فيما كتبت ما يخالف ذلك اعترفت به ورجعت الى الصواب الذي أفتنح به . ولكنه لم يكتب

وجوابي عن المسألة الاولى ان الجنرال غورو هو الذي قيد الوصاية في انذاره بما عناه سامطم بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من الانذار

٣ هـ - قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يمس حق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتخبها الأمة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية خالياً من كل غرض استعماري . وأما المسألة الثانية فالذي أعلمه فيها أن انذار الجنرال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وإنما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجنرال ينهم الحكومة بأنها تساعد المصالحات التي تناوى الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته عما كتبه اليه فيحصل بعد قبول الانذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطالب التي تجددت بعد قبول الانذار وكان سامطم بك المصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان ممدوداً من الممادين لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة والدكتور شاهيندر وبعضهم كان موالياً لها كملأه الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سميد طليع كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة رد بل تم بحكمقال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على اثر كلام أغضبه . هي في الاسكندرية فان خطأ التي تحدثت إهاتته فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منمنته من الكلام في بعض المائل منه قانونيا فنان أنتي تمتد التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أعلن أنه نسبها لاني وكدت له القول بأن غنة كان من الاثم ، على أنه من شيعة الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب الى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يحثه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خطية سرية يبينون فيها رأيهم في انذار الجنرال غورو لان الدعوة بثت ليلاً وصباحاً بان لا يكتب اليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليع هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق - وكان من أكثر الاعضاء مودة لي - وأخبرني أنه كان عند الملك وأنه وجدته مستاءة جدا لانه كان منتظرا من أول النهار لإقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بأرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليع إنه ينتظر ذهابك اليه فيحسن أن تذهب وتسلية ، فقلت حقاً اني بعد اشتغالي برئاسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والأحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

واذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظرك فذهبت اليه فرأيتهم واجامهم وما سألتني ما بال أعضاء المؤتمر قد أخلفوا مواعيدي ولم يأتوني بأرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظلت منتظرا لهم النهار بطوله ، قلت اني علمت منذ خرجنا من هنا انهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءهم جدا لانه عدوه متضمننا للطنم فيهم بالجن والمداينة للعامة فيما يبدو في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استحسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكتوا واجبن وانما صفق واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ايقاعهم بها ويتواصون بعدم الوقوع في شركها . والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سعيد بك طليع وأنه لم يذهب اليه الا وقد كتب اليه ما يجب وهو إجابة الجرال غورو بقبول إنذاره !!

لم يكن ما كتبه الدكتور طليع بالذي يستحق أن يعنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشي تغيط الكاتب من التهم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

وانني مع ذلك قد رددت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لغرضين أهمهما إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي يهتم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب بأمرها - ولذلك نشرت مقالتنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية والوثنية - وثانيهما إعلام من فكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على انني ألخص تلك الدعاوي والا كاذيب فأقول (أولها) إنكاره
 لأنه لم يوجد في الامة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء بمجموعت
 ويوجدون قواها لخمف استقلالها كما وجد في الترك مصطفى كمال باشا وأنصاره
 من كبار القواد والسياسيين ودعواه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلالة الم
 «حسين» الخ (ثانيها) افتراؤه علي بانني قلت انني أشرت علي الملك حسين بأن يحار
 الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه الفرية في الرد علي جريدة القبلة من ا
 التاسع بعد الرد عليها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة بنى عليها إستند
 تصریح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر
 اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصا
 النفوذ الاعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعزهم — استنبط هذا مما ذ
 في مسألة المرحوم يوسف العظمة وجعله حقيقة واقعة لأجل التهم الذي أر
 وقرأه المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله «ويقول أيضا أنه هو الذ
 أقنع المؤتمر السوري بأن يقلم عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور» و
 المنار يعلمون أنني لم اقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امت
 أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضح
 هذا في الاهرام ببيان أن بعض اعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والحد
 بعد تلاوة أمر الملك المذكور فلم آذن لاحد منهم وزلت عن كرسي الريا
 تنفيذاً للأمر وعدم جملة موضوعا للمناقشة. وان بعض هؤلاء كلموني
 غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امتثال الاسر فأقنعهم بما ذكرت. وأزيد الا
 أنني لو سمحت لاعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الامر ويلقوا فيه الحد
 لكانت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدوها قبل ذلك اذا
 التوبيخ والسخط على الحكومة والملك فيصل بالذين حد الافراط وكان الش
 أشد نهيجاً وهو مستعد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر، واذا لوقعت ثورة داخ
 تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه هو المضيع لاستقلال البلاد

(سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأنني أثبتت مرة
 الملك فيصل. وقد أنهم هذا البناء بما يؤمن أنه بناء بالكفاءة والزعامة وإفاد الا
 العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان رداً على بناء الملك على أعضاء المؤ
 باجابتهم دعوته الى أدبه ويرمضان بأنه هو المحسن في الدعوة وفي التكرار على قيو

فهو أحق بأن يثنى عليه ولو جل عن شكر التسليمه محسن لأجلنا كما قال ابن الجهم (سابعها) انكاره ما سماه دعوة لافرئيس بأن لا يعادوا الأمة العربية في بيت ملك الحجاز : وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كما زعم وإنما بينت لهم خطأهم والخطب سهل (ثامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافق على معاهدة سايكس وبيكو . واستدل على رد هذا بدم تسديقه على معاهدة فرساي قال ولتضمنها المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وقد رددت عليه في الاصرام ، وقراء المنار يلمون أنني لم أقل من عندي إنه صدق على معاهدة ١٩١٦ وإنما رويت روايات فيها عمن سمعوا بأذانهم من السر مارك سايكس ورأوا بأعينهم كتاب جلالة الملك الى نجله الأمير فيصل وأملت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لأننا نريد إقفال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والخروج منه

علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليملم القراء أنني لم اكتب قط كتابة من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من الناس ويؤلمه وأنا متألم وخجل من مساءته كالذي كتبت في المسألة العربية علماً بأنه يؤلم الملك حسيناً واولاده لأنني عرفت منهم الأمير عبد الله أولاً والأمير زيندا والأمير فالملك فيصل أخيراً ووالدكم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي قولاً ولا فعلاً بل كنت ممجياً أشد الإعجاب بأدبهم العالي وقد أكرم منواي الكبير في الحجاز وأناني مع من كان معي من نساء ورجال أحسن الضيافة كما يعلم من تنويهي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار ، وأنني لا أعلم أن منع المنار بملك المباراة الخسنة قد كان بدسيسة

وكان سهل علي تلافي ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا ، ولكنني قد سبرت بذلك المنع لأنني كنت قد علمت أن الأمر بار علي ما يناني مصلحة العرب والاسلام ، وقد كنت صرحت له عند توديعي اياه بتعجرتي في الحرم الشريف بأنني لا أعمل الا ما أعتقد أنه لمصاحبة الملة والأمة فإدعت أعتقد أن الحركة العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي - قلت هذا بعد أن تلافت كل اللطف في الثناء ووجاه المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرسالة حتى كان من تواضعه ولطفه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في رسالته أنه أعلم منا بكل شيء فنحن نحتاج الى علمه وسمة اختياره بأقامته بمصر كل هذه السنين في كل عمل ربه في حكومتنا ... وفصل ذلك تفصيلاً أجدني

وهرفت الأمير حميد الله في الآسنة وكان أول كلامي معه تمريناً شديداً بأصرائنا قبله بغاية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف نواضعه ممّي اقتداه بآدبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المكانة . طلبت الخلوة به على ضيق الوقت فسمح بها ليلاً فكان أول حديثي معه في السياسة بعد بحاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في ثورتهم ومضارها من مبدئها إذ بنيت على الانكال على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا جم الكلمة الى ما كان لها من سوء العاقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات؛ قلت له انني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينهض بهمكتكم الى تلافي هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلوة بكم لأقف على خطتكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعداً لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوماً لها على ضمني ، ولا أراكم تستكبرون من كلمة المقاومة لاني لست أميراً فقد قاومت السياسة الحميدية على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً ، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي على خشونته الذي أوجبه المصلحة والاخلال في النصيحة باللطف والثناء والرجاء في التماون والاتفاق ، ثم انه ألح علي بالذهاب معه الى الشام لأجل التماون على العمل فوعده بأن أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالمؤتمر اول مر بخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة العربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة العربية قولا ثم كتابة فاستحسن جد الاستعدادان ووعد بأن يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن ينفوذ الى أخذ المال والتحف لكنت أقدر على استدراار تلك الكف الوا كفة كالسحاب بغير حساب ؛ ولا تفرقة بين المستحق وغيره من الفقاة والطلاب ، واذ كان يعلم أنني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحتمل لتقديم هدية بخلق له مناسبة فألح علي بأن أستأجر داراً لان طاول الإقامة في الفندق غير لائق وقال صرارا عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت داراً واستحضرت لها فرشا من بلد (طرابلس الشام) بعد أن بلغته بنفسه وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختارنا غير مرة في المسائل السورية حتى تفاضنا وكاز

كل منا سريع الانقياد لا نثبت أن نعود الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان
يفضاني فيها ويفضل اكثر الناس أدبا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الأخير
الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تعطيل المؤتمر ، على اني لما علمت أن الأمر ليس آذنه
بوجوب الخروج من دمشق لم أبدأ من توديعه وقد أعرش عنه المتعلقون
فكنت آخر من ودعه ليلا على قلتهم ، وأفضل ما أذكره له من ولاء بعد جفاء أنه
كاشفني بكل ما في نفسه وما يتوهم من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا
لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سواك ولا لآخي زيد ؛
أفليت هذه الثقة منه يجب أن أعدها له ان لم يعدها أو عنها هو علي ؟ بلى
ولاجلها لقيته وكررت الزيارة اذ جاء مصر مائدا من أوربة راجيا أن استفيد
نيا منه ، وأتوصل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمع نيا يبيت الارتياح
في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطلبني الى المراق للعمل معه ، ولو كنت
أعمل لمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت محارة الملك فيصل في ظل
بريطانية المظلي أو سم أبوابها لدي هناك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق
إنه يمدني حجر الزاوية في كل ما يمتنى من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني
أعتقد أنه لن يستطيع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلّا لها ،
ولدي من العلم الذي استفدته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد
من آله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبق خفية على أحد

وجهة القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك
الكبير على شمه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولا أو كتابة
يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب
منفعة شخصية ، وعلى الخدمة للامة معهم لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون
خليقا بالخلع الطبيعي من الطمن بخططهم وسبرهم ؟ بلى والله وان كان بعض
مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي يرتكب في سبيلها
كل صعب ، ويستهل كل خطب ، وما أنا بأمن على نفسي من الضرر ، الذي
لا أعد منه ما كان من طمن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، عند
العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة المراق التي يفتري بها الاغرار ،
ويستغلها عبدة الدينار ، لاعتقادي انه واجب علي شرعا ووضعية . وقد ظهر
ان لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكان ذلك خزيا وعارا على
جميع العرب ، ونموذ بالله من سوء المنقلب

خاتمة المجلد الثاني والعشرين

باسم الله وبحمده أختتم المجلد الثاني والعشرين من المنار كما افتتحته باسمه وبحمده فهو به وله منه واليه ، ولا حول ولا قوة الا به

بفضله تعالى أعدنا اجزاء المنار الى حجمها السابق الذي انتعشت منه رزايا الحرب وطبنا على ورق اقوى وانظف واغلى من ورقه الاول فتمنه يزيد على الثمن الذي كان قبل الحرب خمسة أضعاف وتوسمنا في مباحثه ومثاله ، مهملنا كل ما أقدرنا الله تعالى عليه فمسيح الله أن يوفق سبحانه قراءه الى أن يقوموا بما يجب عليهم من اداء حقه فلا يزال الكثيرون من اهل الوفاء منهم يرجئون دفع القيمة الى انتهاء السنة واستيفاء أجزاء كل مجلد كاملة ولا يزال الكثيرون من غيرهم مدينين باشتراك عدة سنين ، يلوون ويمطلون ، وهم أغنياء واجدون ، ويندر أن يوجد فيهم من يستبيع هذا الجرم ، ويستحل أن يصدق عليه قول الرسول (ص) « مطال الغني ظالم » (متفق عليه) ولكنهم غافلون حتى عن أنفسهم ، فلا يفكرون في ثغرات العمل من أين تأتي اذا كان جميع المشتركين أو أكثرهم منهم ، أن لا يرضون لانفسهم أن يكون غيرهم خيراً منهم ، ولا يحاسبونها ، بل يارب وهضم الحق الصراح ، ولا سيما اذا كان صاحبه مهمل أو مقصراً في العمل بالالحاح ، لان الامور السالفة قلما يحاسب نفسه عايتها في الامم المريضة الا الافراد من الفضلاء ، وأما الدعاة فقلما يفكرون في جنائياتهم العملية بل يرضون بانفسهم وامتهم ، أو يفتنون الى سوء عواقبها فيها وفيهم ، واذا ذكر احد من رجعت اليه لائحة بادر الى تبرئة نفسه ، وتحويل اللائحة الى غيره ، فلا ينبيه اللوم والتذكير منه الا غريزة الدماغ عن النفس ، والمحافضة على كرامتها بما يسبق الى نفسه بادي الرأي ، وقد يقضي بما يقول عليها ، وهو يحسب أنه قد قفى لها يارأها ، وما هي الا الغفلة عن النفس تصل الى درجة السهو والضياع ، كما أرشدنا الى ذلك القرآن ، فقد قال في قوم (سوا الله فأنساهم انفسهم) ووصف قوماً بأنهم (في غمرة ساهون)

لا يبالي المليم ما يدفع به اللوم اكان حقاً ام باطلا ولا يقول ما يقول دائماً عن اعتقاد وقد يقول كلمة حق يريد بها باطلاً أو لا يريد بها الا مقابلة اللوم بمنته كن يعندر عن تأخير اداء الحق الذي عليه للصحيفة بتأخير بعض الاجزاء

عنه ، ويقال فيمن يعتذرون مثل هذا الاعتذار من قصد جعل الأرباح أو ترك الوفاء عقاباً على تأخير بعض الأجزاء أو الأعداد والأصل في الاشتراك أن تدفع القيمة كل سنة سلفاً للاستعانة بها على العمل فيكون بإذنها مشاركا لصاحبها فيه فإن لم يفعل المشترك ذلك وعد مدير العمل مسيئاً بتأخير إصدار الصحيفة فإساءته تكون متأخرة عن إساءة صرحيء الدفع - فلما بل تكون مملوكة لها في الأكثر ، وإذا كان كل مشترك لا يدفع إلا بعد استيفاء أجزاء السنة كلها في موافقتها وكان إصدار الأجزاء في موافقتها أو مطلقاً متوقفاً على دفع القيمة قبله لأجل النفقة تكون المسألة من قبيل ما يسمى في اصطلاح المنطق بالدور فيقال لو لا تأخير المشتركين لقيمة الاشتراك لما تأخر صدور شيء من أجزاء المجلة ولولا تأخير أجزاء المجلة لما تأخر المشتركون عن أداء القيمة - اننا - هذا -

والحق أن الأرباح والتسويق لا يكون من جميع المشتركين في الصحف وإن من المرجئين من يرجى كسلاوتها ونأفي الوفاء ، ومنهم من يرجى لأن أداء الحق ثقيل على طبيعته وليس له من باعث الدين ولا التربية على الوفاء والنظام في المصلحة ما يرجع على البخل وهضم الحقوق ، ومنهم المعسر الذي ينتظر الميسرة ، ومنهم الحريص الذي يخشى أن يعجز صاحب المجلة أو الجريدة الاستمرار على إصدارها ، وأكثر الناس في هذه البلاد وأمثالها لا يشقون بأكثر ما يتجدد من الصحف لكثرة ما يصدر ، منها أياماً وأسابيع أو أشهراً قليلة ثم ينقطع وتضيع قيمة الاشتراك التي دفعت لأصحابها سلفاً ولكن قلما يشك أحد في الثقة بثبات الصحف التي طالت أعمارها وصبرت على آواء الزمان ولا سيما آواء هذه الحرب ألا إن كل من أنصف من نفسه وأعطى التفكير في المسألة حقه يظهر له الحق فيها ويجهد في المسارعة إلى دفع قيمة الاشتراك في الصحيفة التي ارتضاها سلفاً فإن لم يكن ففي أثناء السنة ، وأنه يظلم صاحبها بالتأخير إلى نهاية السنة . فكيف بمن يرجى ، اشتراك سنتين فأكثر وصاحب الصحيفة يظل يرسلها إليه ثقة به وحسن ظن فيه ؟ وجملة القول إن الناس في هذه المسألة كما قال تعالى في الذين أوردوا الكتاب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفوز الكبير) وكل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه

مسألة (الخلافة الإسلامية) لأحد أركان النهضة الإسلامية في الهند صدرها
المولى (أبو الكلام محمد الدين آزاد) صاحب مجلة (الهلال) العلمية الأصلية
وجريدة بيغام - أي البلاغ - السياسية في (كلكتة) الذي قد كني
الكلام بالالهام فانه من أفصح أهل المصر كلاماً وأقدرهم على الخطابة والكتابة
وهو يجيد فهم اللغة العربية بحيث إنه أعاد الخطاب الذي اختتمت به مؤتمر ندوة
المعلماء في (لكهنؤ) بطريق الخطابة باللغة الأوردية في جلسة خاصة عقدت لأجل
ذلك وكانت خطبتي أرجالية استغرق إلقاؤها زهاء ساعتين ، وقد سمعت ممن
يفهم اللغتين أنه لم يفرط في أداء معانيها من شيء

وهذا البحث في الخلافة يؤلف كتاباً جليلاً ذا أبواب وفصول تاريخية
وشرعية واجتماعية وسياسية تهتم جميع المسلمين وجميع الذين يعنون بمعرفة تاريخهم
الديني والسياسي ، ومن مباحثه الفرق بين خلافة النبوة الراشدة وما بعدها من خلافة
الملوك وأحكامها وأحوال المسلمين فيها ومسائل الجماعة وما ورد في ثرونها وفي
النهي عن التفرق ... وأسباب ضعف المسلمين وطاعة الخليفة والزام الجماعة وتفسير
أولي الأمر وأحكام الجهاد والهجرة وشروط الإمامة والخلافة في حال الاختيار
وحال التغلب وكون الخليفة لا يتعدد والتعارض والترجيح بين طاعة الخليفة
وبين وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالته ، ومن أم مباحثه
خلافة آل عثمان وغير ذلك مما لم يصل إلينا بعد . وسنعلق على بعض المسائل حواشي
مختصرة لإيضاح أو استدراك أو انتقاداً ونترك للقراء الحكم فيه

ولدينا أيضاً (كتاب من المرافقات إلى الحقيقة) وهو كتاب إصلاحي عظيم
كما علم من مقدمته وأبوابه التي نشرناها في هذا الجزء ، وسنعلق عليه بما ذكرنا أنها
- ولي ذلك رحلتنا الأوردية - فهذا أوسع مالدينا الآن من الزيادة في
المواد على المهورد إجمالاً من أبواب المجلة كالتفسير والفناوى وغيرها أو تفصيلاً
كفصول بحث القياس في اللغة العربية والرحلة السورية ووراء ذلك ما يتجدد
من المقالات والرسائل في أثناء السنة

ونسأله تعالى أن يقر أعيننا بحياة أمتنا ويوفقها إلى تغيير ما بأنفسها من
أفكار فاسدة وخرافات كاسدة وأخلاق سيئة ، ليغير ما بها من ذلة ومهانة وضعف
واستكانة ، وان يجعلنا فيها وفي سائر العالم من الهداة الناصحين ، والصالحين
المصلحين ، وسلام على المرسلين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله